نهج الولاية ٥

سيد شهداء محور المقاومة

الشهيد القائد
قاسم سليماني

دار الوفاء للثقافة والإعلام

اسم الكتاب: سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد قاسم سليماني

تجميع وتنسيق: أبو ذر مهروان فر

المترجم: ياسر طفيلي - حسن شرارة - حسين الجندي

نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى: ديسمبر ٢٠٢٠ - جمادى الأول ١٤٤٢ هـ

البريد الالكتروني: dar@al-wafa.net

الفهرس

مقدمة الناشر ١٩

مقدّمة الطّبعة الثانية ٢٣

الفصل الأوّل: الولاية والتمسّك بالولاية

كم نحن مدينون لهذا الرّجل ٣٥

هل يستطيع هذا النظام الوقوف على قدميه دون ولاية الفقيه؟ . ٣٦

إرادة الإنسان مرتبطة بتعلّقاته ٣٧

اتّباع القيادة لا علاقة له بالشّؤون السياسيّة ٣٨

ألا تقول أنّنا دعوناه؟ ٤٠

هذا الرّجل هو الأفضل بين كلّ العلماء ٤٢

الإمام الخميني الرّاحل ﷺ تعامل مع الله ٤٤

الاعتقاد بولاية الفقيه يعني الاهتمام بتشخيص القيادة ٤٤

لا يقدر أحد على أن يذمّ القيادة ٤٧

كان الإمام الخميني صاحب إلهامٍ مرتكز على التقوى ٤٨

ما الذي كان يملكه الإمام؟ ٤٩
سأتجه نحو الإمام الخامنئي دون شكّ..... ٥١

الفصل الثاني: الثورة الإسلاميّة

معرفة العدوّ بالثّورة أكبر من معرفتنا ٥٤
مسار العالم الإسلاميّ النّزولي أصبح صعوديّاً ٥٥
لم يجرؤ عبدالنّاصر على ضرب تل أبيب..... ٥٥
لقد كان البعض جبناء في الحرب المفروضة، ألم يكن الأمر كذلك؟ ٥٧
ألا يجدر بنا أن نصرخ وسط ظلمات الفتن؟ ٥٨
الثورة الإسلاميّة فكر ٦٢
ما الذي تعنيه نُصرة الله؟ ٦٣
تنشئة المُدافع الثّقافي بعهدة المساجد لا الحكومة ٦٥
الإدارة الثوريّة تعني ٦٥
الحجّة جليّة اليوم حتى لعوام النّاس ٧٠
سوف أسقط إن صدّقت ذلك..... ٧٢
نحن غافلون عن رسالة الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر ٧٢
لم يكونوا ليتردّدوا مقدار ذرّة لو كان ذلك متاحاً لهم..... ٧٣
لقد ضُخّ إكسير الثورة الإسلاميّة في أوساط شعوب العالم ٧٤
مرتبة جواز السّفر مهمّة لكنّ العزّة أهمّ منها!..... ٧٥
من أين انطلقت الثورة الثقافيّة؟ ٧٧
لماذا لا يرقى أيّ واجب إلى مستوى الدفاع عن النّظام؟..... ٧٩

حرس الثورة الإسلاميّة يضمّ الآلاف من خواصّ أولياء الله ٨١
بثّ الخوف من الشّيعة أو السنّة خطأ ٨٣
الحرس الثوري، عمود خيمة الثورة الإسلاميّة ٨٤
لقد استخرج الإمام الخمينيّ الفرص من الخوف والرّعب ٨٥
لو أصبح الوزراء والمدراء من أصحاب القصور ٨٦
قتل الإمام الخميني الخوف في المجتمع ٨٨
سألني لماذا تعارض أمريكا إلى هذا الحدّ؟! ٩١
البعض يريدون لقائد الثورة أن يتجرّع السّم ٩١
إحملوا ماء الوجه على الأكفّ وانطلقوا نحو الإمام الخامنئي.... ٩٣
عندما يفقد المجتمع القوّات المضحّية ٩٥

الفصل الثالث: الدّفاع المقدّس

الحرب، كانت تفسيراً لشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره ٩٧
أجواء الجبهة الثقافيّة لم تكن شبيهة بالحرب على الإطلاق ... ٩٨
لم تكن شاكلة حربنا تنسجم مع مثل هذه التدريبات ٩٨
لم يتمّ إعدام أحد في الجبهة بسبب التمرّد على الحرب ١٠٠
مشكلتنا في ليالي العمليّات ١٠١
موضوعيّة حربنا، بسبب الفكر السائد عليها ١٠٣
ما الذي ستفعله حين يراك العدوّ؟ ١٠٥
كنزُ الحرب كان منقطع النّظير ١٠٧
لقد أمرتم بعودة من هم تحت سنّ السابعة عشرة ١٠٩
لماذا تحوّلت حربنا إلى مدرسة؟ ١١٠

إذا أراد علماء الدين الشيعة إقامة معرض تعريفيّ ١١٢
كان بيان الإمام الخمينيّ ﷺ عجيباً ١١٢
كانت ليالي الوداع من بين أكثر لياليا احتواء للروحيّة ١١٤
كانت جبهاتنا أشبه بالحوزات العلميّة ١١٥
دفاعنا المقدّس كان تجسيداً لملحمة كربلاء ١١٧
وجود ابنكم هذا نافعٌ للجبهة ١١٩
النّاس هم من داروا الحرب والجبهات ١٢٠
شباب هرمزگان مظلومون لكنّهم شُجعان ١٢٢
لقد كان يظنّ أنّنا نترجّى ١٢٤
الفئة الشابّة راغبة في البعد الثقافي للحرب ١٢٦
أصحاب الجنّة الذين كانت الجنّة متشوّقة للقائهم ١٢٨
لماذا غدت حربنا مقدّسة؟ ١٢٩
لو حقّقنا النّصر في الحرب بسرعة ١٣٠
ما هي فلسفة المشاركة في رحلات قوافل النّور؟ ١٣١
كانت الحرب مدرسة ذات نطاق وطنيّ ١٣٢
يتّجهون بداية نحو ملكة النّحل ١٣٣
لقد عاقبوا هذا التعبويّ ١٣٥
العمل العسكري قد يواجه طريقاً مسدوداً؛ لكنّ لا طريق مسدود أمام
الجهاد ١٣٧
لم تكن الحرب متكافئة منذ البداية ١٤٠
لم تكن لدى الحرس الثوري أيّ معرفة بالحرب وهيكليّتها! ١٤٢

إمكانات العراق هذه كانت ورائها الدّول العربيّة ١٤٣
كانت نيران العدوّ منظّمة وأشبه بنغمة موسيقيّة منظّمة ١٥١
دمجوا بين قوات الـ٤٥ يوماً وقوات الأشهر الثلاث ١٥٢
الموازنة التي تلاشت في مرحلة الدفاع المقدّس ١٥٣
في أيّ نقطة من نقاط المواجهة استشهد قادتنا؟ ١٦٠
يجب أن لا نغفل عن آباء وأمّهات الشهداء ١٦٢
لم أكن أتوقّع أن تستمرّ الحرب ٨ أعوام ١٦٤
لماذا استمرّت الحرب بعد تحرير خرّمشهر؟! ١٦٥
كان الدين أمامنا في فترة الحرب ١٦٧
هل يباهي البعثيّون بقتلاهم في الحرب؟ ١٦٨

الفصل الرّابع: الشهيد والشهادة

فلسفة كون الشهيد حيّاً ١٧٣
اختاروا أحد الشّهداء ١٧٥
يدّعون بأنّها عمليّات استشهاديّة ١٧٧
ينبغي توجيه المشاركين في قوافل النّور نحو النور ١٧٨
معرفة الشّهيد ومعرفتنا ١٨٠
إذا شممتم رائحة الشهادة من أحدهم، أيقنوا أنّه سيُستشهد ... ١٨٢
لا أحول أبداً دون بكاء آباء وأمّهات الشهداء! ١٨٣
لقد كانوا أشبه بمرجع تقليد ١٨٥
لن نغفل عندما نكون خائفين ١٨٧
سيموت الإنسان، شاء ذلك أو رفض ١٨٨

كيفيّة وتوقيت الشهادة ينطوي على فضائل مختلفة ١٨٩
وجود آباء وأمّهات الشهداء سببٌ في دفع البلاء ١٩٠
أكثر آيات القرآن حماسة، مرتبطة بالجهاد والشهادة ١٩٢
عادةً ما نُجامل ١٩٣
قيل للإمام الخامنئي نرغب في بناء قبور أقارب أئمّتنا ١٩٤
مسؤوليّة هذه الدماء برقبتي ١٩٥
غيّر قادتنا الشهداء قواعد الإدارة ١٩٦
ما السّبب في كون شهدائنا كأقرباء الأئمّة؟ ١٩٧
لا نعرف فعلاً بديلاً لشهدائنا ٢٠١
هؤلاء بالنسبة إلينا مثل أقرباء الأئمّة ٢٠٢
الهجرة أوّل منزلٍ بالنسبة لمقام الشهادة ٢٠٤
مكانة المحبّة أرفع من التقوى والأخلاق ٢٠٥
لقد دفنّا هذا الشّاب في كربلاء، لا في النّجف ٢٠٦
شوقي للشهادة كشوق الابن المُبعد عن أمّه ٢٠٨
ليس من المضمون أن أبقى أنا سليماني ثابتاً على هذا النّهج حتّى النهاية ٢٠٩
لله في خلقه شؤون ٢١١
سنموت جميعاً في يوم من الأيام ٢١٢
اعترض عليّ أحد الإخوة ٢١٥
اعترضت على الشهيد ميرحسيني ٢١٧
أيّ معرفة خلّفتها حرب نادرشاه؟ ٢١٨

الفصل الخامس: شهداء الدفاع المقدّس

كان مالك أشترٍ بكلّ معنى الكلمة ٢٢٣
كنّا جميعاً نُذهل أمام حركاته ٢٢٦
لم أرَ مثيلاً له ٢٢٨
عالم لا متناهٍ من المعرفة ٢٢٨
اعتبر الشهيد ميرحسيني المنقذ لكلّ العمليّات ٢٣١
سوف تصيب الرّصاصة هذه النّقطة من جسدي ٢٣٢
طلبتُ من الله أن يختم عمري في تلك المرحلة ٢٣٣
تنافس شقيقين على الذهاب نحو المقتل ٢٣٥
ليس محتّماً أن تكون هناك دلالات خاصّة لأولياء الله ٢٣٦
كنّا نشكّ في بلوغه سنّ التكليف ٢٣٨
نحن نفخر بأنّ شهسواري كان من كرمان ٢٤٠
نحن نفخر بالحاجّة سكينة ٢٤٧
بكى المرحوم آية الله المشكيني ربع ساعة ٢٥٣
نفخر بأولئك الـ٢٣ مجاهداً ٢٦٤
شعر هذا الشهيد العارف، يصف حالنا اليوم ٢٦٦
نحن نفخر بشهيد مدينتنا «عبد المهدي مغفوري» ٢٧٣
أفخر بامتلاك جوهرة مثل أمير شاه بسندي ٢٧٧
ذلك الشّاب الزّابُليّ، كان مقرّباً من الله ٢٧٩
كان علي حاجبي هو الحماسة الروحية لفرقة ثار الله ٢٨٣
مرحبا بخانوك، مرحبا بأهل خانوك ٢٨٦

لم يُسمح لأحد بحفر القبر..... ٢٨٩
لماذا أبقيتني عند الباب؟ ٢٩٠
لا تذكروا اسم الكتيبة ٤٠٨ دون وضوءٍ..... ٢٩١
لقد حقّق الله رغبة هذا الشهيد ٢٩٣
كان حميد إيرانمنش أوّل من يحضر..... ٢٩٦
إذا أردت التراجع، أطلقوا النار علي ٢٩٩
لقب «آغا» في فرقة ثار الله ٣٠٩
لقد اكتشفنا حسن باقري كلّنا ٣١٣
خرمشهر محاصرة، هل سنعود بعد ذلك؟ ٣٢٥
أنا مدين لحسن باقري..... ٣٢٧
كان حسن باقري معجزة في الحرب..... ٣٢٩
كنت أعتقد أنه مصنوع من الفولاذ..... ٣٣٢
موقع الشهيد محلاتي في السماء يوازي موقع الشهيد حججي ٣٣٧
سيقولون مرة أخرى باكري! ٣٤٢
هذا الموضوع أزعج الشّهيد باكري ٣٤٥
أصبح هذا المشهد من أروع المشاهد في حياتي ٣٤٨
كان شفيع زادة «حسَناً» بكلّ معنى الكلمة..... ٣٥٤
قلتُ له قُم، إنّ الوضع سيّءٌ للغاية! ٣٦٠
يبدو الأمر كما لو أنّه يسير في شوارع جيرفت ٣٦٤
الشّهيد الّذي دُفن بالقيود والسّلاسل..... ٣٧٥
شكَر الشّيخ هاشمي رفسنجاني الحاج يونس على عمله..... ٣٧٧

تخيّلوا مئات الرّصاصات تسقط على رأس شخصٍ في اللّيل! ٣٨٠
كان الأمر كما لو كان هناك جدال مع الله ٣٨٢
كان أحمد خُلاصة عن الإمام ٣٨٦
كان أحمد أكثر بروزاً منّا جميعاً..... ٣٩٩
توسّلوا إلى أحمد ليغادر منطقة بدر ٤٠١
الصّوت الّذي يجب أن يسمعه كلّ الإيرانيّين ٤٠٣
أحيا ذكرى الشّهيد خرازي مدّة ١٩ عاماً ٤٠٤
لطالما كنتُ أقول: جُعلتُ فِداكَ يا أحمد! ٤٠٥
بقي هذا العيب حتّى نهاية الحرب ٤٠٧
مشكلة سوريا أن ليس فيها «همّت» و«خرّازي»..... ٤٠٨
رأيتُ المظلوميّة و القهر في وجه الحاج همّت ٤٠٩
كانت السّمة الخاصّة بقوّات أميني أنّهم أهل بكاء ٤١١

الفصل السادس: إيران والقوميّة

إذاً أين كان هؤلاء القوميّون؟..... ٤٢٩
بئساً لبعض الجهلة! ٤٣٠
الوطنية الزائفة بمعيار الحرب ٤٣٢
الإمام الخميني حافظ على الهويّة والقوميّة الإيرانيّة ٤٣٣
الشّهداء استشهدوا لأجل كلّ الشّعب الإيرانيّ ٤٣٤
استهدفوني أنا ولا تستهدفوا حرس الثورة الإسلامية..... ٤٣٥
ليتهم أشعلوا النّار بنا وليس بعلم الجمهورية الإسلامية الإيرانية!٤٣٦
الأحداث الإلهيّة ليست صدفة ٤٣٧

مسلمو غزة ولبنان هم خطّ مواجهتنا ٤٣٨
يجب تقبيل قَدَم هذه الأمّة ٤٣٩

الفصل السابع: محور المقاومة

في إيران آلاف التنظيمات التي تُشبه حزب الله في لبنان ٤٤٣
كان عليكم أن تذهبوا لرؤية جنوب لبنان ٤٤٦
تحرير خرمشهر نموذج لمحور المقاومة ٤٤٨
حزب الله هو المولود المبارك للثورة الإسلامية ٤٤٩
شهيد بلا حدود ٤٥٠
لا نعرف أسطورة كعِماد ٤٥١
لم يكن يترك السيد حسن حتّى يرى البسمة على شفتيه ٤٥٥
عماد، رجل المأساة ٤٥٧
إطلاق الصّاروخ بالتّزامن مع خطاب السيد حسن ٤٥٨
اصطحبني ذات مرّة إلى غرفة عملياته ٤٦٠
لا ننام ليلاً إلّا إذا فكّرنا بأعدائنا ٤٦٣
حاول البعض سحب علم فلسطين من يد إيران ٤٦٥
قلتُ لنفسي: «ليتَ الإمام لم يقُل هذا الكلام!» ٤٦٦
هزيمة أفضل تكنولوجيا في مقابل أفضل أيديولوجيا ٤٦٨
وصفوا حزب الله بعملاء إيران ٤٦٩

الفصل الثّامن: التطوّرات في الشّرق الأوسط

مواجهة داعش هي نفسها الدّفاع عن المصالح الوطنيّة ٤٧٣
الهلال الشّيعيّ هو هلالٌ إقتصاديّ ٤٧٥
الكلام الإستراتيجيّ الخاطئ لأشخاصٍ مسؤولين ٤٧٧
قالوا:«لا تتدخّلوا في سوريا والعراق» ٤٨٠
لماذا لم تجرؤ على ارتكاب أيّ خطأ يا سيّد أوباما؟ ٤٨١
سندعم سوريا حتّى النّهاية ٤٨٣
كلّ شعوب العالم مَدينةٌ لمجاهدي الدّفاع المقدّس ٤٨٥
الحشدُ الشّعبيّ هو شجرة العراق الطّيّبة ٤٨٦
بنيّ، هذا لبنان لك!..... ٤٨٧

الفصل التّاسع: مدافعو الحرم

مدافعو الحرم هم المدافعون عن قدسيّة الإنسان ٤٩١
إذا قتلتني وجعلتني شهيداً فسأشفع لك!..... ٤٩٣
الهجرةُ في سبيل الله كالشّهادة ٤٩٦
سنموت، شئنا أم أبينا..... ٤٩٨
أعِرِ الله جُمجُمَتَك ٤٩٩
إزالة غبار المظلوميّة عن وجه الأفغان ٥٠٠
لم يتمّ إجراء دعاية حكوميّة للدّفاع عن الحرم ٥٠٢
حافظوا على هذه الحرارة وهذا النّبض ٥٠٣

الفصل العاشر: شهداء مدافعي الحرم

لا يُقال ذكيٌّ لي ولأمثالي ٥٠٧
لا تخَف، فهي لا توجع! ٥٠٩
الشّهيد حُجَجي وذاك القاتل الشّرّير، كلاهما من ثمار المسجد ٥١٠
لواء الفاطميّون هو تذكارٌ للشّهيد أبو حامد ٥٢٢
صُدمتُ عندما قال هذا الكلام ٥٢٣
أصبح الحاج حسين أبا وهبٍ وليس الجنرال أبو وهب ٥٢٦
لم يكن الشّهيد الله دادي يسعى لطلب الشّهرة ٥٣٢

الفصل الحادي عشر: الثّقافة والفنّ

«الحاجي» .. العنوان الّذي انتشر! ٥٣٥
المسجد مركزٌ ثقافيٌّ ٥٣٧
إذن من يبقى؟ ٥٣٩
في بعض الأحيان عليك أن تصرخ ٥٤٠
لدينا المنطق والأسس لمحاربة أمريكا ٥٤٢
عندما كان المسؤولون العراقيّون يقرأون كتاب «إنني أعيش».. ٥٤٣
هذه من ضمن المزاعم عن الحرب ٥٤٥
هل كان جيل الدّفاع المقدّس جيلاً مميّزاً؟ ٥٤٧
أكبر خيانةٍ للمجتمع ٥٥١
أتمنّى أن يبذل الرّاديو والتّلفزيون جهداً ٥٥٢
هذه افتراءاتٌ وأكاذيب ٥٥٤
هل تريدون تقديم المذهب الشّيعيّ؟ ٥٥٦

لماذا ينأى بعض الشّباب بأنفسهم عنّا؟..... ٥٥٧
أنا صديق السّيّد إبراهيم..... ٥٥٨
ترويج الفهم الخاطئ عن العدو في المجتمع هو خيانة ٥٥٩
إنّ استعراض قوّتنا هو أكثر من مجرّد عرضٍ مسلّح ٥٦١

مقدمة الناشر

يقول الإمام الخميني قدس سره: «أمة لا تحيي ذكرى شهدائها أمة لا تستحق البقاء».

من أهم خصوصيات أتباع الحق سيرهم على خطى ومنهج الشهداء العظام، رافضين الظلم والطغيان والجور، حاملين أنفسهم وأموالهم وأغلى ما لديهم على أكفّهم لبذلها في سبيل الله جل وعلا، حتى يهيئوا الأرضية لظهور صاحب العصر والزمان ويضعوا الناس في أمنٍ وأمان من أيادي الغدر والجور من قبل الطغاة وعلى رأسهم الشيطان الأكبر أمريكا.

لإيماننا بأهمية السير على خطى الشهداء وتتبع آثارهم، رأينا من الضروري العمل على فكر ومنهج الشهيد الفريق الحاج قاسم سليماني قدس الله نفسه الزكية، حيث ومن خلال فكره النابع من معين الولاية الصافي من كل شائبة والخالص من كل عائبة، نستطيع أن نرى سرّ تفوقه في العالم، والتقدم بمحور المقاومة إلى الأمام والتصدي لمشاريع العدو وإفشالها من جذورها، ورعب العدو من ذكر لفظ اسمه فقط، وما هذه الهيبة التي صنعها الله له إلا من خلال انتسابه للفكر والمنبع الأصيل للإسلام المحمدي الأصيل المتمثل في عصرنا هذا في شخصية الإمام الخامنئي حفظه الله.

إنّا نشكر المولى عزوجل أن وفقنا للعمل على هذا الكتاب القيّم بما يسلطه من أضواء على سيرة الشهيد العطرة، ونشكره أيضاً أن هذا الكتاب هو الخامس في

سلسلة كتب نهج الولاية.

وتأتي فصول هذا الكتاب كالتالي:

١- الولاية والتمسّك بالولاية

٢- الثورة الإسلامية

٣- الدفاع المقدس

٤- الشهيد والشهادة

٥- شهداء الدفاع المقدس

٦- إيران والقوميّة

٧- محور المقاومة

٨- التطورات في الشرق الأوسط

٩- مدافعو الحرم

١٠- شهداء مدافعي الحرم

١١- الثقافة والفن

سائلين المولى عزوجل أن يشملنا بلطفه وعنايته، وأن يجعلنا من السائرين على نهج الولاية المقدس حتى ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

مقدّمة الطّبعة الثانية

قبل تأسيس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، عندما كانت الرّتب العسكريّة الرفيعة تُمنح بناء على مدى قرب الشّخص من البلاط الملكي وخدمته لحكّامه، كانت الرّتب من قبيل الجنرال أو الفريق تُمنح في إيران للمتملّقين والذين يقدّمون أكبر قدرٍ من الخدمات للبلاط الملكيّ، ولم تكن هذه الرّتب دليلاً على مدى شجاعة وجهاد صاحبها، لكن بعد الثورة الإسلاميّة أصبحت هناك رتبة تُمنح في العوالم العليا؛ كأن هذه الرّتبة منزلة من منازل الجنّة ويتمّ منحها لخواصّ المجاهدين الذين

يقاتلون في سبيل الله؛ كالشهيد الفريق قرني، والشهيد الفريق صيّاد شيرازي، وفي عصرنا للشهيد الفريق الحاج قاسم سليماني بمسافة تقرب على العشرين عام بين كلّ شهيد وشهيد، وأعوام استشهادهم هي كالتالي: ١٩٨٠، ٢٠٠٠ و٢٠٢٠. كأنّ جدول الرّتب العسكريّة في إيران، حدّد هذه الرّتب وخصّها بأكثر القادة المجاهدين في سبيل الحقّ إخلاصاً وأشدّهم نقاء.

لكنّ كأنّ لقب الفريق الذي قد يكون مرتبة من مراتب الشهادة، بات ينحني إجلالاً أمام عظمة اسم الحاج قاسم سليماني، فخلال هذه الفترة التي انقضت بعد استشهاد أسوة الشّجاعة ذاك، لا زالت القلوب والألسن لا تألف اسم الفريق سليماني؛ لأنّ صاحب هذا الاسم لم يقدر على تقبّل العناوين والألقاب العسكريّة. لقد كان طوال عشرات السنوات، قائداً لإحدى أهمّ وأقوى القوى

العسكريّة حول العالم؛ لكن لم يطلقوا عليه سوى اسم الحاج قاسم. كان أهمّ لقب اكتسبه هو كلمة «الحاج»؛ لكن ليس لأجل الحجّ الذي طاف فيه حول بيت الله الحرام، بل لأجل طوافه حول كعبة قلوب التعبويّين والمدافعين عن عِرض الثورة الإسلاميّة؛ فقد قيل: أيّها الحاج، أحرم مرّة أخرى وابحث عن الحبيب.

لم يتخطّ اسم الحاج قاسم سليماني الرّتب والألقاب العسكريّة فقط؛ بل تخطّى الشهيد سليماني أيضاً؛ فالأسماء والأخبار المرتبطة باسمه تحوّلت لوحدها إلى جيشٍ يقدر لوحده على اجتياز بوابات أعدائه: «رسالة الحاج قاسم سليماني الغريبة لرئيس البنتاغون»، «الفريق قاسم سليماني في صفوف صلاة جمعة أبي بكر البغدادي»؛ «رسالة الحاج قاسم النصيّة لديفيد بترائوس!»؛ «رسالة الحاج قاسم إلى ملك السعوديّة» و...

كانت عناوين تنشر يوميّاً في وسائل الإعلام المحليّة والأجنبيّة. رغم أنّ صحّة وسقم هذه الأخبار لم تثبت يوماً؛ إلّا أنّ هذه الأخبار كانت تلقي الرّعب في أرواح وأجساد الأعداء وتعبّد مسار انتصارات محور المقاومة؛ لكن هناك بعض الأخبار التي وردت في وسائل الإعلام عن ذلك الإنسان الذي قصم ظهور الأعداء والذي كان بحقّ حقيقة خالدة، والتي قد يُسهم تسليط الضوء عليها في شرح سبب عظمة اسم «قاسم سليماني»:

«ليس واضحاً أن أبقى أنا سليماني في هذا المسار حتّى اليوم الأخير من عمري أو لا أبقى»؛ «إذا مدحوني وقالوا بأنّني كمالك الأشتر، وصدّقت أنا ذلك، سأسقط»؛ «لقد اكتشفنا حسن باقري جميعاً»؛ «مشكلة سوريا تكمن في فقدانها لأمثال همّت وخرّازي»؛ «لقد كان أحمد كاظمي أعلى مرتبة منّا جميعاً»؛ «أنا لا زلت الأخ قاسم

الـذي كنتُه فـي الماضي بنفس ثيـاب الماضي، طبعاً مع لحية بيضاء»؛ «الشـهادة بالنّسـبة إليّ كحـال ابنٍ انفصل عـن أمّـه» .. لم يكن صاحب هذه الجُمل يرى لنفسـه أيّ قيمـة، لقد كان يمدح ويمجّد الشـهداء والقادة الشـهداء باسـتمرار، لـم يكـن يتجاهل نفسـه؛ بـل كان يقتلهـا دائماً ومـن يقتـل نفسـه، يصبح بهـذه العظمـة. من يقتل نفسـه ويمـوت قبـل موتـه الجسـماني، يصبـح عاشـقاً للشـهادة بهـذا النّحو. لقد كان ميتاً، قبـل أن يموت؛ لذلك لم يكن ليهاب الرصاصات والشـظايا والقذائـف والصواريخ. لقد بلغ منزلة الشـهادة قبل أعوام مديدة من استشـهاده؛ لكنّه بقـي حيّـاً لكي نشـاهد نحـن الغارقين في عالم الأسـباب والمظاهـر كيـف يدحـض ذلك الشـهيد الحيّ حسـابات العالم التّرابيّ ويجعل لوحده كلّ المستحيلات تتحقّق.

كان الحاج قاسـم عاشقاً للشهادة وكان يعتبر أنّ مرحلة

الحرب المفروضة (الدفاع المقدّس) كانت بمثابة جامعة شاملة ومدرسة صانعة للبشر، وهذا ما يمكن ملاحظته في كلّ الآثار والقصص الواردة حول حياته المباركة. المدرسة التي يتحدّث عنها الحاج قاسم هي نتاج فكر الإمام الخميني ﷺ؛ الإمام الذي أسّس بمساندة الدّين نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وكانت مرحلة الحرب المفروضة نموذجاً للإدارة الجهاديّة في فكر ومدرسة الإسلام المحمّدي الأصيل؛ الإسلام الذي لطالما جهد روح الله من أجل إحياءه. لقد تربّى الحاج قاسم في مدرسة كهذه، وكان الأخ قاسم ذاته الذي بذل شبابه لأجل الدّفاع المقدّس؛ وكان في ذروة شبابه حاضراً في ميادين الجهاد بإرادة راسخة وكالكثير من قادة مرحلة الدفاع المقدّس العظام، كان رغم بساطته وامتلاكه قلباً مفعماً بالمحبّة، قائداً يُلقي اسمه الرّعب في صفوف الأعداء؛ بينما كان

صديقاً ورفيقاً لمجاهدي الإسلام يتعامل معهم بمنتهى الودّ والبساطة.

كان الحاج قاسم يبحث في فترة الدفاع المقدّس عن تفسيرٍ لفكر الإمام الخمينيّ ﷺ الإداري، وكان يثق ويعتقد بأنّ أجواء الجبهة شبيهة بأجواء الحوزات العلميّة، إلى أن يقول: لو أنّ علماء الدين الشيعة أرادوا عرض إنجازاتهم طوال قرون من الجهاد فيما يرتبط بتربية الناس، فلن يعثروا على مشهد أكثر شموليّة من مرحلة الدّفاع المقدّس. هذا الفكر الإداري في المجال العسكريّ سمح للحاج قاسم بإطلاق تيّار في ساحة الجهاد والمقاومة ضمن حدود منطقة غرب آسيا أثّر على كلّ معادلات المنطقة.

لعلّ الحاج قاسم هو أحد معاجز الثورة الإسلاميّة، الثورة التي اكتسبت لقب معجزة القرن، لكن هل كانت الثورة الإسلاميّة إعجازاً؟ واحدة من صفات المعجزة

هي «خرق العادة»، وفي العصر الذي أودعت فيه إدارة المجتمع وفق الأسس الدينيّة غياهب النسيان في كلّ أنحاء العالم، وكانت تبدو كأمرٍ مستهجن، وكانت الحداثة والعلمانيّة تسيطر على كافّة شؤون حياة الشعوب، قام روح الله الخميني قدس سره بشرح وتطبيق نظريّة «الحكومة الإسلاميّة»، وبذلك شرّع مساراً جديداً أمام شعوب العالم وتمّ وسط ذهول الجميع، تأسيس حكومة في إحدى أكثر مناطق العالم استراتيجيّة، ترتكز في أصلها وأساسها على الأحكام والتعاليم الدينيّة. لقد تربّى الحاج قاسم أيضاً على يد هذه الثّورة، وفي الحقيقة، لا يقدّم الحاج قاسم نهجاً مستحدثاً لإدارة الحرب؛ بل يحيي مسار ومنهج مرحلة صدر الإسلام مرّة أخرى. هو من جهة يتبع خطى مولاه حيدر الكرّار، ويشارك في أصعب لحظات القتال وأقساها بمنتهى الشجاعة، ومن جهة أخرى

يتبع منهجه سيّدته زينب الكبرى عليها السلام فيجعل المحبّة والرأفة الإسلاميّة سلوكه الدّائم؛ وهذا الإحياء لمنهج قادة الإسلام العظام ما يميّزه عن سائر المدراء والفريقات؛ هو ذلك الرّجل الذي يكنّ الحبّ لكلّ أفراد الأمّة الإسلاميّة، من أيّ مذهب وتوجّه كانوا.

رغم كونه نابغة على المستوى العسكري؛ كبح الحاج قاسم لجام نفسه بحيث لم يكن يرى نفسه أكثر من جنديّ، وقد نقل هذا التصوّر لعائلته أيضاً وكان ذلك أحد نتائج نشأته في مدرسة الإسلام الأصيل؛ بحيث أنّ عائلته أيضاً لم تكن تعتبره أكثر من جنديّ عاديّ:

قبل عدّة أعوام تحدّث أحد المسؤولين في كرمان أمام والد الحاج قاسم سليماني المرحوم الحاج حسن سليماني عن شهرة ابنه على المستويين الوطني والعالمي وأنّ فرائض أعداء الإسلام ترتعد لمجرّد ذكر اسم قاسم

سليماني؛ فانتفض والده قائلاً: «أنا أعجب لتحدّثك بهذه الطريقة! ابني جنديّ الولاية. هم يهابون الإسلام؛ لا ابني! الحاج قاسم مجرّد علامة من علامات الدولة الإسلاميّة والشيعيّة».

لكن للأسف .. في العام الفائت عندما طُبع هذا الكتاب للمرّة الأولى تكريماً لجهود وبسالة الحاج قاسم سليماني، اتّصل بي أحد الأصدقاء القدامى واقترح أن ننطلق في الأيام الفاطميّة صوب كرمان ونشارك في مجالس عزاء الأيام الفاطميّة التي تقيمها حسينيّة ثار الله في كرمان ونلتقي بالحاج قاسم بحجّة تقريظ الكتاب؛ لكنّني أنا العبد الحقير لم أبادر للقيام بهذا الأمر بسبب انشغالات الحياة إلى أن سمعت أنّه جمع جميع العاملين في هيئة ثار الله بعد انتهاء الأيّام الفاطميّة وقال لهم بأنّني لن أكون بينكم في الأيام الفاطميّة العام

المقبل! كنتُ أرغب في أن أشارك حتماً في الأيام الفاطميّة هـذا العام وأذهب إلى كرمان لألتقي به؛ لكن واحسـرتاه، لقد فارقنـا الحاج قاسـم قبل أيام قليلة من الأيّـام الفاطميّة وحلّق نحو السّماء وبقيت حسرة هذا اللقاء في قلبي.

وها أنا الآن أستخدم بقلب يعتريه الألم والحزن والاكتئاب، الأفعـال بصيغـة الماضي لكـي أصفه! وفي ظلّ أجواء سـلب التوفيـق هـذه لا يسـعني إلا أن أقـدّم هذا الكتـاب لروح ذلك الشهيد السماوي النقيّة والطاهرة، الذي سيبقى اسمه وذكره منقوشـاً في أعماق قلبي. علّه يمسـك بأيدينا نحن الغارقين في هذا العالم الترابي.

أرى مـن الـلازم أن أتقـدّم بوافـر الشّـكر والامتنان للسـيدان الفاضـلان، جنـاب الدكتـور محمّـد رضـا أمير حسـن خاني، خادم الشعب في مجلس الشورى الإسلاميّ والمهندس علي رضـا أمير حسـن خاني؛ مـن جرحـى مرحلة الدفـاع المقدّس لمساهمتهما في تأليف هذا الكتاب الثقافيّ.

شتاء العام ٢٠٢٠

أبوذر مهروان فر

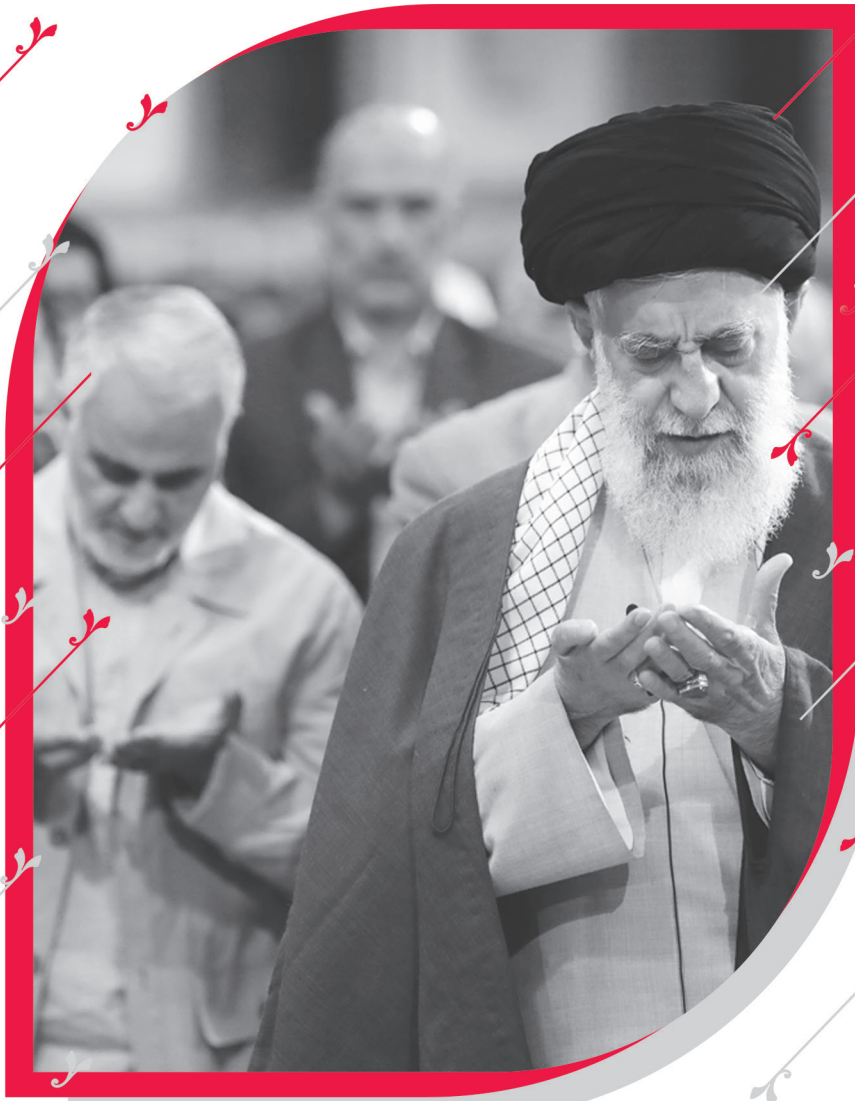

الفصل الأوّل: الولاية والتمسّك بالولاية

كم نحن مدينون لهذا الرّجل

أبعث بأرقى التحايا للرّجل الذي لم يخلع كفيّة أيّام الحرب المفروضة عن رقبته طوال ٣٠ عاماً احتراماً لجميع المجاهدين والشهداء، ولكي يذكّر الجميع بحبّ هذا النّهج والثقافة، وهو يقبّل كلّ مخطوطاتكم وينثر أبهى الكلمات في أرقى مقامات الفقاهة والحكمة والفكر. كم نحن مدينون لهذا الرّجل وكم نحن غارقون في الظّلمات دونه. إلهي! احفظ وجوده لإيران والإسلام![1]

١- جزء من رسالة الحاج قاسم سليماني لأحمد يوسف زادة.

هل يستطيع هذا النظام الوقوف على قدميه دون ولاية الفقيه؟

لقد ترك الإمام الخمينيّ قدس سره لنا ثقلين قيّمين؛ الأوّل هو نظام الجمهورية الإسلاميّة والثاني هو ولاية الفقيه؛ هذان لازمان ومتلازمان؛ ويشبهان الخيمة وعمودها الذي يقع وسطها، فالخيمة لا تبقى واقفة دون عمودها. لسنا نجامل، إذا أزلنا ولاية الفقيه من البلاد، فإنّ تاريخها واضح للناظرين. أعتذر من علماء الدين الأفاضل؛ لكن كان المراجع حاضرين في السّابق أيضاً، ما الذي فعله رضا شاه في زمن المرحوم الحائري -المرجع العظيم ومؤسس الحوزة العلميّة- عندما كان سماحته على قيد الحياة؟ أجبر النساء على الدخول إلى حرم السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام وهنّ مكشوفات الرؤوس وبلا حجاب. وعندما اعترض أحد علماء الدين البارزين والشجعان -أي المرحوم الشيخ بافقي- على هذا الوضع، جاء رضا

شاه إلى قم وضربه بحذائه العسكريّ! وهل يمكن لهذا النّظام والحكومة أن يبقى واقفاً على قدميه دون ولاية الفقيه؟ لا تكفي المرجعيّة. المرجعيّة أساس الشّيعة؛ لكنّ الحكومة تكون بالولاية.[1]

إرادة الإنسان مرتبطة بتعلّقاته

عندما تكون الغايات ترابيّة، تُبقي المرء عالقاً بهذا التّراب؛ ومتى ما كانت الآمال سامية، فإنّها تدفع المرء نحو الأعالي، وهذا الأمر بالغ الأهميّة في البعد التربوي. إرادة الإنسان مرتبطة بتعلّقاته وللتعلّق دورٌ محوريٌّ في الإرادة؛ إذا أردتم تقييم قوّة وضعف الأشخاص، عليكم بتقييم تعلّقاتهم ورغباتهم؛ وعندما ترون شخصاً كالإمام الخميني ﷺ يسير بهذا النّحو عكس التيّار ويجعل المستحيل ممكناً، فإنّ هذا مرتبطٌ حتماً بآمال وتعلّقات

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهداء محمّدي بور.

الإمام قدس سره.

نيّة الإنسان أيضاً هي وجهٌ آخر لتعلّقاته. لذلك فإنّ التعلّقات ذات تأثير جذريّ في الإرادة؛ فعندما يكون تعلّق المرء بالشهادة، سيكون شعوره عند مواجهة الهزيمة هو نفسه عند تحقيق الانتصار أو عند مواجهة الأخطار. شاهدتم كيف سقطت خرّمشهر، وقد خشينا حينها أن يتسبّب هذا الخبر بضرر للإمام الخمينيّ قدس سره، عندما وقف الإمام الخميني للصلاة وقال بسكينة وهدوء: لقد سقطت خرّمشهر، وسنستعيدها، الله أكبر! ثمّ بدأ صلاته، كان ذلك دليلٌ على قوّة التعلّق.[1]

اتّباع القيادة لا علاقة له بالشّؤون السياسيّة

يعتقد جميع النّاس والأحزاب السياسيّة بأنّ الإمام الخامنئي دام ظلّه الوارف هو ركنُ هذا البلد الرّكين. إذا

١- كلمة الإمام الخامنئي في حفل إحياء ذكرى استشهاد الحاج عماد مغنيّة.

شبّهنا إيران بالسّفينة، فإنّ الإمام الخامنئي دام ظلّه الوارف قبطانها، ولن تبلغ هذه السفينة الشاطئ دون وجود هذا القائد، وهذا الأمر لا يرتبط أبداً بالنقاشات القانونيّة؛ بل إنّ الأمر يدور حول قضيّة بقاء وعزّة هذه البلاد.

يتمّ ذكر اسم الإمام الخمينيّ قدس سره مع التّقديس، وهل نستطيع أن نُكمل نهج الإمام قدس سره دون الاهتمام بإمام عصرنا الحاضر؟ إنّ اتّباع نهج الإمام الخمينيّ قدس سره لا يكون موضوعيّاً دون اتّباع نهج القيادة الحاليّة، ولا ينبغي تطبيق هذه الأمور على الشؤون السياسيّة؛ لأنّنا إن أردنا صون العزّة، فعلينا أن نسير خلف قائد الثورة الإسلاميّة؛ وإلّا سوف تنحرف هذه السفينة ويكون مصيرها الضّياع.

كلّ ما لدينا اليوم بفضل هذه الثورة الإسلاميّة والإمام الخمينيّ قدس سره، وإنّنا مدينون بهذه العزّة الشاملة لنهج الإمام الخمينيّ قدس سره ومواصلة الإمام الخامنئي دام ظلّه

الوارف لهذا النّهج.

لا وجود لثروة أغلى من ثروة القيادة، وهذه الثروة لا تُقارن بأيّ ثروة أخرى. يجب أن لا يُطلق في هذا البلد تصريحٌ مغايرٌ لسياسات وإرشادات قائد الثورة الإسلاميّة دام ظلّه الوارف وإذا تمّ إطلاق مثل هذه التصريحات ولم تلقَ أيّ اعتراض، سنكون شركاء في ذنبها.[1]

ألا تقول أنّنا دعوناه؟

لقد قضينا سنوات طويلة نلاحق أحد أشرار سيستان وبلوشستان الكبار. وكان هذا الإنسان الشرير نشطاً في قضيّة تهريب المخدّرات وقد تسبّب باستشهاد عدد كبير من شباب الحرس الثوري. استطعنا في نهاية المطاف عبر أساليبٍ استخباراتيّة معقّدة دعوته لإجراء مفاوضات في منطقة معيّنة. بعد أن دخل مع مرافقيه قمنا باعتقالهم

١- قاسم سليماني بين جموع مجاهدي مرحلة الدفاع المقدّس في محافظة كرمان.

وإلقائهم في السّجن. كنّا فرحين للغاية. لقد كان من الأشخاص الذين كان من الممكن أن يكون حكمه القضائي، الإعدام خمسين مرّة على سبيل المثال.

تشرّفنا بعدها بلقاء الإمام الخامنئي وطرحنا أمامه هذه القضيّة وشرحت لسماحته خبر إلقاء القبض على هذا المجرم بالتّفصيل وكنت أنتظر ردّة فعل إيجابيّة سماحته وأترقّب علامات السّرور على وجهه.

أجابني الإمام الخامنئي على الفور: «أطلب منهم أن يحرّروه على الفور!»

لم أناقش سماحته واتّصلت ولبّيت طلبه، ثمّ سألته باستغراب كبير: سيّدنا! لماذا؟ لا أقدر على استيعاب سبب طلبكم قيامي بهذه الخطوة؟ لماذا أمرتم بأن نحرّره؟

أجابني الإمام الخامنئي: «ألا تقول أنّنا دعوناه؟»

تعاليم الإسلام تفيد بأنّك إن دعوت أحدهم وحلّ ضيفاً عليك؛ لا يحقّ لك أن تؤذيه وإن كان قاتل أبيك.

صُعقت بعد هذه الجملة، وطبعاً أمر سماحته بأن: «عليكم حتماً أن تعاودوا اعتقاله.»

بعد فترة عاودنا اعتقاله عبر تنفيذ عمليّة أخرى معقّدة.[1]

هذا الرّجل هو الأفضل بين كلّ العلماء

إنّ بقاء واستمرار إيران الإسلاميّة مرتبطٌ بقيادتها. أيّها النّاس! خذوا هذا الكلام منّي، أنا لستُ عضواً في أيّ حزب ولستُ منحازاً لأيّ فئة ولا أكنّ المودّة لأيّ أحد إلا ذاك الذي يخدم الإسلام والثورة الإسلاميّة؛ لكن فلتعلموا؛ والله! أنا أعرف جميع علماء الشيعة وبشكل مباشر. لقد كان هذا شغلي الشاغل طوال ١٤ عام. أعرف

١- كلام الحاج قاسم سليماني حول حكمة الإمام الخامنئي.

علمـاء لبنـان، وعلماء باكسـتان، وعلماء بلـدان الخليج الفارسـي؛ من السـنّة والشـيعة، والله! أشـهد بالله! الأفضل بيـن جميع هؤلاء العلماء، هـؤلاء العلماء من مراجع إيران وغيرإيران، هورجل التاريخ هذا أي «آية الله العظمى الإمام الخامنئي».

لقـد راسـلت العديـد مـن علمـاء الشـيعة وأنـا ألتقيهم بشـكل مباشـروأعرفهم، وأكـنّ المودّة لهـم. ونحن نطالب النّـاس باتّباعهـم، لكـن أيـن الثّـرى مـن الثريّـا؟ هنـاك مسـافات شاسعة بين الأرض والسّـماء. فلنمعن النّظرفي حكمة هذا الرّجل، وأخلاق هذا الرّجل، ودين هذا الرّجل، واطّـلاع هـذا الرّجـل على السياسـة ومعرفتـه بهـا، وإدارته للحكومـة، ولنحدّد حدودنا في الألعاب السياسـيّة. يأتي النّـاس ويرحلـون. ما يهـمّ هواتّصالنـا بالولاية. مـا يهم هو

دفاعنا عن هذا النّظام.[1]

الإمام الخميني الرّاحل قدس سره تعامل مع الله

كلّ من كان يواجه هذا الرّجل البارز والإلهيّ، أي الإمام الخميني الرّاحل قدس سره الذي أجرى تعامل مع الله، كان يفشل ويُهزم، من أشخاص وحكومات ومختلف الجمعيات. لقد وصل صدّام إلى مرحلة فضحه فيها المفتّشون العسكريّون التابعون للأمم المتحدة بسبب تأخّره ١٥ ثانية عن فتح باب القصر. هذا هو الحال المذلّ الذي وصل إليه صدّام وهذه كانت نتيجة الدماء المقدّسة التي سُفكت وكانت هذه نتيجة الوقوف بوجه إنسانٍ إلهيّ.[2]

الاعتقاد بولاية الفقيه يعني الاهتمام بتشخيص القيادة

لا يمكن العثور في العالم على مثل هذه القيادة طوال

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل إحياء ذكرى الشهيد حسين أسدي.

٢- كلام الحاج قاسم في جلسة شرح تفاصيل عمليّة كربلاء ٥

فترة ثورتنا الإسلاميّة وخصائصها، أعني الإمام الخميني الرّاحل قدس سره والإمام الخامنئي دام ظلّه الوارف، وهي العامل الثاني لانتصارنا. أوّل خصوصيّة للقيادة في مجتمعنا هي خصوصيّة التقوى؛ لا شكّ في أنّ كلّ منصفٍ يحكُم اليوم بأنّ أكثر شخصيّة مخلصة، وخالصة، وتقيّة، وأخلاقيّة تهتمّ بكافّة الخصائص الأخلاقيّة والإنسانيّة في مجتمعنا، هو قائدنا العزيز.

فقدان القائد في المجتمع يترك آثاراً مدمّرة للغاية وإنّ المجتمع الفاقد للقائد التقي والحكيم يلقى شعبه وبلده آثاراً مريرة وفاضحة؛ بينما يؤثّر وجود قائد خلوق وحكيم في بلدنا على العدالة في المجتمع والتصدّي لأنواع الفساد في المجتمع وصون الثورة الإسلاميّة والشعب ومصالح الشعب وترويج الروحانيّة.

وجود قائد شبيه بقبطان السفينة وطيّار الطائرة ويخوّل

هـذه السـفينة العبـور وسـط الأعاصيـر والرّعـد والبـرق والأمـواج، وإنّ تحديـد الوجهـة الدقيقـة مـن أجـل اجتياز الأزمـات، يحتاج إلى الحكمة، وهذه الحكمة تكون مؤثّرة عندما تكون متّصلة بالتّقوى.

عند نشوب أيّ خلافٍ سياسيّ، لن نكون متنازعين إن كان أطـراف الخـلاف متقيّدين بأصـول الثورة الأساسـيّة؛ لأنّ الخـلاف لـن يكـون جوهريّاً وأسـاس الثورة الإسـلاميّة هو صـون أصولها والاهتمام بها، والاعتنـاء بقضيّة القيادة وقبـول ولاية الفقيه. لقد وردت أصول الثورة الأساسـيّة في الدّسـتور وليسـت أمراً خافياً، بل واضحة وضوح الشّمس؛ الاقتنـاع بأصل ولاية الفقيه لا يقتصر على قولنا أنّنا نعتقد بولايـة الفقيـه، بل علينـا الالتفات إلى حكمة وتشـخيص وتوضيح القيادة؛ فإن لم نلتفت إلى حكمته وتشـخيصه، سوف لن يكون ذلك اعتناء بولاية الفقيه؛ لن يقدر الأعداء

على تحقيق أيّ نتيجة يتوخّونها وها هم قد استسلموا للشعب الإيراني وحكومته، وهذا ما سيكون عليه الحال في المستقبل؛ فلنعتني بأصولنا وثوابتنا ونلتزم بها.[1]

لا يقدر أحد على أن يذمّ القيادة

كما أنّ أعداء الإمام الخميني قدس سره عجزوا في الأمس عن ذمّ الإمام قدس سره في موضوعٍ معيّن، فاليوم أيضاً لا يقدر مرضى النّفوس أيضاً على ذمّ الإمام الخامنئيّ دام ظلّه الوارف في خضمّ هذه الأحداث التي تقع اليوم.

لقد كان للإمام الخامنئيّ أثرٌ كبيرٌ وواسع في تشكيل قوّة البلد. عندما يأتي قادة البلدان الأخرى للقاء قائد الثورة الإسلاميّة، يتأثّرون برؤية وبُعد نظر سماحته وترفع نظرتهم لقائدنا مستوى قوّتنا في مختلف الصّعد والمستويات.

١- كلمة اللواء الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم جرحى ومجاهدي محافظة كرمان.

هـذا فـي الوقت الـذي نـرى أنّ الرّئيس الأمريكـيّ الذي يملـك أكبـر الذخائر على مسـتوى العملـة الصّعبة وأقوى البلـدان، صاحـب حانـة. يومـاً مـا ذهـب مسـؤول أحـد الدول للقاء الملك السّـعودي «عبدالله» ثمّ التقى «الملك سـلمان». قـال هذا الشّـخص بأنّنـي جلسـتُ معهما فترة ساعة ولم أفهم ما يقولانه.[1]

كان الإمام الخميني صاحب إلهامٍ مرتكز على التقوى

لقد التقيتُ بالعديد من ذوي الهداية العقليّة والقلبيّة، وقد حدّثوني بأمورٍ هي أشـبه بالغيـب؛ لكنّها لم تكن أموراً غيبيّـة. قبـل أعـوامٍ مـن انهيـار الاتّحـاد السـوفيتي، وجّـه الإمـام الخمينـيّ قدس سره رسـالة إلـى غورباتشـوف بـأن يا سـيّد غورباتشـوف، أنا أسـمع صوت تحطّم عظام الشيوعيّة. لم يكـن الباحثـون والمحلّلـون التابعيـن للاتحاد السـوفيتي

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

قد توصّلوا إلى هذا الأمر ولم يكن هذا الأمر متوقّعاً في العالم الغربيّ أيضاً؛ لكنّ الإمام رآه قبل أعوام من وقوعه. بعضنا يقول بأنّ الإمام كان على صلة بصاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف -طبعاً لم يدّعِ الإمام الخمينيّ قدّس سرّه ذلك أبداً- لكنّ الإمام كان يملك شيئاً يخوّل الإنسان بأن يُجري الغيب على عقله ولسانه. هذا الشيء هو الإلهام المرتكز على التقوى؛ وغير المعصومين لديهم القدرة أيضاً على أملاك الإلهام المبنيّ على التقوى.[1]

ما الذي كان يملكه الإمام؟

أيها الإخوة الشباب الأعزّاء! الأخوات الفاضلات! يا من تواصلون بشكل عام نهج الشّهداء، وتحاولون التشبّه بهم، فلتعلموا أنّ اعظم أصل كان يخالج أذهان الشهداء والإمام الخمينيّ قدّس سرّه، كان التحوّل على المستوى الرّوحانيّ. ما

١- كلمة الحاج قاسم في لقاء مع أبناء الشهداء في كرمان.

الـذي كان يجعل العالم كلّه يخشـى الإمام ﷺ؟ وما الذي كان يملكه الإمام؟ لقد كان الإمام الخمينيّ ﷺ كهلاً ينهض عن كرسـيّه بصعوبة أيضاً، ما الذي كان يجعل العالم كلّه يخشـاه؟ أيّ هيبة ألقاهـا الله عزّوجل في القلوب وجعلت يـدا وزير خارجية الاتحاد السـوفيتي السـابق ترتعدان أمام هيبة وشدّة تأثير الإمام ﷺ عندما جاء بردّ غورباتشوف وبدأ بقراءته أمام سـماحته، من أيـن جاء الإمام ﷺ بهذه الهيبة وكيف استطاع زرع هذا الخوف؟

لـم يحصـل الإمـام الخمينـي ﷺ على هـذه الهيبـة عبر القدرات الحكوميّة وبواسـطة الإمكانات والهيبة الوطنيّة؛ والمثـال الآخـر علـى ذلـك هـو الإمـام الخامنئـي الـذي يحسب الأعداء لهيبته وعظمته ألف حساب. أو سماحة السـيّد حسـن نصرالله الـذي هو طالب علمٍ عـاديّ. لماذا يخشـاه العدو؟ لـكلّ هذه الأمور سـبب وحيد: «من خاف

الله أخافَ اللهُ منه كلّ شيء ولم يخَفِ الله أخافهُ الله من كلّ شيء».

انظروا إلى جبابرة العالم كيف يخشون ظلالهم أيضاً، وما جعل الحرب المفروضة تكتسب هذه العظمة، هي أنّ الله عزّوجل كان عظيماً في عقله وكان يحقّر كلّ ما سوى الله جلّ وعلا. من يملك مثل هذه الثقة والتوكّل، ينتصر مهما كانت الظّروف وسرّ انتصار جميع المناضلين حول العالم هو أنّ الله كان عظيماً في عقولهم.[1]

سأتجه نحو الإمام الخامنئي دون شكّ

لو أنّ جميع علماء العالم كانوا في جهة وكان الإمام الخامنئي في جهة أخرى، سوف أتّجه نحو الإمام الخامنئي دون شكّ. طبعاً لا تتصوّروا أنّ الجميع يحصلون على علامة «٢٠» أو «١٥» في التمسّك بالولاية؛ لا، البعض

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء أدوات.

يحصلـون على علامة «١٠» في التمسّـك بالولاية والبعض الآخر يحصلون على علامة ٧. عندما ننبذ من لديه علامة «١٠» فـي التمسّـك بالولايـة، سـتتدنّى علامته إلـى ما دون الـ١٠ وسـوف يسـقط في الاختبار، كما أنّه يتوجّب علينا أن نسـتقطب ونمسـك بيـد ذاك الذي يملك علامـة «٧» في التمسّـك بالولاية، حتّى يحصل علـى علامة «١٠» وينجح في الاختبار.[1]

١- كلمة الحاج قاسم حول الاقتناع بالولاية، نقلاً عن أحد رفاقه في الجهاد.

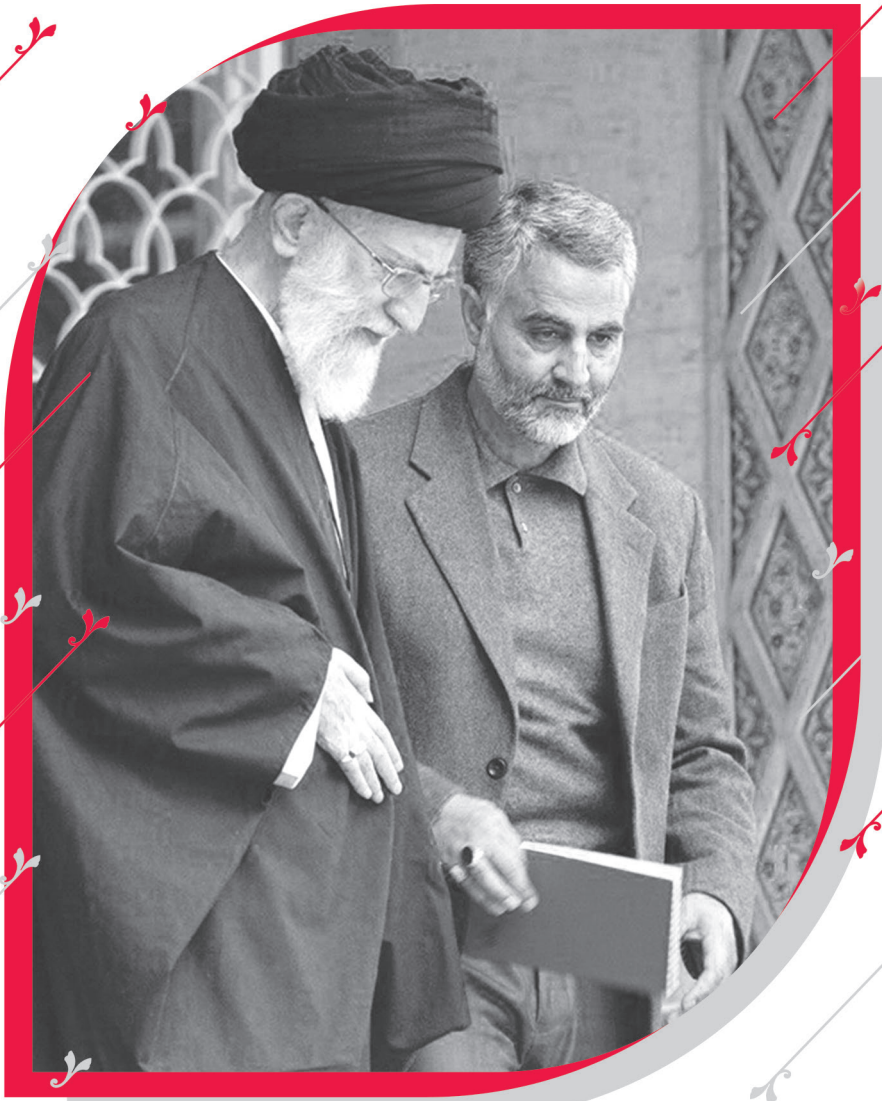

الفصل الثاني: الثورة الإسلاميّة

معرفة العدوّ بالثّورة أكبر من معرفتنا

تصوّري هو أنّ معرفتي أنا المتحدّث وأنتم المستمعين بالثورة أقلّ من معرفة أعدائنا. نحن نكتشف معرفتنا الحقيقيّة للثورة الإسلاميّة في طيّات مساعي العدوّ. أنظروا إلى حجم مساعيه خلال أكثر من ثلاثين عام انطلاقاً من الحرب وصولاً إلى الحظر وسائر القضايا التي تشير إلى عظمة الثّورة الإسلاميّة وتنبئ بامتلاكها شيئاً بالغ القيمة يدفع العدو لبذل كلّ هذه الجهود كي يُسقطها.[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني بين رفاق دربه في فيلق ٤١ ثار الله.

مسار العالم الإسلاميّ النّزولي أصبح صعوديّاً

منذ انتصار الثورة الإسلاميّة ومنذ عودة الإمام الخمينيّ قدس سره إلى إيران، بدأ مسار العالم الإسلاميّ بالتصاعد وتمّ إيقاف ذلك المسار المتقهقر والانحطاط والحركة النزوليّة الشديدة للعالم الإسلاميّ وتحوّلت إلى مسار صعوديّ. لقد كان الإمام قدس سره من أنقذ بمبادرته وسلوكه الشجاع وعمله الاستثنائي العالم الإسلاميّ من المسار النّزولي وحوّله مساراً تصاعديّاً. أنتم جزء من هذا الصّعود على كلّ حال. كلّ الأحداث التي وقعت تنمّ عن الصّعود؛ أحداث حرب تمّوز عام ٢٠٠٦ وحرب الإثنين وعشرين يوماً في غزّة وسائر القضايا الأخرى.[1]

لم يجرؤ عبدالنّاصر على ضرب تل أبيب

لقد كان أهمّ قائدٍ عربيّ وأكثرهم شعبيّة أيضاً، كان

١- نفس المصدر

جمال عبدالنّاصر قائد جبهة العرب في ذروة حربهم مع الكيان الصّهيوني. وتلك الحركة التي تُدعى الحركة الناصريّة في العالم العربي، هي حركة واسعة، لا تقتصر على مصر فقط وعبد الناصر كان يملك صاروخاً يُدعى «ظاهر» يقدر أن يضرب به تل أبيب.

لم يجرؤ عبدالنّاصر على إطلاق الصّاروخ باتجاه تل أبيب؛ بينما كانوا في حالة حرب وكانت صحراء سينا قد احتلّت؛ لكنّه لم يملك الجرأة على القيام بمثل هذه الخطوة.

لكن عندما جاء الإمام الخميني، حوّل الحجارة إلى صواريخ. جاء الإمام وضخّ هذه الجرأة في نفوس المكافحين ضدّ الصهاينة. ذاك الصّاروخ الذي أصاب تل أبيب، كان أوّل صاروخ يُطلق باتجاه تل أبيب، على عكس كلّ الحروب التي دارت بين العرب وإسرائيل، لم

يكـن ذاك الصـاروخ عربيّاً، ولم يكن مصريّاً، ولم يكن تركيّاً كما ادّعى العثمانيّون. لقد طوّره الإمام ﷺ. العالم الإسلاميّ كلّه مدينٌ للإمام الخمينيّ ﷺ في الجانب الديني.

يعلـم الله أنّ الإمـام لـو لم يكن ولو لم يؤسّـس هذه الثورة والنظـام، لمـا كانت هـذه الحركة لتنطلـق، أيّ وضع كان سـيكون العالـم الإسـلاميّ عليه؛ كمـا أنّ جزءاً منـه لا زال يعاني من هذه الأوضاع.[1]

لقـد كان البعـض جبناء فـي الحرب المفروضـة، ألم يكن الأمر كذلك؟

لقـد امتدّت اليوم الحدود السياسـيّة، الأمنيّة والثقافيّة لإيـران آلاف الكيلومترات عن الحـدود الجغرافيّة لبلدنا. من الطّبيعيّ أن ترتفع نسـبة العـداء. عندما يرى العدوّ أنّه عاجزٌ عن التفوّق على إيران ولا سـبيل عسـكريّ أمامه ولم يحصـد أيّ نتائـج مـن الحظـر، يحـاول التغلغل مـن هذه

١- كلمة الحاج قاسم سليماني بين رفاق دربه في فيلق ٤١ ثار الله.

البوّابة (فتنة عام ٢٠٠٩) التي شُرّعت أمامه.

علينا أن نراقب، أن نراقب أنفسنا والمحيطين بنا أيضاً. علينا أن نصون بعضنا البعض. كان البعض في حرب الأعوام الثمانية أشجع من غيرهم، البعض كانوا جبناء، ألم يكن الأمر على هذا النّحو؟ البعض كانوا أقوياء، والآخرون كانوا ضعافاً؛ لكنّ الشّجعان والأقوياء كانوا يأخذون بأيدي الضعاف والجبناء، لم يكونوا يدعونهم يسقطون في قبضة العدوّ. هكذا هو الأمر في المواضيع السياسيّة أيضاً؛ على ذوي البصيرة القويّة أن يرشدوا المفتقدين إليها، كي لا يُساقوا باتجاه جبهة العدوّ لا سمح الله.[1]

ألا يجدر بنا أن نصرخ وسط ظلمات الفتن؟

الفتنة كالظّلمة؛ إذا لم يتمّ التعامل بحكمة ودقّة، سيتمّ توجيه الضّربات للنّفس أو للأصدقاء. علينا أن

١- كلمة الحاج قاسم سليماني حول الفتنة والبصيرة في حفل تكريم ذكرى الشهيدين محمّدي بور في العام ٢٠٠٩.

نكون في غاية الدقّة. ما الذي نفعله وسط ظلمات الليل؟ ما الذي نفعله عندما نقرّر التمييز بين الصّديق والعدوّ، نصرخ، نعرّف أنفسنا: أنا قاسم، واسمي السرّي هو هذا. أنا حسين، واسمي السرّي هو هذا. لا تطلق عليّ النار وسط الظّلمات، لا تخطئ بيني وبين العدوّ. ألن نفعل ذلك؟ عندما نذهب لسقاية الأراضي في القرى، ألا نفعل ذلك؟ يا هذا، من أنت؟ سيردّ بأنّني فلان. لماذا يبادر ويسأل بأن من أنت؟ حسناً، عليه أن يحدّد من أمامه. ألا ينبغي لنا أن نصرخ وسط ظلمات الفتن ونصرّح بهويّتنا؟ ما هي مسؤوليّتنا عند وقوع الفتنة؟

واحدة من الأمور التي ينبغي القيام بها عند وقوع الفتنة؛ هي أن نشير جميعاً بإصبعنا إلى الفتنة. ولا يوجد أيّ نوع من أنواع المجاملة هنا. قد نكون حتّى الأمس وبسبب بعض المقتضيات، تبنّينا رأياً ورؤية مغايرة،؛ لكنّنا اليوم

نصرخ بأن عليك أن تعلم يا فلان بأنّني حين أدليتُ بصوتي لصالح فلان، فإنّ موقفي وخطّي الأحمر كانت قضيّة ولاية الفقيه والجمهوريّة الإسلاميّة. على الجميع أن يصرّحوا بهذا الأمر دون أن يجاملوا أحد. يجب أن يصل هذا الصّراخ إلى أعماق القرى. هذه التصريحات، هي تماماً ككلمات السرّ وسط الليالي في الجبهات. الفتنة تقع عندما يحلّ الظلام، والعدوّ يهجم وسط الظلام؛ لماذا يهجم مع حلول الظلام؟ لكي يتعثّر التمييز بين العدوّ والصديق. لكي يزداد استهداف الأصدقاء والجبهة الذاتيّة، لكي تتهاوى أعمدة الجبهة الداخليّة.

ثانياً؛ على جميع الحريصين في النظام، والعقلاء، والمتديّنين أن يتحمّلوا أقصى الأعباء عند وقوع الفتن. قد نُضطرّ إلى أن نذهب إلى أحدهم ونترجّاه، أو أن نقبّل يد أحدهم أو نوضح الأمور لآخر، أن نحتسي الشاي معه

ونتحدّث إليه. أن نخرجه من مسار العناد الذي يخطو فيه.

مسؤوليّتنا الثالثة هي أن نفكّك الصفوف التي تقف بوجه الثّورة. لقد دخل أعداء الثورة اليوم إلى هذه الخيمة. علينا أن نتعرّف عليهم عبر التمييز بين الصّديق والعدوّ؛ فإنّ التمييز بين الصّديق والعدوّ يكون بالتعرّف على هذه الأصوات وهذه التحرّكات. فلنلتفت إلى تصريحات وهواجس الإمام الخامنئي العزيز. عندما يتحدّث سماحته عن التركيز على أكبر قدر من الاستقطاب وأقلّ قدر من الطّرد، علينا أن نلتفت إلى ذلك. ثقوا وتيقّنوا بأنّ هذه الفتنة صعبة ومؤلمة كسائر الفتن. هل تذكرون بدايات الثورة الإسلاميّة؟ حادثة بني صدر، وحادثة المنافقين، حادثين الوطنيّين المذهبيّين، حادثة الحكومة المؤقّتة و... كلّ هذه الأمور كانت من الفتن؛ لكنّ الله عزّوجل جعل

في كلّ هذه الفتن خيراً ورحمةً لهذه الثورة الإسلاميّة. وأنا على ثقة تامّة بأنّ الرّابح الأساسيّ في هذه الفتنة هو نظام الجمهورية الإسلاميّة والقيادة. الرّابح هو النّظام؛ لكنّنا نُختبر ونُمتحن. علينا أن نراقب أنفسنا ونعمل بتكليفنا، وأن لا ننتظر أيّ شيء وأيّ أحد. وعلى كلّ من يملك تأثيراً على الآخر، مهما بلغت نسبة ذلك التأثير، أن يستفيد من قدرته على التأثير بأسلوبه الخاصّ.[1]

الثورة الإسلاميّة فكر

عندما يتمّ الحديث عن تصدير الثورة الإسلاميّة، فإنّ الثورة تملك إطاراً افتراضيّاً لا يُمكن لمسه. الثورة الإسلاميّة فكر، وهي ليست جسماً ملموساً. لقد تبلور تصدير الثورة الإسلاميّة في جانبين. الجانب الأوّل في هيكليّة وشكل هذا النّظام.

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمّدي بور.

والجانب الثاني ضمن إطار النماذج والأمور التي يُحتذى بها، وقد كان ذلك على درجة كبيرة من الأهميّة؛ الأمر أشبه بالحُكم أو الآية المُنزلة؛ يقرؤها النّاس؛ لكن عندما يشاهدون تجلّيها في سنّة رسول الإسلام العظيم، تغدو ملموسة لديهم، وقابلة للقياس وذات قابليّة بأن يتمّ الاحتذاء بها.

الجمهوريّة الإسلاميّة نموذجٌ في حدّ ذاتها؛ لكن في داخل هذا النموذج الذي عرضته الجمهوريّة الإسلاميّة، عُرضت نماذج كان لها الأثر الأوّلي والأساسيّ في تصدير الثورة الإسلاميّة وإحداث تحوّل في العالم الإسلامي، وكان ذلك الأمر مرتبطاً بالشخصيّات والأشخاص والأفراد.[1]

ما الذي تعنيه نُصرة الله؟

يكرّر الإمام الخامنئي ذكر جملة مهمّة وهي: ﴿إِن تَنصُرُوا

١- كلام الحاج قاسم سليماني في ذكرى استشهاد الشهيد شاطري السنويّة.

اللَّهَ يَنصُرۡكُم﴾[1]، وهـذا يعنـي أنّكـم إن كان فهمكم لنصرة دين الله واحد بالمئة، فعليكم أن تطبّقوا ذلك الفهم البالغ واحد بالمئة بنسـبة مئة بالمئـة. وإذا عملتم بهذه الواحد بالمئـة بنسـبة مئـة بالمئـة، سـيمنّ عليكـم الله عزّوجـل بالنّصر في الـ٩٩ بالمئة المتبقية. وإن لم تطبّقوا ما يتوجّب عليكـم فـي ذلـك الواحد بالمئـة، فكيـف سـتتوقّعون أن ينصركـم الله؟ عليك بالتحرّك، والله سـوف يُبارك. عليك أن تعمـل بما يُلقيـه الجهاد على عاتقك، وأن تسـلك كلّ الطـرق بقدر اسـتطاعتك، وأن توجد القـدرات وتدع باقي الأمـور بعهـدة الله عزّوجـل. هذا أحـد معانـي ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2].[3]

١- محمد: ٧

٢- الحج: ٧٨

٣- كلام الحاج قاسم سليماني في جموع المجاهدين المدافعين عن المقدّسات في سوريا.

تنشئة المُدافع الثّقافي بعهدة المساجد لا الحكومة

الحياة الدينيّة، السياسيّة والاجتماعيّة للعالم الإسلامي مرتبطة بالمسجد. تنشئة المُدافع الثقافي، والمضحّي لا تتمّ داخل الحكومات والهيكليّات الحكوميّة؛ بل في المساجد. نحن مدينون للمسجد فيما يتّصل بتحقيق انتصارنا في حرب الأعوام الثمانية المفروضة. طبعاً، لا نقصد بالمسجد بناءه؛ بل المقصود هو إمام الجماعة، والإمام الخامنئي يتقدّم اليوم أئمّة جماعة المساجد.[1]

الإدارة الثوريّة تعني ...

ما الذي يعنيه العمل الثوري الناجح؟ البعض يخلطون بين مفهوم الإدارة الثوريّة والثوريّة وبين انعدام النظم، والهرج والمرج وعدم وجود أيّ نوع من أنواع الانضباط؛ وهذا تعبيرٌ ظالم وبعيدٌ عن المروءة. أهمّ مؤشّرٍ

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر المسجد العالمي.

لـلإدارة الثوريّة هـو الروحانيّة، والإمـام الخمينيّ الرّاحل ﷺ مصـداقٌ حقيقيّ للعمل والإدارة الثوريّة. الثورة الإسـلاميّة اليـوم مدينـة لإدارة سـماحة الإمـام الخمينـيّ ﷺ الثوريّة، الإدارة الثوريّـة، هي كإدارة حجّة الإسـلام الشـهيد ميثمي الـذي هـو واحدٌ منكم؛ الشّـخص الـذي كان ممثّل الإمام الخمينـيّ ﷺ فـي مقرّخاتـم الأنبيـاء؛ لكنّه لم يركـب يوماً سـيّارة بيت المـال وحمل عباءتـه بيده وجال مسـتخدماً السـيّارات العموميّـة فـي الشـوارع انطلاقـاً من الغـرب إلى الجنـوب والجنوب باتجاه مختلف الجبهات وكان يصل إلى وجهته بهذه الطريقة.

الثـوريّ يعنـي ذاك الـذي فضّـل المـوت علـى الحيـاة الذّليلـة، والعمـل الثّـوري شـبيهٌ بعمل طالب علمٍ شـهيد مثـل الشـهيد ردانـي[1] الـذي كان قائـداً لأحـد الفيالـق

١- عالم الدّين الشهيد مصطفى ردانـي بور، قائد مقرّالفتح في حرس الثورة الإسـلاميّة، وُلـد عـام ١٩٥٨ فـي أحـد البيـوت القديمـة الواقعة فـي منطقة

في الحرب؛ وقد كان عارفاً وعندما نوى الزّواج، أرسل بطاقة دعوة[1] للسيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام. العمل الثوري

محرومة (خلف مسجد الإمام) في مدينة «أصفهان». كان والده عاملاً يحمل الأثقال وكانت والدته تخيط السجّاد، وبذلك كان والداه يؤمّنان مصاريف الحياة. أمضى الشهيد ردادي بور أولى سنوات طلبه للعلم في حوزة أصفهان العلميّة. ثمّ اتّجه نحو مدينة قم من أجل مواصلة رحلته العلميّة والاستفادة من حضور الفضلاء والعظام، وواصل دراسته في مدرسة حقّاني. تشرّف بلقاء الإمام الخمينيّ قدس سره في جلسة حضر فيها ممثّل الإمام وإمام جمعة أصفهان، وطلب من الإمام الخميني قدس سره أن يحدّد له تكليفه فيما يخصّ التوجّه إلى كردستان. ردّ الإمام الخمينيّ قدس سره على الشهيد ردّاني بور قائلاً: «عليك أن تذهب إلى كردستان وتعمل هناك».

لا يُمكن نسيان ذكريات تضحياته الجسام إلى جانب الشهيد حسن باقري في «شذّابه» ولا تزال هذه الذكريات عالقة في أذهان مجاهدي الإسلام.

١- ورد في مذكّرات زواج هذا الشهيد:

كلّما كانت والدة الشهيد تخطّط لتزويج ابنها وتجرّه إلى إحدى الزوايا لتطرح الأمر عليه، كان يردّ عليها بالقول: لقد تقطّع أبناء الناس إلى أشلاء، وسقطوا شهداء في الصحاري القفار، ثمّ تطلبون مني أن أترك أعمالك وتعال لنزوّجك ؟!

أسأل الله أن يمنّ عليكِ بالصّبر!

رغم كلّ ذلك، كان قد سمع أنّ الإمام الخمينيّ قدس سره طلب أن تزوّجوا زوجات الشّهداء. ولم تكن أمّه تكفّ عن طرح الموضوع وكانت تهمس في أذنه باستمرار أنّ الوقت قد حان لتتزوّج. قبل في نهاية الأمر وأرسل والدته

وشقيقته لطلب يد إحدى السيّدات.

لم يكن قد أخبر عائلته أنّ السيّدة التي اختارها زوجة شهيد. وهذه السيّدة كانت ترفض كلّ المتقدّمين لها، ورفضت مصطفى أيضاً.

أرسل مصطفى رسالة بأنّ الإمام الخميني قدس سره قال: «تزوّجوا زوجات الشهداء» لم تقبل مرّة أخرى، كانت ترغب في أن تصبر حتّى انقضاء سنويّة زوجها الأولى.

ثمّ بعث مصطفى برسالة بأنّكِ من السّادة، وأنا أودّ مصاهرة السيّدة الزهراء عليها السلام. لم تقدر على الرّفض وأجابت بالقبول.

عقدا قرانهما عند الإمام الخميني قدس سره، وقال مصطفى في تلك الجلسة: «سيّدي، نرجو أن تنصحنا». نظر الإمام الخميني قدس سره إلى العروس وقال: «أسأل الله أن يمنّ عليكِ بالصّبر!»

في أيّ عرسٍ نشارك إن لم نشارك في عرسه؟

قام طالب العلم الشهيد مصطفى ردّاني بور بإرسال بطاقة دعوة للسيّدة الزّهراء (سلام الله عليها) إضافة لبطاقات دعوة الضيوف، وقام بإلقائها في ضريح حرم السيّدة فاطمة المعصومة.

عند حلول الفجر، ومع قدوم صوت أذان الصّبح، استيقظت شقيقة مصطفى في حال من الحيرة والاضطراب. ذهبت إلى غرفة مصطفى على الفور وقالت: مصطفى .. مصطفى! أقسم بالله أنّ السيّدة الزّهراء جاءت برفقة سيّد نوراني وسيّدة أخرى وشاركت في عرسك. عندما .. عندما عرفتها قلت لها: سيّدتي! فداك روحي! لقد شرّفتنا بقدومك! لقد تفضّلتِ علينا .. لكن كيف تشاركين في عرسنا نحن؟! أجابتني: لقد جئنا لنشارك في حفل زواج ابني مصطفى .. ففي عرس من نشارك إن لم

نحضر عرسه؟ .. ثمّ أفقت من الرّؤيا مذهولة.

وقع مصطفى على الأرض فجأة، وضع يديه على الأرض وعلا صوته بالبكاء .. كان يردّد: روحي فداء لها! لقد قبلت دعوتي.

- أيّ دعوة؟!
- رغبتُ في أن يكون عرسنا موضع رضا صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكتبت بطاقة دعوة له، وبطاقة دعوة لوالدته الجليلة السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام وبطاقة دعوة للسيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام. ألقيت بالرّسالة الأولى في بئر مسجد جمكران، وألقيت الرّسالة الثانية في ضريح السيّدة فاطمة المعصومة عليها السلام .. وها قد اتّضح أنّها تفضّلت عليّ وقبلت دعوتي .. لقد ارتاح بالي الآن بأنّ حفل عرسنا كان مورد رضا مولانا صاحب العصر والزّمان (عج).

سوف أستشهد حتماً

لم ينم الشهيد مصطفى ردائي بور وبقي يصلّي حتّى انبلاج الصّبح، وكان يبكي ويدعو. كان يكرّر، سوف أستشهد حتماً.

كان صديقه قد قال له: تبكي إلى هذا الحدّ، وتردّد أريد أن أستشهد، لماذا تزوّجت إذاً؟

أجاب: «زوجتي سيّدة. أرغب في أن أكون محرماً في ذلك العالم على السيّدة الزّهراء عليها السلام، لعلّها ترمقني بنظرة!» ليلة العرس نهض ليلقي كلمة، فقال: «ليس عرس الليلة عرسي، عرسي الحقيقي هو عندما أتضرّج بدمي» لم تمضِ ثلاثة أيام على عرسه وانطلق نحو منطقة العمليّات وشارك في عمليّة والفجر٢ ثمّ استشهد في منطقة الحاج عمران وعلى تلال الشهيد برهاني.

هو العمل الذي يرجّح فيه الشخص مصالح الشّعب والإسلام على مصالحه الشخصية ويترقّب فيه أوامر الوليّ ولا يختلق الحجج ويجعل نفسه درعاً [للدفاع عن الإسلام]؛ كما فعل شهداء الدفاع عن المقدّسات الذين لم تكن بيوتهم وأعراضهم معرّضة للخطر؛ لكنّهم اتّجهوا نحو سوريا لكي يدافعوا عن الإسلام.[1]

الحجّة جليّة اليوم حتى لعوام النّاس

البصيرة تعني التشخيص الدقيق. ما الذي تصوّرناه لأنفسنا؟ هل نرغب في التضحية بعمرنا لأجل الحقّ أو الباطل؟ الرّابح هو من يختار الحقّ ويفدي كلّ ما يملكه لأجل هذا المسار. وهذا ما فعله شهداؤنا بالأمس وفعله شهداؤنا اليوم وحقّقوا انتصارات كبيرة للإسلام، التشيّع،

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر «الحوزة الثوريّة، الآمال والهواجس» في قاعة الاجتماعات في مدرسة دار الشفاء العلميّة في مدينة قم المقدّسة

النظام، الشعب والعالم أيضاً.

لا تملك البصيرة بعداً سياسيّاً فقط، فإذا كان أحد الأشخاص ضعيفاً على المستوى العقائدي، ستزعزعه أيّ حركة سياسيّة؛ لكنّ أولئك الذين يملكون ركائز عقائديّة قويّة، لا يتزعزعون. في بعض الأحيان تكون الفتن ضبابيّة بحيث يعجز الإنسان عن التّمييز ويقع في فخّ الفتنة دون أن يدرك ذلك، إنّ منشأ كلّ الانتصارات والتغلّب على المؤامرات، هو بصيرة الأفراد. والخطوط واضحة في زماننا؛ لعلّ الحجّة التي كانت ملقاة على كبار شخصيّاتنا حتّى الأمس، باتت ملقاة اليوم على عامّة الناس في مجتمعنا اليوم؛ العدوّ والصديق باتا محدّدان اليوم وقد اتّضحت جبهة الحقّ والباطل بشكل جليّ.[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

سوف أسقط إن صدّقت ذلك

إذا رغبنا في أن نكون مؤثّرين في هيكليّة نظام الجمهوريّة الإسلاميّة المقدّس، علينا أن نتخطّى ذواتنا؛ وإذا تخطّيناها سنكون كالشّهداء؛ ما الذي جعل الشّهداء يسطّرون هذه الانتصارات؟ لأنّهم ذوّبوا أنفسهم في أنفسهم. إذا مدحوني وقالوا بأنّني «مالك الأشتر» وصدّقت أنا ذلك؛ سأسقط؛ لكن عندما أكون ذليلاً في نفسي، سوف يزيدني الله عظمة. علينا أن نرهن أعمارنا للارتقاء بنظام الجمهورية الإسلاميّة وإذا ما رهنّا عمرنا، سوف لن نصاب بالغفلة في المستقبل.[1]

نحن غافلون عن رسالة الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر

عندما يعشق الإنسان أحدهم يهتمّ بوصيّته في مقام العمل. لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام وصيّة طويلة يخاطب

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

فيها الإمام المجتبى عليه السلام وهي بمثابة منهج تربوي، لكنّنا نحن الشيعة غافلون عنها؛ أو وصيّة أمير المؤمنين لمالك الأشتر بصفته حاكماً لمصر، وهي بمثابة وثيقة حكم إذا جعلناها نصب أعيننا، فإنّ المجتمع سيتغيّر. ستكون خطوة مميّزة لو أنّنا سجّلنا رسالة أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر كوثيقة في منظّمة الأمم المتحدة؛ لكنّنا لم نبذل هذا الاهتمام ولم نجعل هذه الرسالة وثيقة نمارس الحكم الحالي على ضوئها.[1]

لم يكونوا ليتردّدوا مقدار ذرّة لو كان ذلك متاحاً لهم

لا شكّ في أنّ العدوّ توصّل اليوم بعد ٣٠ عام من اندلاع الثورة الإسلاميّة بأنّ هذه الثورة لا تُهزم عبر القيام بعمل عسكريّ ضدّها. ثقوا أنّهم لم يكونوا ليتردّدوا مقدار ذرّة لو كان ذلك متاحاً لهم. لم يكونوا لينتظروا يوماً واحداً.

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

هذا الكلام الذي يصرّحون به بأنّ الديمقراطيّين يختلفون عن الجمهوريّين، هو كلامٌ هراء؛ ففي إدارة بوش، أو بوش الأب أو قبلها أو بعدها، لو علم الأمريكيّون والإسرائيليّون بأنّهم سيتفوّقون على بلدنا عبر القيام بعمل عسكريّ، لما تردّدوا في المبادرة إلى ذلك ثانية واحدة. ما يردعهم هو توصّلهم إلى نتيجة قطعيّة تفيد بهزيمتهم وفشلهم لو بادروا إلى ذلك.[1]

لقد ضُخّ إكسير الثورة الإسلاميّة في أوساط شعوب العالم

كان يُنظر إلى البعض في لبنان على أنّهم مواطنون من الدّرجة الثالثة، وكان الله قد ادّخر هؤلاء حتّى تنتصر الثّورة الإسلاميّة ويُضخّ إكسيرها بين هؤلاء النّاس. أهالي جنوب لبنان هؤلاء ألحقوا الهزيمة بالجيش العالميّ الأسطوري الذي لا يُقهر. أتحدّث مع إشراف

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمّدي بور.

على المشهد، ولا أطلق الشعارات، والله كان مستحيلاً أن تظهر هذه القوّة لدى الشّعب اللبناني دون أن تنشب حرب الأعوام الثمانية التي فُرضت على بلدنا. كان هذا الانتصار من آثار سلوكيّات مجاهدينا. والحدث الثاني كان في غزّة، والحال هو نفسه هناك. وأنا أدّعي أكثر من ذلك، ما أثار الضجيج في العالم اليوم -انطلاقاً من داخل أمريكا وحتى أرجاء العالم-، لم يكن هذا الضّجيج ليُثار لولا ظهور هذا الرّجل، أعني الإمام الخميني الرّاحل قدس سره. هذا الرّجل الذي عجز العدوّ عن عدم الانحناء له إجلالاً وتعظيماً. هذا الضجيج والزلزال في العالم لم يكن ليكون لولا قيام هذا الرّجل ولولا هذه الثّورة الإسلاميّة ولولا وقوع هذه الحرب؛ والزلازل التي تتالت بعدها هي في الحقيقة من آثار تلك الانتصارات والأحداث.[1]

مرتبة جواز السّفر مهمّة لكنّ العزّة أهمّ منها!

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمّدي بور.

ما قيمة أن يعترف أحدهم بجواز سفرنا أو لا يعترف؟ نعم، مرتبة جواز السّفر مهمّة؛ لكن هل هي أهمّ من عزّتنا؟! عزّتنا واستقلالنا تتقدّمان اليوم على أيّ شيء آخر. الاستقلال لا يكون في بعدٍ واحد. الاستقلال لا يكون ضمن البعد الجغرافيّ فقط بحيث أنّه لو تعرّضت بقعة من البلاد لخدش معيّن، تنتفخ شرايين رقبتنا من الغيرة والحميّة. الاستقلال يكون في الأبعاد كلّها. الاستقلال في الثّقافة، وفي الهويّة الدينيّة، والاقتصاد و... الاستقلال ينطوي على كلّ هذه الأبعاد. لا يقتصر الاستقلال على سيادة الأراضي، بل إنّه قضيّة شاملة. وهذا السبب في أنّ الإمام الخامنئي يحرص على قضيّة الثقافة، السياسة والاقتصاد ويسعى لأن يبقى استقلال البلد كاملاً وتامّاً في كلّ هذه الأبعاد. حينها تتحقّق العزّة الحقيقيّة. ولأجل ذلك استشهد شهداؤنا. لأجل بقاء هذا الاستقلال

في الأبعاد كافّة، ولأجل قيمة وعظمة هذا النّظام. لهذا السّبب بقيت الجمهورية الإسلاميّة مصونة. منذ أكثر من ثلاثين عام تُشنّ حربٌ مستمرّة على كافّة الأبعاد ضدّ كلّ مستويات استقلالنا؛ لكنّ هذا البلد وبفضل قيادته الحكيمة والمدبّرة والشّجاعة، وبفضل الشعب الإيراني الوفيّ استطاع التغلّب على كلّ هذه الأمور وتمكّن من إرضاخ العدوّ وتركيعه. ولا يكون تركيع العدوّ في الحرب فقط؛ بل إنّ استسلام العدوّ لإرادة الشّعب أعظم أنواع تركيع العدوّ.[1]

من أين انطلقت الثورة الثقافيّة؟

في بدايات الثورة الإسلاميّة، أطلقنا ثورة ثقافيّة، وأسّسنا مركزاً للثورة الثقافيّة؛ لكنّ الأمر الذي أوجد تحوّلاً حقيقيّاً وواقعيّاً على المستوى الثقافيّ في مجتمعنا، كان

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء محافظة جيلان.

وجـود التعبئة. التعبئـة أوجدت هذا التحـوّل. لقد قامت كمـا الأنهـار الصغيـرة والمتدفّقـة بنقـل الحياة مـن المركز باتجـاه كلّ القـرى، البيـوت، المؤسسـات وسـائر الأماكـن فـي بلدنا وحوّلـت مجتمعنا. لقد أوجدت مناخاً مناسـباً تموضع فيه المجتمع الإيراني العظيم وكانت نتيجة ذلك التحـوّل المجتمع الثقافي الذي أسّـس في مجتمعنا. أيّ خطـوة ثقافيّة وأيّ مؤسسـة ومركز ثقافي ثـوري كانت لتقدر علـى تحويـل مجتمـعٍ متأثّـر بالملكيّـة -الشاهنشـاهيّة التـي اسـتمرّت مئـات الأعـوام- بهـذه السّـرعة؟ أن يقـوم بإحـداث تحـوّل بيـن نسـائنا، فتياتنـا، شـيبنا وشـبابنا، جامعاتنا ومدارسنا وحوزاتنا، على كافّة المستويات؟ هذه الثـورة الثقافيّة سـرت إلى المجتمع من الحرب وبواسـطة التعبئـة. هـذا هو التأثير المهمّ، الخالد والمسـتمرّ للتعبئة في المجتمع.[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في أسبوع التعبئة.

لماذا لا يرقى أيّ واجب إلى مستوى الدفاع عن النّظام؟

لماذا قال الإمام الخميني قدس سره أنّ حفظ النظام من أوجب الواجبات؟ لماذا لا يرقى أيّ واجب إلى مستوى الدفاع عن النّظام؟ لماذا اعتبره أوجب من الصّلاة أيضاً؟ لأنّ الصلاة لو أصبحت قضاء، سيكون من الممكن أداؤها في وقت لاحق، لكنّ النظام إن تضرّر، فإنّ الصلاة ستتضرّر أيضاً، وسيتضرّر الدين أيضاً؛ لهذا السّبب قال الإمام الخمينيّ أنّ حفظ النّظام أوجب الواجبات واعتبر أنّه أوجب من الصّلاة أيضاً. هذا الهدف كان هدفاً عظيماً. وبهذا الهدف الرّاقي والسّامي، نشأت هذه الدوافع والأشواق في قلوب الآباء والأمّهات. وقد شاهدنا في جبهات الحرب من مختلف المدن، آباء شهداء، آباء قدّموا ثلاثة من أبنائهم وأصبحوا شهداء، أو ثلاثة من أبنائهم وصهرهم أيضاً، لماذا؟ كان ذلك من أجل الإسلام.

النّيران تحيط بنا من كلّ مكان، فلتلقوا نظرة. هذا هو حال العراق؛ وذاك هو حال أفغانستان؛ وهذه باكستان التي تملك قنبلة نووية؛ وتلك هي حال القفقاز؛ وتركيا أيضاً. في ظلّ الأوضاع الراهنة في المنطقة، نشهد في بلدنا هذا القدر من الأمن والاستقرار والثبات. مع أيّ مكان نقارن نظامنا؟ بأيّ بلد نبدّله؟ بتركيا؟ مع أيّ بلد يمكن إجراء مقارنة بينه وبين الجمهوريّة الإسلاميّة؟ مع أيّ نظام يمكننا تبديله؟ كلّ هذا القدر الجميل من الحريّة، والارتقاء العلمي، والأمن والاستقرار على مختلف المستويات المتنوّعة الأخرى.

لقد كان هذا النّظام يستحقّ في الأمس أن يُتشهد لأجله مئات الآلاف من الشّهداء، ولا زال اليوم يستحقّ أن يُستشهد لأجله الآلاف. عندما يقف قائدنا العزيز والجليل على رأس قمّة هذا النظام ويحرس هذا النّظام

بهذا الشّكل ويتصدّى لكلّ ما يمكن أن يخدش هذا النّظام أو يقلّص من إسلاميّته أو وطنيّته أو استقلاله وعزّته، فهذا هو السّبب. هذه الثورة تواجه كمّاً كبيراً من الأعاصير والمصاعب بحيث أنّ الشهداء يتمنّون أن يحيوا ويُستشهدوا مرّة أخرى في الدّفاع عن هذه الثّورة.[1]

حرس الثورة الإسلاميّة يضمّ الآلاف من خواصّ أولياء الله

والله! ليس لأنّي عضواً في حرس الثورة الإسلاميّة، رغم أنّني من مريدي الحرس الثوري؛ إلّا أنّ حرس الثورة الإسلاميّة -الذي يتعرّض اليوم لوابل من أحقاد أعداء الثورة الإسلاميّة- تصدّى دائماً للدفاع عن هذا الشّعب والدّفاع عن هذه الثّورة والدّفاع عن قيم هذه الثّورة، وقدّم قادته وجعلهم في خطوط الشهادة الأماميّة وعرّضهم للشهادة. حرس الثورة الإسلاميّة مؤسسة تضمّ منتظري

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء محافظة جيلان.

الشّهادة.

أيّها النّاس! لا تنظروا إلى أعمالي وأعمال أمثالي. حرس الثورة الإسلاميّة جنّة يفوح عطرها في الأرجاء. حرس الثورة الإسلاميّة معراج الشهداء، حرس الثورة الإسلاميّة معراج المجاهدين، حرس الثورة الإسلاميّة محبوب الإمام الخمينيّ قدس سره. لقد تطلّع الإمام الخميني إلى حرس الثورة الإسلاميّة وقال: إنّني أقبّل أيديكم التي تعلوها يد الله جلّ وعلا، ولولا وجود حرس الثورة الإسلاميّة لما بقيت البلاد.

تطلّع إلى جبهات الحرس الثوري والقوات المسلّحة وقال بأن كم هو عظيمٌ ما يقومون به وإنّني أخضع وأخشع أمام إنجازاتهم وأقول: السّلام عليكم يا خاصّة أولياء الله.[1]

١- صحيفة النّور، ج١٧، ص١٧٩ (بقليل من الاختلاف).

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنّةِ فتحه الله لخاصّة أوليائه.

هناك بين جموع الحرس الثوري الآلاف من خواصّ أولياء الله الذين لا نعرفهم.[1]

بثّ الخوف من الشّيعة أو السنّة خطأ

ما الذي يستدعي أن يُخوّفوا الإخوان من أهل السنّة منّا نحن الشّيعة؟ هذه الجمهوريّة الإسلاميّة، وحرس الثورة

هذه الفضيلة العظمى من الفضائل التي لا تعدّ ولا تحصى الواردة في حقّ المجاهدين في سبيل الله، وتلفت الأنظار بشكل أكبر. هذه المفردات بمعناها العرفيّ -لا الأسرار الإلهيّة والعرفانيّة التي لا يمكننا إدراكها- هي دون شكّ من المفردات والكتابات التي يعجز عوام النّاس عن التعبير عنها.

١- كتاب «سربازان سردار». هذه المداليّة الإلهيّة التي يحملها المجاهدون، تلمع كالشّمس عند أصحاب الأسرار الغيبيّة والملكوتيّة؛ أليست هذه نفس تجلّيات الخلقة التي شرّفت إبراهيم خليل الرّحمن؟ أليست بارقة من مقام الحبيب الإلهيّ التي تتجلّى في أفضل خلق الله؟ أليست هذه مُنزلٌ من مقاوم الولاية الإلهيّة من أمير المؤمنين حتّى خاتم الأولياء والذي تشرف به أولياء الله؟ إذا كان ذلك -وهو كذلك- فكيف يتسنّى الطواف حوله وبأيّ عين بشريّة يمكن مشاهدة هذه التجلّيات؟ فمن الأفضل إذاً أن أقول أنا القاصر بغضّ الطرف والاكتفاء بقول «السلام عليكم يا خاصّة أولياء الله». وهذه الكرامة العظيمة خاصّة بالمجاهدين في سبيل الله، إن استشهدوا أو انتصروا أو لم يحقّقوا النّصر.

الإسلاميّة هذا وهذه الثورة الإسلاميّة، غالباً ما تتحمّل المرارة، والآلام واللوم من أجل الدّفاع عن إخواننا من أهل السنّة؛ ما الذي يستدعي أن يقوم بعض الجهلة ويخوّفوا المتديّنين من أهل السنّة، والعكس صحيح. هذا أمرٌ خاطئ وهو انحرافٌ عظيم.[1]

الحرس الثوري، عمود خيمة الثورة الإسلاميّة

حرس الثورة الإسلاميّة أشبه بحارسٍ شخصيّ، وكما أنّ الحارس الشّخصي ينظر إلى ما يحيط به بنظرة عميقة لكي لا تتعرّض الشخصيّة لأيّ تهديد، فإنّ حرس الثورة الإسلاميّة أيضاً يدافع عن شخصيّة الثورة الإسلاميّة ببصيرة.

مرّت أربعون عاماً ونحن نشاهد تضحيات الحرس الثّوري في مختلف الساحات والمجالات. الحرس

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مأدبة إفطار مع المضحّين في محافظة كرمان.

الثوري عمود خيمة الثورة الإسلاميّة، واستمرار الثورة الإسلاميّة مرتبطٌ اليوم به؛ لكنّ البعض يسعون لتهميشه بحجج واهية واستدلالات ضعيفة.[1]

لقد استخرج الإمام الخمينيّ الفرص من الخوف والرّعب

من خصائص الإمام الخمينيّ قدس سره أنّ سماحته كان دائماً ما يستخرج الفرص والانتصارات من قلب الرّعب، الاضطراب، اليأس والخوف. إذا ألقيتم نظرة على كلّ الأحداث في فترة الثورة الإسلاميّة، التي كان كلّ واحدٍ منها قاسياً وتقشعرّله الأبدان ويدفع بالبلد نحو الهاوية أيضاً، ستلاحظون أنّ الإمام الخمينيّ كان يستخرج أهمّ الفرص من قلب ذلك الخوف والرّعب.

لقد انطلقت ثورتنا في ظلّ ظروفٍ لم يكن أحدٌ يأمل فيها أن تنتصر الثورة. وقد اندلعت الحرب المفروضة عندما كنّا

١- كلام الحاج قاسم سليماني في جموع قادة وجنود وطلائع فيلق ثار الله في محافظة كرمان.

منهمكين بمعالجة قضايا كردستان. كان العالم يدعم العدوّ بشكل كبير. نصف البلد كان معرّضاً للقصف وكانت طائرات صدّام تحلّق فوق إصفهان ثمّ ترحل؛ لكنّ الإمام ﷺ استخرج الفرص من قلب هذا الرّعب والخوف وكوّن عظمة؛ بحيث أنّ جزءاً كبيراً من إنجازات البلد اليوم نابعة من فترة الدّفاع المقدّس.

كثيرون يشعرون بالرّعب اليوم من طرح موضوع الثورة. إنّني أتحدّث بناء على تجربة، لا يوجد هذا القدر الكبير من الفرص المتوفّرة عند وقوع الأزمات، في أوقات الفرص نفسها؛ لكن هناك شرط، لا تخافوا ولا تخيفوا الآخرين.[1]

لو أصبح الوزراء والمدراء من أصحاب القصور

من خصائص قيادة الإمام الخميني الرّاحل، كانت الريادة و إزالة العوائق. كثيرون قالوا للنّاس أن ثوروا على

١- كلام الحاج قاسم سليماني بين مجاهدي فيلق ٤١ ثار الله في كرمان.

الشـاه وتظاهروا ضـدّه؛ لكنّهم لم يحقّقـوا أيّ نتيجة؛ لكنّ الإمام الخمينيّ قدس سره بدأ لوحده وسار مع عدد قليل وتحمل أنـواع المصاعب، والظّلـم، والنّفي والتشـرّد. لقد تجرّع هو شـخصيّاً الآلام فـي البدايـة وقـدّم الدمـاء، ثمّ صـرخ ودعا النّاس للقيام. لقد كان التأثّر بصفة ريادة الإمام الخمينيّ وإزالتـه للعوائق السّـبب فـي تحقيقنا النّصـر والنجاح في الحـرب المفروضـة التـي كانـت حرباً غيـر متكافئـة. كان منشـأ هـذا الأمـر هـو هـذه الثقافـة ورسـائل الإمـام قدس سره التي جعلت قادتنا يتقدّمون سائر المجاهدين [في الجبهات]. ابحثـوا ولاحظـوا، هل كان همّت فـي المقرّ أو في الخطوط الأماميّـة عندمـا أصابتـه قذيفـة المدفعيّـة واستشـهد؟! أنظـروا أين بقي جثمان الشـهيد باكري؟ وفي سـاحة إدارة البـلاد اليـوم، لـو جلس مديـرٌ في القصـور، ولو جلـس وزير فـي المبانـي الشـاهقة وأصـدر أوامره منهـا، فإنّ هـذا الأمر

سيخنق أنفاس الشّعب حتّى يصل من الطابق الـ٢٠ أو ١٢ إلى الطابق الأول ويسري في المجتمع؛ لكن لو تقدّم أحدهم وسار بين الناس، فإنّ المشاكل سوف تُحلّ. والنّاس سيتحمّلون المشاكل وهم يدركون حجم العداء جيّداً وسوف يصمدون. إذا بقيتُ أنا المسؤول ليلة واحدة في حيّ الفقراء وأدركتُ آلامهم؛ فإنّنا حتى وإن لم نحلّ مشاكلهم -وعلينا حلّها- سيكون ذلك مرهماً يداوي آلام هؤلاء المستضعفين.[1]

قتل الإمام الخميني الخوف في المجتمع

كان الإمام الخمينيّ قدس سره عالماً بزمانه. عندما كان الجميع يصرّون على التقيّة، صرخ الإمام قدس سره بأنّ التقيّة حرامٌ اليوم وهذا كان عندما لم يكن أحدٌ يعتقد بسقوط الشاه، ولم يكن يخطر ذلك على بال أحد. عندما وجّه

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مسيرات ذكرى انتصار الثورة الإسلاميّة عام ٢٠١٧.

المراجع رسالة إلى الشّاه وطلبوا من الشّاه أن ينصح الحكومة بالكفّ عن هذه الممارسات الفاسدة، ردّ الشاه على المراجع برسالة قال فيها: أتمنّى التوفيق لكم في إرشاد العوام! حمل الإمام الخمينيّ هذا القلم ووجّه كلاماً كان صلباً وفولاذياً ككلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقال للشاه: أنت الذي تخاطب المراجع بالطّلب منهم إرشاد الناس، إنّني أرشدك أنت وحكومتك؛ أي أنّك أنت العوام.[1] كان الإمام الخمينيّ الراحل عارفاً بالزّمان، وقد أدرك أنّه لو منح فرصة للشاه، فسوف لن يبقى شيء من الإسلام، المذهب، إيران والإنسانيّة.

١- يقول سماحة آية الله جوادي الآملي: أذكر أنّه تمّ حينها توجيه تلغراف من بعض مراجع قم إلى الشاه المقبور وخاطبوه طالبين منه أن تكفّ حكومته عن الانحرافات الدينيّة، وردّ الشاه على ذلك التلغراف بالقول: «نتمنّى التوفيق لكم أنتم العلماء في إرشاد العوامّ»! حينها حمل الإمام الخمينيّ قلمه وكتب للشاه: «أنت تصدر بياناً تطلب فيه التوفيق للمراجع في إرشاد العوام؛ لذلك إنّني أوجّه إنذاراً لك ولحكومتك» أي أنّكم أنتم العوام.

عندما سأل ذلك الرّجل العظيم الإمام الخمينيّ لماذا تنوي القيام، وقوّتك لا تساوي شيئاً مقابل قوّة الشّاه، لماذا ترمي هؤلاء الشّباب للقتل؟ أجاب الإمام الخمينيّ قدس سره: هؤلاء يُستشهدون في سبيل الله. ثمّ كرّر هذه الجملة، قال الإمام الخمينيّ: سوف لن أتخلّى عن الإسلام حتّى ولو رفضت كلّ بلدان العالم استقبالي. كان أوّل ما قام به الإمام الخمينيّ أن وجّه صفعة للخوف. قتل في بادئ الأمر الخوف في الحوزة وبين طلابها، ثمّ قتل الخوف في المجتمع. عندما كانت قراءة بيانات الإمام أمراً مرعباً، وجّه سماحته ذلك الكلام الناريّ والرّفيع. وفي اليوم الأوّل للقيام عندما لم يكن أحدٌ من النّاس معه، قال حسبي الله، وفي اليوم الآخر أيضاً عندما كان الشّعب الإيراني وكلّ الشعوب الحرّة في العالم معه، قال حسبي الله؛ هذا كان سرّ نجاح الإمام.[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مسيرات ذكرى انتصار الثورة الإسلاميّة في كرمان عام ٢٠١٧.

سألني لماذا تعارض أمريكا إلى هذا الحدّ؟!

سألني أحدهم، لماذا تعارضون أمريكا إلى هذا الحدّ؟ أجبته أنا أسألك، ما الذي فعلته أمريكا لهذا البلد عندما كانت الحاكم المطلق له طوال ٥٠ عاماً؟ دلّني على نموذج لخدمة أمريكا لإيران طوال هذه الأعوام الخمسين. مبنى على سبيل المثال، أو مشروع، أو شارع أو مصنع بحيث ندّعي أنّها إلى جانب كلّ هذا النّهب الواسع، قدّمت هذه الخدمة أيضاً. لم تُفرغ أمريكا بلدنا فقط من الداخل، بل فعلت ذلك مع سائر البلدان أيضاً.[1]

البعض يريدون لقائد الثورة أن يتجرّع السّم

البعض داخل البلاد يحلّلون بشكل خاطئ، والبعض يصرّحون بذلك أيضاً. طبعاً قد يكون كلام البعض نابعاً من الحرص بأنّه كما تجرّع الإمام الخمينيّ في قضيّة

١- نفس المصدر

اتّفاق ٥٩٨ لوقف إطلاق النّار، كأس السّم، فإنّ إمام المجتمع (الإمام الخامنئي) عليه أن يقوم بنفس العمل مقابل أمريكا! أيّ وقاحة وسفسطة خطيرة هي هذه؟! أيّ قياسٍ هو هذا؟! كأس السمّ هذا يسلب العالم الإسلاميّ روحه، ويسلب إيران روحها بشكلٍ كامل، ويسلب روح التشيّع.

هذا ليس كأس سمّ يُقارن مع كأس سمّ اتّفاق ٥٩٨، كأس السمّ هذا يسلب الأرواح، يسلب روح البشريّة. شعوب العالم المستضعفة تعقد أملها الوحيد على إيران؛ وهي تقلق على الجمهوريّة الإسلاميّة في خضمّ الأحداث المتنوّعة. هذه الأحداث الصغيرة التي وقعت في إيران، جعلت شعوب وأحرار العالم تضيق ذرعاً، وجعلت كياناتهم غارقة في الهواجس والمخاوف. الشعب الإيراني لا يحامي ويصون إيران البلد فقط؛ بل هو يصون كلّ

الشعوب المستضعفة حول العالم؛ والنموذج على ذلك هو جرائم التكفيريّين، فإن لم تكن إيران، كان هذا الطاعون سيجتاح المنطقة بأسرها ويسلب روح البشريّة.[1]

إحملوا ماء الوجه على الأكفّ وانطلقوا نحو الإمام الخامنئي

أنا آسف لحال الذين يعتبرون أنفسهم من السالكين في نهج الإمام الخمينيّ قدس سره؛ لكنهم بدل أن يبعثوا برسالة مفتوحة إلى الاستكبار والعدوّ الصهيونيّ، يبعثون برسالة مفتوحة إلى الوليّ الواقف في الخطوط الأماميّة ويواجه العدوّ. هل هذه حذاقة؟ هل هذا اتّباعٌ لنهج الإمام قدس سره؟ إنّني أوجّه خطابي للذين يجلسون في إحدى الزوايا فأقول لهم: ليس من المتوقّع منكم اليوم أن تتوقّعوا من الوليّ الفقيه أن يعتذر منكم لأجل الذنب الذي صدر عنكم أنتم. نهج الإمام يقتضي بأن تحملوا ماء الوجه على

١- نفس المصدر

الأكفّ وتنطلقوا نحو الإمـام الخامنئي. هذا يزيدكم رفعة؛ لا أن تلزمـوا إحـدى الزوايـا وتتّخـذوا المواقف ضـدّ النظام الذي أسّسـه الإمام الخمينيّ قدس سره واستشهد لأجله أكثر من ٢٠٠ ألف شهيد. هذا أمرٌ خاطئ.

طبعـاً كثيـرون كانوا أشـبه بالرّغـوة التي تعلـو المياه. لم يتحمّلـوا، هربـوا وذهبـوا. لقد رأيت أنّ أحدهـم كان يدّعي الثوريّـة فـي حـرس الثـورة فـي طهـران وصفع همّـت على وجهه، وهو اليوم عميلٌ لأمريكا ويتجسّـس لصالحها ضدّ إيران. عندما تكون الرّكائز العقائديّة ضعيفة لدى أحدهم، يبلـغ هـذا الحدّ. علينـا أن نحذّر أنفسـنا، علينا أن نراقب أنفسـنا. علينـا أن نـدوس علـى رغباتنـا، وعندمـا نـدوس عليهـا سـنكون قادريـن كمـا الشـهداء علـى خدمـة هـذا الشّـعب. إذا أردنـا الخدمة مع وجود الرغبـات والتعلقات

الحزبيّة والشخصيّة، لن تبلغ هذه الخدمة أيّ مكان.[1]

عندما يفقد المجتمع القوّات المضحّية

إنّ كلّ مجتمعٍ يفقد الأشخاص المضحّين، يلقى الهزيمة، ومتى ما اجتمعت القيادة النقيّة والزكيّة بالمضحّين، يستعصي إلحاق الهزيمة بذلك المجتمع. إنّني وبصفتي ابناً صغيراً وجنديّاً لهذا الوطن ألفت أنظار جميع المسؤولين، والأحزاب السياسيّة، وكلّ الشخصيّات، وكلّ الفنانين والكتّاب إلى ضرورة أن ننتبه لما نزرعه في مزرعة مجتمعنا، وما نربّيه وننمّيه وما نحقّره ونصغّره. إذا فرغ المجتمع من القوات المضحّية، سيحلّ به نفس البلاء الذي حلّ بمجتمع أمير المؤمنين عليه السلام.[2]

١- نفس المصدر

٢- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء محافظة أصفهان.

الفصل الثالث: الدّفاع المقدّس

الحرب، كانت تفسيراً لشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره

الحرب، كانت تجسيداً حقيقيّاً لشخصيّة الإمام الخمينيّ قدس سره في أبعاد: الأخلاق، الدّين، الصّلاة والدّعاء؛ وقد تجلّى سلوك الإمام في واقع الأمر في الحرب، ويمكن الادّعاء بالقول أنّ الحرب كانت تفسيراً لشخصيّة «الإمام الخمينيّ»؛ كما ورد في الحديث: «النّاس على دين ملوكهم».[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء فيلق ثار الله.

أجواء الجبهة الثقافيّة لم تكن شبيهة بالحرب على الإطلاق

كانت قدسيّة وتقدّس الدفاع المقدّس من الأمور التي تميّزت بها الحرب المفروضة. لم تكن الأجواء الثقافيّة السائدة على جبهاتنا شبيهة بالحرب على الإطلاق؛ بينما تكون الحروب مزيجاً من أنواع العنف، كان الحبّ، العرفان والمحبّة سائدة على جبهاتنا. ثمانية أعوام من دفاع الشّعب الإيراني المقدّس، كانت أشبه بالطّواف حول الكعبة، وكانت كلّ الأنظار فيها متّجهة نحو الروحانيّة، الذّكر والدعاء والله جلّ وعلا. إذا شبّهنا شهدائنا بشهداء كربلاء، فيمكننا الادّعاء أنّ عدداً كبيراً من شهدائنا بلغوا في النّقاء درجة شهداء كربلاء.[1]

لم تكن شاكلة حربنا تنسجم مع مثل هذه التدريبات

لم يدرس قادة أعزّاء كباكري، همّت، زنكي آبادي،

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم الشهيدين باكري.

كازروني، ميرحسيني وآخرون في الكليّات؛ بل تتطوّروا في ساحة الحرب العمليّة؛ لذلك فإنّ الذي كان قائداً للكتيبة ومتكفّلاً بمسؤولية أحد المحاور، كان اختياره دقيقاً إلى حدّ كبير. بعض الإخوة شاركوا في نهايات الحرب في الصفوف التعليميّة في جامعة الحرس الثوري أو شاركوا في دورات دافوس، كانوا يواجهون المشاكل عند قدومهم إلى الجبهات؛ لأنّهم كانوا يلاحظون أنّ ما درسوه مغايرٌ بشكل كامل لما يرونه على أرض الواقع، لم يكن قابلاً للمقارنة. لعلّه ليس اعترافاً جيّداً؛ لكنّنا كنّا في أواخر فترات الحرب نمنع قادات كتائبنا من الالتحاق بمثل هذه الصّفوف؛ لأنّ شاكلة حربنا لم تكن تنسجم وتتناسب مع مثل هذه التدريبات. لقد كنّا نخوض حرباً غير متكافئة، والحرب غير المتكافئة تستدعي وجود أدوات وفكر خاصّ بها؛ لذلك كان دفاعنا طوال الحرب

غير متكافئ.[1]

لم يتمّ إعدام أحد في الجبهة بسبب التمرّد على الحرب

لم يسمح الإمام الخمينيّ خلال إدارته للحرب بأن تتسلّل القضايا المرتبطة بالماديات إلى الحرب. طوال فترة حرب الأعوام الثمانية، لم يُقلّد أحدٌ أيّ وسام ولم يترفّع أحد؛ بينما كانوا في الجبهة المقابلة لنا يعدمون الأشخاص أفواجاً أفواجاً بسبب التمرّد على الحرب، وفي جبهات إيران لم يتمّ إعدام أحد بسبب تمرّده على الحرب. لو لم تكن هذه الإدارة للحرب، لما أمكن الادّعاء أنّ حربنا لم تكن لتصاب بالاهتراء مع انقضاء الوقت كما حصل في سائر الحروب وأنّنا لم نكن لنُهزم. إدارة الإمام الخميني للحرب، وجّهت دفاع الشّعب الإيرانيّ

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة كرمان العاشر.

المقدّس باتّجاه وجهة إلهيّة.[1]

مشكلتنا في ليالي العمليّات

كانت مشكلتنا في ليالي العمليّات أنّنا عندما كنا نرغب في اختيار الكتيبة التي ستتكفّل بمهمّة خرق صفوف العدوّ، كنّا عندما نقول لإحدى الكتائب بأنّك لن تكوني تلك الكتيبة، كانت تنزعج وكان قائدها يمتعض. كانت الميزة وموضع التباهي هي أن يكون قائد الكتيبة، قائد الكتيبة التي تخرق صفوف العدوّ. لقد كنّا نملك ملايين الاستشهاديّين والمستعدّين للشهادة. وقد صرّح ذلك المنظّر الأمريكيّ[2]: الشيعة منتصرون دائماً

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم الشهيدين باكري.

٢- فرانسيس فوكوياما من المحافظين الجدد، والباحث والمؤرّخ ياباني الأصل الذي يملك الجنسيّة الأمريكيّة. تطرّق فوكوياما في مؤتمر أقيم في القدس إلى شرح الفكر السياسيّ الشيعي. وفي هذا المؤتمر الذي كان يحمل إعادة معرفة الهويّة الشيعيّة، صرّح قائلاً: «الشيعة كطائرٍ تتفوّق حدود تحليقه على رماحنا، طائر ذو جناحين. أحد جناحيه أخضر اللون والآخر أحمر. جناح الطائر الأخضر يرمز إلى المهدويّة والإمامة؛ لأنّ الشيعة

بفضل امتلاك جناحين هامّين. أحدهما هو جناح الولاية والإمامة والقيادة، والآخر هو جناح الشهادة الأحمر. هذان الجناحان يجعلان الشيعة منتصرين دائماً، دائماً أينما حلّوا.

وفيما يخص الأثر الخارجيّ للحرب. فإنّ ما ترونه اليوم خارج حدودنا -بحيث أنّكم تعبرون بسهولة عن هذه الأمور وتحلّلونها- هذه أحداثٌ في غاية العظمة والأهميّة. تصوّروا لبنان. قال الإمام الخامنئي أنّه من الضّروري أن يتمّ تحليل زيارة رئيس الجمهوريّة المحترم[1] ويُبادر إلى التفكير بها بعمق. بعد هذه المؤامرات ومختلف

يترقّبون العدالة، لديهم الأمل ويصعب إلحاق الهزيمة بصاحب الأمل، لا يمكنكم السيطرة على من يدّعي قدوم شخصٍ سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً في ذروة انتشار الظّلم والجور فيها. وجناح الشيعة الأحمر، يرمز إلى طلب الشهادة المتجذّر في كربلاء والذي جعل الشيعة مخلّدين.»

١- إشارة إلى زيارة رئيس الجمهوريّة في تلك الفترة الدكتور محمود أحمدي نجاد التاريخيّة إلى لبنان عام ٢٠١٠.

الحيَـل على مـرّ التاريخ، حفظ الله عزّوجـل هذه الجماعة المحـدودة مـن الشّـيعة وصانها مـن سـيوف الخصوم في تاريـخ لبنـان إلـى أن ظهـرت الثـورة الإسـلاميّة فـي إيران، وأبقـى الله عزّوجـل علـى إيران متّحـدة وتملـك ٩٢ بالمئة مـن الشـيعة لأجل هذه الأيـام حيث ينهض رجلٌ شـجاع وشـخصيّة قـلّ نظيرهـا فـي تاريـخ البشـريّة؛ أي الإمـام الخمينيّ قدس سره بإطلاق ثورة شجاعة بواسطة هؤلاء الشّيعة.[1]

موضوعيّة حربنا، بسبب الفكر السائد عليها

لعلّـه بعـد انتصـار الثـورة الإسـلاميّة، لا يمكـن العثـور علـى مجموعـة شـاملة لـكلّ أبعـاد الإسـلام، حقيقـة هذا التديّـن وثقافـة التشـيّع، إلّا في الحـرب المفروضـة؛ لأنّها استطاعت جمع وإثبات كلّ هذه الأبعاد؛ إن كان في بُعد المجتمع وبُعد الزّمان. الحرب كقضيّة، ليست موضوعنا

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك عام ٢٠١٠.

الحقيقيّ؛ ما يهمّ هم أولئك الأشخاص الذين حضروا وحاربوا ودافعوا، وما يهمّ هو أفكارهم ومعتقداتهم التي تنطوي على القيمة بالنسبة إلينا؛ لأنّها استطاعت أن تُطلق الإسلام، العرفان، الروحانيّة، بناء الإنسان، الولائيّة الحقيقيّة في كلّ الأبعاد. حربنا المفروضة تملك مئات الخصائص، ومن بين أهمّ خصائص حربنا المفروضة يُمكن الإشارة إلى كون الطابع الدينيّ طاغياً عليها، وإلى تأثيرها وإلى كسرها للعوائق. هذه الأمور الثلاث، من أهمّ خصائص حرب الدفاع المقدّس؛ على سبيل المثال، لا يعني الطابع الديني للحرب المفروضة وجود طرفي نزاع سنّي وشيعي. الحرب المفروضة اندلعت في واقع الأمر بسبب فكر معيّن، وما منحها القيمة كان إمساك الإمام الخمينيّ قدس سره بزمام أمور قيادتها. لكنّ الحرب رغم ذلك كانت سلوكاً دينيّاً بالمعنى الأتمّ للكلمة وكان ذلك

مشـهوداً في إدارتها والسلوكيّات فيها. كانت الحرب مؤثّرة مـن الداخـل والخـارج علـى الأفـراد؛ علـى سـبيل المثال أولئـك الذيـن كانوا حاضريـن في ميـدان المواجهة، كانوا يتأثّرون وقسم كبير من هؤلاء الأشخاص كانوا يؤثّرون على سائر النّاس عند عودتهم إلى المدن؛ وهذا كان سبباً مهمّاً ومؤثّراً في إيجـاد تحوّل فـي المجتمع وتنقيتـه ودفعه نحو الروحانيّة والكمال.[1]

ما الذي ستفعله حين يراك العدوّ؟

كانـت الروحانيّـة، الركيـزة الثالثـة لحربنـا. لقـد ضربت هـذا المثـال مـرّات عديـدة، ولا ضيـر أبـداً في تكـراره. في موسـم الحجّ، يُحرم الحُجّاج ويتّجهون نحو عرفات ومنى والمشـعر والرّمـي والطـواف ويـؤدّون الأعمـال الروحانيّـة وينشـغلون دائمـاً بذكـر الله، لقـد كانـت تسـود جبهاتنـا

١- كلمـة الحـاج قاسـم سـليماني فـي حفـل تكريم قـادة فيلـق ٢٧ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

مثل هذه الأجواء، وكانت حجّاً حقيقيّاً؛ كحجّ إبراهيم وإسماعيل، لم يكن يتخلّله أيّ مديح للنفس، أو غرورٍ أو تكبّر. لم يكن أحدٌ ليتظاهر بشيء. في عمليّة «والفجر ٨» حيث كان الأمل بالنّصر ضئيلاً جدّاً، وكانت الساحة ساحة صعبة، سأل السيّد علائي عند انطلاق العمليّة الشهيد «الحاج أحمد أميني»[١]: ما الذي ستفعله حين يراك العدوّ؟

أوضح الأمر؛ إلّا أنّ السيد علائي لم يقتنع على ما يبدو. قال الشّهيد أمينيّ: أقرأ آية «وجعلنا»[٢]؛ وهذا ما حصل.

لقد كان الشهيد صدوقي منبطحاً على الساحل في جهة أراضي العدوّ، وعندما داس العدوّ بقدمه على يده، وكان يوجد خلفه صفّ من الغواصين، أوجع دوس العدوّ

١- للتعرّف على صفات وشخصيّة الشهيد أميني راجع الصّفحة ٤٠٩.

٢- إشارة إلى الآية ٩ من سورة «يس» المباركة: وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يُبصرون

بقدمه يده، لكنّه لم ينبس ببنت شفة. كان يقرأ تحت هذا الضغط آية «وجعلنا» وكانت هذه الآية تصنع المعجزات. لقد قيل الكثير حول روحانيات الحرب ويجب أن يُقال المزيد.[1]

كنزُ الحرب كان منقطع النّظير

كان كنزُ الحرب كنزاً منقطع النّظير وينطوي على لآلئ بالغة القيمة يجب البحث عنها وتقديمها للمجتمع. من الجدير أن نستذكر الشهداء وننقل هذه الجملة المباركة التي أوردها أمير المؤمنين عليه السلام حول غربة أصحابه، وطبعاً ليست تلك الغربة مشهودة في مجتمعنا اليوم، فقد حلّ محلّ شهدائنا الكثير من الشهداء الأحياء والمستعدّين للشهادة، ونموذج على ذلك هم شهداء الدفاع عن المقدّسات الأعزّاء؛ لكن لعلّ وصف منزلتهم يتمّ بشكل

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء كرمان العاشر.

شامل بهذا الكلام الذي قد يكون الإمام عليّ عليه السلام قاله وعيناه مغمورتان بالدّموع: «أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه، وقرأوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً وصفاً، بعض هلك، وبعض نجا، لا يبشرون بالاحياء، ولا يعزون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين»[1].

نفتقد إلى أولئك الأشخاص مع كلّ تلك الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام وشكّل شهداؤنا مصاديق حقيقيّة لهم.[2]

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٢١.

٢- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة جيلان.

لقد أمرتم بعودة من هم تحت سنّ السابعة عشرة

يوماً ما رأيت في سدّ دزفتى يبلغ من العمر أقلّ من ١٦ عاماً، تقدّم نحوي. كان من منطقة تُدعى زهك بابل. هذا المجاهد كان جسمه صغيراً لدرجة أنّ قبّعته كانت تغطّي عيناه. لم يكن حذاءه على قياس قدمه. كان قد شدّ الحذاء على قدمه بواسطة أربطتها، ووضع على كتفه حزام رصاصات الرشاش. كان جسمه ضعيفاً للغاية ولم يكن له مشابهٌ بيننا. كان يبكي بشدّة. جاء إليّ ظهر أحد أيام الصيف من كتيبة الزابليّين. لماذا كان يبكي؟ قال: لقد جئت إليك لتمتحنني. سوف أنطلق باتجاه الهضبة التي تأمرني بالذهاب إليها، وسوف أطلق الرصاص في الاتجاه الذي ترغب به، لكن أرجوك أن لا ترجعني. سألته من طلب منك الرّجوع؟ أجابني أنت أمرت بأن يُرجعوا

من هم تحت سنّ السابعة عشرة. هل يقدر غير الدين أن يخلق مثل هذا الدافع، القوّة والشجاعة لدى فتى أو كهل يبلغ من العمر ٧٠ أو ٨٠ سنة؟ عندما يعود شابّ برفقة شقيقه الشهيد ويحمل جثمان أخيه إلى المدينة فتعاتبه أمّه بأن لماذا عدتَ مع الجثمان؟ يوجد هنا العديد من الأشخاص القادرين على مساعدتي في دفن أخيك! عد إلى الجبهات. هل يوجد عاملٌ غير الدين قادر على تسطير مثل هذه الملاحم؟[1]

لماذا تحوّلت حربنا إلى مدرسة؟

مرحلة دفاعنا المقدّس نموذج وقدوة. عندما نتحدّث عن الشهيد باكري، والشهيد شوكت بور والشهيد شاطري؛ لا نتحدّث عن قادة كتائب أو فيالق أو مقرّات أو قادة عسكريّين معيّنين.

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمّدي بور.

لماذا تحوّلت حربنا إلى مدرسة؟ هل الحرب اليوم قدوة ونموذج أم لا؟ هل تعرفون مدرسة أعمق من الدفاع المقدّس تستعرض نموذجاً سلوكيّاً دينيّاً، أخلاقيّاً وإداريّاً حقيقيّاً على مختلف الأصعدة؟

لقد اكتسبت من العظمة بحيث أنّكم ترون من الإمام الخامنئي ورغم كونه وليّاً فقيهاً، ومرجع تقليد وعالماً دينيّاً، وحكيماً، وحفيداً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويعتمر عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إلّا أنّه يصرّ على أن يضع على رقبته هذه الكفية التي ترمز إلى مرحلة الدفاع المقدّس في كلّ اللقاءات الرسميّة وغير الرسميّة؛ تلك الكفيّة التي يسعى الجميع باشتياق للحصول عليها. ما هو سبب ذلك؟ كون مرحلة الدفاع المقدّس نموذجاً ناجحاً.[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في ذكرى استشهاد الشهيد شاطري.

إذا أراد علماء الدين الشيعة إقامة معرض تعريفيّ

إنّني دائماً ما أقول أنّه منذ حوالي الـ١٣٠٠ عام -أي قبل العام ٤٠ للهجرة عندما استشهد أميرالمؤمنين عليه السلام- وطوال تلك الفترة الطويلة التي حكم فيها بنوأميّة حوالي الـ٨٠ عاماً، وحكم بنوالعبّاس حوالي الـ٥٠٠ عام، وحكم العثمانيّون حوالي الـ٤٠٠ عام وحفظ علماء الشيعة وسط هذه الأغبرة والدمار هذا المذهب وتعاقبوا على استلامه وتسليمه. إذا أراد علماء الدين الشيعة إقامة معرض تعريفيّ والقول بأنّ نتيجة جهودنا على مدى عدّة قرون هي هذه، فإنّني أعتقد أنّ مرحلة الدفاع المقدّس هي أفضل خيار بالنسبة لذلك المعرض.[1]

كان بيان الإمام الخمينيّ قدس سره عجيباً

لم نحقّق النّجاح في عمليّة بدر التي خضناها في

١- كلام الحاج قاسم سليماني في ذكرى استشهاد الشهيد شاطري.

الحرب المفروضة. كنّا منزعجين للغاية وكنّا قد قدّمنا عدداً كبيراً من الشهداء. في اليوم الذي تلا العمليّة، اجتمعنا جميعاً في جزيرة مجنون. كان الجميع منزعجون وفي ذلك اليوم أصدر الإمام قدس سره بياناً[1] كان عجيباً ومذهلًا.

١- يقول قائد الحرس الثوري في تلك الفترة محسن رضائي حول بيان الإمام الخميني: بعد عمليّة «بدر» كنا منزعجين جدّاً من الإخوة؛ لأنّنا لم نحقّق أهدافنا واستشهد في هذه العمليّة أيضاً الشهيد مهدي باكري وكنّا نحن القادة متأثرين جميعاً بشهادته. اتّصل بي السيد أحمد الخميني رحمه الله وقال لي بأنّ الإمام قد كتب بعض الجُمل وطلب أن يتمّ إبلاغ سائر المجاهدين بها. ورد في جُمل الإمام قدس سره: «لقد وردني أنّ البعض منزعجون، وددتُ القول أن لا داعي أبداً للقلق. طبعاً إنّني أدعو لكم وللشهداء، لكن علينا أن نعلم جميعاً أنّنا رهن إرادة الله عزّوجل. نحن لسنا أرفع من الأئمّة. هم أيضاً لم يكونوا منتصرين في الظاهر في بعض الأحيان. الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام والإمامين الحسن والحسين عليهما السلام. منزلتنا لا تساوي شيئاً بالمقارنة مع شأنهم ومقامهم. تتمحور الأمور كلّها حول إرادة الله عزّوجل والحَسنُ ما يشاؤه الله وهو حلوٌ كالعسل. علينا أن نرحّب من أعماق قلوبنا بما يشاؤه الله جلّ وعلا؛ لا تقلقوا من أيّ شيء. حافظوا على صلابتكم وفكّروا بالعمليّة التالية منذ اللحظة وثقوا بأنّكم منتصرون. أنتم منتصرون اليوم، فالعمل الذي يكون في سبيل الله لا يعرف معنى للهزيمة ...»

بعد قراءة نصّ بيان الإمام الخميني للقادة، تغيّر مجرى الأمور بشكل كامل وزال اليأس والإحباط عن الوجوه وبدأت المشاورات من أجل مواصلة

لم ينشر هذا البيان؛ لكنّني أذكر جزءاً منه. هذه الأمور في غاية الأهميّة بالنسبة إليكم. علينا أن لا ننظر إلى الهزائم والانتصارات. قال الإمام الخمينيّ قدس سره أن «وردني تقرير، وعلينا أن لا نعير اهتماماً للهزائم والانتصارات؛ بل علينا أن ننظر إلى تكليفنا».[1]

كانت ليالي الوداع من بين أكثر ليالينا احتواء للروحيّة

من الأبواب المعرفيّة التي فُتحت في الجبهات، كانت ليالي الوداع التي لا يمكن العثور على نظيرٍ لها على مرّ التاريخ الإسلامي سوى في عصر الإمام الحسين عليه السلام وفي كربلاء وليلة عاشوراء.

العمل. طلب الشهيد صياد شيرازي من الوحدات بأن يعيدوا بناء صفوفهم وينتظروا صدور الأمر الجديد حول المهمّة القادمة. تمّ تشكيل وحدات الشهادة من صفوف القوات الحاضرة للشهادة والتي كانت تحمل أرواحها على الأكفّ.

١- كلام الحاج قاسم سليماني بين جموع المجاهدين المدافعين عن المقدّسات في سوريا.

وفي الجبهة، كانت كلّ الوحدات والكتائب تحيي ليلة وداع طويلة؛ فيطلبون المسامحة من بعضهم البعض، ويرفعون معنويّات بعضهم البعض، ويوصون بعضهم البعض و...، كانت هذه بعض تجلّيات تلك الليالي. كانت ليالي فارغة من الخوف، والانزعاج، والضغوط والاضطراب الذي يدفع إلى الهرب، على العكس، كانت ليالي الوداع من أكثر الليالي احتواء للروحيّة وكانت تحدث تحوّلات وتغييرات بين المجاهدين.

تحوّلت كتابة الوصايا إلى ثقافة في الحرب، وقلّما كنت تعثر على مجاهد لم يكتب وصيّته.[1]

كانت جبهاتنا أشبه بالحوزات العلميّة

برزت ثلاث ميزات في حربنا:

إحداهم كانت «إنتاج الروحانيّة» بحيث أنّ الحرب

١- حوار مع الحاج قاسم سليماني حول دور وحدة الإعلام.

ضخّـت وغمـرت مجتمعنا بالروحانيّـة ولا يقدر أحدٌ على إنكار أنّ منشـأ التحوّلات الروحانيّـة الكبرى في مجتمعنا كان «الدفاع المقدّس»، ورغم أنّ الأمر لم يكن مخطّطاً له؛ لكنّ الأمور تبدّلت وشهد المجتمع ثورة ثقافيّة.

واحـدة أخرى من ميزات الحرب، كانت «إنتاج الفكر». لقـد كانـت الحـرب أشـبه بالحـوزات العلميّة فـي مجال «إنتـاج الفكـر»؛ فكمـا أنّ الطـلّاب يتباحثـون فـي الحوزة، ويجادلـون ويبحثـون مـن أجـل النهـوض بالمسـؤولية الخطيرة الملقاة على عواتقهم لكي يسـتعدّوا، فإنّ ساحة الحـرب كانت على هذا النّحو. كان المجاهدون يسـعون لاسـتحصال التقـوى وكانـوا يقتـدون بالحـوزة فـي ذلـك الأمـر، وهـذا ما كـوّن لدى شـباب الجبهة نوعاً مـن الخبرة والاحتراف.

ميـزة الحـرب الثالثـة كانـت مـا تشـاهدونه اليـوم أيضاً

وترون نماذج له، كانت هي أنّ الشباب الذين اندمجوا في الحرب بشكل أكبر، هم اليوم أنجح من غيرهم في إدارة المجتمع، لأنّهم مارسوا الإدارة في أصعب المراحل.

كانت الجبهة أشبه بتنّور يدخله الأشخاص ويخرجون منه في أغلب الأحيان منصهرين وحاملين للخبرات. لم يكن الجبان قادراً على أن يكون شجاعاً في الحرب، وكانت الأرضيّة مهيّئة لكي يبرز الشجاع شجاعته. وكان المؤمن يزداد رسوخاً في إيمانه ولم يكن ضعيف الإيمان قادراً على إخفاء ضعفه. كان كلّ شيء مكشوفاً في الحرب. كانت الخصائص كلّها تبرز وتنكشف ولم يكن هناك مجالٌ لإخفاء أيّ شيء.[1]

دفاعنا المقدّس كان تجسيداً لملحمة كربلاء

كانت ماهيّة مرحلة الدفاع المقدّس كربلائيّة، لقد

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة كرمان العاشر.

كانت مطابقة لكربلاء وتجسيداً لها. هذا ليس محض ادّعاء؛ بل يُمكن إدراك ذلك ممّا يرد على لسان العظماء. لم يكن هناك نظيرٌ لحربنا. أين كانت ستبرز شخصيّة أبي الفضل العبّاس عليه السلام لو لم تقع حادثة كربلاء؟ أين كانت لتبرز شخصيّته في ساحة غير كربلاء؟ أيّ ساحة غير كربلاء قادرة على تقديم شخصيّة كزينب عليها السلام؟

لقد جعل الله عزّوجل بركات عظيمة في الدفاع المقدّس ونحن عاجزون عن إحصائها. جانبٌ من الإرادة الإلهيّة تجلّى في بروز شخصيّات كهذه ورفع مستوى بصيرتنا لكي نعلم أنّ مجتمعنا قادرٌ على تخريج مثل هؤلاء الشخصيّات من قبيل الشهيد العارف حسين يوسف إلهي[1]، لقد كان هناك فتية وشباب ممّن كانت لديهم المؤهّلات لبلوغ مثل هذه المراتب العليا وكان

١- للتعرّف على شخصيّة الشهيد يوسف إلهي راجع الصفحة ٢٦٤.

علينا أن ندرك أنّ هذا الطريق ليس مغلقاً، بل مفتوحاً.[1]

وجود ابنكم هذا نافعٌ للجبهة

عادة ما كان قادتنا يتردّدون إلى بيوت علماء الدين وأئمّة الجمعة كما يتردّدون إلى بيوت آبائهم. في واحدة من هذه الزيارات توجّه القادة إلى منزل أحد هؤلاء العلماء الكرمانيّين، لاحظوا أنّ هذا العالم يملك فتى يافعاً لم يبلغ من العمر ١٤ سنة. قال قائد الكتيبة بأنّ ابنكم هذا نافعٌ للجبهة، نرجو أن تسمحوا لنا بأن يرافقنا إلى الجبهة.

قال ذلك العالم: لا زال ابني صغيراً في السنّ، وهذا ما كان يجعلني أمنعه من الذّهاب؛ لكن لأنّك قائدٌ وقادرٌ على التشخيص، خذه معك! أخذه ذلك القائد معه، وصادف أن كان ذلك العالم في الجبهة، عندما أخبروه بأنّ ابنك قد جُرح، لم يسأل عن حال ابنه ولو لمرّة واحدة؛

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في جلسة تحليل شخصيّة الشهيد حسين يوسف إلهي.

بل كان يسأل عن حال المجاهدين الآخرين. وقد ردّ على خبر جرح ابنه بالقول: يا للعجب! ظننتُ أنّه استشهد.

المجتمع الذي تتجذّر فيه التضحية على مختلف الصّعد والمستويات، يكون مجتمعاً منتصراً ومحلّقاً ولا يُهزم أبداً. لا يُهزم في أيّ حصار، وبأيّ تحرّك وأيّ تهديد وهجوم. ذلك الأمر الذي أزال التفكير بالهجوم من أذهان أعدائنا، كان متمثّلاً في هذه الشخصيات الخالدة التي تركت لنا مفاهيم التضحية والفداء.

النّاس هم من داروا الحرب والجبهات

وقعت حادثة مهمّة حين الحرب المفروضة، وقد كانت تهدّد شعبنا. وكانت هناك أحداثٌ صعبة مثل حادثة حلبجة، حيث برزت نماذج على الممارسات البشريّة التي فاقت وحشيّة الذئاب سوءاً. لقد هاجم إيران مثل هذا الإنسان (صدام حسين) وصاحب هذه السلوكيات

الخطيرة. أيّام الحرب كان عدد سكّان كرمان عام ١٩٨٨ يقارب المليون و٦٠٠ ألف شخصاً. إذا اعتبرنا أنّ النساء كنّ يشكّلن ٤٥ بالمئة من المجتمع والفتية ممن تقلّ أعمارهم عن سنّ الرابعة عشرة إضافة إلى الكهول الذين تفوق أعمارهم الـ٧٠ عاماً ١٥ بالمئة، يبقى ٦٠٠ ألف شخص ممّن كانوا قادرين على المشاركة في الحرب. لقد شارك من بين هؤلاء الـ٦٠٠ ألف ١٢٠ ألفاً من محافظة كرمان فقط وانضمّوا إلى الجبهات، ولدينا حوالي الـ٢٦ ألفاً جريحاً من هؤلاء.

كانت إدارة الحرب العامّة تتمّ بشكل عام -عدا عن الأقسام التخصصيّة للحرب مثل شراء الأسلحة- بواسطة النّاس بنسبة تفوق الـ٩٠ بالمئة. هذه الحرب كانت من أكثر أحداث العالم استثناء. أحد المجتمعات الذي يضمّ ٦٠٠ ألف شخصاً من المؤهّلين للمشاركة في الحرب

يشارك ١٢٠ ألفاً من أفراده في الحرب ويديرون الحرب، هو مجتمعٌ استثنائي. هذا ما كان الحال عليه في كلّ أرجاء بلدنا.

أنا أذكر أنّنا كنّا في گيلان الغربيّة عندما جاءت القوافل من جيرفت وجلبوا محمولات ضخمة من الفواكه، كانت تُرسل من المناطق المستضعفة إلى الجبهات. من منطقة زابل المستضعفة والتي كانت بالفعل مركزاً للحرمان، كانت القوافل تتّجه نحو الجبهات بحيث كان المرء يقف مذهولاً أمامها. لقد كانوا يديرون شؤون الجبهة.[1]

شباب هرمزگان مظلومون لكنّهم شُجعان

دور محافظة هرمزگان في مرحلة الدفاع المقدّس كان عظيماً جدّاً؛ لكنّه كان دوراً مظلوماً. كان مظلوماً من ناحية أنّه لعلّ أحداً لا يعلم استشهاد ألفاً ومئتين من

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل مدينة كرمان الثقافي الاقتصادي في برج ميلاد في طهران.

محافظة هرمزگان -التي كانت في حدّ ذاتها في موضع دفاعي متقدّم عن النظام-؛ وذلك شبيهٌ بمظلوميّة شباب محافظة هرمزگان، كانوا ساكتين، مظلومين، مغمورين بالروحانيّة؛ لكنّهم كانوا ككرة من اللهب والنار عند مواجهة العدوّ.

وفي كلّ مواضع الحرب، كانت هرمزگان حاضرة؛ لكنّها كانت المحرّك الأساس لخمسة أو ستّة عمليّات مهمّة. جزء كبير من الانتصارات التي تحقّقت في عمليّة «والفجر ٨» كان مديناً لشباب هرمزگان، كذلك الأمر في عمليّة خيبر، وبدر، وكربلاء ٤، وكربلاء ٥ والعمليّة التي انطلقت في الهور؛ إضافة إلى أنّ شباب هرمزگان حضروا وشاركوا في كافة عمليّات الجبهة. لا زالت صور بعض الشباب من هرمزگان عالقة في ذهني ممّن شاركوا في عمليّة طريق القدس، وثبتوا حتّى انتهاء الحرب.

لقد كان لهم الدّور الأساس في القوات البحريّة، في هذه العمليّة التي ذكرتها. شباب هرمزگان كانوا المحور الأساس في فيلق ثار الله على الأقلّ؛ وكانوا حاضرين في الكثير من الفيالق الأخرى، كانوا متواجدين في وحدة التخريب، وقد كان خيرة شباب وحدة التخريب من هرمزگان. وفي وحدة استخبارات العمليّة، كانوا من المميّزين. وفي مركز فيلق ثار الله، كان الأخ الحاج علي حاجبي[1] شخصيّة استثنائيّة.[2]

لقد كان يظنّ أنّنا نترجّى

لو تمّ تشريح حربنا بشكل تفصيليّ اليوم، سيتمّ الردّ على هذه الأمور، ما يشكّل نموذجاً لشعبنا ولمستقبل حربنا، هو بشكل أساسيّ كيف استطعنا مقاومة والتعامل مع كلّ هذا الحجم من النّيران.

١- راجع الصفحة ٢٨٢ للتعرّف على الشهيد علي حاجبي.

٢- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء هرمزغان.

لقد كان البعثيّون يملكون في قناة صيد السمك حوالي الـ٣٠٠ مدفعيّة وعشرات قبضات الكاتيوشا. وكان مجموع مدفعيّاتنا نحن والسيّد مرتضى قرباني لا يصل إلى الـ٢٠؛ ٢٠ مدفعيّة دون ذخيرة، وهناك كنا نواجه ٥٠٠ دبّابة، ونملك دبابتين.

كان «عدنان خيرالله» يقف في الجهة المقابلة مع ثلاثة جيوش وأكثر من ٥٠٠ دبابة في ميدان الحرب - لأنّ أرض المعركة لم تكن تتّسع لأكثر من هذا العدد وإلا فإنّ الدبابات التي كانوا يملكونها كان عددها أكثر بكثير- إضافة إلى ثلاثمائة أو أربعمائة مدفعيّة بحيث أنّ «عدنان خيرالله» صرّح شخصيّاً في التقرير الذي سلّمه لصدّام، بأنّني قمت بما يجعل هؤلاء يحتمون ببعضهم البعض. لقد كنّا نمازح بعضنا في المحادثات اللاسلكيّة، ونقرأ الأدعية، ونلاطف بعضنا، ونرفع من عزائم بعضنا، وكان

يُخيّل إليه أنّنا نترجّى.[1]

الفئة الشابّة راغبة في البعد الثقافي للحرب

لو تمّ إجراء بحث دقيق حول مرحلة الدفاع المقدّس، ستكون النتيجة أنّ هذه المرحلة مؤهّلة لتكون نموذجاً يُحتذى به على كافّة الصّعد. لقد كانت مرحلة الدفاع المقدّس وفق ما شهد به جميع الذين شاركوا فيها أو طالعوا حولها، واحدة من أكثر المشاهد الثقافيّة والروحانيّة استثناء وتأثيراً.

ينبغي دراسة الحرب بشكل حقيقيّ على المستوى الثقافي. حربنا كانت مدرسة ثقافيّة بكلّ ما تعنيه الكلمة وجامعة خالدة ومؤثّرة استقطبت اليوم الملايين إليها.

الشباب يتابعون معارف الدفاع المقدّس السامية. وقد ظهرت المعتقدات الأساسيّة في ساحة كساحة الدفاع

١- ذكريات الحاج قاسم حول مرحلة الدفاع المقدّس.

المقـدّس وتجلّـت على مدى ٨ أعوام وتجسّـدت بشـكل عمليّ؛ وإنّ كلّ ما هو واردٌ في آثارنا الشـيعيّة والدينيّة، من معتقدات وأحاديث وسـيَر أولياء، تجلّى في مشهد الدفاع المقدّس في آنٍ واحد.

الأجيـال الشـابّة تحبّ هذا البُعد مـن الحرب وهذا من الألطاف الإلهيّة ومن العجائب بأن يترك مشـهداً عسـكريّاً راح ضحيّتـه حوالـي النصـف مليـون شـهيد وقتيـل لدى الطرفيـن، هذه الحالـة الروحانيّة والحماسـيّة التي تجعل الإنسـان يتأثّـر؛ لذلـك فإنّ مشـهد القتـال والحـرب الذي يتـلازم مـع العنـف تحـوّل إلى مشـهد نـادر وشـديد التأثير على المسـتويين الأخلاقي والثقافيّ، ويجدر أن يتمّ إجراء بحوث دقيقة حوله.

لـو مـرّت آلاف الأعـوام، لا يسـتطيع أحـدٌ أن ينكـر كون مرحلـة الدّفـاع المقـدّس هـي أشـرف وأنقـى مشـهد يدعو

الشيعة والمسلمين إلى التباهي ويقدّم عنهم تعريفاً صحيحاً، ومن المذهل أن تعرّف الحرب ديناً معيّناً.[1]

أصحاب الجنّة الذين كانت الجنّة متشوّقة للقائهم

لقد كانت قمّة تربيتنا الدينيّة والأخلاقيّة في مرحلة الدفاع المقدّس. أنا أعتقد أنّه عندما يظهر صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، سوف يؤسّس حكومة تكون قمّتها تلك المرحلة التي شهدناها نحن في فترة الدفاع المقدّس. تلك الحالات الروحانيّة والمعنويّة التي شهدناها في الجبهات. عندما كنّا متّجهين صوب الهور، كنت أفكّر بهذه النقطة وهي أنّ كل هذه العبارات، كانت عبارات إلهيّة ودينيّة ومن أجل الله. كانوا قد فرشوا صفائح الفلّين فوق المياه، وينصبون فوقها الخيَم ويعيشون بداخلها. كانت جلود الجميع متشققة من شدّة الحرّ. لقد أنشأوا

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم علماء قرية رفسنجان الثاني.

جنّة وسط أرضٍ لاهبة وبين الحشرات والبراغيث المزعجة. كان المرء يشمّ رائحة الجنّة. إنّني أعتقد بكلّ كياني أنّ الحرب كانت مليئة بالذين كانت الجنّة تتباهى وتفخر بوجودهم وتشتاق للقائهم.[1]

لماذا غدت حربنا مقدّسة؟

لمرحلة الدفاع المقدّس تألقٌ يشبه مرحلة تأسيس الثورة الإسلاميّة على يد الإمام الخمينيّ الرّاحل، فليس هناك نظيرٌ لها بين كلّ أنواع الدفاع والجهاد التي تعاقبت بعدها، وكان مجاهدو الدفاع المقدّس نماذج وقدوة، وقد توسّعت اليوم جبهة المقاومة لتشمل أرجاء المنطقة، ولا زال مجاهدو الدفاع المقدّس نماذج يُحتذى بها من قبل مجاهدي محور المقاومة.

كانت مرحلة الدفاع المقدّس مكمّلاً للثورة الإسلاميّة،

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء ملاير.

واستخدام كلمة «مقدّس» عند التعبير عن حرب الأعوام الثمانية مردّه إلى الأحداث التي شهدتها والتي كانت نابعة من الإخلاص وأدّت إلى بروز تحوّلات مذهلة في مشهد المقاومة، وأحد النماذج على ذلك حرب سوريا المحيّرة.[1]

لو حقّقنا النّصر في الحرب بسرعة

يوماً ما كنت أفكّر بيني وبين نفسي بما كان سيحدث لو تحقّق النّصر بسرعة في الحرب؟ كم كنّا ندعو حينها وكم كنّ أمّهات الشهداء يدعين لكي ننتصر. والإمام الخمينيّ قدس سره أيضاً كان قد رسم أمامنا مسار هذا النّصر ومسار الوصول إلى القدس مروراً بكربلاء؛ لكنّ النّصر لم يتحقّق في ذلك اليوم، والأمر لم يكن يدور حول دعاء غير مستجاب؛ لأنّه من

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

غير المعقول أن لا يستجيب الله جلّ وعلا أدعية هؤلاء الأشخاص المحترقة قلوبهم والمخلصين.

لقد توصّلت إلى هذه النتيجة بأنّ الله عزّوجل كان يدفعنا في عمليّة «كربلاء ٥» باتجاه بغداد، وكان من الممكن أن يكون الأمر أشبه بإعطاء طفل قطعة من اللحم تؤدّي إلى خنقه؛ لكنّ الله عزّوجل رزقنا هذا النّصر فيما بعد عندما كنّا قادرين على هضمه. لقد رأينا كيف أنّ الله عزّوجل استجاب أدعية المحترقة قلوبهم في الساحة العراقيّة وكيف عاقب صدّام بخفّة وذلّة.[1]

ما هي فلسفة المشاركة في رحلات قوافل النّور؟

نلاحظ اليوم بعد انقضاء عشرين عاماً على الحرب، أنّ حملات قوافل النور العظيمة تنطلق في كلّ عام بحماسة أكبر من العام السابق. ينطلق ملايين الشباب بحماسة

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر البصيرة العام الثامن عشر.

واشتياق نحو هذه المناطق. إنّ أكثر المزارات ازدحاماً بعد حرم الإمام الرّضا عليه السلام هي مناطق العمليّات هذه. لا آثار جسميّة للجبهات. ما الذي يرغب المسافرون إلى هذه المناطق في رؤيته؟ هم يجلسون على هذه الأتربة ويقبّلون مواضع أقدام الشهداء. وإذا عثروا على بقايا حذاء عسكري ممزّق في الجبهات، يتبرّكون به ويقبّلونه. يقطّعونه قطعة قطعة ويتقاسمونها. لقد شهدنا معجزة عظيمة فوق أتربة شلمجه وطلائيه وسائر الأماكن في الجبهة.[1]

كانت الحرب مدرسة ذات نطاق وطنيّ

عندما تجهّزون متراساً في مكانٍ معيّن، فإنّ قدرته على المقاومة تستمرّ بين عشرين إلى خمسين سنة. لن يؤثّر إطلاقكم النّار عليه ولو استمرّيتم في ذلك عشرين سنة.

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيد الحاج علي محمّدي بور.

والسّبب هو الصلابة التي يتمتّع بها. لقد منحت مرحلة الدفاع المقدّس بسبب بُعدها الدفاعي وأثرها الرّدعي، صلابة ومصونيّة لبلدنا إيران حتى مئة عام القادمة. فإضافة إلى الأثر الدفاعي الذي منحته للبلاد، وقع حدثٌ أعظم بكثير وكان، إحياء قيم التشيّع السامية؛ إحياء هذه القيم منح مصونيّة للبلد. لقد كانت القيم الشيعيّة حاضرة في سائر أنحاء مجتمعنا؛ لكن حرب الأعوام الثمانية نشرت هذه القيم على نطاق واسع، وأقامت صفّاً دراسيّاً عظيماً على المستوى الوطني شارك فيه مئات الآلاف من مختلف الأعمار.[1]

يتّجهون بداية نحو ملكة النّحل

كنّا نختلف عن سائر الجيوش الكلاسيكيّة حول العالم في كلمة واحدة. إذا أردنا شرح نقطة اختلاف

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيد الحاج علي محمّدي بور.

همّت أو الحاج أحمد متوسّليان أو هؤلاء قادة الكتائب الشهداء هؤلاء بالمقارنة مع أيّ قائد كلاسيكيّ -بعيداً عن المواضيع الروحانيّة والشؤون الأخلاقيّة والسلوكيّة-، فإنّ الفرق يكمن في كلمة «تعال» و«اذهب»؛ أي أنّ قادتنا كانوا يقفون في الخطوط الأماميّة وينادون «تعال»، والقائد الكلاسيكيّ كان يقف في الخطوط الخلفيّة ويقول «اذهب»!

الفرق بين الوقوف في المقدّمة والخطوط الخلفيّة؛ لقد كانت آثار «تعال» تلك بالمقارنة مع «اذهب» هذه كبيرة للغاية وأدّت إلى تقديم تضحيات جسام. إذا دقّقتم، ستلاحظون أنّ عدد القادة الشهداء الذين قدّمناهم لا يُقارن مع أيّ حربٍ أخرى في العالم. لقد كنّا نملك ١٢ فيلقاً تأسيسيّاً وفي زمان الحرب أضيفت إليهم ثلاثة فيالق أخرى. من بين الفيالق التأسيسيّة الـ١٢ في زمان

الحرب، استشهد ٧ قادة فيالق. وفيما يتّصل بقادة الكتائب، استشهد ٧٥ إلى ٨٠ بالمئة مهم.

لولم يكن كسر الخطوط تلك، وذلك الوقوف في المقدّمة وكلمات «تعال» تلك، لما حدث ذلك أبداً. عندما كان قائدنا يقول «تعال»، كان الجميع يتبعونه كالنّحل. تماماً مثل تلك اللحظة التي يحاولون فيها الإمساك بالنّحل، لا يقومون بملاحقة كلّ نحلة على حدى، بل يمسكون بملكة النحل ويضعونها في وعاء، فيلحق بها مئات الآلاف من النّحل. هكذا كانت الحرب على مستوى الإدارة، وهذا كان السبب في كسر خطوط وصفوف العدوّ.[1]

لقد عاقبوا هذا التعبويّ

كانت الحرب تنطوي على معنى دينيّ بما تحمله

١- كلام الحاج قاسم في مؤتمر حملة رايات دوكوهه

الكلمة من معنى، وهذه الحقيقة الدينيّة برزت في سلوكيّات وأفعال المجاهدين وأساليب إدارتهم للحرب؛ وهذه السلوكيّات الدينيّة لم تكن تُنسى أيضاً عند التعامل مع العدوّ وحين مواجهته. يوماً ما ألقى طيّار عراقي بنفسه بواسطة المنطاد إلى منطقة قريبة منّا عندما كنا نخوض عمليّة «والفجر ٨» بعد أن سقطت طائرته التي أمطرت المنطقة. عندما هوى إلى الأرض عاقبه أحد التعبويّين وصفعه على خدّه. فبادر قائد ذلك الفيلق لمعاقبة هذا التعبوي بسبب هذه الصفعة التي صفعها لوجه هذا الأسير وحرمه في تلك اللحظة من مواصلة مشاركته في الحرب.

بعض المشاهد التي شاهدتموها على التلفاز أيضاً -وهي حقيقيّة- تعرض طيّارينا الذين ذهبوا لكي يقصفوا مواضع العدوّ، فرأوا على أحد الجسور شخصاً

يمشي، فصرفوا النظر عن قصف ذلك الجسر لأجل ذلك الشخص. لقد كان السّلوك الدينيّ حاكماً لكلّ شؤون الحرب؛ حتى عند اختيار القيادة. كان يتوجّب أن تكون واحدة من صفات قادتنا، صفة التديّن؛ لذلك فمن ميّزات مرحلة الدفاع المقدّس كان تغلّب الطابع الديني عليها وعلى كلّ شؤون الحرب.[1]

العمل العسكري قد يواجه طريقاً مسدوداً؛ لكنّ لا طريق مسدود أمام الجهاد

هناك فرقٌ كبير بين الجهاد وخوض الحرب كعملٍ عسكريّ؛ للجهاد ميزاته وبنيته؛ لذلك فإنّ الأعمال التي كانت تتمّ في الجبهة؛ كانت جهاداً، حتّى العسكريّة منها. الجهاد يفتح هذه الطرق المسدودة، قد تكون هناك طرقٌ مسدودة أمام العمل العسكريّ؛ لكن لا طريق مسدود أمام الجهاد. في العمل العسكريّ، لم يكن العقل

١- كلام الحاج قاسم في مؤتمر حملة رايات دوكوهه

العسكري يسمح لنا بالإقدام على القيام بعمليّات كـ«بيت المقدس»، «الفتح المبين»، «طريق القدس»، «والفجر ٨»، «كربلاء ٥» و... لقد كنّا نواجه العدوّ بإمكانات غير متكافئة وبدائية.

كنّا نطلب من غوّاصينا أن يدخلوا المياه، فذهبوا واخترقوا صفوف العدوّ. الغوّاص في العرف العسكري هو العنصر الخاصّ الذي يتلقّى التعليم والتدريب في الأنظمة العالميّة الخاصّة، فيصبح مؤهّلاً في البداية؛ ثمّ يُطلق عليه اسم الغوّاص ويتمرّن فيما بعد عشرات المرّات من أجل القيام بالمهمّة المنوطة به.

ونحن اليوم نشاهد هذا الأمر بوفرة في الكتب الدراسيّة العسكريّة؛ لكن عندما ننظر إلى غوّاصينا، نرى شخصيّات متعدّدة انطلاقاً من قباد شمس الديني الذي كان كهلاً وصولاً إلى فتية صغار السنّ كحسين عالي وحسن يزداني

وكثيرين آخرين.

أنظروا إلى الوجوه، شاهدوا فيديوهات عمليّة «والفجر ٨». أولئك الذين نفّذوا تلك العمليّة العسكريّة الصّعبة والمعقّدة، كان غالبيّتهم ممّن لم ينبت الشعرفي لحاهم، كانوا فتية. الشهيد حسن يزداني كان إمام جماعتنا، مرّة من المرّات شككنا بأن هل كان في تلك الأعوام الثلاثة التي أمّ فيها صلاتنا قد بلغ سنّ التكليف أم لا؟ هذا التعبوي تحوّل إلى غوّاص انطلق ونفّذ عمليّة «والفجر ٨» وسطّر تلك الحادثة العظيمة.

ما كان مهمّاً هو أساس هذه الشهامة والشجاعة والعمل الجهادي وهذه الروح الجهاديّة التي كانت تفتح الطرق المسدودة وتشقّها وتقاوم في سوح الجهاد حتّى الرّمق الأخير.[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء كرمان العاشر.

لم تكن الحرب متكافئة منذ البداية

إذا أردنا أن ندرك ونلمس احتراف وقوّة أبناء هذا الشعب في مرحلة الدفاع المقدّس بشكل جيّد، علينا أن نفتّش عن الظروف التي فُرضت فيها هذه الحرب علينا. في أيّ ظروف كنّا عندما اندلعت هذه الحرب وفي أيّ ظروف كان العدوّ وبأيّ جهوزيّة واستعداد وثقة شنّ هذه الحرب علينا. هذه مقدّمة وركيزة للدخول إلى قضيّة الدفاع المقدّس. إذا التفتنا إلى هذه النقطة سنستطيع فهم وإدراك احتراف وقدرات أبناء هذا الشعب وقيمة إنجازهم العظيمة.

لقد فُرضت الحرب علينا عندما كنّا في أسوء حال من الناحية العسكريّة. كنّا في أسوء الظروف في الداخل من الناحيتين السياسية والعسكريّة. كانت هذه الفترة من أسوء فتراتنا. بداية، كان مسؤولو النظام منشغلين

بترتيب أوضاع البلد الداخليّة ولم يكن البلد قد اكتسب حينها الاستقرار في الجوانب السياسيّة؛ كانت النزاعات الداخليّة لا تزال قائمة؛ والمنافقون أطلقوا حربهم المسلّحة ضدّ بلدنا؛ إضافة إلى تآمر اليساريّين، حزب توده والشيوعيّين في البلد بشكل موسّع والذي ترك حينها أثره في شبابنا؛ وفي كردستان كانت الجماعات الانقلابيّة والانفصاليّة المعادية للثورة الإسلاميّة ناشطة؛ وجيشنا كان يعيش حالة من الفوضى بعد الثورة الإسلاميّة والعديد من الأحداث الأخرى التي تذكرونها. لقد كنّا في ذروة الفوضى خلال الفترة الأولى بعد انتصار الثورة الإسلاميّة عندما اندلعت الحرب. لعلّ إحدى أكثر ممارسات صدّام وحماته والمخططين للحرب فقداناً للمروءة، تمثّلت في التوقيت الذي اختاروه لشنّ الحرب. نفس الزمان والتوقيت، ترك أثراً كبيراً وقاسياً على انتصار وانهزام

أحـد أطراف النزاع. قد تهجمـوا على أحدهم عندما يكون نائماً وغير مسـتعدّ للدفاع، وفـي حالة أخرى قد تهاجمونه عندما يكون مستعدّاً. لم يكن يُصدّق أن يقوم بلد عربي- إسـلامي بشـنّ هجـوم بكامـل إمكاناتـه علـى ثـورة حديثة التأسيس دون وجود أيّ سبب مقنع وبحجج واهية.[1]

لم تكن لدى الحرس الثوري أيّ معرفة بالحرب وهيكليّتها!

لـم يكن الحـرس الثوري مسـتعدّاً لمثل هـذا الأمر على الإطلاق. لا تنظروا إلى ما هو عليه حال فيلق ثار الله اليوم. لقد تشـكّلت هـذه المجموعة بعد فتـرة الدفاع المقدّس. في بدايات تأسـيس الحرس الثوري، كان الحرس الثوري كلّـه مؤلّفـاً مـن مئـة وبضعـة أشـخاص. كان عبـارة عـن مجموعة حديثة التأسـيس تقوم بخطـوات أمنيّة. لم نكن مسـتعدّين للحرب. لم يكن حرس الثورة الإسلاميّة يعرف

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء أدوات التابعين لفيلق ٤١ ثار الله.

شـيئاً عن أدوات الحرب ولا عن هيكليّة وتنظيم الحرب؛ هذا ما كان عليه حالنا مع بدايات الحرب.[1]

إمكانات العراق هذه كانت ورائها الدّول العربيّة

انظـروا إلـى ذلـك المقلب مـن المشـهد! انظـروا في أيّ أوضـاع كان العـدوّ. هنـاك وثائق تثبـت أنّ العـدوّ كان قد بـدأ بالتخطيط للهجـوم على إيران منذ العام ١٩٨٠. وأكثر عامين شـهدا مبيعـات للنّفط العراقي همـا ١٩٨٠ و١٩٨١. المرحلـة الوحيـدة التـي نجح فيها العراق فـي بيع مليوني برميـل نفط يوميّاً كانت تلك المرحلة.[2] وأمّن عبر الأموال الإضافية الناتجة عن بيع النفط احتياطيّاً كبيراً من النقد

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء أدوات التابعين لفيلق ٤١ ثار الله.

٢- فـي بدايـات نشـوب الحـرب ضـدّ إيـران، كان العـراق يعيـش أوضاعـاً اقتصاديّـة جيّـدة؛ وقد كان بلداً ثريّـاً وكانت عائدات النفـط الكبيرة كافية لتدويـر عجـلات الاقتصـاد وتوفيـر رفاهيـة النـاس. كان احتياطـي النقـد الأجنبي لذلك البلد يبلغ في تلك الفترة أكثر من ٣٠ مليار دولار. (موسوعة الحرب بين إيران والعراق)

الأجنبي وما يحتاجه من المال في الحرب، واشترى طوال قرابة العام كلّ الإمكانات التي يحتاجها من العالم، وحاول تعويض عدم كفاءة جيش النظام البعثي مقابل جيش إيران قبل الثورة الإسلاميّة بسرعة. طبعاً استمرّ هذا الأمر بعد مرحلة الدفاع المقدّس.

بلغ الأمر نقطة أصبح فيها حجم جيش النظام البعثي أكبر من أرض العراق. وحجم الجيش الكبير هذا، كان سبب الخطأ الاستراتيجيّ الذي ارتكبه صدّام في هجومه على الكويت.

إضافة إلى احتياطي النّقد الأجنبي في العراق نفسه، تحوّلت سائر الجهات الأجنبيّة، والغربيّون بشكل خاصّ وبعض الدول العربيّة المهمّة إلى صندوق تمويلي للحرب ضدّنا. ونسبة الأموال التي قدّمتها السعوديّة، الإمارات والكويت طوال فترة الحرب لصدّام -مساعدات

دون مقابل- كانت تساوي لوحدها ضعفين ونصف كلّ ميزانيّتنا التي أنفقناها على الحرب. دقّقوا، هذه الأموال كانت غير الأموال التي أنفقها صدّام نفسه على الحرب. هذه المساعدات الماليّة كانت غير المساعدات غير المباشرة التي تمّ تقديمها للنظام البعثي. كان صدّام يشتري بهذه الأموال الأسلحة بمنتهى السهولة. وسبب امتلاك العراق لكامل الإمكانات كانت الدول العربيّة التي وفّرت له كلّ ما يحتاجه.[1] لو لم نلتفت إلى هذه الأمور لم

١- إحدى الأسباب التي شجّعت الدول العربيّة على مهاجمة إيران، كانت الأوهام التي شغلتهم وخوفهم من انتقال تجربة ثوريّة شبيهة بثورة إيران إلى دولهم؛ لذلك فإنّ هذه الدول بادرت عبر تجهيزها للعراق إلى مواجهة ثورة إيران الحديثة ومحاولة منع انتقالها إلى دول المنطقة.

أموال العرب في المنطقة ودعم الشّرق والغرب

يورد مركز وثائق الثورة الإسلاميّة في إحدى التقارير شرحاً لمستوى الدعم المالي والتسليحي الذي قدّمته الدول العربيّة: طوال سنين الحرب، أطلقت الدول العربيّة على صدّام ألقاباً عديدة مثل «قائد وفاتح القادسيّة»، «مفخرة العرب» و«صلاح الدين الأيوبي في هذا العصر» وقدّمت لصدّام ونظامه مليارات الدولارات دون مقابل. يصرّح أحد قادة الحرب في هذا

الشأن: «لقد تلاشت الآلة العسكريّة العراقية فعلاً في العديد من العمليّات مثل خيبر، والفجر ٨ وكربلاء ٥؛ لكن لم يكن الأمر يطول أكثر من أشهر قليلة حتّى يعود صدّام بعد كلّ عمليّة بإمكانات أكثر وأحدث. لم يكن هذا الأمر ليتمّ لولا وجود أموال العرب في المنطقة ودعم الغرب والشّرق».

لذلك يمكن القول بوضوح أنّ الدول العربيّة مع امتلاكها للذخائر النفطية الهائلة، كانت الداعم للعراق. وصدّام حسين نفسه أقرّ بعد اعتقاله في تحقيق جرى معه في شباط من العام ٢٠٠٤ أنّ العديد من الدول العربيّة ساندت العراق طوال الحرب من الناحية الماليّة.

مشاركة أربعين ألف جنديّ أردني في الحرب ضدّ إيران

كان الأردن الداعم الأساسيّ للعراق في البداية. الأردن الذي لم تكن تربطه علاقات حسنة بإيران بعد انتصار الثورة الإسلاميّة، أقام علاقات وديّة وقريبة جدّاً من العراق. بعد مؤتمر جامعة الدول العربية في بغداد وتونس، تقاربت العلاقات بين الأردن والعراق أكثر فأكثر بشكل يومي وتعمّقت لدرجة أنّ الملك حسين اتّخذ موقفاً صريحاً لصالح العراق وضدّ إيران ودعم العراق بشكل صريح عبر المساندات السياسيّة، الاقتصاديّة والعسكريّة الكثيرة ومن بينها منح قروض بملايين الدولارات للعراق.

تنقل صحيفة «الغارديان» التي تطبع في بريطانيا عن مصادر فلسطينيّة في بيروت عام ١٩٨١: «أوفد الملك حسين، ملك الأردن حوالي الخمسة آلاف من قواته إلى العراق لكي يتكفّلوا بالمسؤوليات الأمنيّة المحليّة بحيث يتمكّن الجنود العراقيّون من المشاركة في جبهات الحرب مع إيران بحريّة». تشير هذه الجريدة أيضاً إلى أنّ الملك حسين كان أوّل ملك عربيّ هبّ لدعم ومساندة العراق في الحرب بين إيران والعراق بحيث أنّ عدداً من المتطوّعين الأردنيّين في الجيش العراقي اعتقلوا في

عمليّة بيت المقدس على يد مجاهدي الإسلام. إضافة إلى ذلك، كان الملك حسين يلتقي صدّام بشكل مستمرّ ويعلن عن دعمه له، ويحمل إليه رسائل أمريكا إلى بغداد. وقد تمّ تخصيص المرفأ الخلفي لهذا البلد المطلّ على البحر الأحمر لأجل إرسال مساعدات الغرب التسليحيّة إلى العراق، وتدفّقت عبره المساعدات للنظام البعثي. كما أنّ ٤٠ ألف جنديّ أردنيّ مسلّح تموضعوا بأمر من الملك حسين على الحدود بين الأردن والعراق لكي ينطلقوا باتجاه جبهات القتال ضدّ إيران.

طوال حرب الأعوام الثمانية بين إيران والعراق، كان نظام النقل الوحيد إلى العراق يمرّ عبر الأردن. وضمن هذا الإطار نشأت شبكة حمل ونقل ضخمة بين البلدين. وإضافة إلى إرسال الملك حسين الجنود الأردنيّين إلى العراق من أجل قمع الشعب الإيراني المسلم، أعلن في إحدى تصريحاته قائلاً: «سوف نرسل المزيد من القوات إلى العراق إذا استدعت الحاجة ذلك».

لا شكّ في أنّ الاكتفاء بالاهتمام بتصريحات الملك حسين في جلسة مجلس الوزراء الأردني العادية عام في آذار من العام ١٩٨١ كفيلٌ بإظهار موقف ذلك البلد من الحرب الدائرة بين إيران والعراق: «مسؤولية العرب هي التعاون من أجل وحدتهم واجتناب تسلّل الأخطار من أيّ مكان كان، نحمل على عاتقنا مسؤولية الحفاظ على استقرار وتلاحم العالم الإسلاميّ؛ ونحن بصفتنا دولة عربيّة علينا أن لا نسمح بأيّ اعتداء مهما كان مصدره على أيّ جزء من الأراضي العراقيّة.»

تقديم الكويت ٣٠ مليار دولار للعراق

إضافة إلى الأردن، كانت الكويت أيضاً تُعدّ من الداعمين العرب لصدّام حسين. وهذا البلد لم يكتفِ بوضع أرضه وقواعده الجويّة بمتناول

العـراق، بـل منح العراق قرضـاً يبلغ ١٤ مليار دولار إضافـة إلى النّفط الذي كانت الكويت تصدّره إلى العراق. وقد صرّح «الشـيخ صباح»، أحد سفراء الكويـت فـي أمريكا حـول مقدار هذه المسـاعدات: «لقـد أنفقت الكويت ١٤ مليـار دولار كمسـاعدة ماليّة وأكثر من ١٦ مليار دولار عبر المسـاعدات الخدماتيّة وغيرها للآلة العسكريّة العراقيّة.»

السعوديّة، أكبر الداعمين العرب للعراق في فترة الحرب

إضافـة إلى هذيـن البلدين، قدّمت الإمارات العربيّـة المتحدة مليار دولار وقطـر مبلغ خمسـمائة مليون دولار حتى أواخر العـام ١٩٨١ للعراق. كما أنّ الكويت والسـعوديّة اتفقتا منذ العام ١٩٨٢ بأن يتمّ إيداع عائدات ٣٠٠ إلى ٣٥٠ ألف برميل نفط في حسابات العراق بشكل يومي.

والداعـم الآخـر لصـدّام فـي المنطقة، أي السـعوديّة التي كانـت قد أقامت علاقـات خاصّـة فـي هـذه الفترة مـع أمريكا، بـادرت إلى التقليل من سـعر النفـط وبذلـك قلّصـت مصـدر الدعـم المالـي الوحيـد لإيران إلـى أقصى الحدود. إضافة إلى ذلك كان المسـؤولون السـعوديّون يشـدّدون باسـتمرار علـى علاقتهـم بصـدّام ويشـجّعونه ويرفعـون مـن معنويّاتـه. علـى سـبيل المثـال، أعلـن الملك السـعودي حينها، الملك خالد، فـي اتصال هاتفي مـع صـدّام بتاريخ ٢٥ أيلول عام ١٩٨٠ عن دعم بلاده للعراق. وعليه يمكن اعتبـار السـعوديّة أهـمّ داعـمٍ عربي للعـراق خلال فتـرة الحـرب بحيث أنّ مجمـوع الدعـم المالي الـذي قدّمته بلغ الثلاثين مليـار دولار من أصل ٧٠ مليار دولار قدّمتها بلدان الخليج الفارسي للعراق.

دعم مصر، السودان وليبيا للعراق

ينبغـي أيضاً وضع مصر ضمـن البلدان الداعمة لصدّام. بعد انتصار الثورة الإسـلاميّة فـي إيـران، أعلنـت مصـر بإيوائهـا لمحمّد رضـا بهلـوي ووقوفها

نكـن سنسـتطيع إدراك عمـق وعظمة هذا الإنجاز بشـكل جيّد. حسـناً، لاحظوا أوضاع البلدين: أحد الطرفين ليس

ضدّ الثورة الإسـلاميّة في إيران. وبعد أنور السـادات، أكمل حسـني مبارك سياسـة الدعـم للعـراق فـي حربهـا ضـدّ إيـران. طـوال العقـد الثامـن أنفق الرّئيس المصري «حسني مبارك» ما يعادل ٣,٥ مليار دولار على الصواريخ والأسلحة التي أرسلها إلى صدّام.

والسـودان أيضـاً أرسـل فـي كانـون الثانـي مـن العـام ١٩٨٣ مئـات الجنود مـن جيشـه إلـى الجبهـات ضـدّ إيـران. كمـا أنّ الرّئيـس السـوداني «جعفر النميـري» أصدر أمراً بافتتاح مكاتب في الخرطوم وسـائر المدن لتسـجيل أسـماء المتطوّعين للقتـال في جبهات الحرب ضدّ إيـران. وقد أقرّ «جعفر النّميـري» فـي حـوار مع مجلّـة «اليوسـف» الصادرة فـي القاهرة أنّ إرسـال القوات إلى العراق تمّ بناء على قرارات مؤتمر جامعة الدول العربيّة.

وليبيـا أيضـاً رغـم أنّها أعلنت في بدايـة الحرب عن دعمها لإيـران، إلا أنّها غيّرت بعد فترة موقفها، وانضمّت إلى حلفاء النظام البعثي. لكنّ حكومة اليمن في ذلك الوقت قدّمت نفسها منذ البداية كحليفة للعراق. ويصرّح المسـؤول السـابق لملف إيران في اسـتخبارات العراق «وفيق السـامرايي» في هذا الشأن: «كانت اليمن قد أرسلت «كتيبة مشاة العروبة» إلى العراق. والأردن أيضـاً أرسـلت قـوات «اليرمـوك» إلـى العراق وأرسـل السـودان أيضاً عـدداً مـن المتطوّعيـن الذيـن قاتلوا فـي الجبهة الشـرقيّة لنهر ميسـان في الخطوط الأماميّة.»

إضافة إلى البلدان التي سلف ذكرها يمكن الإشارة إلى بلدان كالبحرين، عمان، المغرب، الجزائر والصومال ضمن لائحة داعمي صدّام.

مستعداً ويشهد نزاعات واضطرابات داخليّة نشأت بعد الثورة الإسلاميّة والطرف الآخر بذل أقصى جهوده طوال عام ونصف العام لكي يستفيد من الدول الداعمة له في سبيل التجهيز وشنّ الهجوم. شنّ العدوّ هجومه علينا لسببين، ووصل إلى مشارف كبرى مدننا بسرعة. لم يمزحوا حين قالوا أنّ الجنديّ البعثي حينها عبر نهر كرخة وسأل كم تبقّى حتى الوصول إلى طهران؟ لأنّه كان قد قطع مسافة عدّة ساعات بدبّابته دون أيّ تصدٍّ ومواجهة وقد وصل إلى مشارف الأهواز، لم يكن يدرك مساحة إيران الكبيرة! بعض هؤلاء الإخوة العراقيّين جاؤوا إلى إيران بعد سقوط نظام صدّام وقطعوا المسير من مهران إلى طهران، فكانوا يستغربون من وسعة الأراضي الإيرانيّة ويقولون، يا للعجب! إيران قارّة في حدّ نفسها.[1]

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء أدوات التابعين لفيلق ٤١ ثار الله.

كانت نيران العدوّ منظّمة وأشبه بنغمة موسيقيّة منظّمة

لـم يكـن انعـدام الكفـاءة بيننـا وبيـن العـدوّ المعتدي قابـلاً للوصـف. فلـم يكن حجـم الإمكانات التـي نملكها قابـلاً للمقارنـة مع ما يملكـه العدوّ. بقدر ما كنّا نرسـل من المجاهديـن، كان هـو يأتـي بالدبابـات بمـا يتسـاوى مـع عدد أفرادنا. في عمليّة «كربلاء ٥» كنّا نرى على مدّ أعيننا دبّابـات بدل الجنود! كان هناك عـدد هائل من الدبابات وناقـلات الجُنـد. أو عندمـا كانت نيران العـدوّ تنهمر فوق رؤوسـنا، لـم يكـن صوتهـا يختلـف عـن صـوت موسـيقى فـرق الأوركسـترا المنظّمة. كانت النيران تتسـاقط بانتظام وغـزارة. لـم يكن هناك مترٌ واحد مـن الأرض لا يُرى فيه أثرٌ للقذائـف؛ فكلّ الأراضي كانـت مثقوبة بالقذائف، كانت مثقوبـة وكانـت بعض الأماكن تسـقط فيهـا القذيفة مكان

القذيفة السابقة. لقد كان حجم إمكانات العدوّ مذهلاً.[1]

دمجوا بين قوات الـ٤٥ يوماً وقوات الأشهر الثلاث

لقد كان عدم التكافؤ مشهوداً في تعبئة القوات البشريّة أيضاً. فالطرف العراقي كان قد جاء بجنود ممّن لديهم خبرات ٨ إلى ١٠ أعوام -أي أنّهم كانوا جنوداً قبل الحرب وكانوا من المحاربين القدامى وفي واقع الأمر كانوا من القوّات المتخصّصة-؛ بينما كانت قوّاتنا في أغلب الأحيان من ذوي خبرة الـ٤٥ يوماً والثلاثة أشهر. كلّ القوات التي كانت تأتي وتنضمّ إلى الكتائب والوحدات، وتستعدّ للمشاركة في ليلة العمليّة، كانت في أغلب الأحيان قوّات ذات خبرة ٣ أشهر، وفي بعض الأحيان كانوا يقومون في بعض المحافظات بدمج قوات الـ٤٥ يوماً مع قوّات الـ٣ أشهر لكي يستطيعوا حشد عدد أكبر من

١- كلام الحاج قاسم في مؤتمر حملة رايات دوكوهه

القوات، وهذا الأمر لوحده كان يشكّل مشكلة. لعلّ عدد سكّان العراق في زمن الحرب كان يبلغ الـ٢٠ أو ٢٢ مليوناً، وكان عدد سكّاننا في نفس تلك الفترة حوالي الـ٣٥ مليون نسمة؛ لكنّ نسبة التعبئة التي قام بها العدو، كانت أكثر منا بضعف ونصف. كان يُجبر شعبه على المشاركة في الحرب ويُبقيهم فيها. وكان الجنديّ الجديد بيننا يشكّل لوحده كتيبة وكان الشاب بعمر ١٨ أو ١٩ يشكّل كتيبة ويقودها. قائد كتيبتنا لم يكن فقط قائد الكتيبة؛ بل كان هو أيضاً مؤسسها ومن ثمّ استلم مسؤولية التعبئة وحشد القوات والمحافظة على قواته.[1]

الموازنة التي تلاشت في مرحلة الدفاع المقدّس

بقيت هذه الحرب بعيدة عن المروءة وغير متكافئة حتّى النهاية. وانعدام المروءة هذا تجسّد في الهيمنة

١- كلام الحاج قاسم في مؤتمر حملة رايات دوكوهه

والهجمة الدوليّة الواسعة. عندما يكون أحد البلدان تابعاً لهيكليّة وتجهيزات بلدٍ آخر، يكون من المستبعد والنادر أن يرضى بلدٌ آخر بمنحه التجهيزات والإمكانات. عادة ما تكون هيكليّات وجيوش بلدان العالم شرقيّة أو غربيّة. والجيش الوحيد في العالم الذي حافظ على بقاء هيكليّته ومؤسساته داخليّة وبقيت إمكاناته وتجهيزاته محليّة، هو جيش الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. عدا عن الدول العظمى التي تنتج التجهيزات العسكريّة بنفسها -مثل أمريكا وروسيا- فإنّ سائر بلدان العالم تتبع أحد هذين النظامين. وقد قبلوا أصول وقواعد أحد هذين النظامين. موازنة الدفاع المقدّس تلاشت بسبب عدائهم لنا؛ أي أنّ كلّ الخطوط الحُمر التي كانت موضوعة من قبل الدول العظمى والمنتجة للأسلحة وكانوا ملتزمين بها بشكل مستمرّ، أزيلت في حرب النظام البعثي ضدّ إيران؛

لذلك كنّا نرى بشكل متزامن، وصول التجهيزات الروسيّة الشاملة للجيش العراقي وأيضاً التجهيزات الفرنسيّة والألمانيّة وتجهيزات الأمريكيّين! كلّها كانت مجتمعة في جيش النظام البعثيّ.[1]

١- أكثر حدث غريب وقع في القرن الحاليّ تمثّل في مؤازرة الشرق والغرب للنظام البعثي في حربه ضدّ إيران. مع بدء هجوم النظام البعثي على إيران، وقفت أمريكا والاتحاد السوفيتي اللذين كانا في حالة حرب باردة إلى جانب صدّام. وقام الاتحاد السوفيتي كأمريكا بمنح أنواع المساعدات التسليحيّة، العسكريّة والماليّة. ومع بدء الحرب، كان صدّام مدعوماً من أكثر من ٨٠ دولة حول العالم بشكل رسمي وغير رسمي، بينما كانت الجمهورية الإسلاميّة في إيران محرومة من شراء الأسلاك الشائكة أيضاً، والتي لم تكن تُحتسب سلاحاً.

ينبغي معاقبة إيران بكلّ الأشكال

كانت أمريكا الداعم الأصلي لصدام في حربه ضدّ إيران، وكانت تسعى لتحقيق هدفين: كان هدف أمريكا قصير الأمد، تحرير رهائنها بعد هجومها الفاشل على صحراء طبس والانقلاب العسكري «نوژه»، والهدف الآخر لأمريكا تمثّل في قمع الثورة الإسلاميّة واجتناب صدورها إلى سائر الأماكن في المنطقة والعالم. يعتبر المستشار الأمني لكارتر، برجنسكي أنّ شنّ حرب إقليميّة على إيران مثّل حلاًّ مناسباً لاجتناب صدور الثورة الإسلاميّة وصرّح قائلاً: «على أمريكا أن تهتمّ بتقوية الحكومات القادرة على إطلاق عمليّات عسكريّة ضدّ إيران من أجل التصدّي للثورة في

إيران.» لذلك قام برجنسكي في لقاء سرّي مع صدّام بزرع هذه الثقة لديه بأنّ أمريكا تساند العراق بكامل وجودها.

يصرّح عضو مجلس الأمن القومي في الحكومة الأمريكيّة في زمن الرئيس كارتر «غري سيك»: بعد حادثة اعتقال الرهائن في طهران، كان الاعتقاد السائد في أمريكا وبشكل خاصّ لدى شخص برجنسكي (مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي) أنّه من الضروري معاقبة إيران بشكل موسّع وشامل. وقد كانت البيانات العامّة التي كان يصدرها، تؤكّد على هذا المضمون بأنّ أمريكا لا تمانع تحرّكات العراق ضدّ إيران.

مساعدات أمريكا للعراق طوال حرب الأعوام الثمانية

إضافة إلى هذا الأمر، تتوفّر وثائق عديدة تكشف الدعم الاستخباري لحكومة دونالد ريغان للنظام البعثي. فبعد ٨ أيام فقط من انطلاق هجوم صدّام ضدّ الأراضي الإيرانيّة، تمّ تسليم الحكومة السعوديّة ٥ طائرات آواكس للاستطلاع تعود للقوات الجوية الأمريكية من أجل إجراء طلعات جوية استطلاعية فوق الأجواء الإيرانيّة وتقديم المعلومات لجيش النظام البعثي. وضمن هذا الإطار سلّمت منظمة السي آي أي منذ بدء الحرب نظام البعث العراقي صوراً جويّة وفضائيّة لنقاط تموضع القوات العسكريّة وآبار النفط الإيرانيّة.

شكّل التجهيز العسكريّ جانباً واحداً فقط من جوانب دعم أمريكا لصدّام طوال الحرب. إضافة إلى ذلك منحت حكومة الولايات المتّحدة الأمريكيّة العراق ٨٤٠ مليون دولار من أجل استيراد المواد الغذائيّة لكي لا يؤدّي استمرار الحرب إلى اتخاذ الرأي العام الداخلي موقفاً رافضاً لها. كما منحت أمريكا العراق قرضاً بقيمة مليار دولار من أجل شراء الأسلحة واستخدام التقنيات الحديثة.

من الخطوات التي تمّت أيضاً كانت إزالة العراق من لائحة الدول الداعمة للإرهاب، وهذا ساهم في تقديم الدّعم التسليحي للعراق. إضافة إلى ذلك، شجّعت أمريكا السعوديّة على تخفيض سعر النفط، فحرمت بذلك إيران من أهمّ مواردها الماليّة.

طوال الحرب، تلقّى صدّام أكثر من ٦٠ مليار دولار من الأنظمة الغربيّة، وأمّن بذلك حاجة اقتصاده الماليّ المرتهن. وقامت أمريكا إضافة إلى تجهيز العراق، ببذل محاولات لإدانة إيران في مجلس الأمن الدولي ومنع انعكاس تصريحات المسؤولين الإيرانيّين المحقّة إلى سائر الدول والمؤسسات الدوليّة. أدّى دعم الدول الغربيّة وعلى رأسهم أمريكا لصدّام إلى التهاب نيران الحرب واشتعالها أكثر فأكثر.

دعم أوروبا التسليحي للعراق وتقديم المواد الكيميائيّة

تكشف إحصائيات التجهيزات والدعم لصدام في الحرب عدم التكافؤ بين الطرفين بمنتهى الوضوح. على سبيل المثال عند استعادة «الفاو» في نيسان من العام ١٩٨٨ كان الجيش العراقي يملك حوالي الـ٥ آلاف دبابة، ٤٥٠٠ ناقلة جند مدرّعة، ٥٥٠٠ مدفعيّة، ٤٢٠ طائرة مروحيّة و٧٢٠ مقاتلة حربية وقاذفة صواريخ.

هذا الكمّ الكبير من الأنظمة التسليحيّة، أضيف إليه ٣٠٠ صاروخ سكود بي أرض-أرض من إنتاج الاتحاد السوفيتي والتي تمّ تحديثها بواسطة الألمان، إضافة إلى مقادير كبيرة من الأسلحة الكيميائيّة المصدّرة من أمريكا وأوروبا. استطاعت الحكومة في بغداد بامتلاكها هذا الكمّ الكبير من الأسلحة الحديثة المتعارف عليها وغير المتعارف عليها، تطوير قدرات قوات جيشها البريّة والارتقاء بعدد فيالقها من ٢٧ فيلق عام ١٩٨٦ إلى ٥٠ فيلق عام ١٩٨٩.

إضافة إلى ذلك، مدّت أمريكا، البرازيل، بريطانيا والأرجنتين التي كانت متطوّرة من الناحية التسليحيّة العراق بمختلف أنواع الأسلحة. وبادرت إيطاليا إلى إرسال صواريخ ضدّ دروع متطوّرة وساعدت العراق في تصنيع مدفعيّات بعيدة المدى كما دعمت سائر الأقسام في جيش النظام البعثي. وفرنسا أيضاً رغم أنّها أعلنت الحياد في البداية، إلا أنّ الإحصائيات المتوفرة تدلّ على أنّ هذا البلد دعم النظام في بغداد بقرابة الـ٤,٧ مليار دولار. كما تمّ تزويد صدّام بطائرات سوبر اتاندارد والصواريخ الليزريّة التي كانت تمثّل آخر إنجازات فرنسا في الصناعة العسكريّة. ودارت نقاشات في الحكومة الفرنسية حول إمكانيّة دعم حصول العراق على سلاح نووي في الحرب بشكل محدود، وهذا كان دليلاً آخر على دعم فرنسا لصدام. وكان الألمان أيضاً من الدول التي أرسلت المواد الكيميائية لصدام بحيث استطاع النظام البعثي تصنيع ٦٠٠٠ طن من القنابل الكيميائية التي استهدفت إيران.

مساعدات الاتحاد السوفيتي للعراق طوال فترة الحرب

دعم الاتحاد السوفيتي النظام البعثي عبر إرسال أحدث الطائرات الحربيّة، المروحيّات، الدبابات وسائر الأسلحة. إضافة إلى ذلك سافر قادة جيش الاتحاد السوفيتي إلى بغداد وقدّموا التدريبات اللازمة لجيش النظام البعثي. كانت نسبة ٨٥٪ من الأسلحة والتجهيزات المستخدمة في الحرب ضدّ إيران من صناعة الاتحاد السوفيتي. أكثر من ٤٠٠ دبابة تي ٥٥، ٣٠٠ صاروخ أرض-أرض سكود بي، ألف دبابة تي ٦٢، أكثر من ٥٠٠ دبابة تي ٧٢ المتطوّرة وقرابة الـ٢٠٠ طائرة ميغ، شكّلت جزءً من مساعدات الاتحاد السوفيتيّ للنظام البعثي في العراق.

إلى جانب كلّ هذا الدعم العسكريّ المباشر، استطاعت الحكومة

لقد كنّا في موضع الدفاع ولم نكن في موضع الهجوم؛ كنّا ندافع عن أرضنا؛ لقد تمّت مباغتتنا؛ لقد هاجمونا

العراقيّة دعوة خبراء الاتحاد السوفيتيّ في المجال الصاروخي من أجل تطوير برنامجها الصاروخي الباليستي. ولم يؤدّ تواجد هؤلاء الخبراء إلى صناعة الصواريخ الباليستيّة، لكنّه شكّل دليلاً واضحاً على دعم الاتحاد السوفيتي الشامل للنظام البعثي. طبعاً، إضافة إلى فهرس الدعم الذي سلف ذكره، ينبغي أيضاً أن تتمّ الإشارة إلى دول كسويسرا، السويد، النمسا، يوغوسلافيا، الصين، رومانيا، إيطاليا وسنغافورة و... وإضافتهم إلى لائحة داعمي النظام البعثي.

بريطانيا وأمريكا كانت لهما اليد الطولى في تجهيز صدّام

تجدر الإشارة أيضاً إلى أنّ دعم الغرب والشرق لصدّام لم يقتصر على مرحلة الحرب بين إيران والعراق، بل استمرّ بعد انتهاء الحرب أيضاً. فقد اكتسب العراق لقب شرطيّ المنطقة بعد انتهاء الحرب، أي نفس اللقب الذي كان يملكه الشاه محمّد رضا بهلوي قبل انتصار الثورة الإسلاميّة.

وضمن هذا الإطار، وكما ذُكر سابقاً، كشفت الوثائق الموثوقة أنّ بريطانيا وأمريكا كانت لهما اليد الطولى في تجهيز صدام بعد الحرب بين إيران والعراق. يصرّح مستشار وزير الدفاع البريطاني «هيتي» في هذا الشأن: «لقد بذلنا قصارى جهودنا من أجل الإبقاء على العلاقات الحميمة مع العراق. طوال حرب الأعوام الثمانية التي شنّها صدام ضدّ النظام في طهران، تدرّب بشكل سنوي ما يقارب الـ٤٠ طيّار عسكريّ عراقي في قاعدة الملكيّة البريطانيّة الجويّة، وكانت تشرف على هذه الدورات شركات مختصّة كشرطة C.S.I للطائرات.»

بخُبث ودون أن نكون مقصّرين في أيّ مجال؛ كانوا في ذروة استعدادهم؛ وكنّا نحن وحيدين وكان العالم كلّه إلى جانبهم. أودّ أن أقول بأنّه عندما يكون أيّ بلد، وحكومة، وشعب، وقيادة أو أيّ إنسان مرتبطاً بالله عزّوجل، فإنّ الله يكفيه. لقد كانت مرحلة الدفاع المقدّس مليئة بالدروس الدينيّة من بدايتها حتى نهايتها، ولعلّها أفضل مظاهر معرفة الدين العمليّة.[1]

في أيّ نقطة من نقاط المواجهة استشهد قادتنا؟

من ضمن ما ميّز قادتنا الشهداء كان ما رسّخوه في الحرب بخرقهم للعادات في المجال الإداري للحرب. يصرّح العلم العسكريّ في التدريبات العسكريّة، بأنّ القائد يجب أن يكون بعيداً عن الخطر مسافة يُعتنى بها لكي يتمكّن من السيطرة على الأحداث. لعلّ هذه

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء أدوات التابعين لفيلق ٤١ ثار الله.

القضيّـة تنطوي على مبـرّر علميّ من الناحية العسـكريّة؛ لكن وبسـبب عدم التكافؤ الذي شـهدته سـاحة الحرب، كانت الحرب مختلفة عن أيّ حربٍ كلاسيكيّة، وقد كسر قادتنا كلّ القواعد والأعراف وتخلّوا عن كلّ هذه المبرّرات العلميّة والعسكريّة. الفرق بين القائد في حربنا والقائد في الحرب الكلاسيكيّة كان في كلمتين، «تعال» و«اذهب».

أي أنّه من الممكن أن يوجّه أحد القادة أمراً إلى القوات الخاضعـة لأوامـره بـأن «اذهبـوا» أو يتوجّـه هـو بنفسـه إلى الخطـوط الأماميّـة للحـرب ويقـول لقواته «تعالـوا». كم هو مـدى الفارق الجوهري بين هاتيـن الحالتين؟ كان قادتنا فـي مرحلـة الدفـاع المقـدّس يقفـون علـى القمّـة ويقولون لقواتهـم «تعالـوا». لاحظوا كيـف وأين استشـهد قادتنا في مرحلة الدفاع المقدس. كيف استشـهد الشـهيد باكري، الشـهيد همّت، الشهيد زين الدّين، الشهيد حسن باقري

و..؟ هـل استشـهدوا وهم في مقدّمة الهجـوم أم في مكان يبعد مسافات عن الهجوم؟ لقد استشهد قادتنا تماماً في نقطة المواجهة.[1]

يجب أن لا نغفل عن آباء وأمّهات الشهداء

يمكن ملاحظـة دور القيادة في مرحلة الدفاع المقدّس ضمـن مسـتويات ثلاثـة؛ المسـتوى الأوّل تمثّل فـي قيادة الإمام الخمينيّ قدس سره الخاصّة الذي حوّل المجتمع بأنفاسه القدسيّة.

المسـتوى الثانـي للقيـادة تجلّى ضمن مسـتوى مدراء وقادة الحرب؛ أعني القيادة والإدارة الاسـتثنائيّة لشـهداء مثل حسن باقري، باكري، خرازي و...

المسـتوى الثالـث للقيـادة تجلّـى فـي القيـادة داخـل

١- كلمة الحاج قاسـم سـليماني في مؤتمر تكريم الشهيد زين الدين وقادة قم الشهداء.

المجتمع؛ إن كان من قبل علماء البلاد أو العوائل وبشكل خاصّ آباء وأمّهات الشهداء؛ علماء من أمثال الشهيد صدوقي، الشهيد دستغيب والشهيد مدني الذين أحدثوا تحوّلات كبرى بين الناس.

عندما رضخ إبراهيم عليه السلام لأمر الله له بذبح إسماعيل؛ لم يكن ممكناً أن يكون هناك إسماعيل لولا وجود إبراهيم. والإمام الحسين عليه السلام كان سبباً في استشهاد عليّ الأكبر عليه السلام. لقد كان آباء وأمّهات الشهداء ذوي الفضل في تربية مثل هذه الجواهر. في بعض الأحيان نوجّه اهتمامنا للشهداء أنفسهم؛ وقلّما أن نلتفت إلى عوائل هؤلاء الشهداء. وفي مجتمعنا الحالي يسارع الجميع لشراء زرّ معطف عديم القيمة للملك القاجاري الفلاني؛ لكنّ هؤلاء هم آباء وأمّهات أو أبناء الشهداء الذين يملكون خلايا هذا الشهيد في وجودهم. علينا أن لا نغفل

عن هؤلاء العوائل.[1]

لم أكن أتوقّع أن تستمرّ الحرب ٨ أعوام

في الأيّام الأولى لانضمامي إلى الجبهات، كنت أعتبر أنّ العدوّ قادرٌ على فعل أيّ شيء؛ لكن عند قيامنا بالهجمة الأولى، نجحنا في إبعاد قوّات العدوّ عن طريق سوسنجرد المؤدّية إلى حميدية وإلحاق الخسائر بهم أيضاً. هذا الأمر أدّى إلى زوال تصوّري الخاطئ بشأن العدو. أذكر أنّنا كنا ندخل إلى مواقع البعثيّين بعد ذلك الهجوم. كان لديّ صديق يُدعى «محسن» استشهد فيما بعد. كان يذهب في بعض الأحيان بدراجته الناريّة إلى متاريس البعثيّين.

لم يكن أحدٌ يتوقّع في تلك الأيام أن تنتهي الحرب في نفس ذلك العام. لكن لو كان أحدهم يقول أنّ الحرب

١- كلام الحاج قاسم سليماني في جمعٍ من المضحّين في الذكرى السنويّة لتحرير خرّمشهر.

ستطول ستّة أعوام، لم نكن سنصدّق ذلك؛ لكنّنا طوال الحرب، انتظرنا إلى أن انقضت ثمانية أعوام.

كانت لديّ رغبة كبيرة بتعلّم المخططات والأمور العسكريّة وكنت مستعدّاً للمشاركة في الجبهات وهذا ما جعل مهمّة ١٥ يوم تطول بحيث بقيت في الجبهة حتّى انتهاء الحرب دون أن أعود.[١]

لماذا استمرّت الحرب بعد تحرير خرّمشهر؟!

ينزعج المرء كثيراً من بعض هذه التصريحات الخاطئة، وغير الضروريّة التي يتمّ إطلاقها بشأن الحرب. عندما يحب الإنسان الأمور، يرى هذه التصريحات الخاطئة -التي يتبنّاها في بعض الأحيان بعض المسؤولين في الحرب- يلاحظ أنّها في بعض الأحيان ترمي إلى التشكيك في إدارة الإمام الخمينيّ. عندما

١- حوار الحاج قاسم مع صحيفة كيهان عام ١٩٨٩.

نناقش بشأن السبب الذي دفع الحرب للاستمرار حتى بعد تحرير خرّمشهر.

حسناً، لقد كنا نملك إماماً قويّاً وبصيراً وكان النّاس ينظرون إلى ساحة الحرب كساحة لأداء التكليف والعمل. عندما نطرح مثل هذه الأمور ونناقش قدرات العدوّ وعدد الكتائب التي كانت لدى العدوّ و... لقد كنّا تابعين للإمام. من الطّبيعي أن الإمام كما اتّخذ القرار في بداية الحرب فيما يخصّ كيفيّة التصدّي للعدوّ، فإنّه اتخذ القرار في أواسط الحرب أيضاً وفي أواخرها بنفس الشكل.

لقد كان الإمام الخمينيّ رجلاً قويّاً وحكيماً، لم يكن يجامل أحد. ما هو تأثير هذه التصريحات عديمة القيمة بشأن مرحلة الدفاع المقدّس غير أنّها تولّد الشبهات؟ علينا أن نتعلّم من إمام مجتمعنا اليوم؛ قائد الثورة

الإسلاميّة كيفيّة التطلّع إلى الحرب. هل تستند رؤيته إلى هذه التصريحات والأقاويل حول الحرب أم أنّ تركيزه ينصبّ على تطوير معارف الحرب؟ غالبيّة الكتب التي يقرؤها سماحته ويثني عليها، مرتبطة بمرحلة الدفاع المقدّس، لماذا؟ لأنّ آثارها التربويّة ضخمة.

بعض رجال السياسة هؤلاء وبسبب غاياتهم السياسيّة والأمراض الخاصّة التي يعانون منها، يطرحون هذه الأسئلة والنقاشات عديمة القيمة لكي يشكّكوا الناس بشأن أصل الدفاع المقدّس وأهداف الإمام الخمينيّ قدس سره.[1]

كان الدين أمامنا في فترة الحرب

بسبب الأجواء الخاصّة التي كانت سائدة في الحرب والجبهة، كان هذا الجوّ الروحانيّ يدفع الجميع للبقاء وعدم العودة. كلّ من كان يأتي، كان يتطهّر بشكل لا

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء أصفهان.

إرادي ويتحوّل؛ لكنّ الفترة التي تلت الحرب لم تكن كذلك. وكما يعبّر أحد العلماء العظام: في الحرب كان الدّين أمامنا، وكانت الدنيا خلفنا، وبقدر ما كانت الدنيا تسعى وتحاول، لم تكن تتمكّن من اللحاق بديننا؛ لكنّ الدنيا باتت اليوم أمام الجميع وبات الدّين خلفنا! هذا هو الفرق بين فترة الدفاع المقدّس وما تلاها. وقد قيل: «عليكم بالجهاد الأكبر»، سبب هذا القول هو الاختلاف الحقيقي بين ميدان التسابق لأجل بذل الأرواح وميدان التسابق لجني أموال الدّنيا وصعوبة الميدان الثاني.[1]

هل يباهي البعثيّون بقتلاهم في الحرب؟

خلال هذه الحرب الطويلة، كانت هناك قيادتان: قيادتنا في قضيّة الدفاع المقدّس، وقيادة في الطرف المقابل كانت المهاجم الأساسيّ. أظنّ أنّه لا يستطيع

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مراسم ذكرى استشهاد اللواء الشهيد همداني.

أيّ أحـد قـدّم قتيلاً أو قتلى في العـراق لا يقدر طوال عمره أن يتباهـى بـأنّ ابنه أو عزيزه -الذي يحبّـه كثيراً- قُتل في ركـب، وتحت قيادة شـخصيّة مثل صـدّام الجائر والجبّار والظالـم والجشـع وقاتـل بأمر منـه وقُتـل؛ كلّ العوائل تعتبر هـذه الدمـاء مهدورة، لا يسـتطيع أحـدٌ أن يتباهـى بهؤلاء القتلى.

لكن في هذه الجهة، فإنّ ذلك الذي كان القائد الأعلى في هذه الحرب هو كهلٌ نورانيّ يخاف الله ولا يفكّر إلا بالله والقيـم الإلهيّـة والإنسـانيّة. كلّ عوائـل الشـهداء تتباهـى بشـهدائها وبالقائد الأعلى في هذه الحرب وتنظر إلى هذه الدماء كذخرلها. هويّة قادة الحرب أمرٌ في غاية الأهميّة.

حتّـى ضمـن المرتبـة الأدنـى مـن القيـادة العليـا، مـن المهـمّ معرفة هويّة من كانوا قادة ميدانيّين وقادة عمليّات ومـا هي الخصال التـي كانوا يتمتّعون بها. في تلك الجهة

كان هناك أشخاص من السّكارى وكنت عندما تفتّش متاريسهم لا تجد سوى المجلّات الإباحيّة وآثار اللهو واللعب وقضايا من هذا القبيل.

من كان قادتنا في هذه الجهة؟ عندما نمعن النظر في شخصيّات شهدائنا، سنجد أنّهم كانوا أكثر الناس قيمة ولم نقرأ أو نسمع بنظير لهم سوى في عصر رسول الله ﷺ أو حواريّي الأنبياء الإلهيّين. وهناك كلامٌ كثير بشأن هؤلاء القادة الشهداء وفيما يتّصل بشرح ماهيّتهم. من كان الشهيد زين الدين؟ من كان حسين خرازي؟ كيف كان يحرس الناس في ميدان الحرب؟ كيف كان يدرّبهم ويربّيهم؟ كيف كانت علاقته بهم؟

ما رسخ في بالي بشأن الحرب ولا أنساه، هو أسلوب وكيفيّة إدارة الحرب. نحن نضخّم في بعض الأحيان نظريّات المنظّرين الغربيّين في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة؛ على سبيل المثال، قام أحدهم قبل مئة عام أو مئتي عام بطرح نظريّة بشأن الإدارة وتقوم كلّ جامعاتنا

اليـوم بالاهتمـام بها وتدريسـها. وفي الوقـت عينه نحن لا نلتفـت إلـى قضيّـة أنّ شـابّاً بعمر عشـرين ونيّف كمهدي زيـن الديـن امتلك قـدراً مـن التأثيـر الروحانيّ بحيـث أنّه كان قـادراً علـى إدارة عـدّة آلاف مـن القوات الشـابّة ذات المشاعر الجيّاشة في ظلّ أصعب الأزمات وأكثر المراحل حساسيّة.

شـابٌّ بعمر عشـرين ونيّف، ثلاث وعشـرين عاماً، كان قائـد كتيبـة أو فيلـق. مـن كان فـي هـذه الكتيبـة؟ كهولٌ تتـراوح أعمارهـم بيـن السـتّين والتسـعين عامـاً، شـبابٌ بمشـاعر جيّاشـة، فتيـة متحمّسـين، أسـاتذة جامعـات وطلاب جامعيّين، موظّفون، أساتذة مدارس وطلاب. كثيرٌ مـن هؤلاء كانـوا أرقى مرتبة مـن هذا القائد مـن الناحيتين العمريّـة والعلميّة؛ لكـنّ العلاقة بين هؤلاء وقائدهم كانت بالفعل مثل علاقة الحواريّين بعيسى. هذه الأمور تستدعي التأمّل.

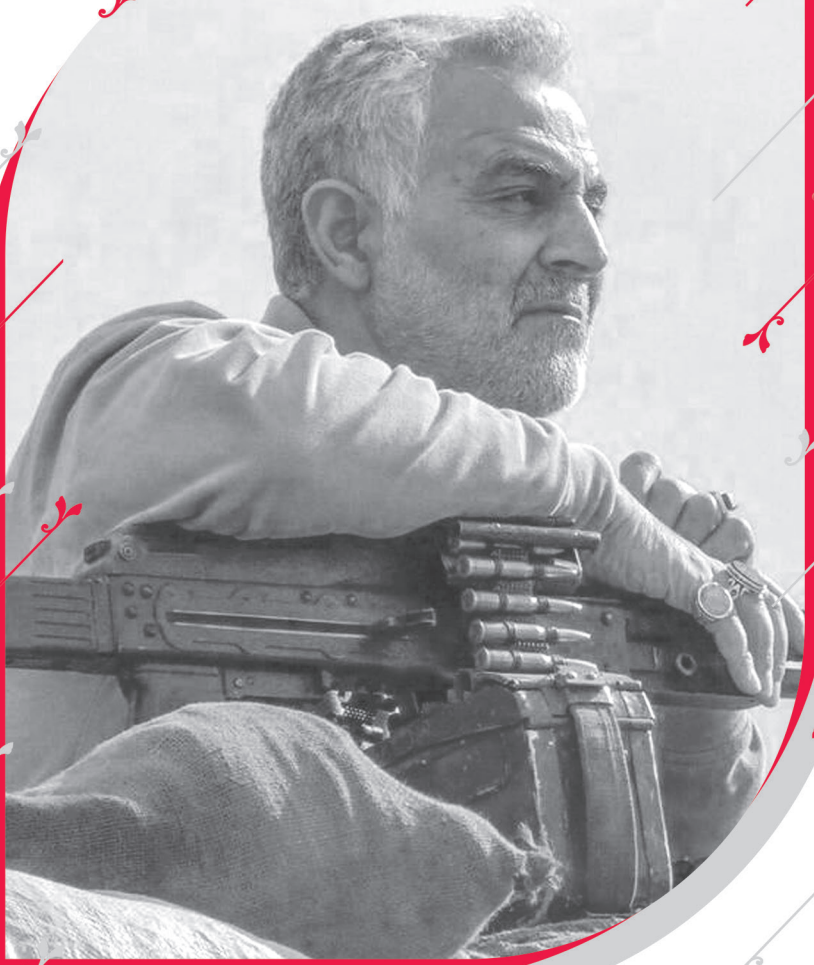

فلسفة كون الشهيد حيّاً

أحد آثار الشهيد أنه يتجلّى في المجتمع وأطرافه. فالقطرة قد تجفّ بسبب الرياح ما دامت قطرة، أو ينتشلها طائرٌ بمنقاره أو تحوّلها ذرّة تراب إلى وحل؛ لكن هذه القطرة عندما تتّصل بماء البحر، لا تعود قطرة، بل تتحوّل إلى بحر. هذه القطرات كانت قطرات اتّصلت بالبحر الإلهيّ، وأصبحت جزءاً منه. هذه هي فلسفة كون الشهيد حيّاً؛ لأنّه خرج من إطاره البشري واتّصل بمكانة رحمانيّة.

عندما تقرّبون قطعة حديد من قطعة حديد أخرى، لا تترك أيّ أثر؛ لكن عندما تقرّبون قطعة الحديد هذه من مدار مغناطيسي، سوف تتحوّل قطعة الحديد الباردة عديمة الخصائص هذه، إلى خاصيّة مغناطيسيّة عظيمة وتكتسب بنفسها خاصيّة مغناطيسيّة. واحدة من آثار الشهيد الوجوديّة سببها الاتصال بالحقل المغناطيسيّ ذاك، أي الإمامة، الولاية، النبوّة والتوحيد؛ لذلك يملك قبره واسمه قدرة على الشّفاء.

عندما يحقّق هذا الاتصال ويبلغ هذه النّقطة، يكون قد بلغ نقطة العبوديّة. وأعلى مراتب الإنسان وأرقى أسراره هي مرتبة العبوديّة.

الأثر الآخر للشهيد، وشهداؤنا بشكل خاصّ، هو الأثر التاريخيّ. هذا الأثر مشهودٌ في الجوانب الحكوميّة، وفي الجوانب الإنسانيّة أيضاً. متى ما رأى أيّ شخص هذا

القدر من التضحية والإيثار لدى أحدهم، يترك ذلك أثراً تربويّاً. هذه تجارب ملموسة. وقد تمّ استشعارها. ما السّبب الذي يمنع الأعداء اليوم من شنّ هجومٍ علينا -رغم رغبتهم الشديدة في مهاجمتنا-؟ ما منع العدوّ وسلبه جرأة مهاجمة بلدنا هو قضيّة الشهادة التي تنطوي على قدرة ردع. لقد أدرك الأعداء أنّ هذا الشّعب هو شعبُ المقاومة، والتضحية والإيثار.[1]

اختاروا أحد الشّهداء

لقد كان الشهداء يفضّلون محبّة الله على أيّ محبّة أخرى، كان الشهداء يعتبرون حلال الله حلالاً وحرام الله حراماً. التعرّف على الشهداء يؤدّي إلى أن يصبح الشهداء جزءاً من وجودكم. مجاورة الشهداء وإدراك فضائلهم واحدة من أفضل أساليب التأثّر بتلك الشخصيات

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء منطقة خانوك عام ٢٠١٠.

العظيمة وأكثرها تأثيراً.

نلحظ عادة وجود مزارات عديدة وغالبيتها تنطوي على جانب عقائدي ويتوجّه الناس لزيارة تلك الأماكن من باب الأدب والاحترام لأهل بيت رسول الله ﷺ، وتترك هذه الزيارة فيهم آثاراً حسنة؛ والعديد من عظمائنا كان من عاداتهم اليوميّة التوجّه لزيارة قبور أقرباء الأئمّة عليهم السلام وهذا الأمر له تأثيرٌ في حياة وسلوكيات البشر. إنّ الاستئناس بمثل هذه البقاع المقدّسة يترك آثاراً تربويّة وأخلاقيّة ويخلق الدوافع لدى الأشخاص. والجبهة ومرحلة الدفاع المقدّس كان لها أثرين أساسيّين من حيث بُعدي المجاورة والإلقاء؛ تماماً كالذي يحضر دائماً في المسجد فإنّه سوف يتأثّر بأجوائه بنحو من الأنحاء، ومن يذهب بشكل مستمرّ إلى السينما، يتأثّر بأجواء السينما. أولئك الذين وصلوا أنفسهم بحقل الجبهة المغناطيسي،

أصبحوا أنفسهم مغناطيساً يؤثّر على ما حوله. والإلقاء أيضاً يؤثّر على قلب الإنسان دون وجود مجاورة، وحضور الشهداء له أثرٌ إلقائي إضافة إلى أثره الجواريّ، وهذه من ميزات الشهداء البارزة.

الاقتداء بالشهداء والتأثّر بهم من أفضل الأعمال التربويّة، وتوصيتي لكم أيّها الشباب هي أن تقوموا إضافة إلى التعرّف على الشهداء ورفع مستوى المعرفة، أن تقوموا بما يجعل الشهداء جزءاً من وجودكم؛ كما أنّكم مقرّبون في حياتكم من بعض الأشخاص أكثر من الآخرين، اختاروا أحد الشهداء واعتبروه صديقاً لكم وتقرّبوا منه.[1]

يدّعون بأنّها عمليّات استشهاديّة

في بعض الأحيان أواجه أسئلة بشأن هذه الأحزمة

١- كلام الحاج قاسم سليماني بين جمع من شباب كرمان.

المفخّخة التي يربطها البعض حول أجسادهم ويفجّرونها ويدّعون بأنّها عمليّات استشهاديّة!

والله أن كلّ من كان مشاركاً في عمليّتي «كربلاء ٥» و«كربلاء ٤» كان استشهاديّاً؛ لكن ليس مثل هؤلاء الاستشهاديّين الذين يقتلون عدداً من الأبرياء.[1]

ينبغي توجيه المشاركين في قوافل النّور نحو النور

علينا أن نفهم وندرك أخلاق، سيرة وسلوكيّات الشهداء، وأن نعرّف الشّباب على هذه البطولات بشكل أكبر. صحيحٌ أنّ المناطق الحربيّة وجبهات الحرب تنطوي على قيمة كبيرة بالنّسبة إلينا؛ لكنّ من سطّروا الملاحم في هذه الجبهات قريبون منّا ومدفونون في رياض الشهداء.

ينبغي توجيه المشاركين في قوافل النّور باتجاه النور

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك عام ٢٠١٠.

الملموس، وأساس رحلات قوافل النور وهذه الجلسات والمجالس التكريميّة للشهداء هو التربية، ونشوء التربية الحقيقيّة يتكوّن أحد أجزائه من التكريم الذي لا يحتاجه الشهداء والجزء الأساسي هو التربية التي نحتاجها نحن.

إنّني أوصي بأن نوجّه المشاركين في رحلات قوافل النور نحو الأنوار الملموسة. وفي هذه المدينة هناك من هم شبيهون بالصالحين ممّن كانوا أقرباء للأئمّة عليهم السلام، وأعني هنا الشّهداء. جيرفت عزيزة جدّاً وعيناي تنوّرتا بمشاهدة وجوه شهدائها الأعزّاء، هم شهداء في غاية العظمة وإنّني أرى الشهيد طيّاري أمامي فوق قناة صيد السمك، والشهيد بينا الذي كان وجهه أسود اللون بسبب البارود الأسود وكنت عندما تلمس وجهه بيدك تصبح سوداء. والشهيد السيّد جواد الحسيني، الشهيد معناصري، الشهيد تراب شيرازي، الشهيد بايدار، لنوجّه المشاركين

في قوافل النّور في هذا الاتجاه، هنا تقع مراكز النور. كما أنّ آباء وأمّهات الشهداء الذين تقع خلاياهم الوجوديّة داخل وجود الشهيد؛ يمثّلون مزارات قيّمة ومؤثّرة أيضاً.[1] أن

معرفة الشّهيد ومعرفتنا

ما هو مهمّ، أنّ الشهيد بلغ هذه المنزلة العظيمة عبر انتهاجه الإخلاص النابع من أصول الدين الخمسة الأساسيّة. يمكن الادّعاء أنّ جميع شهدائنا، هم شهداء أصول الدين الحقيقيّين؛ أي أنّنا عندما نتحدّث عن التوحيد، فإنّ التوحيد مختلفٌ ضمن رؤية الشهيد عن التوحيد الذي نراه نحن؛ لذلك فإنّ ذلك التصوّر حيال التوحيد، منح هذا الشهيد معرفة أوصلته إلى هذه المرتبة العظيمة. تعريف وتصوّر الشهيد تجاه النبوّة مختلفان عن تعريفنا وتصوّرنا حيال النبوّة. وذلك الإخلاص في

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهداء الغواصين في جنوب شرق البلاد.

الاتّباع والتبعيّة، بنى الهيكليّة الوجوديّة للشهيد وأوصله لهذه المنزلة.

تصوّر الشهيد بشأن الإمامة والولاية يختلف عن التصوّر الذي نملكه نحن وسلوكياتنا تجاه الولاية والإمامة، تنطوي على تصوّر مغاير وتختلف عن سلوكيّات وأعمال الشهيد.

في زمان الإمام الخميني قدس سره وعصر قائدنا العزيز والعظيم، سماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي دام ظلّه الوارف، ذهب هؤلاء المحبّون وضحّوا بأرواحهم في سبيل الولاية دون أن يروا الإمام. حسناً، بعضهم كان لهم توفيق الحضور والزيارة، وهم مطالبون بشكل أكبر بسبب حصول هذا التوفيق. أولئك الذين يملكون توفيق زيارة القائد، يكون تكليفهم أثقل وأكبر.[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك في العام ٢٠١٠.

إذا شممتم رائحة الشهادة من أحدهم، أيقنوا أنّه سيُستشهد

لا شكّ في أنّ هذا الحضور يضمّ فئتين؛ فئة خائفة بشدّة وأخرى شائقة بشدّة. الفئة الخائفة من أمثالي، تخشى على عاقبتها؛ والفئة الشائقة، تنتهج مسار الشوق الذي اتبعه الشهداء وهي تشبه إلى حدٍّ كبير تلك الحمامات الصغيرة التي تنهل المعرفة من الشهداء وتجعل منها ذخراً لها. ما شاهدناه -ليس تحت عنوان فهم الإسلام؛ بل تحت عنوان ما جرّبناه ورأيناه لدى شهدائنا- يتلخّص في هذه النقطة المهمّة بأنّه ما لم يكن الإنسان شهيداً، فإنّه لن يُستشهد. شرط الشهادة هو أن تكون شهيداً. إذا رأيتم اليوم أحدهم ممّن تفوح رائحة الشهادة من كلامه، سلوكه وأخلاقه، فلتتيقنوا أنّه سيُستشهد. كانت هذه الخصوصيّة بارزة لدى جميع شهدائنا؛ لقد كانوا شهداء قبل أن يُستشهدوا. لا يستطيع الإنسان أن يصبح عالماً

قبل أن ينهل العلم. شرط أن تصبح عالماً هو انتهالك العلم؛ لكن الأمر ليس كذلك فيما يخصّ الشهادة؛ شرط الاستشهاد هو أن تكون شهيداً قبل الشهادة.

هذه هي المكانة العظيمة والسامية التي قال حولها الإمام الخمينيّ قدس سره ما يلي:

نحن عاجزون أمام منزلتهم، يكفي أنّهم «عندَ ربّهم يُرزقون». وفي خطاب آخر قال سماحته:

الشهيد وبسبب اجتيازه أنانيّته ونفسه وتضحيته بنفسه وإفناءه للأنا، بسبب هذا الذّوبان، يخرق تلك الحجب المظلمة والنورانيّة ويصل إلى مكانة «عند ربّهم يُرزقون»، إلى مكانة ضيافة الله ولقاء الله.[1]

لا أحول أبداً دون بكاء آباء وأمّهات الشهداء!

دعوني أقدّم توصية للإخوة المجاهدين وجميع أقارب

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة جيلان.

الشـهداء: بعض الأحزان والآلام تشـكّل فـي الحقيقة ذخرٌ للإنسـان؛ وهـي ذخـرٌعظيـم. بعـض الدّمـوع تنطـوي فعلاً علـى قيمـة كبيـرة وهـي ذخـرٌعظيم. فـي بعـض الأحيان يدعو الإنسـان بأن يبقى حزيناً ومتألّماً بشـكل دائم حيال بعـض القضايـا و إذا زالـت تلـك الأحـزان والآلام بداخلنـا يومـاً، علينـا حينها أن نشـكّ بأنفسـنا؛ تلـك الأحزان هي أحزان شـهدائنا. إنّني لا أحول أبداً دون بكاء آباء وأمّهات الشـهداء؛ بل أوصيهم بذلك أيضاً. في قريتنا كانت هناك أمّ شـهيدٍ تنـوح علـى ولدهـا الشـهيد بعبارات رائعـة. وقد كانت تضخّ الرّوح بداخلي بواسطة هذا البكاء والعويل.

إنّنـي أعتقـد أنّـه مـا دام آبـاء وأمّهـات الشـهداء أحياء، يجـب أن تبقى هذه الأصوات حاضرة في أسـماعنا. هذه الدمـوع والآهـات والآلام ذخرٌبالنسـبة إلينـا وتنطوي على القيمـة. علينـا أن نضع فـي بيوتنا وفي أماكـن عملنا صور

شـهدائنا لكـي لا ننسـى بأنّنـا مدينـون بحاضرنـا لإيثارهم وتضحياتهم. استذكارهم ينطوي على قيمة كبيرة.[1]

لقد كانوا أشبه بمرجع تقليد

فـي الجوانب الإنسـانيّة، الأخلاقيّة، السـلوكيّة والدينيّة كان مجتمـع مرحلـة الدفـاع المقـدّس مجتمـع صاحـب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. لقد كان الشـهيدان باكري وخرازي نموذجـان يُحتـذى بهمـا ضمن هـذا الإطار. كان الشـهيد باكـري رئيـس مدرسـة تُدعـى عاشـوراء وأسّـس لنمـوذج سلوكيّ يُدعى نموذج باكري السّلوكي.

كان هـذا النمـوذج مواجهـاً لنمـوذج العـدوّ الـذي كان ينطـوي على الكثير من الظّلـم والجور والإعدام والتعذيب والإجحاف والمقابر الجماعيّة. ولم يكن هو قائد فيلق. لقد كان أشـبه بمرجـع تقليـد؛ لكـن ليس في جانـب الأحكام

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمّدي بور.

الدينيّة، بل كانوا يقلّدونه في الأخلاق والسلوك والإدارة.

لقد كنت أرى في زمان الحرب كيف أنّ جموعاً كبيرة كانت تضمّ أساتذة مدارس وجامعات، طلاباً جامعيّين، تلامذة مدارس، عمّال ومعلّمي بناء، كانوا يقلّدون لحن صوت الشهيد خرّازي، أذكاره، زيّه والقبّعة التي يعتمرها.

نحن نتلقّى أحكامنا من مرجع تقليدنا وننفّذه. وإذا أمعنتم النظر، ستلاحظون أنّ أقدس الأشخاص داخل مجتمعنا وأكثر الشخصيّات خلوداً، هم شهداؤنا. وهذا الأمر مشهودٌ في أرجاء المجتمع، هم يكنّون الحبّ لأصحاب هذه الصور والأسماء، ولسيرهم الذاتيّة. كان لهذا الأمر أعظم دورٍ في تطهير وتوجيه المجتمع باتجاه التديّن والثوريّة.[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في ذكرى استشهاد الشهيد شاطري السنويّة.

لن نغفل عندما نكون خائفين

أساس المشاركة في مراسم تكريم الشهداء، هواستلهام العِبر وإذا تفكّرنا في هذه الجلسة لساعة، فإنّنا سنكون قادرين على تحصيل ما غفلنا عنه طوال ٢٠ أو ٥٠ عام.

علينا أن نفكّر بما يُقال عن الشهداء، وأن نتلهّف لسماع ذلك من أعماق قلوبنا؛ فإنّنا إذا أردنا الاتصال بقافلة الشهداء، علينا أن ندرك أنّ شرط الوصول إلى الشهداء، هو نفسه شرط، نهج وسيرة المتخلّفين عن ركب الشهادة الذين راقبوا أنفسهم لسنوات ونالوا فيض الاتّصال بمعبودهم وحقّقوا مرادهم واستجاب الله لطلبهم.

أسأل الله عزّوجل أن يزيد في خوفنا! فإذا خفنا من العمر الذي أمضيناه، سيصلح كلّ شيء ولن نغفل إن كنّا خائفين؛ المشكلة تكون عندما نغفل عن عمرنا الذي

مضى.[1]

سيموت الإنسان، شاء ذلك أو رفض

سيموت الإنسان؛ شاء ذلك أو رفض؛ سيموت لو كان ملكاً، أو امبراطوراً، أو عالماً، أو جاهلاً؛ الموت أمرٌ إجباريّ و٩٩ بالمئة من الناس يموتون بهذه الطريقة الإجباريّة ولا ينال توفيق اختيار الموت الاختياري أو الشهادة سوى ١ بالمئة منهم.

ما هي نتيجة الموت الإجباري؟ يبلغ الإنسان مرحلة لا يستطيع فيها إبعاد ذبابة عن نفسه. هل شاهدتم حالة الاحتضار؟ يقول الإمام السجّاد عليه السلام ما مضمونه بأن إرحمني يا إلهي عندما تسقط عنّي كل هذه الأعمال (عدم القدرة على التحرك بعد الموت)، فبالموت تسقط

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في الذكرى السنويّة الأولى لشهيد الدفاع عن المقدّسات حسين بادبا.

كلّ الأعمال عنّا وتنقطع.[1]

كيفيّة وتوقيت الشهادة ينطوي على فضائل مختلفة

تنطوي الشهادة على نقطتين في غاية الأهميّة، هما كيفيّة وتوقيت الشهادة؛ وفضائل هذين الأمرين ليست متساوية؛ على سبيل المثال، شهادة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، كيفيّة الشهادة، هزّت عالم الوجود وتركت أثراً أبديّاً على الجميع.

وفي مرحلة الدّفاع المقدّس، كنّا جميعاً كالإعصار، وطبعاً كان يقف خلف هذا الإعصار الوجود المقدّس للإمام الخميني قدس سره الذي كان يضخّ قوّة قلبيّة في وجود الجميع؛ وكانت الجبهة تشهد معاجز كبرى بشكل مستمرّ؛ بحيث أنّ جميع الناس كان ينقلب حالهم وكانت الشهادة مراد المجاهدين؛ لكنّ الفرق بين فترة

١- كلام الحاج قاسم سليماني بين المجاهدين المدافعين عن المقدّسات في سوريا.

الجبهة والعصر الحالي يكمن في أنّ الدنيا كانت في ذلك الزمان تسير خلف الدين، وقد باتت الدنيا اليوم متقدّمة على الدين والقيمة تكمن اليوم في أن يبقى الإنسان متديّناً في أعماق قلبه وسط الضجيج الدنيويّ الحاليّ والنزاعات السياسيّة.[1]

وجود آباء وأمّهات الشهداء سببٌ في دفع البلاء

وجود أمّ شهيدٍ في مدينتنا وشوارعنا وأزقّتنا، سببٌ في دفع البلاء ونزول الرّحمة والبركة، وقلّما ما يتمّ الالتفات إلى هذا الأمر. والخطوة القيّمة التي يجري العمل عليها اليوم بلطف من الله في القرى، المدن والمحافظات في أرجاء البلاد، هي تكريم منزلة الشهداء الرفيعة.

تلك الفيوضات التي يكتسبها الإنسان من والدة الشهيد، أمرٌ استثنائي؛ لأنّ كلّ تلك الأنوار الموجودة لدى

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مراسم أربعين الشهيد اللواء محمد جمالي باقلعة.

الشهيد نبعت من هذه الأم.

كيف نشكر من يقدّم لنا كوب حساء عدّة مرّات؛ لكنّنا لا نعرف قيمة آباء وأمّهات الشهداء الذين قدّموا أبنائهم من أجلنا ولأجل راحتنا. كيف ينبغي علينا أن نشكر هؤلاء الآباء والأمّهات؟

عندما أراد النّبيّ إبراهيم التضحية بولده، تعرّض إبراهيم لامتحان إلهي، كم لدينا من الأمّهات اللواتي أرسلن أبناؤهن الأربعة وأزواجهنّ إلى الجبهات وأحيين ثقافة التعبئة؛ لقد كان هذا امتحانٌ للإمام الخميني أيضاً حيث ضحّى بأفضل من في هذا العالم لأجل الإسلام.

نحن مدينون لآباء وأمّهات الشهداء وفرحة قلوبهم تساوي فرحة قلب صاحب الزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ودعاء هؤلاء العظام مستجاب؛ لأنّهم مثل الشهداء. لقد فقدنا قرابة الـ٥٠ بالمئة من آباء وأمّهات الشهداء بينما كانت لديهم

ذكريات حول هؤلاء الشهداء الأعزّاء، وينبغي التحسّر على ذلك. نحن للأسف لا نولي اهتماماً خاصّاً بالأمور التي نعجز عن إدراكها.[1]

أكثر آيات القرآن حماسة، مرتبطة بالجهاد والشهادة

جزء من أثر الشهيد مرتبطٌ بالشهيد نفسه، وليس إدراك ذلك سهلٌ بالنسبة إلينا. ليس بمقدورنا إدراك تحوّل هذا الشهيد إلى إنسانٍ أبديّ. هؤلاء أحياء حتّى الأبد. أرفع آيات القرآن وأكثرها حماسة تتحدّث حول الجهاد والشهادة. يبلغ الشهداء مرحلة يقولون بعدها: يا ليت أصدقائي وعائلتي يعلمون أنّ الله شملني بغفرانه وأدخلني إلى جبهته وجعلني من أوليائه والمكرّمين لديه. وهناك أثرٌ موجودٌ لدى الشهيد نفسه ويجعله خالداً وأبديّاً. ذلك الإسم الذي لن يضيع أبداً وذلك الاسم الذي

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مأتم في مسجد قوتشك.

لـن يغيب أبداً وتلك المزارات التي سـتتحوّل إلى مزارات حقيقيّة، هي قبور الشـهداء. أينما وُجد قبر شـهيد، ومهما مـرّ من الزّمان، سـيزداد تأثيراً؛ كما أنّ شـهدائنا، منذ تاريخ شهادتهم في الحرب منذ ٢٠ سنة وحتّى اليوم، كان أثرهم الوجودي أكثر من المرحلة التي سبقت شهادتهم. تعطّش مجتمعنـا، وتعطّـش شـبابنا، الشـباب الذين لم يشـهدوا الحرب، الشـباب الذين فصلتهم مسـافات عن الشهادة، لديهم تعطّش اسـتثنائيّ لشـهدائنا، ولشـلمجه، وطلائية وساحات الحرب هذه.[1]

عادةً ما نُجامل

نحن عاجزون فعلاً عن إدراك منزلة الشهداء؛ يكفي أنّهم «عنـد ربّهم يُرزقون». وما يُسـتنبط بالفعـل من آيات القرآن والروايات والأحاديث هو أنّ الإنسان عاجزٌ عن إدراك منزلة

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك عام ٢٠١٠.

الشهداء، ونحن غير قادرين على فهمها بشكلٍ جيّد.

عندما يلتقي الإنسان في بعض الأحيان أحد أصدقائه، يترجّاه أن ادعُ لي بالشهادة. عادة ما نُجامل ونقول: لا، فليحفظك الله، وجودك ضروريّ. الدعاء بالشهادة دعاءٌ عظيمٌ ينبغي أن لا نغفل عنه حيال بعضنا البعض. [الشهادة] فيضٌ عظيم لا نقدر على إدراك حقيقته.[1]

قيل للإمام الخامنئي نرغب في بناء قبور أقارب أئمّتنا

أنا أعتقد بضرورة أن يحتوي كلّ بيت على صورة شهيد وأن لا يبقى شعور الارتباط بالشهيد محدوداً ضمن إطار معيّن يُسمّى عائلة الشهيد. من نكران الجميل أن لا تكون هناك في كلّ مؤسسة صورة شهيد. شمال وجنوب طهران وإيران والجميع مدينون للشهداء. لقد ضحّى الشهداء بأنفسهم من أجل جميع الإيرانيّين. يجب أن تعتبر كلّ

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة كرمان العاشر.

الأمّهات في إيران الإسلاميّة ممّن يملكن عواطف الأمومة، أنفسهنّ أمهات الشهداء. في يوم من الأيام توجّه قائد الحرس الثوري للقاء الإمام الخامنئي، وخلال اللقاء قال لسماحته بأنّنا نرغب في بناء قبور أقارب أئمّتنا، فردّ عليه قائد الثورة الإسلاميّة: فلتبادروا لبناء قبور شهدائكم.[1]

مسؤوليّة هذه الدماء برقبتي

في أحد الأيام أصيب عدد من القادة بعد عمليّة طريق القدس بالشكّ والترديد بسبب سقوط عدد كبير من الشهداء؛ جمع الحاج محسن القادة وذهب بهم إلى الإمام الخميني قدس سره وقال الإمام حينها بأنّ مسؤولية هذه الدماء برقبتي؛ لكن عليكم أن تسرّوا لأنّ أسمائكم نقشت في اللوح المحفوظ. طبعاً أضيف، وهل يُعقل أن تُنقش أسماء الشهداء على اللوح المحفوظ ولا تُنقش أسماء آباء

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم ١١٠٠ شهيد من قرية ملاير.

وأمّهات وعوائل هؤلاء الشهداء ؟[1]

غيّر قادتنا الشهداء قواعد الإدارة

لقد كان قادتنا الشهداء أصحاب مدرسة ومنهج ديني قبل أن يكونوا قادة؛ جميع الشهداء كالشهيد همّت على سبيل مثال، أسّسوا مدارس أخلاقيّة وسلوكيّة. لقد غيّر القادة الشهداء قواعد الإدارة في الحرب. هؤلاء الشهداء، جمعوا بين الفضائل الأخلاقيّة والإداريّة؛ لذلك علينا أن نتعرّف على شهداء مثل الشهيد همّت وشوشتري ونطّلع على مدارسهم ونبحث عن أخلاقهم، سلوكيّاتهم، إدارتهم، تربيتهم وكيف استطاعوا أن يكونوا على هذا النّحو. علينا أن نحلّل ما حدث في الحرب، لم يرتكب أيّ قائد الخيانة وهذا كان نابعاً من كينونتهم التي كانت غارقة في الإسلام. لقد كانت الحقيقة متبلورة في الإمام

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم ١١٠٠ شهيد من قرية ملاير.

الخمينيّ ﷺ ولقد تبلورت كينونة وحقيقة الإمام هذه في الشهداء.[1]

ما السّبب في كون شهدائنا كأقرباء الأئمّة؟

لعلّ البعض يشكّون في أن هل مزار هؤلاء الشهداء، مثل خدا أكرم سليماني، قباد شمس الديني[2]، فيروزي

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم قادة القوات البريّة الشهداء.

٢- ولد قباد شمس الديني في عيد النوروز من العام ١٣٠٨ هجري شمسي، في آبادي روسكين التابعة لقرية رابر في كرمان؛ وترعرع في عائلة قرآنيّة. كان قباد خلال فترة انتصار الثورة الإسلاميّة من أكثر أصحاب الإمام الخمينيّ ﷺ وفاء له وتمسّكاً به، وكان عالم دينٍ يزور مدينة قم المقدّسة كلّ عام في أيام شهر رمضان المبارك وأيام عزاء سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وكان يقول بأنّ اسم سلمان أجمل من شخصيّة قباد. ومنذ تلك الأيام كان الرّفاق يدعونه باسم سلمان.

الحاج قباد، مسلم بن عوسجةِ فيلق ثار الله

مع انطلاق الحرب المفروضة التحق بالشباب حتّى نال أمنيته القديمة، أي الشهادة؛ كان الحاج قاسم سليماني قد أطلق اسم مسلم بن عوسجة الفيلق على الحاج قباد.

وأمام إصرار المسؤولين في ذلك الوقت على الحاج قباد بتقاضي راتب

شهري مقابل مشاركته في الجبهة، وجّه إليهم رسالة قصيرة كتب فيها:
«بسم الله الرّحمن الرّحيم،
بعد التحيّة والسّلام لأرواح الشهداء الطيّبة، لديّ عددٌ من الأغنام يكفي لإشباع بطون أبنائي، قدّموا راتبي للفقراء والأيتام.»
كان قد ذهب إلى جماران للتشرّف بلقاء الإمام الخمينيّ قدس سره، ولم يكن المسؤولون في بيت الإمام يسمحون له بلقاء الإمام، علم سماحة الإمام بنحو من الأنحاء بقدومه، فطلب منهم أن يسمحوا له بالدخول، تشرّف بزيارة الإمام، وقال له خلال اللقاء: أرجوا أن تدعوا لي بأن تكون الشهادة في سبيل الله من نصيبي، فردّ الإمام: آمل أن لا تُحرم أجر الشهادة. وكان قباد يتباهى ويفخر بكلام الإمام هذا حتى شهادته.
يقول أحد رفاقه المجاهدين: قبل يوم من العمليّة، كنت جالساً إلى جانبه وكنّا نتبادل أطراف الحديث. وبينما كان يتلوّى من ألم كليته، قال لي: لقد تحقّقت كلّ وعود الإمام الخمينيّ؛ وعندما جاء إلى إيران، قبّلت يده وقلت لسماحته: أدعُ لي بالشهادة. لا زال دعاء الإمام هذا غير متحقّق.

سأترك الحرب للأبد

على مشارف عمليّة «والفجر» جمع «الحاج أحمد أميني» قادة كتائب فيلق ٤١ ثار الله في أحد الأيام في في مجمع نورد خلف متاريس وحدة التخريب. كان الجميع جالسين على الأرض. تحدّث قليلاً عن العمليّة المقبلة ثمّ قال:
«منطقة العمليّة صعبة وحساسة. أنا مجبرٌ على أن آخذ معي أشخاصاً أثق بهم مئة بالمئة. من أكون واثقاً بأنّهم قادرون على تحمّل هذه الصّعاب. رغم أنّ الأمور كلّها بيد الله، لكنّني أتحمّل المسؤوليّة أيضاً. تقع على عاتقي

مهمّة ينبغي لي النّهوض بها. أولئك الذين أستثنيهم من المشاركة، قادرون على الالتحاق بسائر الكتائب، الجميع سيرحّبون بكم ويمكنكم الذهاب إلى العمليّة بواسطة القوارب.»

عندما انتهى كلامه، فصل من بين قوّاته من كان أداؤهم ضعيفاً في التدريب أو كان يشعر بكونهم ضعافاً أو من المدخّنين أو أنّهم باتوا متقدّمين في العمر. أحد هؤلاء الأشخاص كان «قباد شمس الدّيني». رجلٌ بعمر ٦٨ كان يعشق الحاج أحمد. نهض الحاج قباد منزعجاً ووقف في إحدى الزوايا. عندما انتهى الحاج أحمد من عمله، توجّه لتوديع الأشخاص الذين فصلهم.

انفجر قباد بالبكاء قائلاً: «حاج أحمد! زوجتي وأطفالي يعيشون الآن في مكان لا يوجد فيه حولهم سوى الحيوانات المتوحّشة، لقد تركتهم في الصحراء لكي تأخذ بيدي وتفصلني عن الكتيبة. لقد تحمّلت المشاق كلّها. تعلّمت السباحة رغم كبري في السنّ. تعلّمت الغوص استعداداً لليلة العمليّة. لا يقبل أحدٌ بأن تنام زوجته وأطفاله حيث تنام زوجتي وأطفالي. إذا قبل أحدٌ بذلك سأترك الحرب للأبد.»

أخذ الحاج أحمد بيد الحاج قباد. قبّل وجهه واعتذر منه قائلاً: «لقد أخطأت بحقّك، فلتجلس مكانك ولا شكّ في أنّ قوّتك تساوي قوّة كلّ هذه الكتيبة.» استشهد الحاج قباد في هذه العمليّة.

هذه الحكومة لا تبذل الدّماء حتّى تُملأ البطون من مال الدّنيا

ورد في مقطع من وصيّة الشهيد قباد شمس الدّيني:

«فليعلم المسؤولون أنّهم إذا فسخوا ميثاقهم مع الشّهداء، أو ضاع حقّ مظلومٍ باسم الشهداء، فإنّنا لن نسامحهم. هذه الحكومة لا تبذل الدماء

وعلي دادي، مثل قبور الأئمّة عليهم السلام لكي نذهب ونلتجئ ونتمسّك؟ لماذا يشبه شهداؤنا أقرباء الأئمّة؟ هؤلاء أشبه بشيء نورانيّ متّصلٌ بمصدر النور؛ كحقل مغناطيسي متّصل بحقل أضخم منه. شهداؤنا ليسوا معصومين؛ لكنّهم متّصلون بالمعصوم بشكل كامل. هم مركز التوسّل، مركز التوجّه. إذا سألت هذا الحضور أين قبر جدّك؟ لعلّ أغلبه لن يعرف مكان القبر أو أنّه لا يزور القبر طوال السنة، لا يوجد زائر ولا ذاكر! لكنّ هذا [الشهيد] هو ابن الحاج عزيز الله، ابن محمّد سليماني .. هذا ما يُخلّد ويبقى.

لماذا يجهد الأب في سبيل أن يُدفن إلى جانب قبر ابنه الشهيد؟ يريد الأب أن يتقرّب من ابنه. لقد بلغ الابن حدّاً يجعل الأب الذي كان المربّي له والسبب في قدومه إلى هذا العالم، يتقرّب منه. إذا قرّرت مؤسسة الشهيد أن

لكي تُملأ البطون من مال الدنيا، بل هي تبذل الدماء لكي يسود الإسلام المحمّدي الأصيل وتسود العدالة والمساواة.»

تمنح ميزة لآباء وأمهات الشهداء، فإنّها تسمح بدفنهم إلى جانب قبور الشهداء. منزلة الشهيد هذه على درجة كبيرة من الأهميّة. أنت كائناً من كنت، إن كنت قائداً أو قائد فيلق، لن يسمحوا لك بأن تُدفن هناك ما لم تُستشهد. طبعاً للشهيد مراتب مختلفة؛ لن يكونوا قد بالغوا إن قالوا أنّ هذا الشهيد شبيهٌ بعليّ الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام.

لاحظوا هذه الجملة التي صرّح بها الإمام الخامنئي في وصف الإمام الخمينيّ قدس سره: «لقد كان الإمام الخمينيّ قدس سره استثناءً، بعد المعصومين»؛ كم لدينا أقارب أئمّة صالحين بعد المعصوم في مراتبهم؟ كم لدينا من الأصحاب الخواصّ؟[1]

لا نعرف فعلاً بديلاً لشهدائنا

صحيحٌ أنّنا نقول أمام العدوّ «ما الذي تظنّه أمريكا؛

١- مقطع من كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء قرية قنات ملك.

فإيران مليئة بأمثال الشهيد بهشتي»؛ لكنّ شهدائنا هم فعلاً ليسوا أناساً يمكن العثور على بديل لهم بسهولة. عندما استشهد مالك، قال أميرالمؤمنين عليه السلام إضافة إلى تلك العبارات التي مدح فيها مالك جملة تحرق القلوب وتدلّ على عظمة الأشخاص من أمثال مالك. قال عليه السلام ما مضمونه بأنّ حزن استشهاد مالك أحيا بداخلنا حزن رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

هؤلاء بالنسبة إلينا مثل أقرباء الأئمّة

لم يرَ أيّ أحدٍ أو أنّ عدداً كبيراً من المجاهدين في الجبهات لم يوفّقوا لزيارة الإمام الخميني قدس سره عن قرب. كانت يكفيهم رضا الإمام وبسمته وإشارته. لم يسأل أحدٌ أبداً: ما هي مرتبة هذا القائد الذي عيّنوه من الناحية العلميّة وما هي مكانته؟ من هو والده؟ لم يكن لديهم شأنٌ بهذه الأمور. هذه هي الأمور ذاتها التي يقاتل بعضنا

اليـوم لأجلهـا ونثيـر الضوضاء لأجـل خرقة باليـة. لم يكن المجاهدون في تلك الأيام يسـألون، بل كانوا ينظرون إلى تكليفهـم ويعملـون بنـاء عليـه ويقدّمـون لأجلـه الأرواح. خلال هذه العمليّات التي بلغت حوالي العشـرين عمليّة وتشـرّفت فيهـا بخدمـة المجاهدين، لم يسـألني أحدٌ في ليلـة العمليّـة أو يتحجّج بأنّ القائـد الفلاني ليس حكيماً أو مدبّـراً. لـم يُشـكلوا علـيّ ولم يتسـبّبوا بأزمة فـي الحرب والعمليّـة بسـبب وجود إشـكالٍ لديّ. ذهبـوا وعبروا حقل الألغام واستشـهدوا. هؤلاء بالنسـبة إلينا كأقـارب الأئمة، هـؤلاء كانوا أصحاب معجزات؛ هؤلاء أكثر الناس امتلاكاً للمنطـق، وأصلبهم وأنقاهـم ويملكون أجمل الوجوه. والله إنّنـي أعتقـد أنّـه تمّ تعليق أسـماء هـؤلاء الشـهداء على ما يشبه اللوحة في الجنّة.[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم الشهيدين محمدي بور.

الهجرة أوّل منزلٍ بالنسبة لمقام الشهادة

النقطة الأساسيّة التي ارتكز عليها شهداؤنا بحيث بلغوا هذه المنزلة، وهي من المقامات المهمّة للوصول إلى منزلة الشهادة، هي مقام الهجرة. أوّل نقطة أساسيّة للوصول إلى مقام الشهيد والشهادة، هي قضية الهجرة. الهجرة من الذات، الهجرة من مقامات الذات، الهجرة من مال الذات، الهجرة من مكان الذات، الهجرة من تعلّقات الذات، الهجرة من جماليّات الذات. الشهداء حقّقوا هذه الهجرة في كامل أبعادها بأكمل صورة ممكنة. ذلك الأب الشهيد الذي أعرفه بالإسم، عندما أراد أن يودّع ابنته، مسح بيده على وجه ابنته، وأدار وجهه إلى طرف آخر ممّا دفع زوجته لأن تسأله عن سبب إدارته وجهه؟ فأجابها: أخشى أن تسيطر عليّ محبّتها وتهزمني.

هذه الهجرة، هي هجرة إذا نشأت بداخل الإنسان، سينال أجراً عظيماً من الله كما وعد الله عزّوجل في القرآن الكريم حتّى لو لم يُستشهد، وسيكون شبيهاً بالشهداء.[1]

مكانة المحبّة أرفع من التقوى والأخلاق

واحدة من إنجازات الإمام الخميني قدس سره كانت أنّه أسّس في مبحث الجهاد الأكبر إلى جانب مجال العدالة والتقوى والأخلاق، مجالاً آخر لم يكن ضمن إطار الأشخاص العاديّين، بل ضمن إطار العصمة والإمامة؛ بغضّ النّظر عن الأشخاص الذين كانوا يملكون درجات رفيعة في المجالين العمليّ والعرفاني أو سائر الأشخاص الآخرين. هذا المجال، هو بلوغ الأشخاص مرتبة الحبّ والعشق. وفي الجهاد الأكبر، هذه درجة أرقى من مرتكز التقوى والعدالة والأخلاق. شهداؤنا استلهموا هذا الدّرس

١- كلام الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء محافظة جيلان.

من الإمام الخمينيّ قدس سره.[1]

لقد دفنّا هذا الشّاب في كربلاء، لا في النّجف

عندما سقط صدّام جاء إليّ أحد الإخوة العراقيّين ويُدعى المهندس أبو رياض. قال بأنّنا لدينا جارٌ كان يصرّ دائماً على اللقاء بي. وكنت أظنّ بأنّه يرغب في التواصل معي لأنّني من الجهاديّين، فلم أعطه مجالاً كبيراً. ثمّ لاحظت أنّه يصرّ كثيراً، فقلت له تعال، وجاء. قال لم يكن لديّ شغلٌ خاصّ معك؛ لكن ولأنّك على ارتباط بالإيرانيّين، وقعت لعائلتنا حادثة معيّنة ووددتُ أن أطلعك عليها. إذا كنت تعرف أحداً في إيران، أخبره بهذه الحادثة. ثمّ نقل قصّة مفادها: كان لدينا أخٌ يقاتل في جيش صدّام، وقد أخبرونا أنّ شقيقكم قُتل في عمليّة الفاو -أي «والفجر ٨»-، حينها كان حزب البعث يأتي

١- كلام الحاج قاسم سليماني في لجنة مؤتمر شهداء كرمان.

ويأخذ العوائل لكي تتعرّف على الجثمان ثمّ يدفنوه. أخذونا لكي نتعرّف على الجثمان، رأينا أنّ الجثمان ليس جثمان شقيقنا ولا يشبهه أبداً؛ لكنّ القلادة كانت قلادة أحد أشقّائنا! قلنا أن هذا ليس جثمان أخينا، فعاملونا بعنف، وخفنا. قالوا أليست هذه قلادة شقيقكم؟ قلنا: بلى! قالوا: ماذا عن ثيابه؟ قلنا: بلى! قالوا إذاً هو شقيقكم.

ثمّ اتّضح فيما بعد أنّ شقيقنا أُسر، وتمّ تحريره بعد عدّة أعوام وعاد إلى العراق. بعد مدّة نقلنا ما حدث لأخينا وقلنا له بأنّ حادثة كهذه وقعت.

نقل لنا شقيقنا قصّة تهزّ الأبدان، قال: عندما وقعتُ في الأسر جاء إليّ شابٌ إيراني، تحدّث إليّ بلغة عربيّة مكسّرة. قال أن خذ هذه الثياب العسكريّة وأعطني ثيابك وقلادتك! استغربت وتسائلتُ، ما الذي يريده هذا الشابّ الإيراني من ثيابي وقلادتي؟! قال: أنا أعلم بأنّني

سوف أستشهد في هذه العمليّة، وأرغب في أن أدفن في كربلاء؛ لكنّني محرومٌ من ذلك لأنّني إيراني. إذا كانت هذه القلادة على رقبتي وكنت مرتدياً ثيابك، سيدفنوني في كربلاء لأنّك شيعيّ وعراقيّ. عادةً ما يدفنون الشيعة في النجف ووادي السلام، لا في كربلاء. قال بأنّه أخذ مني هذه القلادة وبدّل ثيابه بثيابي. وللصدفة، قمنا نحن بدفن هذا الشاب في كربلاء، ولم ندفنه في النجف؛ لأنّه لم يكن شقيقنا ولم نكن نعرفه، أخذنا الجثمان إلى كربلاء ودفنّاه هناك.[1]

شوقي للشهادة كشوق الابن المُبعد عن أمّه

لو استشهد الملايين في سبيل أهداف من قبيل الدين، الرسول ونهج الإمام الحسين عليه السلام، فإنّ ذلك سينطوي على قيمة كبيرة وكلّ واحد من هذه الأهداف

١- كلام الحاج قاسم سليماني في أسبوع التعبئة.

لـه قيمة خاصّة. أورد الإمـام الخميني ﷺ في وصيّته: أيّها الشّـعب الإيرانيّ الذي أفديه بروحي .. ما هي قيمة روحي بصفتـي جنديّاً صغيـراً حيث أنّ العدوّ يهدّد باغتيالي، لا يسـودنا الرّعـب بهـذه التهديـدات. هذا ليس تهديـداً، بل هي تسـاعد على إزالة الشّـوق بين ابنٍ وأمّـه المبعدة عنه. إلهي! ارزقني الشهادة في سبيلك على يد أعداء دينك![1]

ليـس مـن المضمـون أن أبقى أنا سـليماني ثابتـاً على هذا النّهج حتّى النهاية

علينـا أن نطلب مـن الله عزّوجل أن يرحمنا في المكانة التي نحن فيها. ليس من المضمون أن أبقى أنا سـليماني ثابتـاً علـى هـذا النّهـج حتّـى النهايـة، وإنّ سـبب طلبنـا لحُسـن العاقبـة هو هـذا الأمر. نحـن المجاهـدون جميعاً حُفرت بداخلنا مشاهد جميلة من مرحلة الدفاع المقدّس

١- كلام الحـاج قاسـم سـليماني في تجمّع ضـمّ ٥٠ ألف تعبويّـاً من أهالي كرمان.

ترتبط بالشهداء. لعلّ شباب الاستخبارات في الفيلق يحيطون بهذه الأمور أكثر ولعلّ أصوات علي ماهاني، علي حاجبي، اتحادي، طاجيك، ميرحسيني وجميع الشهداء الآخرين لا تزال حاضرة في أسماعهم. كم من هذه الصّور انمحت اليوم من أذهاننا وحلّت مكانها أمورٌ أخرى؛ كلّ واحد منّا يدرك في خلوته ما حلّ بنا أكثر من الآخرين.

علينا أن نصحو وندرك أيّ عاقبة نسعى نحوها. إذا كنّا نتمنّى اللحاق برفاقنا الشهداء، علينا أن نكون مصداقاً لتعبير الشهيد العظيم مهدي كازروني حيث قال: «قوموا بما يجعل كلّ من يلتقي بكم يشعر بأنّه التقى شهيداً.» لكن إذا كنّا نخطو في مسارٍ آخر غير مسار الحقّ وتظاهرنا بغير ذلك، فعلينا أن ندرك أنّ هذه الحذاقة لا تبقى ولم يكن أحدٌ أكثر حذاقة ومكراً من معاوية؛ ما الذي تبقّى منه

اليوم؟[1]

لله في خلقه شؤون

كانت هناك في إحدى مناطق عمليّة «والفجر١٠» حفرة كبيرة بإمكان أربعة أو خمسة كتائب الاختباء فيها. لقد كنّا نأخذ الأسلحة والذخائر والقوات ونخفيهم هناك. كنت أفكّر في نفسي يوماً أنّه قد تكون هناك آلاف الفوائد والاستخدامات للطبيعة؛ لكن كأنّ الله عزّوجل خلق هذه الحفرة من أجل هدف آخر إضافة إلى استخداماتها. لعلّه كان هناك سببٌ أهمّ من سائر الأسباب عندما خلق جلّ وعلا هذه الحفرة.

خذوا على سبيل المثال الجبل، هناك في الطبيعة جبالٌ عديدة؛ وأعلى أيضاً من جبل الطور؛ لكن لماذا عُرف ذلك الجبل بالذّات من بين سائر الجبال؟ لأنّ

١- كلام الحاج قاسم سليماني بين مجاهدي فيلق ٤١ ثار الله في كرمان.

النّبي موسى عليه السلام ذهب إلى ذلك الجبل؛ أو على سبيل المثال، كم يوجد في العالم من الكهوف، لماذا عُرف غار حراء فقط؟ لأنّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله كان يمارس العبادة هناك. حدّثتُ نفسي بأنّ الله خلق هذه الحفرة لكي يأتي الإخوة إليها في يومٍ من الأيام ويحتموا بها؛ أي لعلّ سبب خلقة هذه الحفرة كان حفظ أرواح المجاهدين.[1]

سنموت جميعاً في يوم من الأيام

عندما يشاء الله عزّوجل رفعة أحد الأشخاص، فإنّه يخلق سبباً لذلك. يقوم بنفسه بتوفير الأسباب. كم هو عدد الذين يموتون يوميّاً في بلدنا نتيجة الحوادث؟ أنظروا كم هو عدد المتوفّين كلّ سنة؟ يموت ما بين العشرين إلى ثلاثين ألفاً بشكل سنوي بسبب حوادث السّير؛ وهذا غير الذين يموتون بسبب الجلطات والسرطان وغيرها من

١- كلام الحاج قاسم سليماني في لقاء مع عائلة شهيد الدفاع عن المقدّسات، الشهيد لنكري زادة.

الأمراض.

وتقام مجالس العزاء لكلّ هذه الوفيّات. فلتفرضوا أنّ شهدائنا لم يبلغوا منزلة الشهادة في الحرب، كانوا سيموتون جميعاً. أين كان من المقرّر أن يبذلوا أرواحهم؟ يخلق الله عزّوجل سبباً وينال بعض خواصّ عباده وأوليائه المخفيّين بين عباده منزلة الشهادة.

بين كلّ هؤلاء الأشخاص أصحاب الادعاءات والمراتب والمكانة الماديّة، يختار إنساناً لا يتوقّعه أحد، ويمنّ عليه بالعزّة. هذا ما يجدر بالإنسان أن يحتفل لأجله ويعرب عن سروره. لقد كانت زوجة الشهيد، ووالدته وأبنائه أشخاصاً عاديّين قبل استشهاد شهيدهم؛ لكنّ الله عزّوجل يمنّ بعد استشهاد هؤلاء الأقارب بمنحهم مكانة وشخصيّة. فبحجّة شهيدٍ معيّن، يمنّ على عائلته بالعزّة. والشهيد نفسه أيضاً عزيزٌ وخالد.

الشـهيد يجعل نفسه خالداً ويعزّ من كانوا حوله وعائلته وكلّ من كان على علاقة به.

عندمـا يمنـح الله عزّوجـل نعمـة لأحـدٍ ما، لا يسـتطيع أحدٌ تضييعها؛ إلا صاحب النّعمة؛ لذلك ينبغي أن تدرك عوائـل الشـهداء قيمـة عزّتهـا ومكانتهـا وأن تكـون شـاكرة وحامدة لله عزّوجل.

ومـزار الشّـهيد يختلـف عن مزارات سـائر الأشـخاص. مـزار الشّـهيد، يـزداد إشـراقاً يومـاً بعـد يـوم؛ وسـبب ذلك اتّصالـه بمصدر النور الذي لا ينتهي. انظروا إلى القبور في مختلـف المـدن، كـم توجد قبور تسوّسـت فيها الأجسـاد وكم من القبور هُجرت وتُركت؛ لكن مزارات هؤلاء الشهداء مصدر الفيض والنّور للبشريّة.[1]

١- كلام الحـاج قاسـم سـليماني فـي لقـاء مـع عائلـة شـهيد الدفـاع عـن المقدّسات، الشهيد لنكري زادة.

اعترض عليّ أحد الإخوة

قلت مرّة أنّ الشهيد همّت، والشهيد أحمد كاظمي، والشهيد حسن باقري و... لم يكونوا أدنى منزلة من مالك الأشتر. بعد أن نزلت عن المنبر سلّمني أحدهم ورقة ورد فيها اعتراضٌ على كلامي وكُتب فيها: يا فلان، من الجيّد أنّك تمدح الشهداء؛ لكنّك لا تعرف منزلة مالك الأشتر.

وافقته بأنّني لا أعرف مالك؛ لكنّني أفهم كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأدركه من أعماق وجودي. عندما استشهد مالك، اعتلى الإمام عليّ عليه السلام المنبر ونظر إلى الجموع، ولعلّه كان يرى مكان مالك فارغاً أو المستقبل فارغاً دون وجود مالك.

قال وهو يذرف الدّمع: «مالك، ومالك؟ والله لو كان جبلا لكان فندا، أو كان حجرا لكان صلدا لا يرتقيه الحافر، ولا

يوفى عليه الطائر.»

لقد تربّى مالك إلى جانب سيف أمير المؤمنين عليه السلام وركضة حصانه في ميدان الحرب؛ لكنّ حسن باقري أو خرازي أو همت بلغوا هذه المقامات العرفانيّة في بدايات سنّ الشباب؛ دون أن يدركوا الإمام عليّ عليه السلام. هؤلاء لم يكونوا مثل مالك، بل أعلى من مالك. لقد خرّجت حربنا عرفاء في سنين الشباب والفتوّة؛ بحيث أنّ الإنسان يقف حائراً ومذهولاً أمام مقامه ومنزلتهم. كيف يبلغ فتى بعمر ١٨ عاماً نقطة من ذروة العرفان بحيث يجمع أمعائه الخارجة من جسده في كيس بلاستيكي ويلصقها بخصره؛ نتحدّث عن مجاهدٍ ليس من أعضاء الحرس الثوري وليس مكلّفاً. يواصل قتاله بهذه الحال حتّى يُستشهد. في أيّ مدرسة يُدرّس مثل هذا العرفان؟[1]

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء لرستان.

اعترضت على الشهيد ميرحسيني

رأيت في عمليّة «والفجر١» كهلاً يبلغ من العمر ٩٠ سنة ويتكّئ على عصاه، لم يكن من أهالي خوزستان أو البستان لكي يكون دافعه من القدوم الدفاع عن عرضه، بل كان من أهالي زهك وزابل. كانت يداه ترتجفان وكان يضع نظارة سميكة على عينيه، لم يكن بيده أيّ سلاح. اعترضت على الشهيد ميرحسيني قائلاً: لماذا جئتم بهذا العجوز؟ أجابني بأنّني عجزتُ عن إرجاعه، فلترجعه إن كنت قادراً على ذلك. ذهبت باتجاه هذا الرّجل العجوز، فرأيت أنّ هذا الرّجل كان يمشي بجانب هذا الفيلق ويردّد بصوت خافت: لكلّ من يشتاق لكرب وبلاء، بسم الله .. الحرّ بن يزيد الرياحي عظيمٌ وكبير؛ لكنّ قباد شمس الديني الذي كان حاضراً معنا كان شبيهاً بمسلم بن

عوسجة.[1]

أيّ معرفة خلّفتها حرب نادرشاه؟

نحن نشهد في العالم وقوع حروبٍ عدّة، واليوم أيضاً نشاهد حروباً عديدة بأمّ العين، وقد كانت الحروب في الأزمنة السابقة أيضاً. منذ أن انتهت حربنا، وقعت لحدّ اليوم أربعة أو خمسة حروب دامية وقاسية في هذه المنطقة وبجانب حدودنا أو على مقربة من حدودنا. في لبنان، العراق، الكويت، أفغانستان وفلسطين. ما هي الفروقات بين حربنا وهذه الحروب؟ هل يكمن الفرق بين هذه الحروب في انتصاراتها وهزائمها العسكريّة؟ يذكرون في التاريخ أنّ نادرشاه هاجم يوماً المكان الفلاني، انتصر أو هُزم، هذا ما يُذكر فقط! يُسجّل التاريخ الهزائم والانتصارات ويرويها. وأقصى ما يُذكر ضمن مسار هذه

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء لرستان.

الهزائـم والانتصـارات، تفاصيـل تحكـي مـن كان القائـد أو مـاذا كان تكتيكهـم و... لا يُذكـر أكثـر مـن هـذا. ما هي المعرفـة التـي خلّفتهـا حـرب نادرشـاه؟ لا شـيء يُذكـر! لكنّ مرحلـة الدفاع المقدّس التـي خضناها انطوت على انتصـارات كبيـرة وعظيمـة ليس فـي زمانها فقـط؛ بل في الأزمنـة التي تلتها وتتلوها -حيث أنّنـا لن نكون على قيد الحيـاة وفـي هـذا العالم-. لقـد تحوّلت هـذه الحرب إلى مدرسـة ونبعـت مـن أعماقها ثقافـة وضخّت هـذه الثقافة فـي سـائر المجتمعات. لقد كانت ثقافـة حديثة وأصيلة، بحيث أنّ كلّ ما سمعناه عن تاريخ صدر الإسلام، تجسّد بشكل عمليّ في ميادينها.[1]

عندما استشـهد حسـين فهميده -ابن الأعـوام الثلاث عشـر- قال الإمـام الخمينـيّ قدس سره أنّ قائدنا هـو ذلك الطفل

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء لرستان.

ذو الثلاثة عشر ربيعاً الذي ألقى بنفسه تحت الدبابة. علينا أن لا نظنّ أنّ الإمام قدس سره بالغ وكان كلامه غلوّاً! لا لم يكن الإمام الخميني قدس سره من المغالين. واحدة من أدوار القائد المهمّة هي تحديد النّهج والمسار. والشهيد يحدّد النهج والمسار، لقد حدّد الشهيد فهميده المسار؛ كما حدّده الشهيد حججي. لم يُستشهد فقط؛ بل حدّد نهجاً ومساراً. هذا ما تعلّمناه واستلهمناه من مدرسة الإمام الحسين عليه السلام.[1]

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر شهداء محافظة أصفهان.

الفصل الخامس: شهداء الدفاع المقدّس

كان مالك أشترٍ بكلّ معنى الكلمة

كان قاسم ميرحسيني،[1] أهمّ شخصيّة في فيلق ٤١ ثار

١- الشهيد الحاج قاسم ميرحسيني، ولد في العام ١٩٦٣ في إحدى قرى زابل وقائم مقام وكان أحد معاوني الحاج قاسم سليماني في فيلق ٤١ ثارالله خلال مرحلة الدفاع المقدّس، وهويُعتبرمن الشخصيات العسكريّة والعمليّاتيّة المجهولة في مرحلة الدفاع المقدّس؛ وقد ذكرالإمام الخامنئي اسمه في إحدى لقاءاته العامّة كأحد أبرز شخصيّات الحرب المفروضة.

شعار الحرس الثوري وصورة الإمام الخمينيّ على الدّبابات الإسرائيليّة!

توجّه الشهيد ميرحسيني في أوائل الثمانينات إلى لبنان بناء على تشخيص قادة الحرب وسطّرهناك مشاهد استخباريّة مذهلة ضمن المواجهة مع الصهاينة.

فقد قام عدّة مرّات بالتسلّل ليلاً من حدود لبنان إلى حدود فلسطين المحتلّة والوصول إلى تجهيزات الصهاينة العسكريّة، ثمّ طبع شعار

الحرس الثوري وصورة الإمام الخميني قدس سره على دبّابات الصهاينة. جعل تكرّر هذه الممارسات قادة الجيش الصهاينة يصابون بالذهول والارتباك، وتسبّب ذلك بتغيير اصطفافات الجيش الإسرائيلي العسكريّة والاستخباريّة في جنوب لبنان.

مع انطلاق عمليّة «بيت المقدس» شارك بصفته معاون أحد الفيالق المشاركة الفاعلة في هذه العملية. ثمّ بعد تحرير خرّمشهر عاد إلى طهران من أجل المشاركة في دورات تدريبيّة على القيادة وبعد الانتهاء منها انضمّ إلى فيلق ٤١ ثار الله.

شخصيّة لافتة واستثنائيّة

في العام ١٩٨٢ تم تعيينه قائداً لفيلق الشهيد مطهّري وبعد أن شارك في عمليّات مثل «رمضان» و«والفجر التمهيديّة» وبعد أن لاحظ القادة جدارته تمّ تعيينه مسؤول التخطيط والعمليّات في فيلق ٤١ ثار الله عليه السلام. جُرح في عمليّة «والفجر١» في كتفه ووجهه.

لم ينم جنديّ صاحب الزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف المجهول هذا في عمليّة «والفجر٣» طيلة ٣ أيام متتالية لكي يجهّز ويخطط لهذه العمليّة. وفي عمليّة «والفجر٤» استعادوا بفضل الله وجهود مجاهدي الإسلام مرتفعات «دره شير» و«بنجوين».

تمّ تعيين الشهيد ميرحسيني في عمليّة «خيبر» قائداً للفيلق وبعد قتالٍ شجاع، أصيب في هذه العمليّة إثر القصف الكيميائي بتسمّم جرّاء الغازات السامّة وجُرح، فنُقل على الفور إلى الخطوط الخلفيّة للجبهة، ثمّ تمّ نقله إلى طهران. لم يكن اللواء حسيني قد شُفي من جراحه بعد حتّى عاد إلى مناطق العمليّات وشارك في عمليّة «ميمك» إلى أن تمّ تحرير مرتفعات ميمك. في العام ١٩٨٤ أوكلت إليه مسؤولية التخطيط لعمليّة

فيلق ٤١ ثار الله.

في العام ١٩٨٥ تشرّف بزيارة بيت الله الحرام وتمّ تعيينه في العام ذاته نائباً لقائد فيلق ٤١ ثار الله. وفي عمليّة «والفجر٨» تمّ تحرير مدينة الفاو جرّاء بسالة وشجاعة قوات الحرس الثوري والقيادة المقتدرة للقادة والحاج قاسم ورفاقه المجاهدين.

الوقوف في صفوف الجنود العراقيّين من أجل استلام وجبة الطّعام

كان الشهيد ميرحسيني رغم مسؤوليّته الرفيعة كنائب لقائد فيلق ٤١ ثارالله، يبادر في العديد من الأحيان إلى خوض عمليّات الاستطلاع بشكل شخصي. يتحدّث أحد رفاقه حول تبحّر الشهيد ميرحسيني في عمليّات الاستطلاع والعمليّات الاستخباريّة قائلاً: لقد كان هادئاً ومسيطراً على نفسه لدرجة أنّه قام في إحدى عمليّات الاستطلاع باختراق مقرّ البعثيّين، ووقف في صفوف استلام الجنود البعثيّين لوجبة الطعام دون أن يشكّ به أيّ أحد.

حرّر في «كربلاء١» برفقة المجاهدين مرتفعات «قلاويزان». وفي «كربلاء ٤» التي كانت مقدّمة لـ«كربلاء٥» قاتل بشجاعة وإخلاص وطرد البعثيّين الظالمين برفقة أعوانهم إلى خارج حدود البلاد

وأخيراً نال هذا القيادي الإسلامي الباسل والشجاع فيض الشهادة في منطقة شلمجه خلال عمليّة «كربلاء٥» (١٩٨٦/٤/٣٠) بعد أن نظّم القوات أثناء العمليّة إثرإصابة طلقة مباشرة من قبل العدوّ لجبهته.

خلال زيارة له إلى محافظة سيستان وبلوشستان أثنى الإمام الخامنئي على الشهيد عظيم القدر قائلاً: «الشهيد الحاج قاسم ميرحسيني من قادة فيلق ثار الله، وهو من الشخصيّات الاستثنائيّة واللافتة، وهكذا تعرّفت على أهالي سيستان.»

الله. وإنّني أشعر بفراغ مكانه اليوم في أيّ مهمّة. لقد كان الشهيد حسينيّ استثنائيّاً في الحرب. مهما تحدّثتُ عن ميرحسيني، أشعر بأنّني عاجزٌ عن إنصاف هذا الشهيد. كان يملكُ روحاً عظيمة، لقد كان مالك أشترٍ بكلّ معنى الكلمة. لا أعلم إن كان مالك كالشهيد ميرحسيني في ميدان القتال الصعب ووسط الحصار أو لم يكن مثله.

لقد كان الشهيد ميرحسيني قائداً يملك كلّ الجوانب التي يحتاجها أيّ قائدٍ إسلامي بناء على التعاريف الأصيلة لأمير المؤمنين عليه السلام؛ كان أكثر شخصيّة روحانيّة في فيلق ثار الله؛ وكان يلتذّ كلّ من يسمع صوته العذب في قراءة القرآن.

كنّا جميعاً نُذهل أمام حركاته

لقد كان ميرحسيني خطيباً، وكان عندما يبدأ بالخطابة يسحر الحضور -كما كان يعبّر الإخوة-؛ كان

كلّ ما يقوله مستنداً إلى الآيات والروايات. لقد كنت أشعر فعلاً أن لا قدرة لأيّ طالب علوم حوزويّة بعمره أن يصل إلى قدرته. وفي جانب القيادة، عليّ القول بأنّه كان يقدّم أكثر القرارات صحّة وصوابيّة وأفضلها في الجلسات، كانت آراء الشهيد ميرحسيني أفضل الآراء وكانت توقّعاته تحصل في ميدان العمل.

أُشهد الله أنّني لم أشاهد أثراً لملامح الخوف على وجه الشهيد ميرحسيني حتّى في أصعب الظّروف. كأنّ كيان هذا الرّجل كان خالياً من أيّ نوعٍ من أنواع الخوف أو الرّعب أو الترديد. فعندما كان يكون محاصراً، كان يتحدّث بنفس الأسلوب الذي كان يتحدّث به في المعسكر؛ بينما كانت رشقات الرّصاص تنهمر من كلّ حدبٍ وصوب وكان الجميع يخفون أنفسهم في الملاجئ؛ أو خلف المتاريس والتلال الترابيّة لكي لا يصيبهم الرّصاص، كان هذا

الشـهيد جليـل القدر يقف وكنّـا نُصاب جميعـاً بالذهول أمـام تصرّفاتـه. كنـت أنظـر إليـه فأجـده يجمـع الشـباب ويعبّئهـم تماماً كما كانوا ينشـدون في السـابق الأرجوزات أمام العدوّ، وكان يوجّههم ويمازحهم في الميدان.

لم أرَ مثيلاً له

لقد وهبني الله عزّوجل توفيق خدمة الشهيد ميرحسيني منـذ بدايات عمليّة «والفجر١» حتّى النهاية، وإنّني أقولها بصراحـة أنّنـي ملكـت أصدقـاء كثر مـن شـهداء الحرب، لكنّني لم أرَ مثيلاً له في مختلف العمليّات.

عالم لا متناهٍ من المعرفة

منـذ أن كنت بخدمتـه، لم أره يترك نافلـة الليل ولو مرّة واحدة. أو أنّني لم أرَ نافلة ليل لا يُتمّها الشهيد ميرحسيني بالبكاء. يشهد الله أنّنا كنّا نصحو بفضل بكاء هذا الشهيد العظيم؛ كان رجلاً مذهلاً، كان عالماً لا متناهٍ من المعرفة.

كنت ألاحظ عندما يجتمع أفراد الكتيبة حوله ويهمّ بإلقاء خطاب معيّن، كان الجميع منذ اللحظة التي يبدأ فيها بـ«بسم الله» حتى انتهاء كلامه، يُسحرون به ويغرقون في كلامه تماماً مثل الأطفال الذين يترقّبون أن تلقمهم أمّهم الطعام.[1]

١- أورد الحاج قاسم ميرحسيني في مقطع من وصيّته خطاباً لرفاقه المجاهدين وأيضاً لقائده الحاج قاسم سليماني أموراً أوصاهم بها، ونظراً لأهميّتها، نرفق فيما يلي المقطع الكامل من الوصيّة الذي خصّ به الشهيد الحاج قاسم سليماني:

أرغب في التحدّث مع إخوتي الأعزّاء، رفاقي في الجهاد وقدامى المجاهدين، والحاج قاسم سليماني بشكل خاصّ، لعلّ مصلحة الحقّ عزّوجل ومشيئته اقتضت أن أحظى بتوفيق الشهادة وأن نودّع بعضنا البعض في هذه الدار الفانية. رأيت أنّه من الضّروريّ أن ألفت الأنظار إلى بضعة جُمل تحت عنوان بثّ الهواجس وعرض خلاصة ما خَلُصت إليه خلال أعوام الحرب والدروس التي استلهمتها منها:

١. أنتم وسط الحرب، لا تسمحوا لأيّ مشروعٍ في حياتكم الشخصيّة بأن يصيبكم بالتراخي في أمور الحرب والتخطيط ويحدّ من قدرتكم على المقاومة.

٢. ينبغي البحث عن السّبب الرئيسي لترك ساحة الحرب والضغوط الناجمة عنها في الأمور العقائديّة والروحيّة، لا في قلّة الزاد من ناحية

التدريب والكوادر والتجهيزات؛ لوكنّا على سبيل المثال نعتقد بيوم القيامة، والمعاد والحشر وصدّقنا بوجود هذه الأمور وكونها حقّاً، فإنّنا لن نهرب أبداً من الموت وسوف لن نتعلّق بهذه الدّنيا على الإطلاق؛ لكن ولأنّ الروح الملكوتيّة لم تنضج بما يكفي لتؤمن بالله عزّوجل بالقدر الكافي ولم تفنَ في الله جلّ وعلا ولا تملك الطاقة الكافية لمقاومة الضغوط الماديّة، ينتج عنها باستمرار، اليأس، والكدورة، والتذمّر وترك ساحة الحرب في بعض الأحيان.

٣. لا تسمحوا لأيّ شيء بالتغلغل إلى قلوبكم بحيث يصبح إلهاً ويحتلّ مكان الإله الحقيقي؛ فالله جلّ وعلا يغادر ذلك القلب بسرعة.

٤. قسّموا الأمور المريحة في الحرب بينكم وبين الآخرين، وافعلوا الأمر نفسه حيال المشاكل والصعوبات.

٥. فلتكن الفئات الأدنى الباعث لقوّة قلب الفئات الأعلى ولتعامل الفئات الأعلى الفئات الأدنى منها معاملة الآباء والأمهات.

٦. أشهد عند الله عزّوجل أنّ التعبويّين أسوة وتجسيدٌ للمجاهدين في زمن الأنبياء والأولياء، ولا ينبغي التطلّع إلى الجميع بعينٍ واحدة والخلط بينهم وبين بعض الأشخاص غير التعبويّين الذين يرتدون لباسهم المقدّس.

٧. لقد سارت أمّة حزب الله، عوائل الشهداء المعظّمة، مفقودو الأثر والأسرى والجرحى وسائر الفئات من ذوي الحقّ على الثورة الإسلاميّة جنباً إلى جنب مع الإمام الخمينيّ وقاوموا مع الإمام وعلى الإخوة في الحرب -بصفتهم روّاد هذه الحركة- أن يمتلكوا حرارة، ونشاطاً وسرعة أكثر من الجميع.

اعتبر الشهيد ميرحسيني المنقذ لكلّ العمليّات

لقد كان الشهيد ميرحسيني المنقذ لكلّ العمليّات. فعندما كان البعثيّون يشنّون هجوماً مضادّاً وكنّا نشعر بالضغط، كان مجرّد انتشار خبر قدوم ميرحسيني في الجبهة بمثابة قدوم فيلق بأكمله، كان يترك هذا القدر من التأثير في كلّ الجبهة.

أذكر في عمليّة «بدر» أنّه عندما شنّ البعثيّون هجوماً مضادّاً، انطلق ميرحسيني باتّجاههم، في ذروة تلك الصعوبات -في اللحظة التي كان الجميع يفكّر فيها بالتراجع- ذهب ميرحسيني وكان آخر العائدين. إنّني أجزم بأنّ ميرحسيني كان منقذ كلّ العمليّات. دور ميرحسيني كان في كفّة ودور سائر الكتائب في الكفّة

٨. في ختام حديثي أوجّه كلامي للمسؤولين رفيعي المستوى في الفيلق وأقول لهم ما قاله الإمام الخمينيّ؛ لا تنتظروا امتلاككم للقوّة؛ بل تحرّكوا باتّجاه امتلاك القوّة.

الأخرى!

لم أرَ ميرحسيني يمدح نفسه يوماً بأنّني كنت المنقذ للعمليّة الفلانيّة و... كان مجهولاً إلى أقصى الحدود. قبر ميرحسيني اليوم قبرٌ عاديّ في منطقة نائية وبعيدة؛ لا يعلم أحدٌ أنّ شخصيّة بهذه العظمة كانت تعيش في زابل؛ وهذا هو حال نهارها وذاك هو حال ليلها.

سوف تصيب الرّصاصة هذه النّقطة من جسدي

في عمليّة «كربلاء ٤» كان الشّباب قلقين جدّاً على ميرحسيني. لم يخرج الشهيد ميرحسيني من أيّ ميدان دون أن يصاب بجرحٍ معيّن. لقد كان يحمل في جسده جراحاً من كلّ العمليّات التي شارك فيها. قال للإخوة أن لا تخافوا، لن أستشهد في عمليّة «كربلاء ٤»!

قبل عمليّة «كربلاء ٥» كنّا جالسين في إحدى الليالي داخل الخندق ومنشغلين بتبادل أطراف الحديث، قال:

ستصيب الرّصاصة هذه النقطة من جسدي! وضع إصبعه على جبهته وهذا ما حصل؛ لم يُسمع صوت ميرحسيني العذب والقيّم والحافل بالمعرفة من أجهزة اللاسلكي حتّى انتهاء الحرب؛ لقد كان ذلك الصّوت عذباً ومحبوباً لدى جميع الإخوة، الكرمانيّين، الرفسنجانيّين، الزرنديّين، السيرجانيّين، الهرمزگانيّين والبلوش، وكان يبعث فيهم الأمل؛ خمد حينها ذلك الصّوت.

طلبتُ من الله أن يختم عمري في تلك المرحلة

طبعاً، لم أكن قادراً على التصديق. في اللحظات الأولى لم يخبرني الإخوة بهذا الخبر ثمّ أخبروني إياه على مراحل وبحذر. لا أنسى لحظة إخباري بنبأ شهادته على الإطلاق. لقد طلبتُ من الله عزّوجل في عمليّتين أو ثلاثة أن يختم عمري في تلك المرحلة. وإحدى العمليّات كانت عمليّة «كربلاء ٥». خاصّة عندما بلغني نبأ استشهاد

الشـهيد ميرحسيني. شـعرتُ بالفعل أنّ فيلق ثار الله انهار وتفتّت. والأهمّ من كلّ ذلك هوأنّني كنت أظنّ أنّ شهادته ستترك أثراً كبيراً على عدم نجاحنا في عمليّة «كربلاء ٥». لم يكن أيّ خبرآخرليقدرعلى نشـرالحزن وسـط فيلق ثار الله. فحتّـى تلك اللحظة، لم يسـتصعب المجاهدون في فيلق ثار الله أيّ حدثٍ كما استصعبوا سماع نبأ استشهاد الحاج قاسـم ميرحسـيني. حتّى ذلك الـذي كان حاضراً في العمليّة وفقد شـقيقه أو ابنه، كان حزيناً ومكروباً لفقد الشهيد ميرحسيني.

معنـى الهجـوم الثقافي هـوأن لا يعـرف أبناؤنا مثل هذه الشـخصيّات. علـى الشّـباب أن يتّخـذوا قـدوة من بعض الشـخصيّات. لقـد كان [الشـهيد ميرحسـيني] قـدوة ونموذجاً قيّماً ومجسّـداً في عمرنا؛ على الجميع أن يعرفوه ويعرّفوه للآخرين، فقد كان هومن عائلة محترمة واستشهد

شقيقه فيما بعد.

تنافس شقيقين على الذهاب نحو المقتل

في الحرب المفروضة، كان هناك شقيقان يتناقشان. شابان من رفسنجان اسمهما أحمد ومحمّد قنبري، لعلّ الفرق العمري بينهما كان أقلّ من سنتين، جاء هذان الشابان الوسيمان وحسنا المظهر في عمليّة «والفجر ٨». كان أحمد أكبر سنّاً من محمّد؛ لكنّ محمّد كان أضخم من الناحية الجسديّة من أحمد. كان كلّ واحد منهما يصرّ على أن يشارك هو دون أن يشارك الآخر. كان استدلال أحمد أنّه الأخ الأكبر، فقال: لقد أوصتني أمّي بأخي وإذا استشهد، لا أستطيع أن أعود إلى الجبهة؛ لأنّ والدتي ستمنعني من ذلك. وكان الأخ الأصغر يصرّ بأنّه لو استشهد أخي الأكبر الذي أوصته أمّي به، فإنّ والدتي

ستحول دون عودتي؛ لذلك ذهب كلامهما واستشهدا.[1]

ليس محتّماً أن تكون هناك دلالات خاصّة لأولياء الله

لقد أخفى الله جلّ وعلا أولياءه بين عباده.[2] لذلك ينبغي اجتناب النّظر إلى أيّ أحد نظرة عدم احترام ونظرة بعيدة عن الأدب، بل ينبغي التقدّم في الاحترام والأدب. لعلّ هذا الذي لا تبدو عليه القيمة، ذلك الذي يعمل لديكم، يكون وليّاً من أولياء الله. ليس محتّماً أن تكون هناك دلالات خاصّة لأولياء الله. انظروا إلى نوّاب صاحب العصر والزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف الأربعة، كان أحدهم بائع زيت. ومن بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام العظام كان ميثم التمّار، كان بائع تمر. ما الذي يعنيه اسم ميثم التمّار؟ ليس

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك عام ٢٠١٠.

٢- عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ الله تبارك وتعالى أخفى أربعةً في أربعة، أخفى ... وأخفى وليّه في عباده فلا تستصغرنّ عبداً من عبيد الله فربّما يكون وليّه وأنت لا تعلم. (الخصال، ج١، ص:٢٣١)

محتّماً أن يكون ميثم التمّار رئيس العشيرة الفلانيّة، أو العالم الفلاني.

كان الشهيد حسين الأسدي[1] من هؤلاء الأولياء المخفيّين؛ كان يعيش إلى جانبنا ومعنا والتقيت به مرّات عديدة، سلّمت عليه، وها أنا اليوم أتحسّر على تلك الأيّام.

لقد كان حسين أسدي حتّى الأمس شخصاً عاديّاً في هذه القرية. لم نكن نتوقّع كونه من الأولياء الإلهيّين العظام. لماذا كان أولياؤنا يبادرون للسلام عندما يلتقون

١- ولد الشهيد حسين الأسدي الخانوكي عام ١٩٦٠ في عائلة متديّنة في مدينة خانوك. كان له دورٌ مؤثّر في انتصار الثورة الإسلاميّة وانضمّ إلى مؤسسة جهاد البناء بعد انتصار الثورة الإسلاميّة. بالتزامن مع بدء الحرب المفروضة تطوّع للمشاركة في الجبهة وأصبح عضواً في صفوف الحرس الثوري في العام ١٩٨١. انشغل حسين بعد الحرب بالخدمة في منصب مسؤول التبليغ الإسلامي في مقرّ القدس في سيستان وبلوشستان. ثمّ نال أخيراً فيض الشهادة في العام ١٨ تشرين الأوّل من العام ٢٠٠٩ إثر عمليّة اغتيال نفّذها عناصر جماعات المنافقين الإرهابيّة.

أحدهم -ولا فرق في كونه أصغر منهم سنّاً أو أكبر-؟ هذه خصلة أنبيائنا، وهذه كانت خصلة عظمائنا.

كيف بلغ حسين الأسدي هذه المرتبة؟! لقد كان أسدي بالأمس شخصاً يأمر بالخير. كان يأمر بالمسجد. كان يأمر بالصّلاة، كان يأمر ببناء المسجد. كان يأمر بتكريم الشهداء؛ لكنّ أسدي اليوم يختلف عن أسدي الذي كان في السابق. هذه المرتبة من المعتقدات الدينيّة، نقلته من التسليم إلى التصديق ومن التصديق إلى اليقين.[1]

كنّا نشكّ في بلوغه سنّ التكليف

أمعنوا النّظر في الوجوه، انظروا إلى مشاهد عمليّة «والفجر٨». أولئك الذين سطّروا هذه العمليّة المعقّدة والثقيلة من الناحية العسكريّة، لم يكن قد نبت الشعر في

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل تكريم شهداء خانوك عام ٢٠١٠.

لحى العديد منهم، كانوا فتية. كان حسن يزداني[1] طالب

١- أحد الغوّاصين الذي طرح بعبوره لنهر أروند الفكر الأساسيّة لعمليّة «والفجر ٨»، كان حسن يزداني؛ وُلِد الشهيد العارف حسن يزداني عام ١٩٦٩ في كرمان؛ لكنّه انتقل إلى مدينة قم المقدّسة عام ١٩٨٠ وبعد انتهاء العام ١٩٨١ عاد مع عائلته إلى كرمان ثمّ انضمّ إلى حوزة كاشان العمليّة من أجل مواصلة دروسه الدينيّة.

عاد إلى كرمان في صيف العام نفسه ومن هناك انطلق إلى الجبهة. لفت أنظار القادة بسبب درايته الواسعة، فانضمّ إلى وحدة الاستخبارات وبدأ عمله كمسؤول لمحور الاستخبارات والاستطلاع. في وحدة الاستخبارات تعرّف على إخوة منهم حسين يوسف إلهيّ، إبراهيم هندوزادة، مهرداد خواجويي، كياني و... كانت مشاركته في وحدة الاستخبارات في جبهات قتال الحقّ ضدّ الباطل تجربته الأولى في ميدان الحرب. استطاع أيضاً في عمليّة «والفجر ٨» أن يسطّر ملحمة اجتياز نهر أروند ٣٠ مرّة، رغم وجود مشاكل من قبيل سرعة المياه، برودة الأجواء في الشتاء، جزر ومدّ المياه ومشاكل أخرى، حيث حاز لقب «قائد أروند». عندما كان يشرح ظروف العمليّة في الجلسات، كان يتحدّث بدرجة عالية من الدقّة والإتقان بحيث كان قائد الفيلق (الحاج قاسم سليماني) يثق به ثقة تامّة ويوقن بتحليله ويعمل بناء عليه.

تعرّض خندق الاستخبارات في ١٣ شباط ١٩٨٦ لهجوم كيميائي من قبل العدوّ، فتخلّى حسن يزداني بكلّ تضحية وإيثار عن قناعه واضعاً إياه على وجه أحد رفاقه وأصيب هو بهذا السلاح، ونال فيض الشهادة في مستشفى الإمام الرّضا عليه السلام بعد مرور ١١ يوماً.

علم يبلغ من العمر ١٧ عاماً وكان بطل عمليّة «والفجر٨».
لقد كان طالب علم نحيل الجسم؛ لكنّه كان قويّ الرّوح وأوّل من بادر وتقدّم وتطوّع لعبور نهر أروند. لقد كان إمام جماعة الفيلق. سبح في نهر أروند ٣٠ مرّة واخترق صفوف العدوّ. استطلعهم وجلب المعلومات للفيلق. ورغم امتلاك نهر أروند اسم النهر المتوحّش، بحيث قلّما كان أحدٌ يملك شجاعة التوكّل واجتيازه، قام حسن بهذا الأمر ٣٠ مرّة بفضل إرادته القويّة في عمليّة «والفجر٨».

لقد كان إمام جماعة فيلق ثار الله. بعد استشهاده كنّا نفكّر بهذه القضيّة أن هل بلغ حسن سنّ التكليف خلال السنين التي كنّا نؤدّي فيها خلفه صلاة الجماعة؟![1]

نحن نفخر بأنّ شهسواري كان من كرمان

تفخر جامعة ثار الله بامتلاكها أساتذة من العرفاء وقادة

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في مؤتمر تكريم شهداء محافظة كرمان العاشر.

سربداريّون مثل شهسواري[1] الذي تحوّلت صرخته إلى

١- انطلقت عمليّة بدر في منطقة الجبهة الجنوبيّة من هور الهويزة برمز «يا فاطمة الزّهراء عليها السلام» في ١١ آذار ١٩٨٥، واستطاع مجاهدو الإسلام بعد ٦ أيام من المقاومة والثبات السيطرة على شارع العمارة-البصرة اكتفوا بتثبيت مواضعهم الجديدة في هور العظيم.

فرحة البعثيّين انتهت بعد هذا التصرّف

استشهد في هذه العمليّة شهداء عظام من أمثال مهدي باكري قائد فيلق ٣١ عاشوراء؛ عبّاس كريمي قائد فيلق ٢٧ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وإبراهيم جعفر زادة قائد كتيبة ١٨ الغدير، وأضيفت بذلك صفحات ذهبيّة إلى مفاخر الحرب؛ لكن كانت هناك ملحمة أخرى تُسطّر في الخطوط الأماميّة لهذه العمليّة؛ فعندما وقع عددٌ من المجاهدين الإيرانيّين أسرى بيد القوات البعثيّة في شرق نهر دجلة وحضرت وسائل الإعلام الأجنبيّة لتغطية فرحة البعثيّين وهزيمة المجاهدين الإيرانيّين؛ حينها وقع حدثٌ استثنائيّ، لفت أنظار وسائل الإعلام الغربيّة لشجاعة وشهامة المجاهدين الإيرانيّين.

كان الإيرانيّون يتابعون التلفاز حين رأوا شابّاً يهتف ويصرخ. لم يكن أحدٌ يعرف اسمه ولم يكن اسمه متداولاً؛ لكنّ وجود الشعب الإيراني انغمس في تعظيم وإجلال هذا الشّاب الحرّ؛ فبينما كان يتمّ نقله بواسطة جنديّ بعثيّ إلى مكانٍ آخر، صرخ بصوت عالٍ أمام عدسات الكاميرا «الموت لصدّام المعادي للإسلام»، وإثر هذا التصرّف عمّت إيران مشاعر الفخر وروحيّة الشجاعة.

ولد «الشهيد القائد محمّد شهسواري» في ٢٣ شباط عام ١٩٥٦ في قرية شيخ آباد في كهنوج؛ أكمل دراسته حتّى العام السادس من النظام

التعليميّ القديم ولم يُكمله بسبب عدم وجود مدرسة في كهنوج. فقد والده عندما كان عمره ثلاث سنوات، توجّه إلى جزيرة كيش من أجل توفير مصاريف العائلة وعاد إلى كهنوج بعد ثلاثة أعوام؛ وعمل في تعبيد الطرقات بين كهنوج وجيرفت. مع انطلاق الحرب المفروضة، اتّجه محمّد إلى الجبهة وصادفت مشاركته في الحرب انطلاق «عمليّة بيت المقدس». وقع محمّد شهسواري في ١٣ آذار من العام ١٩٨٥ خلال عمليّة بدر، بأسر القوات البعثيّة في شرق نهر دجلة. وفي خضمّ هذه المرحلة الحساسة والمؤلمة من حياة محمّد الدنيويّة، برزت حميّته العلويّة وحماسته الاستثنائيّة ودوّنت في تاريخ الشعب الإيراني.

أرغب في أن أضيّف والدة محمّد بيدي

بعد ساعات من الوقوع في الأسر على يد المعتدين البعثيّين، وعندما كانوا يسوقون محمّد شهسواري من أجل إرساله إلى الخطوط الخلفيّة وباتجاه السيارات العراقيّة، عندما لاحظ الشهيد شهسواري اجتماع عشرات المراسلين وعدسات الكاميرا حوله، شعر أنّ النظام البعثي يسعى بشكل واسع للاستفادة من عدم انتصار إيران في عمليّة بدر.

وفي هذه اللحظة صرخ فجأة عدّة مرّات «الموت لصدّام المعادي للإسلام»، وفي تلك الليلة بثّت شاشات التلفزة في أنحاء العالم مشاهده وضخّت هذه المشاهد روحيّة جديدة بين المسلمين الأحرار الذين كانوا متألّمين من دعايات صدّام وحلفائه القاسية إثر عدم بلوغ إيران للفتح في عمليّة بدر.

عندما علم الإمام الخميني ﷺ بتصرّف محمّد عند وقوعه في الأسر ورأى تلك المشاهد على شاشة التلفاز، طلب اللقاء بعائلة محمّد.

تقول والدة محمّد حول هذا اللقاء: لم يكن قد مرّ أكثر من شهرين على أسر

محمّـد، ولم نكـن قد اعتدنا علـى الصعوبات بعد، وفـي اللحظة التي كنا بحاجة فيها لما يبلسـم آلامنا، منّ الله علينا بأن تشرّفنا بلقاء الإمام. حمل الإمـام بعظمتـه كـوب العصيروأخذه من يـد الخادم ثمّ قـال: أرغب في أن أضيّـف والـدة محمّد بيـدي. كان الإمام الخميني يقول: أمّهات الشـهداء الشيعة هنّ الذين يربّين أبطالاً مثل هؤلاء.

أنا لا أكذب على العدوّ أيضاً

نقـل المسؤول عـن مكان أسـر محمّد شهسـواري خاطرة حـول عظمة روح ذلك الإنسان الصالح:

كنّا قلقين على محمّد في بدايات فترة أسره بسبب إطلاقه صرخة «الموت لصـدّام». كنّا نسـعى لتحريره في أسـرع وقـت ممكن. عندمـا جاء أعضاء الصليب الأحمر، تذرّعت بتشـنّج محمّد وأوضحت لهم حالته المزاجيّة. قلت لهم: «نظراً لأوضاع محمّد، أخشـى أن يتسـبّب لهم بمشـكلة معيّنة، وأن يتسـبّب بمشـكلة لسـائر الأسـرى أيضاً.» اقتنعوا بأن يتمّ تحريره خلال تبادل الأسـرى. واقتنع المسؤولون في القسم العلاجي في الصليب الأحمر أيضـاً؛ لكـنّ محمّـد قـال فـي الـردّ النهائـي علـى أطبّـاء الصليـب الأحمر: «سبب تشنّجي، كان الضربة التي تلقّيتها على رأسي قبل الوقوع في الأسر وقد اشتدّ إثر تعذيب البعثيّين.» بعد هذا التصريح أعرضوا عن الإفراج عنه وكانوا ينتظرون أقلّ حجّة لاتخاذ مثل هذا القرار.

انزعجنـا مـن تحدّثـه بهـذه الطريقـة. قـال محمّد شهسـواري وسـط ذهول واسـتغراب جميع الأسـرى: «أنا لا أكذب على العدوّ أيضاً؛ حتّى وإن كان ثمـن ذلك نيل الحريّة. لقد وقعت في الأسـر وهتفت الموت لصدّام لأجل مـن؟ لو أراد تحريري سـيكون قادراً على ذلـك. ذلك الإله الذي يوجد هذا الألم بداخلي بسـبب نقص في إحدى الشـرايين، قادرٌ على سـلب الوجع

من جسدي.»

أجريت الشهادتين على لساني

حول ذلك التصرّف الشجاع، صرّح محمّد شهسواري قائلاً: «كانت دماء الشهامة تسري في شراييني وكان الشوق للوصول إلى كربلاء قد أعياني. نحن الشيعة الذين نهتف لنينوى، نحن تلامذة دماء وشرف كربلاء. لقد كانت أرواح أجساد الشهداء المقطّعة إرباً إرباً تدعوني إلى ثورة أخرى وأداء تكليفٍ آخر. كان قد حان الوقت لكي أثور في حضرة الشهداء وأمام الأعداء، المصوّرين والأسرى، ضدّ الظالمين وأفهمهم بأنّني أردّد مع مولاي الإمام الحسين نداء «هيهات منّا الذلّة»، وكنت على علمٍ بأنّني أسير على خطى الحقّ. دعني أفرغ آخر صرخاتي على رأس العقول الفارغة لهؤلاء الحقراء وأجعل المراقبين على مرّ التاريخ يُذهلون من دور الإيمان في الحرب. الشهادة طريقنا ولطالما كانت طريق عظمائنا وأعلام ديننا، وإنّ القتل في سبيل النهوض بالتكليف الإلهيّ في ظلّ قيادة إلهيّة أحلى بالنسبة إلينا من العسل. كنت أظنّ أن المصوّرين الواقفين فوق المتراس بعثيّين. جهّزت في رأسي عدداً من الشعارات وقرّرت أن أطلق في إحدى اللحظات الحساسة صرخة مدوّية تزلزل أركان العدوّ الجبان. «الموت لصدّام المعادي للإسلام، الخميني قائدنا ما دامت الدماء تجري في عروقنا، الموت لأمريكا، الموت للمنافقين» كانت شعارات ردّدتها مع نفسي وكرّرتها. كانت اللحظات تمرّ بسرعة، كنت أشعر بأنّ لحظة الوصال العذبة قد اقتربت وأنّ جثماني سيحظى أخيراً بالسكينة إلى جانب جثامين الشهداء خلال الدقائق المقبلة. كنت غارقاً في أفكاري هذه، عندما اتّخذت القرار النهائي. قرّرت أن أتحلّى بالشجاعة، أجريت الشهادتين على لساني وصرخت من أعماق قلبي: «الموت لصدّام

المعادي للإسلام».

كان يقف شخصان خلفي من ذوي الرّتب العسكريّة، أحدهما لقّم سلاحه والآخر ضربني بؤخّرة سلاحه على رقبتي ضربة قويّة وانهال عليّ بالضرب المُبرح. كنت قد أخرجتُ من رأسي فكرة العودة إلى الوطن. لم يعترينـي في تلك اللحظة أيّ خوفٍ من العدوّ. لم أكن أقيم لهم أيّ اعتبار ولو بمقدار ذبابة. أوصل الصحافيّون أنفسهم إلى المكان، وعندما اقتربوا أدركت أنّهم ليسوا عراقيّين. جعلني الجنود البعثيّون بضرباتهم المتتالية أهوي إلى الأرض وأستلقي بجانب جثامين الشهداء. مرّة أخرى أجريت على لساني الشهادة بوحدانيّة الله والإيمان برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله وولاية الأئمّة الأطهار. كنت أعدّ اللحظات وأنتظر إطلاق النار عليّ. لعلّهم صرفوا النّظر عن قتلي بسبب وجود عدسات الكاميرا.

عاد شهسواري عام ١٩٩٠ إلى ربوع الوطن برفقة سائر الأسرى المحرّرين وبعد عودته قلّده رئيس الجمهوريّة وسام الشجاعة. قضى بقيّة عمره يعمل حارساً لإحدى المدارس ونال فيض الشهادة أخيراً على طريق زاهدان في ١٠ آب عام ١٩٩٦ عندما كان متّجها لإنجاز مهمّة وكّله بها فيلق ٤١ ثار الله عليه السلام.

لقد غمرت وجودنا مشاعر التعظيم والإجلال لهذا الشّاب الحرّ

تحدّث الإمام الخامنئي أثناء زيارة له إلى جيرفت عام ٢٠٠٥ حول الشهيد شهسواري قائلاً:

«تحوّل شخصٌ مثل الشهيد محمّد شهسواري -الأسير المحرّر الجيرفتي- إلى شخصيّة خالدة في البلد؛ ليس لأنّه كان من الطبقات العليا؛ لا! لقد كان شخصاً عاديّاً ومن الفئات الدّنيا في المجتمع؛ لكنّ وعيه وشجاعته، رفعا من شأنه لدى الشّعب الإيراني. في ذلك اليوم، عندما كنّا جالسين

رمز خالد للتحرّر في تاريخ إيران والذي تأسى بأبناء أهل بيت سيّد الشهداء عليه السلام عندما كانوا محاصرين من العدوّ، وصرخ بأعلى صوته وبأيدٍ مغلولة ورغم أنّ السلاح كان موجّهاً إليه، فقال «الموت لصدّام المعادي للإسلام» وألقت تلك الكلمات القصيرة الرّعب في أبدان الأعداء؛ وستبقى صرخته خالدة بنفس ذلك الصّدى.[1]

نحن نفخر بأنّ شهسواري كان منّا (نحن الكرمانيّين)، شهسواري الذي منح بتحرّره قيمة عالية وأبدى بأيديه المغلولة صلابة وصرخ رغم وحدته وغربته في ظلّ حصار العدوّ: «الموت لصدّام المعادي للإسلام». هذا ما ينطوي

أمام التّلفاز ورأينا كيف أنّ هذا الشّاب الواقع في قبضة وحوش نظام صدّام البعثي يصرخ تحت ضربات سياطهم «الموت لصدّام المعادي للإسلام»، لم نكن نعلم أنّه من جيرفت؛ فلم نكن قد سمعنا باسمه ولم نكن نعلم عنه أيّ خصائص أخرى؛ لكن غمرت وجودنا مشاعر التعظيم والإجلال لهذا الشابّ الحرّ. ثمّ عاد بفضل الله إلى شعبنا وبلدنا».

١- مقطع من مقدّمة الحاج قاسم سليماني على كتاب «أطلس فليق ٤١ ثار الله».

على قيمة كبرى. لا يمكن تحديد قيمة هذا التصرّف في كلامنا، وبين هذا الجمع وفي هذا العالم المادّي، سوف تنكشف قيمة هذا التصرّف غداً في يوم القيامة، عندما يحضر جميع الأنبياء الإلهيّين في يوم الحشر، وأمام العالم كلّه.[1]

إنّني أفخر بكوني كرمانيّاً؛ وبوجود جواهر مثل «شهسواري» الذي صرخ «الموت لصدّام المعادي للإسلام» وهو بقبضة العدوّ وأثبت أنّه استلهم درسه بشكل جيّد من مدرسة الإمام السجّاد عليه السلام.[2]

نحن نفخر بالحاجّة سكينة

نحن نفخر بالحاجّة سكينة[3] التي لم تكن تملك أحداً

١- كلام الحاج قاسم سليماني في حفل كرمان الفنّي في برج ميلاد.

٢- مقطع من رسالة الحاج قاسم سليماني لأحمد يوسف زادة، مؤلّف كتاب «أولئك الثلاثة والعشرون فتى».

٣- سكينة باكزاد عبّاسي المعروفة بالحاجّة سكينة؛ هي والدة الشهيد

علي شفيعي أحد قادة مرحلة الدفاع المقدّس التي حضرت مع ولدها إلى جانب ولدها طوال أعوام الحرب الثمانية في جبهات الحرب، ووقفت إلى جانب المجاهدين وقدّمت في النهاية فلذة كبيدها ووحيدها لأجل هذا النظام وهذه الثورة.

طلبتُ من الله عزّوجل الموت من شدّة التّعب على الطريق

لا تتحدّث والدة الشهيد علي شفيعي التي أمضت فترة طويلة في حرب الأعوام الثمانية كثيراً عن تلك الفترة؛ ونحن نعلم فقط أنّها كانت تعمل في البداية في لجنة الدعم التابعة للحرس الثوري في كرمان وفي المسجد الجامع وسائر المقرّات التي كانت تتكفّل إرسال المساعدات الشعبيّة للمجاهدين، إلى أن اقترح ابنها عليّ عليها أن يذهبا سويّة إلى الجبهة.

يحتاج ذكر تفاصيل الحياة المتلاطمة والحرمان الشديد لهذه الأم وابنها الوحيد علي؛ إلى كتاب منفصل.

تتحدّث الحاجة سكينة حول تلك المرحلة كما يلي: لقد تحمّلت صعوبات كثيرة حتّى استطعت تنشئة ولدي الوحيد، كان زوجي وابنتي في فراش المرض طوال ثلاثة أعوام، وكنت أنا بمثابة رجل المنزل وأمّ العائلة، وقد تحمّلت مصاعب كثيرة خلال تلك الفترة.

كان عليّ يذهب إلى المدرسة في الصّباح وكنت أنا أنطلق للعمل في أفران الباطون وكنت أعود إلى المنزل مع غروب الشّمس وقد أعياني التعب لدرجة لا أعود قادرة على المشي بعدها، فكنت أطلب الموت من الله جلّ وعلا؛ لكنّني لم أكن أسمح لولدي أن يعلم إلى أين أذهب وما الذي أفعله؛ لأنّني كنت أعتقد بأنّه سيألم لحالي!

كان ابني عليّ يسألني في تلك الأيّام: أمّي، لماذا تورّمت قدماك؟ كنت

أجيبه أن ليس هناك شيء يا أمّي! هذا بسبب البرد. كنّا في تلك الأيّام وبسبب ظروف الحياة القاسية، نشتري رغيف خبز ونأكله طوال ثلاثة أيّام.

لم تكن الثّورة قد انتصرت بعد، حتّى توفّي والد وشقيقة عليّ، وبعدها لم نكن نملك أيّ مال. كنّا نمضي الأيام بقرص خبز، وكان ابني يقول: أمّي، هذا اختبارٌ إلهي.

أيّ طعام؟ كان الماء متوفّراً فقط وكان يتبخّر

كنّا نعيش في خربة وكان ابني يملك بدلة ثياب وحيدة، عندما كنت أغسل له بدلته لم يكن يملك لباساً آخر وكان يتحمّل في الطّقس البارد حتّى تجفّ ثيابه، وعندما كنت أسأله، هل تشعر بالبرد يا أمّي؟ كان يقول لا يا أمّي، عن أيّ بردٍ تتحدّثين؟!

كانت ظروف الحياة قاسية؛ فلم نكن نملك الكهرباء وكان عليّ يدرس على ضوء الفانوس، وفي ليالي الشتاء كنا نسدّ ثغرات الباب بالأوراق والأقمشة البالية؛ لكنّ الرياح الباردة كانت تتسرّب رغم ذلك إلى داخل البيت. كنت أنام في اتجاه الرياح وأحضن عليّ؛ كان ولدي يبقى على قيد الحياة بفضل دفئ حضني.

عندما كنت أخرج للعمل، كان ابني يسكب الماء في القدر ويتركه فوق شعلة الغاز حتى تغلي، كي لا يشعر الجيران بأنّنا لا نملك شيئاً لنأكله، وعندما كان أحد الجيران يأتي بطعام معيّن، كان يقول بأنّ والدتي جهّزت لي الطعام، لا نحتاجه! لكن أيّ طعام؟ كان الماء متوفّراً فقط، وكان يتبخّر. نعم، لقد كبُر ابني في ظلّ هذه الظروف.

في أحد الأيام، عندما عدتُ إلى المنزل، قال لي ابني: هل أذهب لأشتري الخبز؟ قلت له: لا يا أمّي، لا أملك المال اليوم، لم يعطني مسؤولي في

العمل أجرة يومي، قال: لا إشكال في ذلك يا أمّي، لقد تناولت البارحة شقّ تمرة قبل النّوم، وسوف أنام جائعاً هذه الليلة.

يوماً ما عندما خرج ابني من المنزل، قال: أمّي، عندما كنت عائداً ودخلت الزّقاق، قلت أن يا إلهي هل سيكون لي نصيبٌ بكسرة خبز؟ تقدّمت فرأيت كيساً مليئاً بالخبز موضوعاً على جانب الطريق، أخذته وجئت به إلى البيت، غسلت الخبز الذي بداخله وأكلته، تعالي أنت يا أمّي وكلي معي أيضاً، قلت له: ولدي، هل نظرت إلى ما بداخل الكيس؟ قال: نعم، حدّثت نفسي بأنّني جائع، وقد أرسل الله لي هذا الكيس!

عندما ألقيت نظرة على ما في الكيس، لاحظتُ وجود خبز متعفّن، كان يغسله ويأكله.

طلب منّي اللواء قاسم سليماني أن أرافقهم إلى الجبهة

نعم، أولئك الآباء والأمّهات الذين ذهب أبناؤهم إلى الجبهة، ربّوا أولادهم عبر العمل في غسل ملابس الآخرين، ومن يرغب في تربية ابنه و إيصاله إلى مرتبة معيّنة، لا يحتاج حتماً أن يعيش ابنه في أجواء الرفاهية.

في بداية الحرب كنّا أنا وعدد من السيّدات في مركز إسناد ودعم جبهات القتال في كرمان، ثمّ توجّهنا إلى الخطوط الخلفيّة للجبهة وقد كنت هناك حتّى لحظة استشهاد علي.

لقد كنت إلى جانب أبناء إيران الإسلاميّة الشجعان في فيلق ثار الله وحضرت في الجبهة منذ اندلاع الحرب حتّى اللحظة التي أعلن فيها الإمام الخمينيّ قدس سره وقف إطلاق النار، وعدتُ بعدها إلى كرمان.

في بدايات الحرب عندما كنت أخدم إلى جانب المجاهدين في الخطوط الخلفيّة للجبهة، طلب منّي الحاج قاسم سليماني أن أرافقهم

إلى الجبهة وأساعد هناك.

كنّا نقوم في الجبهة بكلّ شيء، كنّا نحضر في الخطوط الأماميّة حتّى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، كما كنّا نعمل في المشافي وسائر الأماكن أيضاً، لقد كنت حاضرة في كلّ مكان؛ في غرب وجنوب البلاد أيضاً. كنت متواجدة في مراكز الدعم والإسناد في مختلف مناطق الجبهة الخلفيّة، كالأهواز، إيلام، قصر شيرين، شوش دانيال، آبادان، خرّمشهر.

عندما كنت مشغولة في وحدة الدعم في الخطوط الخلفيّة للجبهة، ذهبت برفقة عدد من السيّدات لكي نجلب مواد تنظيف الملابس من الفيلق، فرأيت علي هناك. كان منشغلاً بالحديث معي حين قال أحد الجنود لعلي: «أيها القائد.» ردّ عليه عليّ: «أنا تعبويّ عاديّ. لا تنادني بهذه الألقاب.» لم يكن ابني يخبر أحداً عن طبيعة مهمّته بسبب إخلاصه والمسؤوليّة التي كان يتولّاها. وقد قال لي في آخر لقاء بيننا أنّه من الممكن أن لا يعود. بعد شهادة عليّ رافقت الحاج قاسم سليماني والتقيت بزوجة الإمام الخمينيّ قدس سره.

يا حاج قاسم، عليّ هذا شهيدٌ حيّ

يوماً ما جاء الحاج قاسم سليماني إليّ وقال: أرغب في أن أزوّج عليّ!

أجبته: لن يتزوّج عليّ.

أجابني الحاج قاسم: بل سيتزوّج.

قلت له: هو ينوي أن يتزوّج بعد انتهاء الحرب.

أجابني: سوف أقنعه بنفسي.

قلت له: ستكسب أجراً كبيراً إن فعلت ذلك.

جاء عليّ فسألته: هل ذلك صحيح، هل وافقت؟

قال الحاج قاسم: وكّلنا أمرنا لله.

سألته: هل عيّنت على إحداهن؟

قال: ستعرفين عندما يحين الوقت المناسب.

بعد عدّة أيّام علمت أنّه عيّن على ابنة السيّد كياني. لم أكن أعرفهم، لكنّ عليّ كان صديقاً لرضا وكاظم؛ أي إخوة عروستي. لقد كانا في صفوف المجاهدين أيضاً.

اتّفقوا على مولد طلبة العروس واتّجهنا ليلاً إلى منزل أهلها، قال الحاج قاسم: عليّ هذا شهيدٌ حيّ. لا يملك من مال الدنيا شيئاً، فإذا كنت راضية بالزّواج منه، قولي الآن، وإن لم تكوني راضية، أخبرينا بذلك الآن أيضاً. علي لا يملك شيئاً، لكنّه رجلٌ غيور وصاحب حميّة، صادقٌ ونقيّ.

عندما أخذنا الجواب الإيجابي، شعرتُ بأنّ قدماي لم تعودا على هذه الأرض، تسائلت: هل أنا في اليقظة أو المنام؟ لم أمت ورأيت عليّاً يرتدي بدلة العرس، إلهي ألف شكرٍ لك.

يجدر القول أنّ اللواء الشهيد علي شفيعي ولد في ٩ تشرين الثاني من العام ١٩٦٦ في مدينة كرمان، وبعد أن واجه صعوبات كثيرة في حياته، تمّ إرساله إلى الجبهات مع اندلاع الحرب المفروضة بصفته مسؤولاً مرافقاً وبيده الهدايا الشعبيّة التي أرسلها الناس للمجاهدين، وهناك بدأت رحلته الجهاديّة. انضمّ إلى الحرس الثوري عام ١٩٨٣.

استطاع عليّ رغم صغر سنّه ومع بروز خصال بارزة في شخصيّته كالإدارة، التدبير، الإخلاص والتأثير في الكلام أن يتحوّل سريعاً إلى أحد القادة النشطين في الجبهة والحرب، وكانت له مشاركات فاعلة في عمليّات والفجر٨، كربلاء ٤، وبدر. ثمّ نال فيض الشهادة بسبب إصابته في محور

سوى ابنها، وهي منّا نحن الكرمانيّين. كانت سيّدة دؤوبة وسمراء تغمر الروحانيّة وجودها وهي مدعاة فخر لمدينتنا، هي والدة شهيدنا، وقد كانت تعمل في أفران الباطون لكي تربّـي ابنها عليّ. أوصيكم بقراءة كتاب «كعليّ، كفاطمة» لكي تلاحظوا كيف ربّت هذه الأمّ علي شفيعي.[1]

بكى المرحوم آية الله المشكيني ربع ساعة

نحـن نفخر بأنّ الحـاج علي محمّـدي[2] منّا وقد كتب

«أم الرّصـاص» فـي عمليّـة كربلاء ٤ في شـهر كانون الثاني مـن العام ١٩٨٧ عندمـا كان يبلـغ مـن العمر ٢١ عاماً ولم يكـن قد مرّ على زواجـه أكثر من ٤ أشهر.

١- كلمـة الحاج قاسـم سـليماني في حفل كرمان الثقافـي الاقتصادي في برج ميلاد في طهران.

٢- ولد اللواء الشـهيد الحاج علي محمّدي بور في حزيران من العام ١٩٦١ في قرية «دقوق آباد» في رفسـنجان. أجبر على ترك الدراسـة بسـبب بعض المشـاكل. ومع تصاعد الحركة الشـعبيّة في العامين ١٩٧٦ و١٩٧٧ انضمّ إلـى صفوف المناضليـن. وبالتزامن مـع الأعوام الأولى للحـرب المفروضة سـارع للحـاق بالجبهات وخـلال هذه الأعوام تـمّ تعيينه قائـداً لفيلق ٤١٢ ثار الله.

شجاعة الحاج علي محمّدي كانت شجاعة مؤثّرة

يتحدّث الحاج قاسم سليماني حول الصفات الشخصيّة لهذا الشهيد العارف رفيع الشأن: لقد كان مجاهداً وبدأت رحلته في الجهاد قبل انتصار الثورة الإسلاميّة؛ لذلك فإنّ بعض خطواته الجهاديّة تمّت قبل انتصار الثورة الإسلاميّة، من قبيل إزالة عناصر النظام البهلوي الفاسد، لقد كان له دورٌ في ثلاث أو أربعة قضايا مهمّة؛ حتّى تلك التي لم تكن مرتبطة بمحافظة كرمان؛ بل كانت مرتبطة بمحافظة خوزستان، وقد شارك في تلك العمليّة.

رغم سنّه الصغير، كانت مشاركته مشاركة فاعلة ومهمّة. لكنّه كان يخفي هذه الصّفة. وعندما دخل الحرب، إضافة إلى تحلّيه بصفة الشجاعة الكبيرة، كان الحاج علي محمّدي يخترق صفوف العدوّ في العمليّات كلّها، أي لم يكن من الذين يسيرون خلف الكتيبة. طبعاً ليس اتّباع الكتيبة سيّئاً. لأنّ مثل هذه التكتيكات كانت موجودة أيضاً. كان من ذلك النوع من قادة الكتائب الذين ينزعجون إذا تمّ وضع كتيبته في الخطوط الثانية، وبسبب هذا الانزعاج كان يصرّ ويصرّ إلى أن يضعوه في مكانٍ آخر. حسناً، من الواضح أنّ الكتيبة التي تعمل على اختراق صفوف العدوّ تكون نسبة احتمال استشهاد قائدها بالمقارنة مع قائد الكتيبة في الخطوط الخلفية كالفرق بين نسبة ٨٠ و٥٠ بالمئة؛ أي أنّ احتمال استشهاد ذاك هو ٨٠ بالمئة، وهذا ٥٠ بالمئة. رغم ذلك كان يصرّ على أن يكون في المكان الذي يتوفّر فيه احتمال الاستشهاد بنسبة ٨٠ بالمئة. وكان يقاتل فعلاً في ميدان الجهاد ويدافع بشكل حقيقي. كانت كتيبته ناجحة بشكل دائم وكانت ضمن أكثر الكتائب نجاحاً في الفيلق، ولهذا النجاح سببان:

الأوّل أنّ الحاج علي محمّدي كان نفسه شخصاً شجاعاً وكانت شجاعته تؤثّر على كلّ الكتيبة وكان الجميع يقتدون به في الصمود والمقاومة واختراق صفوف العدوّ.

والثاني كان دقّته في العمل. نحن قلّما ما نلتفت خلال إدارة الحرب والتخطيط لها إلى الأمور الدقيقة للحرب في البعد الديني والإسلامي، بحيث نقدّم لمختلف الأماكن قدوة وتجارب ناجحة، ونهتمّ بالبعد السلوكي بشكل أكبر من البعد الإداري.

وما رسخ في أذهان الناس حول البعد الإداري -ويتمّ عرضه في بعض الأفلام أحياناً- أنّ أعضاء كتيبة معيّنة يتسابقون أمام حقل ألغام لكي يلقوا أنفسهم فوق الألغام ويُستشهدوا، والواقع أنّ كلّ من يدرك الحرب بشكل صحيح، يعلم بعدم صحّة مثل هذا الأمر؛ لأنّ فتح أحد المعابر لا يحتاج لأكثر من شخصٍ واحد.

كيف يمكن أن يقع أمرٌ كهذا في الحرب؟ هذه من الاتهامات الموجّهة للحرب، لكنّنا نظنّ أنّها دليلٌ على الشهامة؛ فنضخّم كذبة بحيث تؤتي آثاراً عكسيّة. لم نشهد في حربنا أموراً كهذه على الإطلاق؛ بل إنّ شبابنا في مجال التخريب فتحوا المعابر بواسطة أساليبهم الإبداعيّة. برأيي أنّ مثل هذه الممارسات تشكّك بإبداعات الإخوة المضحّين في الحرب.

كان مستحيلاً أن يرضخ لتنفيذ عمليّة قبل فحص المعبر

إحدى خصال الحاج علي كانت امتلاكه الدقّة في الأمور التفصيليّة؛ على سبيل المثال كان يستحيل أن لا يفحص المعبر الذي من المقرّر أن تمرّ كتيبته عبره في ليلة العمليّة. كان من المستحيل أن لا يرضخ لتنفيذ عمليّة قبل فحص المعبر؛ أي أنّه كان يذهب إلى آخر نقطة في ذلك الميدان -النقطة التي كنا نسمح له بالتقدم نحوها، بحيث أنّه إن تقدّم

بعدها كان من الممكن أن يُؤسر أو يُفتضح أمره- ويتفقّد الأمور؛ لذلك كان يذهب برفقة قائد المجموعات ويتفقّد الأوضاع قبل أن تأتي الكتيبة. كان يتفحّص المعبر خطوة بخطوة ويحدّد الأماكن التي ينبغي أن تتقدّم فيها الكتيبة ببطئ وتلك التي يجب أن تجلس فيها أو لا تتحدّث فيها والمكان الذي سينام فيها المجاهدون وكيفيّة السّير والدخول والمكان الذي ينبغي لهم أن يتصدّوا للكمين وينفّذوا الخطة المضادّة للكمين، وكان يخطّط لكلّ واحد من الأسلحة الموجودة لدى الطرف المقابل ويضع خططاً لإحباط مفاعيلها. كان يعدّ الألغام أيضاً ويحدّد عدد الألغام الصرصاريّة -أي على شكل صرصور-، وعدد الألغام المضادة للأفراد، وعدد الألغام المضادة للمدرّعات. ثم كان يخطّط ويدخل ساحة العمليّة.

كان صون أرواح الشباب مهمّاً بالنسبة له

في عمليّة «كربلاء ٥» التي كانت آخر عمليّة للحاج علي حيث استشهد فيها، ذهب ثلاث مرّات وتفقّد المنطقة. كانت المياه في المنطقة مياه عذبة ولم تكن هناك أيّ عوائق في المنطقة. وكانت تفصلنا عن العدوّ عدّة كيلومترات. عندما أقول عدّة كيلومترات فسبب ذلك أنّني لا أذكر المسافة بدقّة وأخشى من أن أبالغ. كانت المسافة بين ٣ إلى ٥ كيلومتر على الأقل. كانت المياه تصل إلى صدر الفرد عند خوض هذا المسار وكان الحاج علي يمشي وسط المياه لكي يستطلع المعبر الذي من المقرّر أن تعبره كتيبته ليلاً؛ وكان ذلك في فصل الشتاء. طبعاً، تعلمون أنّ الشتاء في خوزستان قارصٌ جدّاً، خاصّة بالنسبة لمن يقرّر خوض غمار المياه؛ لكن الحاج علي كان يتحمّل كلّ هذه الأمور، ويذهب ليدرس كلّ الأمور الدقيقة؛ لذلك فإنّ صفته هذه ودقّته هذه كانت لأجل أن ينجح في

اختـراق صفوف العـدوّ ويصون أرواح الشـباب المجاهدين ويوصلهم إلى الهدف بخير وعافية. هذه كانت إذاً صفة الحاج علي الثانية.

اشتهر ذلك المكان باسم حفرة الحاج علي محمّدي

أمـا الصفـة الثالثة للحاج علي محمّدي، فقد كانـت روحانيّته. لا أظنّ أنّ أحداً سـمع مـن الحاج علي محمّدي كلاماً ينطوي علـى كراهة ولو بمقدارٍ قليل.

كان دائمـاً عندمـا يهـمّ بالذهـاب نحو الخريطـة وتقديم الشّـرح، يقول هذه العبـارة: بسـم الله الرّحمن الرحيم؛ تذكرة لنفسـي وللحاضريـن. لأجل الله، فـي سـبيل الله، هكذا كان يبدأ كلام الحـاج علي محمّدي، لكي نعلم أنّنا نقـوم بهـذا العمل لأجل الله عزّوجل وفي سـبيل الله جلّ وعـلا وأنّ هدفنا هو الله ولا نأخذ بعين الاعتبار أيّ شيء آخر.

كانـت هـذه حالتـه داخل الجلسـة؛ لكـن كانت لديـه حالة أخرى يحاول إخفائها. كان في عداد قادة الكتائب الذين يبتعدون عن شباب كتائبهم لكي يؤدّوا صلاة الليل.

ثمّ في آخر أيام حياة الحاج علي محمّدي، علم بعض قادة الكتائب الذين بـدأوا يفتّشـون عنه لكي يعلموا أيـن يذهب الحاج علي، علمـوا بالقضيّة. كان الحـاج علـي مـن أهل البـكاء الشـديد وكان دائماً ما يلفّ حـول رقبته شـالاً أسـود وكان يلـفّ هذا الشـال الأسـود نفسـه حـول خصـره وكان ذلك يمنحـه هيبة وجبروتاً خاصّين. وفي أواخر أيام حياته كان قد تزوّج ولم يعثر علـى فرصـة لأخـذ زوجته الجديدة إلى شـهر العسـل -وهذا مـن الأعراف- فجاء بها مدّة إلى الأهواز واستشهد بعدها وعادت زوجته.

كان طلاب العلوم الحوزويّة يتسابقون من أجل الانضمام لكتيبة الحاج علي

النقطة الأخرى التي كانت مشهودة في سلوكيات الحاج علي محمدي، هي قدرته على اكتشاف القوات الاستشهادية؛ أي أنّ كلّ قواته كانت تملك هذه الخصلة وجميع الشباب الذين كانوا معه، ضمن أيّ مستوى كانوا، من قادة فرق إلى معاونين ومجاهدين، كانوا يملكون درجات عالية من الروحانيّة.

ولكي لا أكون مغالياً وأوضح الحقيقة، أظنّ أنّ ٩٠ بالمئة من كتيبة الحاج علي كانوا يصلّون صلاة الليل. ولتعلموا هذا الأمر أيضاً أنّ طلاب العلوم الحوزويّة لديهم مشاريعهم الخاصّة ولا يقبلون بسهولة أن يأتمروا بأمر أيّ أحد؛ لكنّهم كانوا عشّاقاً للحاج علي وكانوا يتسابقون للانضمام إلى كتيبة الحاج علي وينهلوا من فيوضات التواجد معه.

طبعاً كان دور طلاب العلوم الحوزويّة بارزاً في الحرب وعلى قيمة عالية، ولا مجال هنا للحديث عنه لأنّه يحتاج إلى بعض التفصيل؛ لكن إحدى الأمور التي كانت تشجّعهم على الانضمام إلى كتيبة الحاج علي، كانت كاريزما الحاج علي إضافة إلى شجاعة كتيبته في اختراق صفوف العدوّ؛ لذلك فإنّ هذه الكتيبة كانت تستقطب إليها غالبية طلاب الحوزة العلميّة.

كانت كتيبة الحاج علي استشهاديّة

أي أنّ الحاج علي كان يجهد في تربية الكوادر المعنويّة والاستشهاديّة، ويمكنني أن أدّعي بكلّ جرأة أنّ كتيبته التي كانت تضمّ ٣٠٠ مجاهداً، لا شكّ لديّ بأنّ أكثر من ٢٧٠ منهم كانوا استشهاديّين وكان هذا السلوك قد تحوّل إلى ما يشبه المدرسة الفكريّة، كما نملك نحن في حوزتنا العلميّة مدارس يتلقى فيها طلاب العلوم الحوزويّة أخلاقاً وسلوكيّات متنوّعة في مختلف المجالات كالسياسيّة والأخلاقيّة منها؛ فإنّ هذه الكتيبة

كانت قد تحوّلت إلى مدرسة فكريّة؛ أي أنّها تحوّلت فعلاً في الجوانب الأخلاقيّة السلوكيّة و... إلى مدرسة وكان جميع الحاضرين في هذه الكتيبة، يكتسبون صفات الحاج علي كالصّمت، حالة المواظبة على الذّكر (كانت إحدى خصال الحاج علي المواظبة على الذكر)، وأدائهم للنوافل المطوّلة، وإخفاءهم لعباداتهم من أجل اجتناب الرياء. كانوا كلّهم يقومون بهذه الأمور دون أيّ إجبار. في تلك الأيام لم تكن لدينا دائرة تمثيل، ولا جهازاً وقائيّاً، ولم تكن توجد أيّ رُتب؛ لكن الحاج علي كان يوجد حالة كاريزماتيّة تجعل الجميع ينجذبون إليه ويتبعون أمره، لم تكن هناك حالة عصيان واحدة لأوامره؛ أي إذا فتشتم في كلّ العمليّات المهمّة السبع أو الثمانية التي شاركت فيها هذه الكتيبة؛ مثل عمليّات «كربلاء ١»، «كربلاء٥» و«والفجر ٨» التي كانت عمليّات قاسية وقدّمنا فيها تضحيات وخسائر كبيرة؛ لا نجد حالة واحدة من كتيبة الحاج علي محمّدي لجنديّ عاد أو قال بأنّني أشعر بألم في معدتي أو رأسي أو حرارتي مرتفعة ولا أستطيع المشاركة في العمليّة. لقد كان ذلك مذهلاً بالفعل.

أصيب هذا العجوز بحالة نفسيّة

لقد كان لدينا رجلٌ عجوزٌ يُدعى دهقاني، وقد كانت له سوابق طويلة في الجهاد. حتّى أنّه كان يملك سوابق في الكفاح السياسي قبل انتصار الثورة الإسلاميّة وكان والد شهيدٍ أيضاً وأخ شهيد. كان كلّما يقسم دائماً بروح الحاج علي محمّدي عندما كان ينوي أن يقسم أي أنّه كان مشتاقاً ومجذوباً للحاج علي إلى هذا الحدّ. عندما استشهد الحاج علي، أصيب بحالة نفسيّة. لم يكن يهدأ أو يسكن، بعد الحرب عندما جاء إلى كرمان، لم يكن يستطيع السيطرة على نفسه، كانت لديه حالة خاصّة.

وصلنا إلى «كربلاء٥» كان هو في عمليّة «كربلاء ٥» ضمن الكتائب الثلاثة

الأصليّة التي كان ينبغي لها أن تمشي داخل الماء وتخترق صفوف العدوّ، ولم يكن غوّاصاً أو جنديّ مشاة.

نفّذنا عمليّة في الليلة التاسعة من «كربلاء ٥» وكان علينا أن نمشي أطول مسار في مياه بوارين لنصل إلى العدو. ذهبت مرة في إحدى الليالي بنفسي إلى حدود المعسكر لأحدد المسافة التي يقدر العدوّ على رؤيتنا منها، ودخلتا مسافة ٢ كيلومتر في المياه وكنت أرى من هناك شبابنا، كانت رؤيتهم متاحة من تلك المسافة بشكل كامل. ثمّ كان علينا أن نقطع مسافة ٥-٦ كيلومتر حتّى يرانا العدوّ.

أذكر أنّنا قبل أن ندخل الماء لكي نفحصه ونحدّد مدى رؤية العدوّ، كانت هذه البطات السوداء تتحرّك فوق الماء وتُرى بكلّ وضوح، في تلك اللحظة قال لي مسؤول المحور هناك السيد سخي، أن لا داعي لأن تدخل الماء، انظر، رؤية هذه البطات السوداء متاحة بكلّ وضوح! لقد كانت هذه البطات تُرى بوضوح من مسافة بعيدة. رغم ذلك، سارت الكتيبة داخل المياه.

أؤكّد مرّة أخرى أنّ أطول وأقسى مواجهاتنا مع العدوّ كانت في «كربلاء ٥»؛ أي أنّ أطول حقل ألغام كان في هذا الميدان. لقد كانت كلّ الألغام والألغام الانشطاريّة، والألغام المضادّة للأفراد، والألغام الثقيلة وغيرها من الألغام متّصلة ببعضها البعض؛ وعلى الأرض وعائمة فوق الماء؛ وكان كلّ واحد منها قادرٌ على إبادة فرقة بأكملها.

ومن ناحية أخرى لم تكن هناك إمكانيّة لإبطال مفعولها كلّها في الماء؛ بل كنا قادرين فقط على إبطال مفعول بعضها والعبور بين الأسلاك الحديدية المتلاصقة بصعوبة.

قبل أن نصل إلى نقطة التحرّر، كان على فرقة التصدي للكمائن أن تطهّر

المكان وتقطع الأسلاك الشائكة لكي يدخل سائر الأفراد. كانتا جزيرتان صغيرتان بمساحة تبلغ حوالي الـ٣٠ متراً مربّعاً وكان بداخل كلّ من هاتين الجزيرتين بعض النباتات الخضراء. كنا قد حدّدنا هاتين الجزيرتين وقرّرنا أن تختبئ الكتيبة خلف النباتات التي بداخلهما.

سمعت صوت ارتجاف واصطدام فكّي الحاج علي محمّدي ببعضهما

كان موعد انطلاق العمليّة في تمام الساعة ١٢. كانت الكتيبة قد وصلت إلى نقطة التحرّر قبل نصف ساعة. كانت الأوضاع سيئة؛ كانت المياه مجمّدة؛ ومن ناحية أخرى دخلت هذه المياه الباردة جدّاً إلى داخل ملابس الغوص الخاصّة بالإخوة وكانت تزيدهم ثقلاً. لقد كان المشي داخل الماء في ظل هذه الظروف ومع حقائب المعدّات الثقيلة صعباً للغاية. من جهة أخرى كانت المناطق الحساسة في أجساد الشباب مجمّدة. وكان على المجاهد أن يتقدم في هذه الظروف داخل المياه ويقاتل.

رحمة الله على الحاج علي محمدي، اتصل بي -كنا قد مددنا خط هاتف من الكتيبة إلى نقطة النزاع، أعني الهواتف العسكريّة التي كان أحد سماعاته بيدي والآخر بيد الحاج علي أحمدي-، قلت له: الشباب يتجمّدون، علينا أن نفعل شيئاً ما بسرعة.

لشدّة ما كانت المياه متجمّدة، سمعت صوت ارتجاف واصطدام فكّي الحاج علي محمدي ببعضهما عبر الهاتف. في ظلّ هذه الأوضاع، اشتبك الجناح الأيسر لفيلق ٣١ عاشوراء مع العدوّ؛ أي قبل ساعة من الموعد المتفق عليه. طبعاً، كانت المنطقة ستواجه مشكلة مع ما حصل؛ لذلك تحرّك الإخوة باتجاه العدوّ وبدأ الاشتباك.

جاءت طائرات العدوّ على الفور وألقت القنابل المضيئة وجعلت الأجواء

مضيئة كما النهار، وهذا كان في الوقت الذي كان فيه كلّ هؤلاء الشباب خلف الأسلاك الشائكة ومقابل العدوّ؛ عدوّ يملك رشاشات ثقيلة.

أبدع الحاج علي هنا ايضاً. كان جزء من حقل الألغام قد بطُل مفعوله وتبقّى جزء آخر. وقد دخل هو مع الفرقة الأولى لكي يكسروا خطوط العدو بسرعة، وكان معاونه برفقة الفرقة الثانية ومعاونه الثالث مع الفرقة الثالثة. نجح وكسر خطوط العدو وأراد أن يتسلّق حصن العدوّ فاستشهد في تلك الحالة، بينما كان نصف جسده داخل الماء والنصف الآخر خارج الماء ويداه معلقتان.

كان جثمان الحاج علي المقطّع عالقاً بالأسلاك الشائكة

كان مشهد عبور هذه الفرقة مع بزوغ الشمس أول الصباح، لافتاً. لقد كان لافتاً بالفعل. إنّني أقول دائماً أن لا شيء قادر على تصوير هذا المشهد المؤلم، إلا الآية القرآنية: <يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم>.

لقد كان جثمان الحاج علي عالقاً بكلّ هذه الأسلاك الشائكة وقطع الحديد وكانت هناك قطعة من جسده معلّقة بكلّ جزء من هذه القطع الحديدية. لقد عبر مثل هذا الميدان وكسر صفوف العدوّ في عمليّة «كربلاء ٥»؛ أي أنّ وصولنا إلى اتفاقية ٥٩٨ واعتبارنا إياها انتصاراً لنا في الحرب، لم يكن لولا وجود الحاج علي محمدي الذي شكّل محوراً أساسيّاً من محاور هذا الانتصار.

كان الشهيد الحاج علي محمدي بور قد أخبر رفاقه قبل عمليّة «كربلاء٥» حول كيفيّة استشهاده:

«ستكون هذه آخر عمليّة لي. أنا لن أعود. لقد رأيت أنّهم سلّموني راية. وأنا آخذ الراية لكي أوصلها إلى الحصن؛ لكنّني لا أصل. أنا على يقين بأنّني

في دفتر ملاحظاته: يا أخي العربيّ الذي تبحث عنّي وأبحث عنك! أقسم بالله! سوف أشفع لك إن قتلتني.

لقد قيل هذه الجملة لسماحة آية الله المشكيني رحمه الله، بكى ربع ساعة. هل تبلغ المعرفة والعرفان مثل هذا المستوى؟! عندما راجع ذلك الشاب هذا الرجل العارف وقال بأنّنا نصلّي بعض الأحيان وملابسنا ملطّخة بالدماء، ما حكم هذه الصلاة؟ تأثّر آية الله المشكيني رحمه الله وقال: والله إنّني مستعدٌّ لأن أبدّل كلّ صلواتي مع صلاتك هذه التي تشكّ فيها![1]

سأستشهد قبل الوصول إلى الحصن وسأتحرّر من هذه الدّنيا.»

أورد الحاج علي محمّدي بور في مقطع من وصيّته ما يلي:

«لكن أنت يا أيها الأخ العراقي! ورغم أنّك مأمور وقاتل لروحي؛ لكنّني أعتبرك أخاً لي وسوف أصفح عنك، فإذا سمح لي الله ستكون أوّل من أشفع له! استعدّ ولا تجعل للحزن منفذاً في قلبك ولا تشعر بأيّ خوف. صدري جاهز، جهّز بندقيّتك. سوف تسفك دمي؛ لكنّني آمل أن تُغفر ذنوبي بسفك دمي هذا.»

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل كرمان الثقافي الاقتصادي في

نفخر بأولئك الـ٢٣ مجاهداً

نحن نفخر بأنّ بأنّ عدداً كبيراً من أولئك الـ٢٣ مجاهداً[1]

برج ميلاد.

١- في أولى ساعات صباح يوم الجمعة، ٣٠ نيسان من العام ١٩٨٢، أطلق المجاهدون الإيرانيّون بعد عمليّتين أو ثلاثة حقّقوا فيها الانتصارات، على إطلاق عمليّة أخرى أسموها عمليّة «بيت المقدس». عمليّة أثمرت بعد ثلاث وعشرين يوماً من الأحداث والاضطرابات والمشاق والصعوبات، وجعلت الناس يتذوّقون حلاوة النّصر بزفّ نبأ «تحرير خرّمشهر».

كان غالبيّة أولئك الـ٢٣ مجاهداً من كتيبة ثار الله في كرمان

لكنّ القصة الكاملة لملحمة خرّمشهر، لا تقتصر على ما سمعناه لحدّ اليوم. فقد تمّ إغفال أحداث ووقائع كثيرة متّصلة بهذا الحدث العظيم، وقلّما تمّ التطرّق إليها. فتماماً في يوم الجمعة ومع انطلاق العمليّة، تعرّضت كتيبة من فيلق ٤١ ثارالله بقيادة «قاسم سليماني» لمحاصرة العدوّ، ولم يكن أمامهم أيّ طريق للتقدّم أو الانسحاب. وأنّ جيش النظام البعثي استغلّ هذه الفرصة لكي يكثّف هجماته على هذا المحور، وتمّ في النتيجة أسر عدد من القوات الإيرانيّة بواسطة جيش النظام البعثيّ.

من القوات التي تمّ أسرها، ٢٣ مجاهداً بأعمار صغيرة تتراوح بين الـ١٥ و١٧ عاماً، وكان أغلبهم من كتيبة ثار الله في كرمان (١٩ فتى كرماني و٤ فتية من مناطق أخرى).

بعد أن علم صدّام حسين بهذه القضية واطّلع على تقرير أسر القوات الإيرانيّة بسبب انهزامهم في خرّمشهر، حاول استغلال الأمر لصالحه

وإجراء عمليّة دعائيّة فأمر بفصلهم عن بقيّة الأسرى واستدعاهم إلى قصره.

وفي اللقاء الذي جمع هؤلاء الفتية مع أوّل شخصيّة في النظام البعثي، أي صدام حسين، حاول أن يعرب عن تعاطفه ويبدي حزنه لكونهم مجرّد أطفال تمّ إجبارهم على المشاركة في الحرب، وطلب من ابنته الصغيرة «حلا» أن تعطيهم أغصان ورد ثمّ التقط معهم صورة تذكاريّة وأخبرهم بأنّهم سيعودون سريعاً إلى إيران بعد موافقة اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر.

بعد هذه الحادثة نشر الإعلام العراقي مقاطع فيديو وصور لهم وأوردت في صحف العراق المعروفة جملة صدّام: «كلّ أطفال العالم أطفالنا».

هؤلاء الـ٢٣ مجاهداً الذين كانوا قد تعرّضوا لموقف مربك، أعلنوا إضرابهم عن الطعام حتّى يعودوا للانضمام إلى سائر الأسرى. ثمّ في النهاية حقّقوا مرادهم بعد وقوع أحداث كثيرة؛ إلا أنّهم بقوا في الأسر حتى ١٧ آب من العام ١٩٩٠.

وقد تمّ لحد اليوم تأليف عدّة كتب وأفلام بالاستناد إلى الوثائق المتوفّرة وذكريات الأسرى. أحد هذه الأفلام يحمل عنوان «٢٣ شخصاً وذاك الشخص الواحد»، من إخراج مهدي جعفري عام ٢٠٠٨. كما تمّت طباعة كتاب «أولئك الثلاثة وعشرون فتى» بواسطة دار نشر سورة مهر، والذي يستند إلى ذكريات أحمد يوسف زادة.

لحظات عذبة برفقة ذكريات رجال صغيري السنّ

كتب الإمام الخامنئي تقريظاً لكتاب «أولئك الثلاثة وعشرون فتى» ورد فيه ما يلي:

عشت ساعاتٍ عذبةٍ بعذوبة هذه الكتابة الجزلة الجذابة والبارعة- في

الذين استهزؤوا بالعدوّ كانوا منّا.[1]

شعر هذا الشهيد العارف، يصف حالنا اليوم

نحن نفخر بأنّ حسين يوسف إلهي[2] منّا، وقد ادّعى

الأيام الأخيرة من عام ١٣٩٣ هـ.ش (آذار ٢٠١٥)-، وقضيت أوقاتًا مع هؤلاء الرجال (الفتية) الصغار في السنّ وذوي الهمم العالية. أحيّي هذا الكاتب الموهوب، وأولئك الـ٢٣ فتًى، واليد القديرة الحكيمة المبتكرة والصانعة للمعجزات التي صاغت كل هذا الجمال وأشكر الله وأسجد له شكرًا على ذلك. شاهدت كرمان مرّة أخرى عبر نافذة هذا الكتاب، كما شاهدتها وعرفتها من ذي قبل، وأثنيت على ألوانها الجميلة المتألّقة.

وقد وجّه الحاج قاسم سليماني رسالة إلى أحمد يوسف زادة، مؤلّف كتاب «أولئك الثلاثة وعشرون فتى» ورد فيها:

«عزيزي أحمد، لقد شجّعني تقريظ ومدح قائدنا العزيز على قراءة كتابك، وقد غبطت منزلتك بعد قرائته وتحسّرت على عدم امتلاكي في صحيفة أعمالي ليلة واحدة من تلك الليالي ويوماً واحداً من أيام سجنك. أنتم العرفاء الحقيقيّون والعبيد الذين حققتم العبوديّة وبلغتم العرش، أتمنّى أن تبقوا في الأعالي. كم تبعث على فخرنا أن يرى الربانيون المتربّعون على منابرهم المتربّين تحت منابركم! كم هو جميل أن يروا الشباب الباحثين عن الكمال، والأطفال الذين بلغوا كمالهم في سجون العدوّ!»

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل كرمان الثقافي الاقتصادي في برج ميلاد.

٢- وُلد عام ١٩٦١ في كرمان، كان والده أستاذاً ويعمل في وزارة التربية

أنّ السيدة زينب عليها السلام وعدته بالنّصر[1] في عمليّة

والتعليم. كانت أجواء المنزل ثقافيّة بامتياز وكان جميع الأبناء يحضرون في المساجد والحلقات الدينيّة منذ الطفولة ويتعرّفون على الإسلام والقرآن. تعود جذور رغبة محمد حسين العميقة بمطالعة نهج البلاغة إلى تلك المرحلة. ففي أيام الثورة الإسلاميّة، كان محمد حسين في الثانويّة وكان لديه حضور فاعل وكان أحد أعضاء الحركات الطلابية في مدينة كرمان. مع انطلاق حرب العراق ضدّ إيران واصل نشاطه في فيلق ٤١ ثارالله في وحدة الاستخبارات والعمليّات، ثمّ وقع الاختيار عليه كنائب لقائد هذه الوحدة. طوال الحرب، جُرح خمس مرّات جراحاً شديدة ثمّ حظي أخيراً بلقاء الله عزّوجل في عمليّة «والفجر٨» بسبب جراحه التي تسببت بها القنابل الكيميائيّة في ١٦ شباط من العام ١٩٨٦ عندما كان في مستشفى لبافي نجاد في طهران.

تقيّده و إصراره والتزامه تجاه الحرب

١- ذكر الحاج قاسم سليماني أثناء تحليله لشخصيّة الشهيد العارف **محمد حسين يوسف إلهي** الإلهيّة والروحانيّة بعض الذكريات قائلاً:

علينا أن ندرس شخصيّة حسين يوسف إلهي من عدّة زوايا. شخصيّة حسين لافتة من زاوية رؤية أولئك الذين رأوه ولمسوا وجوده. أحد جوانب شخصيّة حسين هو الجانب الأخلاقي والعرفاني. كانت عبارات، كلمات وسكنات حسين تدلّ على شخصيّته العرفانيّة والأخلاقيّة. الجانب الثاني كان البعد الإداري والتربوي لدى حسين في ساحة الحرب، والذي قلّما تمّ التطرّق إليه. لقد كان لدى حسين أثرٌ أساسي في البعد التنفيذي لـ٦ عمليّات. ظهر الجانب الإداري لحسين في عمليّات «والفجر١»، «والفجر٤»، «والفجر٣»، «بدر» و«والفجر٨». وقد كان حسين في بعد المشاركة في الحرب، تعبويّاً

متطوّعاً. لم يكن من قوات الجيش أو الحرس الثوري المكلّفة بالمشاركة في الحرب.

لم يكن هناك إجبارٌ من الناحيتين الروحيّة والنفسيّة. لقد قطع حسين مراحل إلى أن أصبح مسؤول إدارة استخبارات فيلق ثارالله. لقد كان متطوّعاً، إلا أنّ إصراره وتقيّده والتزامه تجاه الحرب، كان أكثر من الأشخاص الذين كانوا مكلّفين بالحضور في ساحات القتال.

وفي البُعد العرفاني، يتّضح تماماً من أشعاره وجود ضجيج كبير في قلبه. تحتاج دراسة كلّ شعر من أشعاره إلى جلسة بعظمة هذه الجلسة. أي أنّ الدّموع كانت تنسكب بغزارة على وجهه عند إلقاء بعض هذه الأشعار.

سألته، وهل أنت عالمٌ بالغيب؟

عندما هممنا قبل عمليّتي «خيبر» و«بدر» بتنفيذ عمليّة في منطقة شلمجه وفي منطقة زيد تحديداً، كنّا نحرص كثيراً على أن لا يُفتضح أمر العمليّة. كان خطّ شلمجه مهجوراً. لم يكن نشطاً. كان الماء يقع على أحد أطراف حصن إيران. تفرّغ الإخوة للاستطلاع تحت إشراف حسين. كانوا يذهبون للاستطلاع طوال عدّة ليال متتالية. وكان أوّل فريق استطلاع ذهب يضمّ أكبر موسائي وحسين صادقي، ولم يعودا. لم نكن نعلم، هل أسرا أو استشهدا. كنّا قلقين جدّاً. في اليوم التالي قال حسين: قال لي أكبر موسائي في عالم الرّؤيا بأنّنا لم نُأسر، بل استشهدنا وسوف نعود. كان حسين قد توقّع عودة هذين الشهيدين في اليوم الثاني عشر أو الثالث عشر. مازحتُ حسين قليلاً وقلت له، وهل لديك علم الغيب؟!

قال: حسين ابن غلامحسين يقول ذلك (كانت هذه جملته بدقّة). رغم أنّ عمق الماء كان قليلاً، وكان احتمال أن يأتي بالجثامين ضئيلاً بالفعل؛ إلا أنّ هذا الأمر وقع وفي اليوم الثاني عشر، جاءت المياه بجثمان أكبر موسائي

«والفجر٨». لقد كان عارفاً، وأنشد أبيات الشعر الجميلة

إلى ضفة الساحل -المكان الذي كان الشباب يقرأون فيه إلى جانب النهر زيارة عاشوراء-. هذه لم تكن صدفة بأن تأتي الجثامين في نفس اليوم الذي حدّده حسين وفي نفس المكان الذي كان يقرأ فيه الشباب بجانب ساحل النهر زيارة عاشوراء. وفي اليوم الثالث عشر وصل جثمان حسين صادقي إلى الساحل أيضاً.

كما كان حسين قد أخبرني أنّ السيّدة زينب عليها السلام أخبرته بأنّكم سوف تنتصرون في هذه العمليّة.

عبادة الله جعلت حسين يُحلّق

لقد كان حسين عبداً بكلّ معنى الكلمة في الظاهر والباطن. لقد كان عبداً حقيقيّاً لله عزّوجل. في يوم من الأيام عندما كان معطفه على كتفه ولم يكن يرتدي جواربه، جاء إليّ، ألقيت عليه نظرة. كانت ترتسم على وجهه ابتسامة جميلة. قال: كنت أصلّي، فقالوا لي أنّك تطلبني في شيء معيّن، أردت أن أرتدي المعطف ثمّ أرتدي الجوارب، فحدّثت نفسي: يا حسين! يا بن غلامحسين! لقد ذهبت إلى الله بهذه الحالة، وتودّ الذهاب للقاء فلان بحالة أخرى؟!

هذه السلوكيّات والأفكار منحت عظمة لحسين؛ لأنّه كان عبداً لله. ذاك الذي قال بسم الله ثمّ سار على الماء، كان السبب في قدرته على فعل ذلك العبوديّة لله. لقد جعلت عبادة الله حسين يحلّق.

البعد الآخر في شخصيّة حسين، كان البعد الإداري. لم يكن حسين، حسين فقط؛ بل كان صانعاً لأمثال لحسين. لقد تربّت شخصيّات قرب حسين، تحوّلت هي الأخرى إلى نماذج عظيمة تشبه حسين، وأصبحت عالماً من العرفان والمعرفة.

كان حسين يزداني إمام جماعة حسين في قسم استخبارات العمليّات. كانوا عندما يتحرّكون، يتوضّأون ويغتسلون غسل الشهادة. وعندما كانوا يصلون إلى حقل الألغام، كانوا يقرأون زيارة عاشوراء في وسط الليل الحالك وخلف حقل الألغام الذي كان خندقاً مليئاً بالاضطرابات بحيث أنّه كان يُحتمل ظهور العدوّ في أيّ لحظة. زيارة عاشوراء هذه كانت شبيهة بصلاة الإمام الحسين في ظهر عاشوراء، ثمّ كانوا يدخلون حقل الألغام. كانوا يعدّون خطواتهم ويحدّدون مواضع الألغام. ويحدّدون مواضع الكمائن. ثمّ يعودون ويصلّون ركعتي شكر لله عزّوجل خلف حقل الألغام.

في إحدى الليالي رافقت حسين في عمليّة «والفجر١» من أجل تفقّد حقل الألغام، عندما خرجنا من الحقل، لعلّه كانت تفصلنا عن العدوّ مسافة ١٠٠ متر أو أقلّ، فرأيتهم خرّوا سجّداً لله عزّوجل. استغربت، ظننت أنّ شيئاً ما قد حدث، ظننت أنّ شيئاً ما قد حدث، رأيتهم هووا إلى الأرض وسجدوا وانشغلوا بشكر الله عزّوجل!

عندما كان حسين يزور روضة الشهداء في كرمان، كان يعيش حالة استثنائية. رأيته في عمليّة «بدر»، قلت له أن يا حسين، أنت تعرض نفسك للعدو وتُجرح، سوف يبقى أبناء الناس بلا معيل.

ضحك وقال: ليس الأمر على هذا النّحو، لقد قلت لله: إلهي! إذا لم تكن لدى حسين القدرة على التحمّل في هذه العمليّة ولم يكن قادراً على الصّبر وكان من الممكن أن تدفعه صعوبات العمليّة للتخلّي عن الحرب، أخرجه من الحرب بطريقة أخرى!

كان حسين قد جُرح، وربط أمعائه الخارجة من جسده بجسمه بعد أن وضعها في كيس بلاستيكي!

حسين بن غلامحسين يقول لك

في يوم من الأيام توجّهت مع حسين إلى آبادان. وفي وسط الطريق علمنا أنّ عمليّتنا السابقة لم تكن ناجحة بشكل كبير وأنّنا على وشك تنفيذ عمليّة كبرى، قلت له أنّ هذه العمليّة لن تحمل نتيجة مرجوّة. سألني: لماذا؟

قلت له: هذه عمليّة صعبة وأنا أستبعد أن ننجح فيها!

قال حسين: على العكس، أنا أعتقد أنّنا سنحقّق نجاحاً في هذه العمليّة.

سألته: من أين لك كلّ هذه الثقة؟

ضحك وقال جملته الشهيرة: حسين بن غلامحسين يقول لك بأنّنا سوف ننتصر في هذه العمليّة.

ولأنّني كنت أعلم أنّ هناك أمراً ما يدفعه للحديث بهذه الثقة، سألته: ما الذي يعنيه ذلك؟ من أين لك هذا الكلام؟

قال: أنا أعرف على كلّ حال.

سألته: حسناً، من أي لك هذه المعرفة؟

أجابني: لقد أخبروني بأنّنا سوف ننتصر.

سألته: من أخبرك بذلك؟

أجابني: السيّدة زينب عليها السلام!

سألته: أخبرتك بذلك في اليقظة أو المنام؟

أجابني ضاحكاً: ما شأنك بذلك؟ فلتعلم فقط أنّ السيدة أخبرتني أنّكم سوف تنتصرون في هذه العمليّة على العدوّ ولذلك أنا أقول أنّنا سنحقّق الفوز حتماً.

مهما طلبت منه أن يشرح لي أنا الذي كنت قائده بشكل أكثر تفصيلاً،

هذه:

رحل كلّ الرّفاق وتخلّفت أنا عن ركبهم

واحسرتاه، أنا الوردة الشائكة المطرودة من كلّ مكان

جاء الكهول وتعلّموا كيفيّة السير والوصول

وبقيت أنا متخلّفاً عن المسير

وشعره يصف حالنا اليوم. كان يعيش حالة من العشق عند إنشاد أبيات الشعر هذه ويذرف الدموع:

لا تقل أرني عندما تصل إلى طور سيناء وأكمل السير

فلا قيمة لهذه الأمنية إن كان الجواب لن تراني

لا تقل أرني عندما تصل إلى طور سيناء ولا تكمل السير

كان يكتفي بهذه الجمل ولم يضف شيئاً آخر. عندما انتهت العمليّة بنجاح تذكّرت كلام حسين في ذلك اليوم والحزم الذي كان في حديثه. كما أنّ قصّة وعد الشهيد يوسف إلهي بشأن شهيد الدفاع عن المقدس حسين بادبا في عمليّة والفجر٨ ملفتة أيضاً وقد وردت بشكل كامل في الصفحة ٥١٢ من الكتاب بشكل كامل.

واسمع في صوت الحبيب جواب لن تراني

ذاك الذي يقول أرني لم يرك

أنت معي دائماً، ما الذي يعنيه جواب لن تراني

أبيات الشعر هذه تشير إلى الآية القرآنية التي تتحدّث حول قول موسى عليه السلام لله عزّوجل في جبل الطور: «أرني»، أظهر نفسك لي. فجاءه الجواب: «لن تراني». أي لن تراني أبداً. العارف بالمعنى الحقيقي، عابدٌ بالمعنى الحقيقي.[1]

نحن نفخر بشهيد مدينتنا «عبد المهدي مغفوري»

نحن نفخر بالشهيد «عبدالمهدي الغفوري»[2] الذي

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل كرمان الثقافي الاقتصادي في برج ميلاد.

٢- وُلد العارف الشهيد عبدالمهدي مغفوري عام ١٩٥٦ في قرية سرآسياب فرسنكي التابعة لمدينة كرمان. كانت عائلته فقيرة وتؤمن احتياجاتها عبر خياطة السجاد.

كان الحاج قاسم قد منع مغفوري من المشاركة في الجبهة

بات ضريحه اليوم مزاراً يشبه مزارات أقرباء الأئمة في

تألّق في محطات عديدة وفي مناصب إداريّة متنوّعة بشكل جيّد، ثمّ تسلّم مسؤوليّة معاون في فيلق ٤١ ثار الله، والتحق بمعبوده أخيراً في عمليّة «كربلاء٤».

وفي الجبهة، وعندما تكون العمليّة قاسية، كان الحاج قاسم سليماني الذي كان يشعر بإيمان عميق وحبّ شديد للشهيد مغفوري، يطلب منه أن يأتي ويلقي كلمة للحضور. لم يكن عبد المهديّ ليترك زيارة روضة الشهداء في أيام الخميس. كان يقول: ينبغي أن لا تخلو روضة الشهداء. وكلّما كان يقرّر الخروج من الروضة، كان يتقهقر في المشي إلى الوراء دون أن يدير ظهره للروضة.

كان الحاج قاسم قد منع مغفوري من الحضور في الجبهة؛ لكنّ مغفوري أوصل نفسه بلطائف الحيَل إلى عمليّة «كربلاء٤» وشارك فيها. رغم أنّه كان قد جُرح مرّتين في السابق وأصيب بالسلاح الكيميائي.

نحن لا نملك شيئاً إن لم نملك الولاية. كلّ من يعرف الإمام الخميني، لا يتلفّظ اسمه دون أن يكون على وضوء. الالتزام بالقانون واجب شرعي في الدولة التي تحكمها ولاية الإمام، فإذا أخطأنا، علينا أن نبرّر ذلك في ذلك العالم للولاية بكلّ خجل. لقد حملت روحي على كفّي لأفدي الإمام بها، الإمام الذي أتى وأحيا الإسلام. إنّني أقف احتراماً لاسم الإمام؛ لأنّه نائب صاحب العصر والزّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ولا أستطيع أن لا أكترث وأبقى ساكناً عند سماع اسمه. فلتحرصوا عندما تشتروا أغراضكم أن يكون البائع ولائيّاً.

أقسم بجدّي أنّ عبدالمهدي هذا مختلفٌ عن الآخرين

يقول العارف الجليل المرحوم السيّد كمال الموسوي في شرح صفات الشهيد مغفوري:

«لقد قضيت عمري مع العديد من العلماء في كربلاء، قم ومشهد، وأمضيت عمري برفقة العلماء؛ لكنّني لم أرَ مثل الشهيد مغفوري. إنّه فعلاً أحد أعظم عباد الله وأكثرهم مقبوليّة لديه. أقسم بجدّي أنّ عبدالمهديّ هذا مختلفٌ عن الآخرين»

كان الشهيد مغفوري يعتقد بضرورة أن تكون الأعمال هادفة، كان يجعل طاولة عمله باتجاه القبلة وعندما منّ عليه الله عزّوجل بطفل، أخذه من المشفى إلى روضة الشهداء ولم يسمح بتلاوته للقرآن أن يكون الكلام الدنيوي أوّل ما يسمعه طفله.

كان هذا الشهيد كلّما يتوجّه إلى منزل والده، يقبّل يد أمّه وأبيه ولم يكن يسمح لنفسه بأن يتمدّد أمامهما أو يمشي أمامهما أو يمدّ يده إلى مائدة الطعام قبلهما.

يا لها من سورة مميّزة، سأعود مشعّاً بالنور إن شاء الله

لم يكن عبدالمهدي يطمع بزخارف الدنيا، كان قد قسم غرفة الجلوس إلى قسمين؛ ووضع سجادة في أحد الأقسام وفرش الباقي بحصيرة، وكان هو يجلس على الحصيرة وينام عليها ويقول: أخشى أن يُنسيني الجلوس والنوم على هذه السجادة الدافئة والناعمة ذكر المستضعفين بحيث أخجل في حضرة الله عزّوجل. كان يخرج من هذا العالم عند سماعه للقرآن ويغرق في مكان آخر، لم يكن يسمع أيّ صوت آخر ولم يكن يلتفت إلى ما يدور حوله على الإطلاق.

في آخر مرّة توجّه فيها إلى الجبهة وعبر تحت القرآن، حمل القرآن وقبّله ثمّ فتحه، جاءت سورة النور، تغيّر حاله وقال: يا لها من سورة مميّزة، سأعود مشّعاً بالنور إن شاء الله، عندما جاؤوا بجثمانه الشريف، كان وجهه هالة من النور.

مدينتنا. هو كان شخصاً لم يقطع نافلة الليل في أيّ ليلة. كان يصلّي صلاة الليل حتّى لو كان في الحافلة أو في وسط الطريق، ثمّ يلتحق بالحافلة التالية أو السيارة التالية.

نحن نفتخر بمغفوري الذي عندما أرادت زوجته أن تضع حملها، لم يستخدم دراجة الحرس الثوري النارية لكي يحفظ بيت المال.[1]

كان الشهيد مغفوري يتوجّه إلى روضة الشهداء في كلّ مرة يدور الحديث حول مال الدنيا، وكان يقف بأدب واحترام مقابل قبور الشهداء، كأنّه واقف للصلاة.

رغم كلّ الحبّ الذي كان بداخله للجبهة، كان يطيع أمر الكبار والقادة عندما لا يسمحون له بالذهاب إليها، ولم يكن يفكّر سوى بأداء التكليف ويرى الله حاضراً في كلّ أعماله.

قبل استشهاده كان الشهيد مغفوري قد تولّى القيادة في مختلف مسؤوليّات فيلق ثار الله وكان آخر حضور دنيوي له في عمليّة «كربلاء٤» وفي جزيرة أم الرصاص.

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل كرمان الثقافي الاقتصادي في برج ميلاد.

أفخر بامتلاك جوهرة مثل أمير شاه بسندي

إنّني أفخر لكوني كرمانيّاً، ولامتلاك جوهرة من أمثال «أمير شاه بسندي»[1] الذين كووا لحمه المتشقّق إثر الجلد

١- أيّ نوع من الجنود أنتم؟! كيف شاركتم في الحرب؟!

يقول أحمد يوسف زادة، مؤلّف كتاب «أولئك الثلاثة والعشرون فتى» حول كيفيّة تعذيب أمير شاه بسندي:

عام ١٩٨٤ كانوا قد جمعوا حوال الأربعمئة أسير ممّن تتراوح أعمارهم بين ١٤ إلى ٢١ سنة في معسكر بين القفصين، وقد كان عمري ٢٠ سنة وكنت أحد الأسرى. كانوا يعذّبوننا تحت أيّ ذريعة ويضربوننا بالأسلاك والسياط ثمّ يدحرجوننا على التراب، ويسجنوننا، وكانوا يلقون بالإخوة في المجارير. كما أنّهم كانوا يبقوننا تحت أشعّة الشمس اللاهبة لساعات دون أن يسمحوا لنا بشرب الماء، إضافة إلى التعذيب الروحي لنا من قبيل منعنا من صلاة الجماعة، وإقامة الدعاء، وبثّهم للموسيقى المطربة والعربيّة وبشكل خاصّ في أوقات الصلاة ...

في يوم من الأيام قال لنا العراقيّون ضمن إطار استعراضاتهم الدعائيّة، أن علينا أن ندرّبكم من الناحية العسكريّة. كان قد وصل نبأ من إيران، أنّ الجمهورية الإسلاميّة تأخذ الأسرى لديها إلى صلاة الجمعة. حتّى أنّ عدداً من الأسرى كانوا قد أعلنوا استعدادهم بأن يقوموا بعرض عسكريّ في الشارع مقابل صورة الإمام الخميني، وقد تمّ ذلك. كانت قد بدأت أيام التدريب العسكريّ للأسرى الإيرانيّين. في الأيام الأولى درّبونا على الإيعازات العسكريّة وأمثال هذه الأمور وقد كنّا نتقنها. عندما كانوا يقولون

تأهب كانوا يتوقّعون أن نقوم جميعاً بضرب الأرض بأقدامنا في اللحظة نفسها. لقد كنّا نتعمّد رفع أرجلنا التي ترتدي نعالاً ممزّقة إلى الأعلى وضربها بالأرض بعد عدّة ثوانٍ من ضرب صديقنا لقدمه بالأرض، وكانت تصدر أصوات مزعجة. كان الضابط العراقي ينزعج جدّاً ويقول أيّ نوع من الجنود أنتم؟! وكيف شاركتم في الحرب؟! في يوم من الأيام ضقنا ذرعاً وتركنا الباحة وعدنا إلى الغرف. انزعج البعثيّون كثيراً. لقد اعتبروا تركنا للباحة عند عدّ الموجودين وعودتنا إلى الغرف مصداقاً للتمرّد وكان وقع ذلك قاسياً عليهم.

توقّعوا كم كان عمر أمير، ١٥ عاماً!

كان هناك ضابطٌ يُدعى النقيب محمّد وكان من البعثيّين الذين يفورون من الغضب بسرعة وكان قاسي القلب. أخبروه بنبأ تمرّدنا، وكان النقيب محمّد قد استيقظ للتوّ من النوم ودخل غرفنا مرتدياً نعله. كان رجلاً فظّاً وقاسي القلب. قبل دخوله كان أمير شاه بسندي قد ردّ على أحد البعثيّين الذي سأله لماذا فعلتم ذلك؟ قائلاً: نحن لا نرغب في أن تقوموا بتدريبنا. كانوا يبحثون عن من يخرجوه ويسلّموه للنقيب محمّد لكي يعذّبه. أخرجوا أمير، كان البعثيّون قد أمسكوا بيده لكي يأخذوه، وأمسكنا نحن بيده الأخرى وكان كلّ منا يشدّه لناحيته ولم نكن نسمح لهم بأن يأخذوه، لكنّهم نجحوا في ذلك في نهاية المطاف.

كنّا نعلم ما سيحلّ بأمير؛ لكن لم نكن نعلم إلى أيّ حدّ سيقومون بتعذيبه. كان المكان الذي يعذّبونه فيه فارغاً وكنّا نسمع صوته. لم تكن لتنتهي ضربات الأسلاك. توقّعوا كم كان عمر أمير، ١٥ عاماً!

لقد كنت حينها أسمع صوت تشظّي قدمي

كان النقيب محمّد قد سأل أمير عمّن وجّه إليهم الأمر بترك الباحة والعودة

والتعذيب بالمكواة![1]

ذلك الشّاب الزّابُليّ، كان مقرّباً من الله

إلى الغرف، وأن ممّن تتلقّون الأوامر؟ كان أمير يقول: كنت في غرفة دائريّة عندما قام عدد من الجنود العراقيّين بضربي وكنت أركض في أرجاء الغرفة ويركضون خلفي ويعذّبونني. كنت في بعض الأحيان أقع على الأرض من شدّة التعب. كانوا يسكبون عليّ إبريق ماء وكنت أعود إلى وعيي وكانت تلك العمليّة تستمرّ. قاموا بحرق أقدام أمير بالمكواة.

كان أمير يقول: في تلك اللحظة سمعت صوت تشظّي قدمي. كان أمير يستفرغ الدّم طوال ثلاثة أشهر، ويمشي طوال ٩ أشهر بمساعدة الآخرين. كان النقيب محمّد ضابطاً استجوب وعذّب كثيرين من معارضي النظام البعثي في العراق أيضاً. رغم ذلك عجز عن انتزاع أيّ اعترافٍ من أمير. يُقال بأنّ النقيب محمّد اعترف يوماً باعتراف كبير وقال لأمير: أنت فوق البشر. اعترف له بأنّني دفعت كثر من كبار العاملين في الاستخبارات للاعتراف؛ لكنّني عجزت عن دفعك للإقرار بأيّ شيء.

في متحف الدفاع المقدّس في كرمان، توجد صورة لأمير شاه بسندي مكتوبٌ تحتها أنّ هذا الفتى تلقّى ٤٠٠ جلدة بالأسلاك. سمعت أنّ الإمام الخامنئي عندما رأى هذه الصورة، سأل هل هذا الفتى حيّ؟ أجابوه بنعم، فقال سماحته: قولوا له أن يزورني حتماً؛ لكنّني لم أعرف إن كان قد التقى أو لم يلتقِ بسماحته.

١- مقطع من رسالة الحاج قاسم سليماني لأحمد يوسف زادة، مؤلّف كتاب «أولئك الثلاثة والعشرون فتى».

ذاك الشابّ الزّابليّ، حسين علي عالي[1]، كان

١- تمّ نقل كلمات ومذكّرات خاصّة حول هذا الشهيد الذي غلبت سادت روحيّاته توجّهاته العرفانيّة بحيث أنّه يُسمّى بدل حسين علي عالي بالشّهيد العارف، وكلّ واحدة من هذه الأمور المنقولة عنه يُمكن أن تكون كافية لاشتهار أحد المجاهدين؛ لكنّ حسين علي كما العديد من المجاهدين في المناطق المستضعفة مثل سيستان وبلوشستان، بقي مجهولاً.

ضع أذنك على الأرض واسمع

ينقل الشهيد مرتضى بشارتي، أحد رفاق الشهيد عالي، خاطرة عجيبة عن الشهيد عالي تُثبت قربه الكبير من الباري جلّ وعلا. يقول الشهيد بشارتي: رافقنا حسين لنجري عمليّة استطلاع. حان وقت الصلاة. صلّى الأخ عالي في البداية صلاة يرافقها صوت حزين وقلب مكسور. ثمّ وقف هو ليحرس ووقفت لإقامة الصلاة. طلبتُ من الله عزّوجل في الصلاة أن يزيد من يقيني وأكملت صلاتي. بعد الصّلاة لاحظت أنّ حسين يضحك، قال لي: «هل ترغب في أن يزداد يقينك؟»

سألته مستغرباً: «نعم، لكن من أين عرفت ذلك؟»

ضحك وقال: «كم هو المقدار الذي ترغب به؟»

قلت: «كثيرا.»

قال: «ضع أذنك على الأرض واسمع.»

فعلت ما قاله لي، سمعت أنّ الأرض تحدّثني وتنصحني وتقول: «مرتضى! لا تخف. العالم ليس عبثاً وعملك ليس بلا فائدة. أنا وأنت عباد الله؛ لكن بلباسين مختلفين وشكلين مختلفين. حاول أن لا تعصي الله بتصرّفاتك

السيّئة و...» كانت الأرض تحدّثني بشكل متواصل!

ثمّ قال لي حسين: «مرتضى! هل ازداد يقينك؟!»

حدّثتُ نفسي: «لقد كنت أظنّ أنّ الإنسان قادرٌ على الاقتراب من الله عزّوجل بشكل كبير؛ لكن ليس إلى هذا الحدّ!»

سوف أُستشهد في هذه العمليّة

ارتدى حسين علي عالي زيّ الجهاد وسارع للانضمام إلى الجبهة في سنّ الرابعة عشرة بينما كان تلميذاً، لشدّة حبّه للإمام الخمينيّ ورغبته القويّة بالحفاظ على النظام الإسلاميّ! لقد شارك هذا التلميذ المجاهد في العديد من العمليّات واستلم قيادة الاستخبارات في فيلق ٤١ ثار الله بسبب إحاطته الكبيرة بهذا المجال، وسجّل اسمه كأحد القادة الأكثر شباباً والأصغر سنّاً في تاريخ الدفاع المقدّس.

كان الشهيد عالي غوّاصاً شجاعاً وبارزاً بشكل كبير وكان يطوي أغلب المسارات بسهولة ومن أعماق قلبه وبإخلاص شديد. لقد كان مميّزاً بالفعل. في عمليّة «كربلاء ٥» استطلع منطقة المحور التي كانت شديدة التعقيد في أقلّ من ١٥ ليلة، وكان في كلّ ليلة يقطع مسافة المحور الطويلة المغمورة بالماء، والتي كانت في منطقة شلمجه، وكان يقطع الطريق بروحيّة عالية وبفرح وسرور رغم وجود الأشواك في قعر المياه، ثمّ يعود منتصراً. قال الحاج قاسم سليماني حوله: في بعض الأحيان كانت إحاطته الاستخباريّة قويّة لدرجة لم أكن قادراً على معارضة كلامه.

والمعبر الأوّل والوحيد الذي فُتح في عمليّة «كربلاء ٥» كان المعبر الذي تولّى قيادته الشهيد عالي.

يقول أحد رفاق الشهيد عالي في الجهاد حول آخر لقاء له بالشّهيد:

شخصيّة في حدّ ذاته! كان صاحب روح سامية. أيّ تفسير كان لديه حول الحرب بحيث أنّه كان في كلّ ليالي العمليّات، عندما كان في الخطوط الأماميّة، يقطع الأسلاك الشائكة، ثمّ ينام عليها ويترجّى المجاهدين أن يعبروا فوقه؟ لقد نقلت هذه القضيّة لآية الله بهاء الديني فبكى عشرة دقائق.

لم يكن في مكان هادئ، ولا في ملعب تحت الأضواء

كانت ليلة عمليّة «كربلاء ٥»، وكنّا جالسين بقرب خزّان المياه لكي نتوضّأ. كان حسين علي يُنشد أشعاراً زابليّة بفرح وسرور، ويقول: «ليلة العمليّة هي ليلة اللقاء بالمهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف. علينا أن نلتقي صاحب العصر والزّمان ونحن على وضوء، ثمّ ودّع الإخوة جميعاً. عندما وصل إليّ قال: «سوف أستشهد في هذه العمليّة». قلت له وأنا أضحك: «أنت تمزح، نحن ملازمان لبعضنا البعض، سأكون معك أينما ذهبت». حدّق في عينيّ وقال لي: «ليس الأمر كما تظنّ، بل إنّه يحتاج إلى شروط، ومقدّمات، لقد وصلت إلى اليقين، أنا أعلم أنّني لن أعود من هذه العمليّة!»

عندما لاحظ هذا الشهيد العارف في عمليّة «كربلاء ٥» أنّ حياة رفاقه معرّضة للخطر، أقام آخر صلاة له ثمّ استلقى على الأسلاك الشائكة ليفتح الطريق أمام المجاهدين، وفي هذه الأثناء أصابت خاصرته رصاصة ونال فيض الشهادة.

القويّة ومقابل عدسات الكاميرا، كان ذلك في ليلة مظلمة؛ ولم يكن هناك من مراقب سوى الخوف والموت، عندما كان يقطع الأسلاك الشائكة، كان ينام فوقها ويصبح كالفراش، ثمّ يترجّى القادة أن يعبروا فوقه.

كم ينبغي للعالِم أن يجهد لكي يبلغ هذه المنزلة. كانت الحرب مليئة بهذه النماذج، شخصيّات قيّمة، وأفراد كانوا مقرّبين من الله عزّوجل، كانوا رفاق الله.[1]

نحن نفخر بأنّ حسين علي منّا. كان فتى، وقد قال لي مرّة أنّني بلغت مرحلة باتت الأرض تحدّثني وبتّ أقدر على عدم السّير فوق الأرض![2]

كان علي حاجبي هو الحماسة الروحية لفرقة ثار الله

١- كلام الحاج قاسم سليماني في وصف صفات شخصيّة الشهيد العارف حسين علي عالي.

٢- كلمة الحاج قاسم سليماني في حفل مدينة كرمان الثقافي الاقتصادي في برج ميلاد في طهران.

أنا لا أستطيع أن أذكر كرمان دون التفكير في سيستان وبلوشستان وهرمزگان؛ لأن فرقة ثار الله التي كانت رمز البطولة في المنطقة الشرقية من بلادنا تضم تشكيلات من شباب ورجال هذه المحافظات الثلاث الشجعان. نحن نفتخر بأنّ الشهيد علي حاجبي[1] هو من كان

١- التحق علي حاجي بجبهات الحرب بين الحق والباطل عام ١٩٨٠. بعد استشهاد الدكتور جمران وتشكيل كتائب وألوية من حرس الثورة الإسلامية والبسيج (قوات التعبئة)، التحق علي بتنظيم ثار الله كقوة مدرعة. وبعد فترة وجيزة، تم تعيينه مسؤولاً لاتصالات الجيش.

خطط حاجبي لمشكلة الاتصالات في الجيش

كان أحد مخاوف مسؤولي الجيش عندما يتمركزون في منطقة ما هو التواصل وعدم استخدام الاتصالات اللاسلكية واستبدالها بالأجهزة السلكية. لهذا الغرض تمّ استخدام الهواتف الميدانية المعروفة باسم الضفدع، ومن أجل إقامة اتصال بين المقر، كان من الضروري ربط كل هذه الخنادق والمعاقل.

لهذا الغرض، ظهرت العديد من المشاكل بسبب ربط هذه الأسلاك، ومن ناحية أخرى، كانت هناك حاجة لقوات كبيرة مطلوبة لسحب هذه البكرات من الأسلاك على الأرض والخسائر التي لحقت اتصالات الجيش. وبعد فترة وجيزة وبسبب القصف أحيانًا والانفجارات الناشئة عن قذائف الهاون، كانت هذه الأسلاك تنقطع لأنها كانت على الأرض.

يمثّل الحماسة الروحية لفرقة ثار الله هو من محافظة هرمزگان. فخورون بأنّه ينتمي إلينا. ذلك الجمال الفريد الذي لم يكن له مثيل في النقاء.[1]

دفعت هذه المشكلة علي حاجبي إلى التفكير في حل، ثم توصل أخيرًا إلى استنتاج مفاده أنّه يجب عليه جعل هذا العمل آليًا. في نفس منطقة العمليات وباستخدام قطع خردة الجرافة وآلة التحميل، صمّم نظامًا يتم تثبيته على الجرار يقوم بتدوير بكرات الأسلاك من جهة ويضع السلك حتى خمسين سنتيمتراً في قلب الأرض وفي نفس الوقت يغطيه بالتراب، وفي وقت قصير، أصبح بإمكان شخصٍ واحدٍ وجرّار أن يسحب السلك بين الأقسام.

هذه المواهب والقدرات في علي حاجبي دفعت الحاج قاسم إلى تكليفه بمسؤولية إنشاء وحدة بحرية وقيادة هذه الوحدة في نفس الوقت. في هذا الوقت وقبل عملية «والفجر ٨»، أطلق علي واحدة من أفضل وأنجح الوحدات البحرية لأبناء ثار الله. وبسبب هذا النجاح في تنفيذ المهمة الموكلة إليه ومن ناحية أخرى استشهاد اللواء محمد نصر اللهي (نائب رئيس طاقم الجيش آنذاك)، فقد عُهد إلى علي أيضًا بمنصب نائب رئيس لواء ثار الله ٤١. يقول رفاق الحاج علي أنّه كان يأتي دائماً إلى المهمات بالملابس الترابية. لكن الجميع رأوا الحاج علي مرتين بالزي الأخضر لحرس الثورة الاسلامية: في ليلة حفل زفافه والأخرى خلال عمليات «كربلاء ١» في منطقة مهران التي انتهت باستشهاده.

١- كلمات الحاج قاسم سليماني في مؤتمر الدفاع المقدس، شهداء كرمان.

مرحبا بخانوك، مرحبا بأهل خانوك

خانـوك[1] هـي فخر كرمـان، وهذا الشـرف يعـود للأبطال

١- قريـة «خانـوك» هي إحدى القرى التابعة لمدينة زرند في محافظة كرمان والتي أصبحت إحدى مدن الجزء الأوسط من مدينة زرند عام ١٩٩٥. خلال ثمانـي سـنوات من الحرب المفروضة، ضحى سكان هـذه القرية بنحو٧٠ شهيدًا للثورة. في خضم الثورة الإسلامية لعب أهالي قرية خانوك دورًا مهمًا فـي تنظيم الحركات الشـعبية ضد النظام الدكتاتـوري في محافظة كرمان. وبسـبب الالتـزام الدينـي والثوري لأهالي هـذه القرية، فقد عُرفت باسـم قم الثانية.

«كتيبة خبّازي خانوك» تألفت من أكثر من ٩٠ امرأة من نساء القرية

لعـب أهالـي قرية خانوك دورًا مهمًـا في دعم المجاهدين بعـد بدء الحرب المفروضـة؛ خـلال ثماني سـنوات من الدفـاع المقدس، أعدّت نسـاء هذه القريـة، اللواتـي عُرفـن بـ«كتيبة خبـازي خانوك» نوعين مـن الخبز المحلي، «نرمه» و«بربري» (مختلف عن خبز البربري التقليدي) في بيوتهن وأرسلتها إلـى جبهـات القتال. حيث تـم توفير كمية صغيرة من دقيـق الخبازين من قبل الحكومة، وجاء معظمه من القمح الذي كان نتاج جهد أهالي خانوك أنفسهم.

كانت «كتيبة خبازي خانوك»، المكونة من أكثر من ٩٠ امرأة من نساء القرية، كانـت كل واحدة تجهز فرن خبـز بربري واحد على الأقل، ويوم الجمعة من كل أسـبوع يجمـع خبز ٩٠ فرنـاً والذي كان يبلغ حمل شـاحنة واحدة على الأقل. ويرسـلونها إلى الجبهة. بالإضافة إلى تحضير الخبز وإرسـاله، قاموا أيضًا بإعداد وإرسـال الفواكه والهدايا التذكارية المحلية إلى المجاهدين.

الذيـن عاشـوا فـي هـذه المدينـة وواجهـوا العدو بشـجاعة واستشـهدوا. القادة العظماء من هذه المدينة والتي كانت

كمـا قاموا إلى جانب هذه الأنشـطة بغسـل ملابـس المجاهدين وخياطتها إعدادها للجبهة.

ولكـن إلـى جانب النسـاء، كان عدد مـن الرجال -ومنهم مـن كان من آباء الشـهداء- كانوا وفق مصطلح اليوم يطلق عليهم لقب «حطّابي الحرب»، كانوا يقومون بتوفير الحطب والخشب، وغيرها مما يحتاجه الخبازون.

فـي غضون ذلـك، كان للعاملين في صناعة الفحم نصيب كبير فقد كانوا يملـؤون الشـاحنات من بوابات نفـق الفحم. ويفرغونها في ثـلاث إلى أربع نقاط من خانوك ليسهلوا على الخبازين الوصول إليها.

وفي ذلك الوقت أيضًا، كان الأهالي قد جمعوا حوالي ٤٠ ماكينة خياطة في الحسـينيات ومن كانت لديهم الخبرة في الخياطة عملوا في ثلاث نوبات لتوفيـر الملابس لقـوات التعبئـة. المسـؤولة عـن هـؤلاء الجهاديـات كانت السيدة زهراء أسدي المعروفة باسم «وردة الزهراء» و«الفدائية العجوز» وكانت مسؤولة عن جميع عمليات التنسيق والاتصال. كانت والدة الشهيد محمد جواد زادخوش، وجدة الشـهيدين مهـدي وجابر مهدوي، أو بالأحرى يمكن أن نقول كانت أم كل الشـهداء. شـخصية هذه السـيدة الجهادية وأنشطتها جعلتها معروفة لدى اللواء قاسم سليماني أيضًا الذي كان في تلك السنوات مسؤولاً عن فرقة ثار الله ٤١ في كرمان. وقد زارها في العديد من المرات عندما كانت مريضة.

كمـا طلـب اللواء سـليماني فـي جنازة هذه السـيدة الجهادية مـن عائلتها كتابة عبارة «الفدائية العجوز» على شاهد قبرها.

حتّى الأمس قرية، كانوا سبباً في تقدّم وتطوّر فرقة ثار الله. وبقدر ما تسعفني الذاكرة، فقد كانت العائلات الأكثر تقديماً للشهداء في هذه المدينة، فمعظم العائلات قدّمت شهيدين أو ثلاثة. وكانت أهم إنجازات فرقة لواء ثار الله تعود بفضلها إلى شباب هذه المدينة.

لقد كان يأتي من هذه المدينة الكثير من الآباء والأمهات إلى الجبهة. أتذكر أن المرحوم السيد زادخوش جاء إلى الجبهة مع أبنائه. وكان يمزح معهم وكذلك كان والد الشهيد أسديها. هذه المدينة مدينة مباركة وقيّمة تستحق التعظيم والتكريم. يليق بها أن يدخلها الإنسان وهو على وضوء. مرحبا بخانوك، مرحبا بأهل خانوك مرحبا بهذا التّدين، وبهذا الولاء للثورة والقيادة ومرحبا بهذا الاختبار العظيم الذي اجتازوه. يرجع تأسيس اللواء الثالث إلى خانوك نفسها، فمؤسسو اللواء الثالث وفرقة

هندسة فرقة ثار الله هم أهالي خانوك. وهم كانوا المسؤولين عن صيانة الآليات في فرقة ثار الله.[1]

لم يُسمح لأحد بحفر القبر

أتذكر أنه في إحدى قرى كرمان المسماة خانوك، كانت هناك أم[2]، كانت هذه الأم وزوجها وأبناؤها الثلاثة من عائلة زادخوش في نفس الوقت في الحرب. استشهد أحد أبنائها، فقامت هذه الأم بحفر القبر بنفسها ولم تسمح لأي شخص آخر بالحفر. عندما تعبت، نادت ابنتها لمساعدتها في دفن ابنها البالغ من العمر سبعة عشر عاماً. بيديها وضعت جثة ابنها في القبر ودفنتها، ثم على الفور أرسلت زوجها وولديها إلى الجبهة. كان هذا

١- الحاج قاسم سليماني في مراسم تخليد ذكرى شهداء خانوك

٢- السيدة زهراء أسدي، المعروفة بـ«الفدائية العجوز» و«مسؤولة كتيبة الخبازين» في خانوك.

المشهد عجيباً جدًا. هؤلاء هم من يمثلون ديننا.[1]

لماذا أبقيتني عند الباب؟

كانت الصداقات في زمن الحرب عجيبةً أيضًا. كان لدينا قائد كتيبة يدعى ماشاءالله رشيدي، وكان قائد سرية يدعى زكي زاده قد استشهد قبل يومين. ليلة عمليات «كربلاء ٥» أراد أن يبدأ بالعمل. عند المقدمة جاء إلى خندقي وقال: أيها الناس لقد قطعت أنا وزكي زاده عهدنا إلى بعضنا البعض أنه من سبق الآخر للشهادة، فإنّه لا يدخل الجنة حتى يلتحق به الآخر! وليلة أمس رأيت زكي زاده في المنام وهو يقول لي ماشاءالله! لماذا أبقيتني عند الباب؟ ألا تأتي؟!

عندما قصّ رشيدي هذا الحدث، أدركت أنه سيستشهد قريبًا. أمسكت به ولكنه غادر واستشهد على

١- كلمة الحاج قاسم في ذكرى تحرير خرمشهر.

الفور.[1]

لا تذكروا اسم الكتيبة ٤٠٨ دون وضوءٍ

عندما يتعلق الأمر بالكتيبة ٤٠٨؛ فإنّ الحديث يكون حول أصحاب الصفات والأتقياء والمؤمنين ورجال الدموع. الرجال الذين رموا في الليالي المظلمة في قلب الرعب وفتحوا الطريق لآلاف المجاهدين الآخرين.

تعبّر الكتيبة ٤٠٨ وحدها عن التاريخ القيّم لدفاعنا المقدس. إنّ مظلومية رجال هذه الكتيبة وروحانيتهم وشجاعتهم واستشهادهم، من قادتهم إلى محاربيهم، تتطلب إقامة مؤتمراتٍ ضخمةٍ. والكتيبة ٤٠٨ وحدها هي الشمولية الشاملة لدفاعنا المقدس.

لعبت الكتيبة ٤٠٨ دورًا في عمليتين مهمتين كبيرتين ومؤثرتين خلال الحرب، وكانت «كربلاء ٤» تعبر عن قمّة

١- تصريحات الحاج قاسم على قبر الشهيد رمدي.

فن الكتيبة وولايتها وعبادتها وتفانيها في التشيع والإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

لا أحد يستطيع أن يمحو من ذهنه هذه الصورة الجميلة التي لا تُنسى للكتيبة ٤٠٨ حيث سالت الدماء في الوديان القريبة من نهر أروند في «كربلاء ٤»، ورأيت تيارات الدم هذه بأم عيني، ورأيت كيف كانوا يقصدون أروند دون ذرة من الابهام والخوف والشك؛ بينما كان العدو ينظر إليهم من أعلى السدود وكان يستهدفهم واحدًا تلو الآخر بقذائفهم، ولم يظهروا أي خوف على أنفسهم.

رأيت عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام في عاشوراء الكتيبة ٤٠٨ في «كربلاء ٤» ورأيت نفس المعركة في العملية الاستراتيجية والحاسمة لـ«كربلاء ٥» والتي كان لها تأثير كبير وأساسي على مصير دفاعنا المقدس.

قطعت الكتيبة ٤٠٨ مع قادتها الأعزاء وشهدائها الأحياء

في منتصف الليل ذلك الطريق الصعب في منتصف الشتاء وفي الماء لعدة كيلومترات في مواجهة الأسلاك الشائكة والألغام والكمائن وخط العدو الذي لا يقهر كما كان يعتقد فقد تم كسره، ونجحت عملية «كربلاء ٥» بقوة سلاح أبناءك في الكتيبة ٤٠٨. واعتقادي القلبي هو أنّ اسم كتيبة ٤٠٨ وشهداءها ولياليها قد أوصلوها إلى درجة لا يُمكن فيها ذكر هذه الكتيبة دون وضوءٍ.[١]

لقد حقّق الله رغبة هذا الشهيد

حقّق الله أمنية ثلاثة من شهدائنا كما طلبوا. كان أحدهم محمد أفضلي فقد استشهد وهو صائم وظلّ جسده الشريف ثلاثة أيام في «دشت عباس» قبل العثور عليه.[٢]

١- جزء من رسالة الحاج قاسم سليماني لبرنامج «مرايا مشرقة» لشهداء كتيبة الغواصين الـ٤٠٨.

٢- ولد السيد محمد أفضلي عام ١٩٥٠ في مدينة رابر. بعد تخرجه التحق

بالقوات الجوية وتدرب لمدة عامين في ثكنة قلعة مرغي في طهران، ثم حصل على منحة دراسية وذهب إلى الولايات المتحدة.

في عام ١٩٧١، التحق الشهيد أفضلي بالقوات الجوية كطالب طيّار، وفي العام التالي ذهب إلى الولايات المتحدة للدراسات العليا وتم طرده من القوات الجوية بسبب انتمائه الديني والصلاة، وعاد إلى إيران عام ١٩٧٤.

عندما طُرد من الولايات المتحدة لمراعاته الشؤون الدينية والأخلاقية وقام بإسداء نصيحة للطلاب الآخرين بأن يراعوا واجباتهم الدينية قبل العودة إلى إيران، وعندما عاد سأله والده: هل الناس في الولايات المتحدة يشربون الخمر ولا يلتزمون بالشؤون الدينية؟ قال محمد: اطمئن يا أبي، ذهب محمد طاهرًا وعاد طاهرًا، كان يحرضني هناك بعض أصدقائي أحيانًا على ارتكاب الذنوب؛ لكني كنت أقول إن بشرتي ولحمي وعظامي قد نمت من طعام خدمة الإمام الحسين عليه السلام ومجالس عزاء والدي، ولست على استعداد لارتكاب الذنوب. بعد طرده، واصل محمد صراعه ضد نظام الشاه ولم يتحدث لأحد عن سبب إقالته من القوات الجوية. في أحد الأيام عندما كنا نتحدث، وصل بنا الحديث إلى الجامعة والقوات الجوية ومسألة طرده، في ذلك اليوم عندما سألته عن سبب طرده. قال «كنا سنعقد مؤتمرا في الجامعة، عندما بدأت الحديث مع الطلاب، حدّثتهم عن الأحكام الشرعية، عن الطهارة والنجاسة وأن يحرصوا على عدم مخالطة مع الأمريكيين وعدم الشرب. عندها قال لي أحد أصدقائي في ذلك اليوم، «هذا ليس المكان المناسب لهذا الحديث». عندها سارعت وأنهيت الحديث. شيئًا فشيئًا، لاحظت تغيرًا في سلوك من حولي، تم فصلي بعد شهر من قبل قائد الجامعة. طُردت من الجامعة بسبب ديني وبحجة طيراني الضعيف».

النـص التالـي هو جزء من رسـالة الشـهيد أفضلي إلـى ابنته وابنـه، اللذان -وفقًا لإرادته- كان ينبغي إعطاؤهما الرسـالة بعد سـن العاشـرة. ولأول مرة تأخذ أسـرة الشـهيد أفضلي وصية والدهم إلى الحاج قاسم سليماني ليقرأ عليهم نصها. هذه الوصية هي واحدة من أفضل الوصايا من نوعها، مكتوبة بأسلوب فصيح وطليق، موجهة إلى أجيال اليوم:

أولادي الأعزاء! لقد كنت أودّ حقًا تربيتكم بنفسي وأشاهدكم وأنتم تكبرون أمـام عينـي؛ لكـن مهمـة ضرورية ووقـت حاسـم جعلني أهجركم وأسـلك طريقاً لا عودة فيه؛ استودعتكم الله فيما أقصد نحوه عزوجل.

أولادي الأعزاء! لقد قُدّر للبشرية منذ بداية الحياة أن تكون في حالة حربٍ وصـراع دائـمٍ مع بعضهـا البعض. تقـوم الحيوانات بنهـش بعضها البعض لإشباع نفسها، لكن هناك بشر غير جائعين يقومون بتمزيق الضعفاء منهم للاسـتمتاع بقتلهـم، أولئـك الذين بذلوا قصـارى جهودهـم وإبداعهم في صناعة المزيد من الأسـلحة للقتل، قد أغرقـوا العالم في الحرب. من أجل أن يأكلوا أكثر ويتلذّذوا أكثر، إلّا أنّهم ما زالوا غير مكتفين.

لطالمـا كانـت الحـروب العالمية هكذا؛ لم يسـبق أن ثـار أحدهم من أجل إحقـاق حقٍّ مغصوب، وحتى لو ثاروا، فبمجرد وصولهم إلى السـلطة فإنهم يصبحون غاصبين لحقوق الناس، بل أسـوأ من ذي قبل؛ عدا ثورة الرسـول الكريـم صلـى الله عليـه وآلـه التـي كانت بأمـر الله تعالى ومن أجل الإسـلام وبعـده ثورة الحسـين بن علي عليه السـلام وبعض من لهـم ارتباط بالولاية والإمامـة وبعدهـا بعدة قرون جاءت ثورة الإمام الخميني والثورة الإسـلامية الإيرانية، والتي اندلعت وانتصرت متسلحة بفكر ولاية الفقيه.

لكـن الذئـاب أكلـة لحوم البشـر في الشـرق والغـرب هاجمونا مـن جميع الجهات بمجرد أن رأوا مصادر دخلهم في خطر. وبُغية حرماننا من حريتنا

كان حميد إيرانمنش أوّل من يحضر

وسيادتنا، فعلوا كل ما في وسعهم واستعانوا بالشيطان؛ لذلك، رأيت أيضًا ضرورة الدفاع عن حقي وحقك والتحقت بالجبهة. هنا، فعلت كل عمل أُوكل إليّ بنية القربة إلى الله، كّل عملٍ، لقد تحملت كل المصاعب لكي أرضي الله وآخذ حقوق الأمة الإسلاميةً من غاصبي حقوق الشعوب.

لقد حاربت والآن وأنتما تقرآن هذه الرسالة، فإنّه لم يبق شيء منّي حتى عظامي قد تناثرت وأصبحت غبارًا. لدي طلب واحد منكم وهو ألا يدّخر أحدكم حياته في سبيل الله والإسلام كلٌّ بحسبه وقدرته، واحذروا من أنّ الاستعمار -الذي أخرجناه من الباب بقبضة يد فارغة- لا يدخلن من النافذة في الزمن الذي تعيشون فيه. لا تنسوا الله وعيشوا حياة لا تُلعنون عليها بعد الموت. اطلب من الله أن يرزقكم الشهادة عطيّةً. والآن بعد أن أصبح الموت على وشك احتضان الجميع، فاختاروه بأنفسكم.

أوصيكم بالعلم وقراءة القرآن؛ إذا استطعتم ادرسوا العلوم الإسلامية إلى حدّ الاجتهاد ولا تهملوا العلوم الصناعية، فهذا البلد ينتظر أفكاركم وإبداعاتكم.

أولادي الأعزاء! أوّد أن أكتب لكم كل ما رأيته وقرأته وأنصحكم بقدر ما أستطيع؛ لكن ليس لدي وقت. أفكاري مشوشة هنا وأنا مستعد لفعل أي شيء في أي لحظة.

في المنزل، أوصيكم باحترام والدتكم وأولياء أموركم ومحبّتهم؛ كونوا رحماء ببعضكم البعض؛ قوموا بالتضحية من أجل الناس. اسعوا لتحصيل رضا الله عنكم. ذوبوا في حب النبي وآله صلى الله عليه وعليهم. تعرّفوا عليهم جيداً؟ وأطيعوا ولي أمركم وقائدكم بوعي كاملٍ.

كنّا مع «حميد الفدائي[1]» في عمليات مثل طريق

١- ينقل اللواء خوشي: كان لحميد اهتمام خاص بالقتال وحرب العصابات. كان في طليعة جميع العمليات، وكان دائمًا يحمل حزاماً من القنابل اليدوية حول خصره حيث كان متخصصًا في إلقاءها. بالطبع، كان يحمل سلاحاً أيضًا. أولاً، يحسب المسافة ويحدّد الزاوية، ثم يلقي بالقنبلة. وقد كان هذا سبباً للنجاح في بعض العمليات، وبسبب ذلك عُرف باسم «حميد الفدائي». كانت هناك أمر آخر مثير للاهتمام وهي حقيبته التي تحتوي على كل شيء. جميع الإمكانات الأرضية: رف أطباق، وعاء، موقد طبخ وغيرها من الأمور. وعلى سبيل المثال، بمجرد أن أردنا إعداد الطعام أخذ على الفور البصل والبطاطس من حقيبة الظهر، بشكل عام كان سريعاً وماهراً للغاية.

قالوا إنّ هذا جنديّ علي عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله

الحاج قاسم سليماني يصف ذكرى جميلة لأسر حامد الفدائي بلسان هذا الشهيد: فُقِد حامد لفترة من الوقت أثناء عملية فتح المبين، وتم أسره لاحقًا، ووفقًا له، تم إنقاذه بسبب عهده مع إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

كان حميد يقول: أصبت بجروح على إثر انفجار قذيفة هاون أو آر بي جي وفقدت الوعي، استيقظت ظهر الغد على الساعة الحادية عشرة ووجدت نفسي محاطاً بعشرين جندي عراقيّ، تظاهرت بالموت ودعوت أن يا صاحب الزمان، كلّ ما فعلته كان لرضاً الله وحفظ دين الإسلام فأنقذني.

جاء العراقيون باتّجاهي حتى أنّهم ركلوني. لكنهم ذهبوا لأنهم اعتقدوا أنني ميت. بعد عشر دقائق اقترب جنديان عراقيان آخران. مرة أخرى كنت حذرا وتظاهرت بالموت. لكن هذين الأخوين العراقيين نعتاني ببغضٍ بجندي (الإمام الخميني)، وعندما فتشوا جيبي وأخرجوا القرآن

القـدس وفتـح المبيـن، كان نشـطاً للغاية وعندمـا كانت نيـران القـوات العراقيـة تنهمـر بكثافـة على جبهتنـا، كان يذهـب إلـى الجبهة العراقية مع كتيبتـه ويدمرّها بالكامل باسـتخدام القنابل اليدوية. كانت لديه شجاعة عجيبة. فقـط يكفـي أن يعـرف إن كان هنـاك حاجـة للابتـكار أو

وصـورة الإمـام، لعنا صدام وقالوا إن هذا الجنـدي هو جندي علي ومحمد صلوات الله عليهما.

قلـت في نفسـي أنّ هذا من ألطاف إمام الزمـان عجل الله تعالى فرجه الشريف وقمت بحركةٍ أدركوا فيهـا أننـي على قيد الحيـاة. أخذوني إلـى موقعهم وأطعمونـي، قال بعض العراقيين الذين يحسنون اللغة الفارسية إنه تم إحضارهم قسراً إلى الجبهة.

كان طبيبهم مسـروراً جداً لرؤيتي، وكاد يفديني بنفسه، وحتى أنه فحصني وضمّـد جراحـي قبل الجنـود العراقيين، كان جسـدي كله مليئًا بالشـظايا وكان الأمر مؤلمًا، وضعوني في دبابة ليتم نقلي إلى الخلف.

طلبـت مـن الله أن يأخذني شـهيداً على أن يتمّ أسـري. لذلـك في لحظة، نـزل طاقـم الدبابـة ورأيت أنـه لا يوجد أحد حـول الدبابة، انتهـزت الفرصة وتحرّكـت نحـو خنادقنا، زاحفـاً تارة وأخـرى راكضاً. عندما رأيت الشـباب سجدت وشكرت الله. تم نقلي بطائرة هليكوبتر إلى مستشفى الأهواز.

استشـهد الشـهيد حميـد إيرانمنش خـلال عمليات بيت المقـدس التي هدفت إلى تحرير خرمشهر.

المخاطرة في ركن من الخط؛ عندئذ سيكون أوّل من يحضر، فقد كان مسؤولاً عن قيادة القوات والتثبيت. هذا هو الشهيد حميد إيرانمنش.

كان عيد النيروز قريباً عندما كان لدينا عمليات. في الليل ذهبت رفقة حميد واثنين آخرين للاستطلاع. تطوّع حميد للذهاب بالقرب من النهر لاستطلاع الخط. كنا على يقين من أن العراقيين سيرونه؛ لكنه تحرك بمرونةٍ خاصّةٍ وبهدوءٍ تامٍّ، رأى الخط العراقي ثمّ عاد. في ذلك الوقت، هرع أحد الجنود العراقيين إلى قائده ليُعلمه بأمر حميد؛ لكن حميد وصل إلى قمة التل بسرعة لا تصدق ولم يره أحد.[1]

إذا أردت التراجع، أطلقوا النار علي

١- رواية الحاج قاسم عن الشهيد إيرانمنش في كتاب «الفدائي».

نحن فخورون بأننا في أنس الشـهيد مشايخي[1]، الذي

١- الشـهيد محمـد مشـايخي (رودبـري) ولد عام ١٣٣٣ فـي جيرفت (قرية تِـم غـاوان). ارتبطت الحياة الأسـرية للمـزارع محمد مشـايخي بالفقر؛ لأن الحصـاد يذهـب إلى مخـازن الخان ولا يبقى شـيء علـى مائدتهم. عاش محمد طفولةً وأيام دراسيةً صعبةً.

أمي الحنونة! فديتُ تعبك وتضحيتك

عندمـا جـاء إلـى جيروفـت لمواصلة تعليمـه، لم تكـن عائلته قـادرة على تحمل تكاليفه ومحمد الذي رأى فارقًا كبيرًا بينه وبين زملائه في الفصل، تـرك المدرسـة إلـى الأبـد واتّجـه نحـو العمـل. في رسـالة إلـى والدتـه أثناء الجهـاد، يشـير محمد مشـايخي إلى ركن مـن ضائقتهم وفقرهـم. يقول في هذه الرسالة:

«أمي الحنونة! فديتُ تعبك وتضحيتك. أماه، لن أنسـى كم كنت عانيت مـن الجـوع والاضطهاد، وكيف كنـت صابرة تذكريـن الله، وكنت تجمعين الحطب من النهر المالح (رغم أنك حامل)، وتضعين الحطب في حقيبة ظهرك وتجلبينه إلى تِم غاوان، وتأخذينه من القرية إلى المدينة، لقد سرت في الشوارع حافية القدمين تبيعين الحطب لتوفر لنا قوت يومنا.

أمـاه! محمد فداء لتلـك القدمين الحافيتين التـي تحرقهما حرارة الأرض حتـى نسـلم من عـذاب الآخرة. أماه! سـأبقى أذكـر محبتك حتـى الموت وأسأل الله أن يكرّمك في الدنيا بكرمه وفي الآخرة بنعمه».

من جسر الشدّة، سيطروا على الجزيرة بأكملها تقريبًا

مع بداية الحرب، انضم محمد روداري إلى فرقة ثار الله وتولى إدارة الوحدة الهندسـية فيها، يقول الحاج قاسـم سـليماني عن أنشطة الشهيد روداري

في الوحدة الهندسية:

منذ نقل الأخ رودباري إلى وحدة الهندسة، قام بأنشطة كبيرة عديدة، لكن واحداً من أفضل أعماله كان بناء السواتر الترابية في جزر مجنون حيث أوقف العدو بشكل فعّالٍ. في ذلك الوقت، كان العراقيون يتمتعون بقدر كبير من السيطرة على جزيرة مجنون، التي كانت ذات يوم أرضاً وموطنًا لأهل خوزستان الطيبين، لقد احتلوا جزءًا من جزيرة مجنون المعروف باسم جسر الشدة وكانت جميع الأطراف الثلاثة تقريبًا في خطر التعرض للهجوم. كانت جزيرة مجنون لنا، أما الآن فقد استولى العدو على معظمها بجرأة ووقاحة، وعلينا أن نستعيد الجزيرة بأي طريقة كانت لأنه كانت تتمتع بموقع استراتيجي جيّدٍ ومع وجود الجزيرة في أيدينا يمكننا السيطرة على مساحة كبيرة من الجبهة.

لكن العراقيين واصلوا إطلاق النار على المجاهدين. أراد مجاهدونا الشجعان الدفاع عن الجزيرة بأي طريقة ممكنة؛ لكن في كل مرة قرروا التقدم، كانت نيران العدو تسقط أحدهم، لم يكن لدى مقاتلينا ساتر ولا مأوى، وبالسيطرة التي كانت للعراقيين على مواقعهم. لم يكن بإمكانهم الدفاع عن الجزيرة. سيطروا على الجزيرة بأكملها تقريبًا من الجسر كانوا في مكان مرتفع بينما كان مقاتلونا في حفرةٍ. كان بإمكاننا رؤيتهم بشكل جيدٍ. لكنهم سيطروا على تحركاتنا جيداً وكانت كل سيارة تحاول الدخول إلى الجزيرة من الجهة الشمالية كانوا يمطرونها بقذائف الدبابات. لقد كان وضعاً صعباً.

كان الشباب يقولونه أنّه أمر مستحيل

كان اللواء سليماني يقول: الطريق الوحيد الذي يمكن عبوره بالنسبة لنا كان طريقًا ضيقًا ليس به ساتر ولا يمكن أن يعيق نظر العدو. من جهة

أخرى، كانت هناك مشكلة أكبر. كانت الأرض المحيطة به مستنقعاً؛ في ظل هذا الوضع الصعب، تم تكليف فرقة ثار الله بحفر ساتر لهذا الطريق الضيق حتى يتمكن المجاهدون من التّقدم ويقطعوا الطريق أمام العدو. حضر الشهيد رودباري إلى المنطقة وقام بتفقدها. قال الشباب: إنّ هذا مستحيل.

لقد بدا الأمر مستحيلًا حقًا. كان على الشباب بدء عملية بناء الساتر على سهل مكشوف تحت نيران العدو الكثيفة حتى تتمكن كتيبة الشهيد بايدار من القيام بالعملية، كلنا اعتقدنا أن الشهيد رودباري لن يقبل المهمة. لكنه قال بثقة: يجب تحرير جزيرة مجنون وهذا هو السبيل الوحيد لذلك. حسنًا، يجب علينا نحن أن نبذل قصارى جهدنا. سنحفر الساتر. هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكننا القيام به.

كان يجب أن يتم العمل في الليل ليكون بعيدًا عن عين العدو قدر الإمكان، استغرق حفر هذا الساتر ليلتين .. كل ليلة، كان الشهيد رودباري يدخل الجزيرة بجرافة وآلة تحميل ويبدأ العمل على الساتر، وكان الموت محدقاً به من كل جانب. كان العراقيون على بعد كيلومترات قليلة. كانوا يعلمون أننا كنا نحفر ساتراً، لكن ولأن العمل كان يتم في الليل، لم يتمكنوا من محاصرتنا أثناء عملنا. إلّا أنّهم حيثما كان ذلك متاحًا لهم؛ كانوا يطلقون النار. في الليلة الأولى دُمّرت جرافتان واستشهد عدد من الشباب. في الليلة الثانية تم تدمير عدة آلياتٍ أخر. لكن لحسن الحظ تم الانتهاء من العمل بنجاح.

كانت إحصائيات الخسائر منخفضةً تُقارب الصفر

في اليوم التالي، واجه العدو ساتراً قويًا بحيث فقد قدرته على التحكم في تحركات مقاتلينا. لقد حول جسرنا المنطقة إلى بقعة عمياء بالنسبة

لهـم. كان هذا السـاتر سـبباً في اسـتقرار جبهـة جزيرة مجنـون. الآن أصبح المجاهدون قادرين على التّقدم بسـهولة خلف السـاتر. فقبل بناء السـاتر، كان العراقيـون يطلقون النار عليهـم بمجرد تحرّكهم، لكن مع وجوده أصبح الأمـر بخلاف ذلـك، كانت إحصائيات الخسـائر منخفضةً تُقـارب الصفر. بينما في الحالة السـابقة، كان الإحصائيات مرتفعةً لدرجةٍ أنّها لا تحصى؛ ولكن الآن يقوم ساتر قوي مزدوج الجدران بحمايتهم. ومهما حاول العراقيون جاهديـن، لـم يعـد بإمكانهـم تدميـر الخـط. كان السـاتر قـد حمـى جزيـرة مجنـون ولـم تحول العوائق القائمة، بما في ذلك أرض المسـتنقعات، دون بناء هذا الساتر من قبل مهندسي فرقة ثار الله. كنت أتمنى أحيانًا أن أذهب بين العراقيين وأرى كيف يشعرون عندما يستيقظون في الصباح ويواجهون حاجـزًا قويًا وواسـعًا. من المؤكد أنهم لـم يصدقوا أنه في ظل مثل هذ النيران ومثل هذه الأرض التي تملؤها، فكيف يمكن بناء ساترٍ بهذا الحجم وتمرير القوّات في غضون ليلتين فقط.

لكـن عمليـة «والفجـر ٨» كانـت فـي طريقهـا وكانـت الأرض تغمرهـا المسـتنقعات. بعبـارة أخـرى، كانـت الأرض عبـارة عن مسـتنقعات عند الجزر، لكن خلال المد -الذي يستمر حوالي ست ساعات- كانت المياه تغمرنـا حوالي مترين تحت الماء، وخلال هذه الفترة لم يكن للمجاهدين أي طريق. كانت عملية «والفجر ٨» عملية مهمة، وكان بناء طريق في هذه الأرض المسـتنقعية مسـألة حيويـة؛ هـذا يعني أن هذا الطريـق كان يجب أن يُفتـح بـأي شـكلٍ من الأشـكال. الطريق الذي كان يجـب أن يصل إلى الجـداول التـي تم الاحتفـاظ بالمراكب فيها للعمليات. فـي هذه العملية كان فصـل الخطـاب لسـرعة العمـل. كانـت هذه الطـرق لتمهيـد الطريق وربـط الأقسـام المختلفـة، مما أدى إلى تسـريع العملية. في هـذه العملية

كان من المفترض أن يعبر المقاتلون المستنقع من هذا الطريق للوصول إلى القوارب المتمركزة في المدينة. من ناحية أخرى، كان لا بد من شق طريق آخر للدعم حتى يمكننا من نشر الدبابات هناك.

كل هذا كان موجوداً؛ لكن كانت هناك مشاكل أخرى أيضًا. المد والجزر والمستنقعات وسيطرة العدو على المنطقة. كان واقع الأرض في هذه المنطقة إلى درجة أنه حتى المركب لم يمكنه ليلتف أو يعود. جل ما كان يمكنه رمي التراب والمضي قدمًا. الآن مع مثل هذا الموقف، فإنّ حقيقة أن الفريق الهندسي مضطر إلى تنفيذ العملية بشكل صحيح من أجل البقاء بعيداً عن عين العدو، ضاعف الصعوبة. ذهب الشهيد رودباري ورجاله بمن فيهم السيد تويسركاني والسيد إثنا عشري لاستطلاع المنطقة ووضعوا خطة عمليات هندسية. لم يقل الشهيد رودباري قط لا للإمكانات التي يجب توفيرها وبناؤها للعملية.

كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها الأخ رودباري يبكي

في نفس الليلة التي وصل فيها الأمر ببناء الطريق. أجرى التسهيلات اللازمة والترتيبات ذات الصلة وبدأ العمل في أول فرصة. رأيته عدة مرات وهو يرتدي حذاءً مطاطيًا ويتنقل باستمرار من جانب إلى آخر، متفقداً العمل وسيره. حتى أنه كان يضطر أحيانًا إلى إغراق نفسه في الماء؛ لكن المشاكل لم تكن واحدة أو اثنتين. ففي بعض الليالي كان المكب يقع في المستنقع ويضطر الشباب إلى إخراجه من المستنقع بوضع الخشب وأوراق النخيل تحت عجلاته. في معظم الأوقات، كان الشهيد رودباري يجلس خلف عجلة القيادة لتسريع الأمور. لكن الأرض لم تكن تسمح لهم بالتقدم.

يقول اللواء سليماني: كانت أول مرة أرى الشهيد رودباري يبكي، لقد كان

حقاً عملاً شاقاً، بناء كل مترمن الطريق كان يتطلّب سكب ١٠ مكبات من الرمل والحصى على التراب.

كان لابد من شق هذا الطريق. عمل الشباب المهندسون بجدٍ ليلًا ونهارًا، وقدموا النّذور لنجاح شقّ كل مترمن الطريق. كانت ليلة العملية قريبة والطريق لم ينته بعد والليالي والأيام كانت مشحونة بالقلق. احتاج المجاهدون إلى هذا الطريق لتنفيذ العملية، واستمر الشباب في قسم الهندسية بالقيام بهذا العمل الشاق والمزعج بكل قوتهم وبجهدٍ كبيرٍ. في النهاية اكتمل الطريق رغم كل المتاعب؛ وطوال هذا الوقت، لم ينم الشهيد رودباري أكثرمن ساعتين في اليوم حيث كان يعمل على الآلات. غرقت التراب في المستنقع، وكان على الشباب أن يصبّوا التراب حتى يتحول المستنقع تدريجياً إلى طريق. لقد كان عملاً شاقاً وكان التقدم فيه بطيئاً. تم سكب ١٠ إلى ١٥ مكبٍ، وكانت جميع الآلات تعمل؛ ولكن كل صباح كانت النتيجة مترًا واحدًا من الطريق.

مشكلة أخرى كانت رؤية العراقيين. كان على السائقين في تلك المنطقة العمل بطريقة لا يرتفع فيها سقف مقصورة الشاحنة عن ارتفاع معيّنٍ. وكان لابد أن يتم ذلك ليلاً حتى لا يلاحظ العدو شق الطريق، كان الأمر صعبًا للغاية، والآن إذا هطلت الأمطار دفعة واحدة، فسوف تضيع كل جهودنا وستصبح الأرض مستنقعًا مرةً أخرى. كما كان تحضير الرمل صعبًا جدًا، لأن الرمل والتراب تم نقلهما إلى خرمشهر بالقطار من أنديمشك بصعوبة كبيرة، ومن هناك تم نقلهم إلى المنطقة بالشاحنات.

الأسوأ من ذلك كله كان صوت آلات التحميل، لأن صوتها عندما كان يرتفع كان الرصاص وقذائف الهاون تطلق باتجاه الصوت، من الجانب الآخر من أروند، في مثل هذه المواقف شديدة الخطورة، لم يسمح الشهيد

رودبـاري لأي شـخص بالعمل وكان يقوم بالعمل بنفسـه، هـذه المرة أيضاً جلس خلف آلة التحميل، وذهب إلى منطقة الخطروعمل حتى الصباح. فـي الصبـاح، عندمـا تـم الانتهـاء من العمـل، حتى القـادة لم يصدقـوا أنه اسـتطاع القيام بذلك بمفرده في قلب الخطروعلى مرأى من العدو؛ ولكن مع استمرار الحرب، استمربناء الساتروكان لابد من حفرالسواترفي منطقة الفاو أيضًا.

استشهد ثلاثة من سائقي آلات التحميل من أجل بناء هذا الساتر

يقـول اللـواء سـليماني عـن مشـاكل هـذه المنطقـة: لـم يكن مـن الممكن القيام بأي عمل هندسـي في منطقة مصنـع الملح، لأن المنطقة بأكملها كانـت مسـتنقعية ومليئة بجسـور قصيرة من الملح كانت قـد تحولت إلى برك، وكان على المجاهدين الذهاب زحفاً إلى الجدران الملحية والدفاع. فـي هـذه المنطقـة، كانـت هنـاك حاجـة إلـى سـواترلحماية الشـباب من الرصاص. تم إسـناد مسؤولية هذا العمل إلى وحدة الهندسـة تحت قيادة الشـهيد رودبـاري، بذل السـيد روديارى وأفـراد الوحدة الهندسـية قصارى جهدهم من أجل هذه السـواتروضحّوا حقًا، كما استشهد ثلاثة من سائقي آلات التحويل من أجل هذه السـواتركي يكون ملاذا آمنا للمقاتلين الذين كانوا يقاتلون لمنع العدو من التسلل إلى المنطقة.

كانـت مشـكلة التربـة فـي منطقة الفـاو مشـكلة كبيـرة. في أماكـن أخرى، لإنشـاء سـاترٍ كانت الجرافة تقوم فقط برفـع التراب عن الأرض وتكديسـه؛ لكن لم يكن هناك أي تراب هنا، اضطرالشـهيد رودباري إلى جلب التربة اللازمـة مـن أماكـن مختلفة وإفراغهـا في المنطقـة ليلاً. لقد اسـتغرق بناء خط دفاع بطول كيلومترين من الشباب وقتًا طويلاً.

بناء حصن على بعد ٣٠ متراً من العراقيين

بين عمليتي «والفجر ٨» و«بدر»، كان لابد من القيام بعدة عمليات تمهيدية، كانت إحداها في منطقة الهور؛ خطة مفاجئة يتم تنفيذها حيث كانت مياه هور العمارة وهور العظيم تقترب من بعضها البعض.

يقول اللواء سليماني متحدّثاً عن الأوضاع في المنطقة: كانت منطقتنا المستهدفة كلها في الماء. في الواقع، كنا متمركزين على الماء، وكانت المسافة بيننا وبين اليابسة حوالي ٤٠ كيلومترًا، حيث كنّا نتنقل بواسطة القوارب. كان علينا إنشاء قاعدة في هذه المنطقة المائية؛ وظيفة جديدة كُلّفت بها وحدة الهندسة وقد قبلت النقل الوحدة البحرية في الفرقة.

كان فصل الصيف والماء قائظًا جدًا، ولم يكن لدينا ما نستظل به. كان من المفترض أن نبني معسكرًا على جانب القصب وأن نبني جسرًا لبناء خطوط دفاعية. بدا الأمر أنّه عملٌ شاقٌّ وضخم ولم نكن متأكدين من تمكننا من القيام به؛ وصلت المسافة بين الشباب وخط العدو في بعض الأماكن إلى ٣٠ مترا. أي كانوا إذا أحدثوا ضجة بملاعقهم أثناء الغداء، أطلق العراقيون الرصاص نحوهم. ساد الصمت التام هناك وكان الشباب يتحدثون عبر الهاتف.

لحل هذه المشكلة، صمّم الأخ رودباري عددًا من الحصون الخفيفة التي تم تركيبها على الجسور. كانت هذه الخنادق مصنوعة من علبٍ، وكانت العلب ملحومة معًا لتشكيل صفيحة كبيرة. ثم يتم وضع صفٍ من الأكياس فوقها بحيث عندما كان العدو يطلق قذائف الهاون، كانت الشظايا تتعطّل وبذلك تتم حماية الشباب من الأعيرة النارية المباشرة.

بحلول الوقت الذي أصبحت فيه هذه الخنادق والجسور جاهزة، كان الأخوان نصرالله ورودباري قد عانيا كثيرًا، حتى أن جلد وجوههم كان قد احترق وأصبح الجلد متقشرًا لدرجة أن نمطًا جديدًا للجلد ظهر على

قال في ليلة عملية «كربلاء ٥» الرهيبة: أشعلوا الأضواء، أريد أن أتحدث في النور. التفت إلى أصدقائه وقال: سأربط ساقَي بحبلٍ حتى لا أتراجع. أيها الإخوة! أقسم عليكم أنّه إن أردت التراجع فأطلقوا النار علي.[1]

وجوههم.

إذا تراجعت، فأطلقوا النار علي

حقق محمد رودباري أخيرًا حلم الشهادة الذي طالما حلم به خلال عملية «كربلاء ٥» في منطقة الشلامجة. يروي الحاج قاسم سليماني أحداث ليلة الوداع في بداية عملية «كربلاء ٥»: في الليلة التي سبقت العملية، قضينا ليلة في الفرقة تسمى «ليلة الوداع» و«ليلة البيعة»، كانت منتصف الليل واستمرت حتى الساعة ٤ صباحًا. شغّل محمد مشايخي الكهرباء وقال: «أريد أن أتكلم في النور». وربما يكون شريطه موجوداً وإذا لم يكن فهو موجود في القلوب قال: أبايع وأقطع عهداً وكتبته وأعلنه. يوجد في الحي الذي أقطنه ستة أيتام على اليمين وستة أيتام على اليسار، لقد كتبت لهم أننا إما سننتصر وأعود وإما استشهد. والتفت إلى قادة الفرقة وأعلن أنني إذا تراجعت فأطلقوا النار علي. وقال: «أريد أن أعلن هذا في النور كي يمكنكم جميعًا أن تكونوا شهداء أنني أفي بوعدي».

١- كلمة الحاج قاسم في مهرجان كرمان للفنون ببرج ميلاد.

لقب «آغا» في فرقة ثار الله

في فرقة ثار الله، كان هنا اثنان من الشباب، كان الجميع -دون استثناءٍ- يطلق عليهم لقب «آغا» أي السيّد؛ كان أحدهما حسين آغا يوسف إلهي والآخر علي آغا ماهاني[1].

١- يصف الحاج قاسم سليماني السمات الشخصية لهذا الشهيد العارف: كان الشهيد علي مهاني أحد المقاتلين قبل الثورة وأحد المقاتلين المجهولين الذين لا ينتمون إلى أي حزبٍ أو جماعة، لقد أدرك جرائم نظام الشاه الظالم واعتقل أثناء الخدمة العسكرية لنظام الشاه وحُكم عليه بالسجن وأخيراً بالإعدام. النقطة المهمة والبارزة للشهيد مهاني هي روحانيته التي كانت مستمرة ومرتبطة به؛ لذلك، أعتبر هذا الشهيد شخصيةً روحانيةً ومستعدة للشهادة في نظر وعقول شباب الحرب، ولا سيما شباب فرقة ثار الله.

على الرغم من عطشه الشديد، كان يعطي الماء للشباب المجروحين

ورافق هذا الشهيد عدد من الشهداء الآخرين في عملية بيت المقدس ومنهم مصطفى مندوزاده وأصيب في يده ورجله، كانت يده اليمنى ورجله قد أصيبت بكم هائل من الشظايا. كانت يده مشلولة تماما ومعلقة بجانبه وساقه نصف مشلولة. كان يُعرف باسم «علي آغا» في الحرب أصبح مسؤولاً عن الاتصالات في لواء ثار الله، حيث جمع العديد من الشباب من حوله مثل علي إبراهيمي، وعباس عرب نجاد، ومشهور إيرانمنش،

وعباس إيرانمنش، وهمّت آبادي، الذين استشهدوا فيما بعد، كانت لديهم روح ومعنويات عجيبة، وقد أصبح الحاكم بين هؤلاء الشباب، حيث كان جميع أعضاء الاتصالات بالإضافة إلى كونهم من المصلين لصلاة الليل كانوا من متطوعين من الدرجة الأولى ومن متطوعي كتائب الخطوط الأمامية القوية. ولأن الشهيد علي ماهاني أصيب في يده وقدمه. منعته من الذهاب إلى مكان العمليات، خاصة عمليات رمضان، والفجر التمهيدية و«والفجر١». وعندما كنت أرفض، لم يكن يصرّ، وكان يواصل مهمته بشكل مكثف، رغم أن حبه كان شيئًا آخر، فقد كان يصر ويبرّر في البداية.

خلال عملية «والفجر٣»، لم يسألني الشهيد ماهاني أي سؤالٍ، وفي مساء العملية كنا نستعد لعملية الليل. في مكان يسمى شيار غاوي، تمركزت القوات داخل شيار غاوي -كانوا داخل خندق من العدو بعيدين عن أنظاره- كانوا يستريحون. وكان المساء تقريبًا عندما كنت أفحص المكان، رأيت الشهيد ماهاني الذي على ظهره حقيبة ظهر لاسلكية وهو في كتيبة حميد شفيعي. انزعجت وتبدّل حالي وقلت: لماذا أتيت إلى هنا؟ ولم تكن هناك فرصة للقول إنه كان ينبغي أن يطلب مني الإذن وكان علي حاجبي في ذلك الوقت يعمل في مجال الاتصالات وكان مسؤولاً بشكل مباشر. قلت ربما كان قد حصل على إذنٍ منه وقلت الآن وقد جاء إلى مكان العملية ومعه حقيبة الظهر، لا فائدة من الإصرار على عودته ودخل علي آغا مكان العملية وكان معه شقيقه محمود وفي محور حقل ألغام أصيب علي آغا ومحمود وجرح نحو٥٠ أو ٦٠ شاباً آخرين. ولم يكن إجلاء هؤلاء الشباب أمراً في منتهى السهولة، وذهب الشباب المسؤولون عن الإجلاء أولاً نحو علي آغا، لكنه لم يتراجع وأخبرهم أن يأخذوا الآخرين

أولاً. لقد حاولوا أخذه مراراً وتكراراً، لكن كان يقول خذوا الشباب، حتى عاد العدو وسيطر على الممر، ولم يتبق سوى الشهيد علي ماهاني وشقيقه وبعض الشباب الآخرين. وكان علي ماهاني قد بقي في الطريق ولم يأت بسبب إيثاره وتضحيته، حتى الشباب الذين أصيبوا بجانبه عادوا وقالوا إن علي آغا رغم العطش الشديد -كما تعلمون فعملية «والفجر ٣» نفذت في فصل الصيف الحار- أعطى الماء للشباب المصابين حيث قضى نحبه واستشهد بشفتين يابستين.

كان هو وأخوه العزيز آغا محمود من بين المفقودين حتى سنوات قليلة مضت، عندما شُيّع جسده الطاهر أخيرًا بعد ١٥ عامًا في روضة الشهداء. كان جوهر علي أغا ماهاني يرفض أن يكون في عمله ذرة رياءٍ وكان بعيدًا عن الرياء فعلاً، عندما كان يمشي وعوقا كان يتحرك بطريقةٍ لا يشعر فيها أحد بإصابته وجراحه وعجزه، لأن يده وقدمه كانت قد أصيبتا بسبب الحرب.

داخل خندق صفِّ تفسير القرآن كان يقرأ القرآن. كان جميع الشباب الذين كانوا داخل وحدة الاتصالات بلا استثناء لديهم لقاء أنس قرآني عجيب، وقد قام بعملٍ تنظيمي معنوي داخل الوحدة.

النقطة التي كانت في غاية الأهمية والغرابة هي أنه عندما انتهت عملية «والفجر ٣» عدنا إلى دهلران، وكنا جميعاً قلقين ومتضايقين من استشهاد علي آغا، اتصلت بعلي حاجي وواجهته بسؤاله عن سبب السماح له بالدخول إلى العملية. أقسم لي وقال أنه لم يسمح له بذلك، بل جاء من تلقاء نفسه. عندما كان يتقدم بطلب الإجازة التي يريدها، كان متقيداً بشكل غريب بالولاية وطاعة القائد، وكان مشهوراً بذلك، ومن المستحيل عليه أن يفعل ما هو في مصلحته المادية. وأصبح ت على يقينٍ بأنه قال:

«تأكّد، لقد حصلت على الإذن!» على كل حال، فقد حصل على إذن من أحدٍ ما، ولم يكن ممن يدخل العملية بدون إذن، فكيف للشهادة.

لو كان هناك بطيخة باردةٌ، لكان ذلك رائعاً

كان الشهيد ماهاني من الشخصيات التي أزيل الحجاب عن عينيه، ولقد شعرت بذلك. أي أن علاقته الروحية بالله كانت وثيقة جدًا لدرجة أن العديد من الحجب المادية التي لم يستطع الآخرون رؤيتها قد أزيلت من أمامه. وقد رأيت بعض الحالات وكان الشباب الذين كانوا معه يروون بعضها. كانت هناك حالة بجوار نهر كارون، كان الشباب يغسلون بطانيات وحدة الاتصالات، وكان علي آغا جالسًا على شاطئ النهر، وكان علي حاجبي جالسًا بجانبه، قال علي أغا -ببنما الشباب مشغولون والطقس الحار- إنه لو كان هناك بطيخة باردةٌ، لكان ذلك رائعاً. أقسم بالله أنه بقدر ما رفعت نظري عن علي آغا، كان الماء قد جلب بطيخةً كبيرةً، وربما لم يأكل أحد مثل هذه البطيخة برودةً وحلاوةً.

روى علي آغا أنه: بعد الصلاة خطر لي أنه لو كان هناك خاتم من العقيق، فسيكون ذلك جيدًا جدًا للاستجابة الدعاء، وقال: بمجرد أن انتهيت من الصلاة، تقدم يوسف شريف -أحد أصدقائي-، وقال: «لقد اشتريت هذا الخاتم من العقيق من مشهد من أجلك». فأخذت ذلك الخاتم ولبسته.

لقد كان حقاً لا يريد أن يأتي جسده

كان علي آغا يهتم بالسجود بوجهه وكل من رآه كان قد رأى سجداته، وقد كان مقيداً جدّاً بصلاة الليل. لم يستطع أحد إدراك عرفانه وعظمة روحه حتى يصادقه. لأنه كان يقوم بعمله بشكل طبيعي، وكانت إرادته عدم ظهوره جنازته وبقاءه مجهولاً. لقد كان حقاً لا يريد أنً يأتي جسده؛ لأنه لم يرغب في المجيء وفي كل مرة أرادوا إجلاء الجرحى منعهم من إجلائه،

كان الشهيد ماهاني من الشخصيات التي كُشف الحجاب عن عينيه، وقد شعرت بذلك. أي أن علاقته الروحية بالله كانت وثيقة جدًا لدرجة أن العديد من الحجب المادية والتي لم يستطع الآخرون رؤيتها قد كشفت من أمامه.[1]

لقد اكتشفنا حسن باقري كلّنا

في عملية طريق القدس، كان لدي كتيبتان تعملان ضمن لواء كربلاء. لقد أصبت في تلك العملية. زارني

واشتهر بإيثاره وتضحيته وكان يكره الرياء والكبر.

إذا كان هناك القليل من الروحانية الملموسة في وحدة الاتصالات كالشهيد إبراهيمي، الشهيد عباس عرب نجاد، الشهيد علي حاجبي الذي كان هو نفسه محبّاً حقيقيًا لله، فذلك لأنهم جميعهم تربوا على يد علي آغا. وإلى اليوم، مازالت رائحته العطرة تُشَم في فرقة ثار الله، وذكرى الشباب الذين أمضوا معه جانبًا من حياتهم ورأوه وشعروا به وكانوا من تلاميذه، حتى يومنا هذا ما زالت ذكراهم حاضرة وأفعاله معروفة لجميع أبناء وحدة الاتصالات، ولم تمحى صورة هذا الشهيد من أذهانهم أبداً.

١- كلمات الحاج قاسم في وصف صفات الشهيد علي ماهاني.

حسن باقري[1] في المستشفى. كنت في غيبوبة ولم

١- ولد حسن باقري (غلام حسين أفشردي) في ١٦ آذار (مارس) ١٩٦٣ في طهران وكان بقي من ٤٥ يومًا كي يبلغ ٢٧ عامًا. استشهد في ٣٠ شباط (فبراير) ١٩٨٢ شمال الفكة. استطاع أن يشارك لـ ٢٨ شهرا في حرب الثماني سنوات قبل أن يستشهد؛ لكن كلما تحدث خبراء الدفاع المقدس عن ذلك الوقت، يطلقون على هذا القائد ألقاب مثل «العبقري ذو العقل الكبير»، «ذكي للغاية»، «استراتيجي»، «مخطط»، «أبو الحرب في حرس الثورة الإسلامية» وما إلى ذلك. هذه الألقاب متأصلة في اسمه لدرجة أنه أحدًا غيره لم ينل على ما ناله هو من هذه الأحاديث.

لا شك أنّ الشهيد حسن باقري مخطِط حربٍ

في وصفه قال الإمام الخامنئي: «الشهيد حسن باقري بلا شك مخطط حرب. ومن ينكر هذا المعنى فهو ليس له اطلاع، وإن كان أحد على اطلاع، سيرى أن هذا الشاب العشريني هو في الحقيقة مخطّط حربٍ. متى دخل الحرب؟ في عام ١٩٨٠، هذا المسار الذي يبدأ من جندي مبتدئ إلى استراتيجي عسكري عبارة عن حركة تستمر لعشرين أو خمسة وعشرين عامًا. ولكن هذا الشاب أنجز هذه الحركة في غضون عامين فقط.»

للاطلاع على تاريخ هذه الألقاب، يمكن الرجوع إلى كلام الشهيد محمد إبراهيم همت. قال ما يلي عن حسن باقري عام ١٩٨٣: «يشهد الله أن تعقله وفكره كان لا مثيل له بين قادتنا. كان الرجل يفهم شرحه لخطة المناورة من الوهلة الأولى وكان المغزى يتضح عنده بسهولة. بصرف النظر عن هذا، كان لفكره في الحرب قوة وقدرة خاصة على التّحمل. كانت إحدى سماته الخاصة أنه في صباح يوم العملية، كان يأتي إلى خط المقدمة تحت إطلاق نار كثيف وكان يقود العمليات ويتعامل بحزم. إذا

أبدت أي من الوحدات تضعف، كان يقوم بمحاسبتها. يشهد الله أنني لم أر قائداً بهذه الصفات من اللطف والعظمة. ولن تعثر على أحد بعد حسن باقري بهذه الخصائص».

في عام ١٩٧٥ حصل على شهادة الثانوية في الرياضيات وشارك في امتحان القبول بالجامعة. اختار اختصاص تربية المواشي في جامعة الرضائية (أورمية). لم يكن مجال تربية المواشي هو المفضل لديه ولم يناسب روحه العاصفة. واصل درسه لمدة ثلاثة فصول دراسية ثم توقف عن الدراسة في هذا المجال، تم قبوله مرة أخرى في امتحان القبول عام ١٩٧٩ حيث نال رتبة ١٠٤ في مجال القانون القضائي في جامعة طهران. ذهبت إلى الجامعة؛ لكنه لم يجد ضالته هناك أيضًا. ومع اندلاع الثورة، أغلقت الجامعات. هذه المرة واصل نشاطه في صحيفة «جمهوري إسلامي». في الوقت نفسه، كانت مجموعة صغيرة في حرس الثورة الإسلامية قد تشكّلت وهي وحدة الاستخبارات، كان نشاطها الرئيسي يرتكز جمع الأخبار والمعلومات عن الجماعات السياسية. والتحق بوحدة استخبارات حرس الثورة باسم مستعار.

مرت حياة حسن باقري بفترات مختلفة قبل هذه الحقبة. في بعض الأحيان كان يقطع الطريق ليعود من منتصفه، بما في ذلك الدراسة في مجال تربية المواشي بجامعة أورمية؛ لكن الشيء المهم هو أنه يحصل على ما ينشده، فقد حصل على عدة تجارب والتي يمكن أن يستخدمها لاحقًا.

لم يحمل حسن باقري السلاح

خلال الغزو المفاجئ للعدو في عام ١٩٨٠، ذهب العديد من الناس من جميع أنحاء البلاد إلى الجبهات. وجد حسن باقري الجميع مذهولين

في الجنوب. كان المسؤولون مرتبكين والناس خائفين من التفجيرات المتتالية، كانوا يفكرون في طريقة للاختباء أو الهروب من المدينة في حين أن الجيش نشر بضع وحدات على الحدود، وفي مقابل هذا كان الجيش العراقي يتقدم بـ١٢ فرقة. وقد انتشرت شائعات كثيرة في الأهواز. لم يكن أي من المسؤولين يعرف مستوى تقدم العدو.

في بعض الأحيان كانت الأوضاع في بعض المدن والنقاط الحدودية المهمة تبدو ضبابية، ثم تأتي الأخبار الجديدة بأنها في أيدي القوات المحلية وأن بعض الأشخاص فيها مازالوا يقاومون. وقد أربكت الأخبار المتناقضة المسؤولين العسكريين والمدينة بأكملها.

حسن باقري خلافا لكثير من المقاتلين الذين كانت لهم أسماء مشهورة أيضاً، لم يحمل السلاح ولم يندفع لمواجهة دبابات العدو. اختار طريقًا آخر، وكان هذا المسار المختلف والاستثنائي بداية لمسار مختلف من العمليات وجمع المعلومات. واعتبر أن من الأفضل أن يتم معرفة العدو، وبهذه الطريقة فقد ساعدته الخبرات قصيرة التي جمعها من عمله في وحدة استخبارات حرس الثورة الإسلامية والصحافة وغيرها. كأن القدر قاد غلام حسين أفشردي ليصبح «حسن باقري» في الحرب.

اختار غرفة للاستخبارات العسكرية. قام بلصق خرائط المنطقة المحيطة على الجدار ووضع آخر أخبار المعركة على الخريطة. قام برفقة العديد من الأشخاص الذين التحقوا به بالذهاب إلى محاور تقدّم العدو عبر الدراجات النارية وبعض الآليات التي كانت بحوزتهم من أجل جمع المعلومات. تم التواصل على الفور مع مختلف المراكز في محافظتي خوزستان وطهران لتبادل المعلومات. بعد أقل من أسبوع من بدء الحرب، كانت هذه الغرفة قد أصبحت أهم مصدر للمعلومات. كان يمكنهم أن

يعرفوا مواقع العدو، وعديد القوات لديه، وما هو غرضه، ومن أجل ماذا أتى، وإلى أي مدى يريد أن يتقدّم، و... نفس الأشياء التي تعلمها خلال الفترة القصيرة التي عمل فيها في الصحافة. كان الأمر كما لو أن جميع التجارب السابقة (التي بدت مبعثرة وغير ذات صلة) قد تم حفظها لمثل هذه الأيام.

شابٌّ فوق كرسي يلصق خريطة على الجدار

«محمد جعفراسدي» كان من نخبة القادة خلال فترة الدفاع المقدس، وكان هذا ما نقله خلال تلك الأيام من أيام الدفاع المقدس: أتينا إلى «الغولف»، كانت الأيام الأولى للحرب، رأيت شابّاً فوق كرسي يلصق خريطة على الجدار. قلت لنفسي إن ماذا يظنون، لقد جاؤوا إلى الحرب، حرب الرصاص والبنادق! حتى ذلك الحين، كان ظهره لنا، عندما التفت، رأيت شابًا لم يكن لحيته قد اكتملت بعد. تحدثت إليه وقال لي أعطني تقريرًا كل يوم ويجب أن نكون على دراية بتفاصيل جبهة الفارسيات.

في غضون ذلك، وقعت عيناه على ورقة كتب فيها: ٢٠٪ من المعلومات + ٨٠٪ من العمليات = ١٠٠٪ انتصار. اقتلع الورقة من على الزجاج وقال: هذه المعادلة خاطئة. المعلومات والعمليات هما عمليين منفصلين وأنا أعطي نسبة ١٠٠٪ لنصيب المعلومات من أي انتصار يتحقق. مع الأدلّة التي قدّمها، تعجبت كم أنه شخص واعٍ. ثم يقوم بتسجيل جميع المعلومات التي كنّا نقدمها على الخريطة ويضع أيدينا في أيدي أبناء مركز خراسان، كانوا أمام مصنع الدرفلة، وكنا في الفارسيات، وكان كل منا يعتقد أن الآخر كان عراقيًا، ثم أدركنا أن حسن باقري كان يرى كل شيء من تلك الغرفة، بينما لم نره في ساحة المعركة أو على الأرض.

بعد ثلاثة أشهر فقط من الحرب، انتشرت قوات العمليات الاستخباراتية على جميع المحاور الجنوبية من عبادان إلى دزفول، وكانت تبلغ عن أدنى حركة للعدو؛ بحيث كان لدى المقر الجنوبي للغولف معلومات كاملة عن العدو وتم تحديد جميع طرق الإمداد ومقار القيادة وخطوط العدو بشكل كامل.

صرختُ: الركن ٢ و٢٠ دقيقة

يشير الشهيد داود كريمي إلى حدث تاريخي في هذا الصدد عندما قال الإمام ﷺ: أريد سوسنجرد (الخفاجية). رأيت أن الجميع كان يبحث عنها للذهاب إلى غرفة الحرب. لقد اعتمدت كثيرًا على معلوماته وملكاته الذهنية لدرجة أنني لم آخذ معي سوى ٧ إلى ٨ أشخاص. حتى أنني لم آخذ المسؤولين الرئيسيين عن العملية. ذهبت أنا وحسن باقري إلى غرفة قيادة الحرب. كان الجميع جالسين هناك. وكان السيد الخامنئي حاضرًا أيضًا. جلست بجانبه. وكان الشهيد شمران والسيد مغرضي وتبسيار فلاحي وظهير نجاد والعقيد قاسمي وجميع القادة مجتمعين هناك. كان السيد ظهير نجاد يمشي في منتصف الغرفة لمدة ١٠ دقائق وهو يفكر. كنا جميعًا ننتظر قراره. فجأةً صرخ بصوتٍ عالٍ: الركن ٢! دخل علينا عقيد وقدم تحيته العسكرية. قال: اذهب إلى الخريطة، أخبرنا بحالة العدو. ذهب وكان أكثر كلامه عم هذا الجانب (جبهتنا). ومهما قال السيد ظهير نجاد، تقدّم نحو الأمام (أي تكلم حول أوضاع الخطوط الأمامية وقوات العدو)، لم يكن يتقدّم!. أخيرًا، غضب السيد ظهير نجاد وقال: اذهب واجلس، في هذه اللحظة صرخت: الركن ٢ و٢٠ دقيقة! حسن باقري.

قال: نعم يا حاج. قلت قم إلى الخريطة. قام الشاب البالغ من العمر ٢٠ إلى ٢٢ عامًا إلى الخريطة. مع الأجواء التي كانت سائدة في ذلك الاجتماع

(حيث كان جميع القادة العسكريين في البلاد، ممثل الإمام ﷺ، الشهيد شمران،... إلخ)، يجب على الشخص في هذا العمر الاعتماد على نفسه ومعنوياته والاعتماد على موارده الذهنية والاستخباراتية. شرح المحاور واحداً تلو الآخر، وسرعان ما انتقل من الحديث عن قواتنا إلى الحديث عن العراقيين، وتكلّم حول الحلول، ومتى وأين يمكن القيام بمختلف الأعمال. شرح كل ذلك بشكلٍ جيدٍ، تغير جو الاجتماع تماما. كان عليكم أن تروا السعادة التي ظهرت على المسؤولين. أعطى حسن كل التفسيرات والمعلومات، والتي من خلالها تقرّر أن تبدأ العملية.

تغيير استراتيجية الحرب من محورية المعدّات إلى محورية الإيمان

في الثالث والعشرين من كانون الثاني (يناير)، بعد ثلاثة أيام من رسالة الإمام، تمت دعوة الإمام الخامنئي لـ«الغولف». كما حضر المجلس الأعلى للدفاع: السادة رضائي ورفيق دوست والحاج عبد الله محمود زاده وإبراهيم سنجقي. كانت «جلسة الغولف» تلك حاسمة للغاية بالنسبة للحرب. في ذلك الاجتماع، قدم حسن باقري تقريرًا يستند إلى الخريطة إلى الإمام الخامنئي والقادة، مؤكداً أنه وإن كان العدو قوياً. لكن يمكننا أيضًا مواجهته، ولدينا أيضًا الحل، وحلنا هو الانتقال من التفكير في محورية المعدات -والذي هو رأي بني صدر- إلى محورية الإيمان؛ لأننا مسلمون وقد وعدنا الله بالنصر في الآية ١٤٩ من سورة البقرة. ثمّ وعدنا أنّ الشخص المؤمن يساوي عشرة من الأعداء. وعند ذاك قدّم حسن باقري اقتراحا بتغيير استراتيجية الحرب بحيث يمكننا مواصلة الحرب بمقاربة الإيمان وثقافة عاشوراء والتعبئة الشعبية للتواجد في الحرب. استمر الاجتماع من الصباح حتى الظهر. لقد بذل الشهيد باقري قصارى جهده لترجمة كلام الإمام إلى حقيقة وكانت لديه الشجاعة لقول هذه الكلمات. وهو أنّه

يمكـن للمرء أن يهاجم نقاط ضعـف العدو إذا كان يعرف العدو جيدًا. ثم بدأ في التصميم والتخطيط لعدد قليل من العمليات المحدودة.

بينمـا كان يجنـد واحـدة مـن أقـوى الوحـدات العسـكرية وأكثرهـا كفـاءة فـي الحـرب، كان الجيـش الإيرانـي يقاتـل مع جيـش العدو عبـر مختلف الجبهـات. خطـط الجيـش ونفذ أربع عمليـات كبرى لم تُكلّـل بالنجاح. فشـل هـذه العمليات الأربـع ترك القادة العسـكريين في حالـة من اليأس. في مثل هذه الأيام، اقترح حسن باقري نوعًا جديدًا من القتال: لقد منحتنا هذه الحـرب العديد من الفرص الذهبية لتنمية المواهب، ويمكن لقواتنا -بحكـم أبعادهـا الثورية وعـدم خضوعهـم للقوانين أجنبيـة- الخروج من القوالـب الجاهـزة، وأن يبتكروا بفكرهم البناء، أسـاليب لـن يتمكن العدو من أن يقف في وجهها بسهولة بهذه القوات.

إذا لم تذهب إلى خط الجبهة، فسوف أتعامل معك بطريقة أخرى

كان وجهـه وبنيتـه النحيلـة لا تـدل للوهلـة الأولـى أن باسـتطاعته القيادة بشـكل حاسـمٍ فـي سـاحة المعركة، لكنـه أظهـر أنه فـي القتال اتخـذ أكثر القرارات صراحةً وحسـمًا، والتي كانت غير متوقعة حتى بالنسـبة لأولئك المقربين منه؛ يروي اللواء محمد باقري:

فـي المرحلـة الثانيـة مـن عمليـة رمضـان وقـع حـادث لإحـدى الكتائـب العاملـة. تلـك الكتيبة كانت محاصرة من قبل العدو، في معسـكر النصر، كان يستمع حسن أيضًا إلى الكتيبة لاسلكيًا. لقد شعر أن إحدى الكتائب قـد تقدمـت كثيرًا وقـد تكون محاصرة. حـذر قائد وحدتـه. وبالفعل كانت الكتيبة محاصرة.

ابتـدأ بحـبٍ قائـد اللواء بالسـؤال وقال: أيـن أنت الآن؟ فأجابـه إنه كان في مقر اللواء.

قال: عليك أن تجتاز العوائق وتدخل ساحة المعركة وتنقذ هذه الكتيبة من الحصار ولن يحدث هذا حتى تذهب. هذه الكتيبة لا تعلم أنها محاصرة وإذا قلت أنهم تحت الحصار فقد يذعرون ويزيد الوضع سوءًا. رفض قائد اللواء الانصياع لهذا الأمر متحجّجاً بقوله أنّه ليس هناك حاجة لذهابه وسأعمل على تنسيق المدفعية، وكان يقول بأنه مشغول و...، كان الأمر غريباً بالنسبة لشخصين كانا في الحرب معاً ليلًا ونهارًا لمدة عامين على الأقل ويعرف كل منهما الآخر جيدًا. قال: إذا لم تترك موقعك الآن وتذهب إلى الخط وتنقذ هذه الكتيبة، فسوف أتعامل معك بطريقة أخرى. أنا قادم الآن إلى هناك، لا يجب أن لا أجدك في مكانك فإما تذهب إلى مكان الحصار وتستشهد مع الكتيبة أو تنقذهم منه، الكتيبة المحاصرة على جانبٍ وقائد اللواء حيٌّ يرزق في هذا الجانب، إنّ هذا الأمر غير مقبول لدي. لقد تعاملٍ معه بطريقة شديدة جعلت وجوه من في مركز قيادة معسكر النصر شاحبةً.

يجب أن أحاول ألا يُقتل أحدٌ من كلا الجانبين

يقول اللواء فتح الله جعفري عن صفات الشهيد حسن باقري:

طرح حسن باقري في نظريته قضية مهمة للغاية ولم يتم طرحها في أي جيش آخر. وقال «هدفنا ليس العمل على قتل العدو أو القضاء عليه، يجب أن نحاول ألا يُقتل أحدٌ من كلا الجانبين. لأن القوات العراقية مفيدة لمستقبل الثورة الإسلامية العراقية». وبالفعل في هذه الأيام، عندما نرى الأحداث في المنطقة وفي العراق، فإننا ندرك نظرة باقري المستقبلية.

الشهيد باقري كان يحاول الاستفادة من القوات العراقية التي تلجأ إلينا أو تلك التي تقع في الأسر. كان لدينا ٢٠٠ عراقي في إحدى النقاط فقط من اللاجئين أو الأسرى. لقد ساعدونا في الإصلاحات والدعم، وشاركوا

أيضًا في العمليات. لهذا لو استمعت إلى أحاديث الشهيد باقري، فسترى أنه كان يقول باستمرار على جهاز اللاسلكي أنه يجب أن يحرصوا على عدم مضايقة الأسرى. لماذا كان يقول هذا؟ لأن هذا ما كان يفعله، في الحرب من التهذيب الإنساني والقيام بالتكاليف الشرعية؛ لم يكن هدفه القتل. قبل العملية كان يقدم لنا قائمة بتجهيزات العدو ويخبرنا أن نكون حريصين على عدم تدمير هذه التجهيزات والمنشآت في تلك المنطقة.

كان العراقيون يقولون أن هناك ظاهرة على الجبهة الإيرانية غير معروفة لنا. تم دراسة جميع عملياتنا من قبل جامعة البكر في بغداد. أتذكر حسن باقري وهو يسألهم: من برأيكم يخطط لعملياتنا؟ وكانوا يقولون إنكم تستشيرون كوريا وسوريا وباكستان والهند،... إلخ، واعترفوا لاحقًا بأن عمليات إيران لا تتوافق مع أي جيش. ولأنهم كانوا عسكريين، كانوا يدركون أنّ هذا النوع من القتال لا يتوافق بأي حال من الأحوال مع السيناريوهات العسكرية وكان نتيجة طريقةٍ تفكيرٍ جديدة. لقد آتى فكر حسن باقري في الجبهات أُكله. كان لديه حقًا فكرٌ تخطيطي؛ يتطلب التخطيط معرفة دقيقة بالعدو والأرض والقوة الداخلية وتوازن القوى وما إلى ذلك. توازن القوى مهم جداً وكان الشهيد باقري بارعا في ذلك.

ضمّدوا جراحكم واذهبوا مجدّداً للاستطلاع في الليل

يقول الشهيد الحاج حسين همداني عن إجراءات الاستطلاع في عملية بيت المقدس ودقة الشهيد حسن باقري:

بعد عملية فتح المبين (١٩٨٢) اتصل بنا حسن باقري وقال: لديكم ٤٨ ساعة للراحة أو السفر. بعد ذلك، يجب أن تكونوا متمركزين في مقر الطاقة الذرية بشكل سري للغاية.

قلت ما الأمر؟ وقال الشهيد باقري: «من المقرّر تنفيذ عملية أخرى أكبر من

فتح المبين ولها أهداف مهمةٌ وقيمةٌ».

ذهبنا إلى هناك في الوقت المحدد، جاء حسن باقري وقال لي: «سآتي كل صباح على الساعة التاسعة وأطلب منك تقريرًا، ثم أكّد: همداني! عليك أن تضع يدك على طريق خرمشهر الإسفلتية، عندما تصل إلى الطريق، سينتهي هذا الجزء من المهمة!»

لقد كانت حقاً مهمةً صعبة. طلبنا الإمكانات اللازمة فقام بتوفيرها. كان يأتي كلّ صباح وعندما كنّا نعود من الاستطلاع نراه جالسًا وينتظر مجيئنا. بمجرّد وصولنا، كان يقول: «حسنًا! ماذا فعلتم؟» ثم يأخذ تقريرنا ويدون الملاحظات ويغادر ويعود مرة أخرى في اليوم التالي. ولم يكن يقبل أية أعذار أو تقصير وكان يهدف جراء حزمه هذا تحقيق أهداف عملية بيت المقدس. في إحدى عمليات الاستطلاع، قطعنا مسافة ١٢ كيلومترًا تقريبًا. ذهبنا بشكل ملتوٍ، واستدرنا يميناً وشمالاً، وممرنا بعدة مواقع للعدو. لذلك جُرحت أقدام الشباب.

عندما عدنا من الاستطلاع قدمنا له التقارير اللازمة وقلنا: لقد تمّ إحصاء السيارات، كل دقيقة، يتردّد هذا العدد من السيارات وكل ليلة نتقدم بخمسمائة متر.

قال حسن باقري واصلوا العمل الليلة أيضاً. قلت إنّ أقدام الشباب أصيبت وتقرّحت.

فأحضر إبرة غرزها في أقدام الشباب وفقأ التقرحات. ثمّ قال بحزمٍ شديدٍ: «ضمّدوا جراحكم واذهبوا مجدّداً للاستطلاع في الليل». في إحدى الليالي، وضع أحد الشباب يده على الطريق ثم قبّلها. لما قصصنا هذا لحسن باقري قبلنا جميعًا وقال: «السيطرة على طريق خرمشهر الإسفلتية أمرٌ حتمي إن شاء الله».

ألاحظ الكثير. ثم جئت إلى «الغولف». رحب بي كثيرا وقال لي أن أسّس منظمة لشباب كرمان. لكن قبل ذلك، تولّى مسؤولية عن جبهة شوش لفترةٍ. كنت مسؤولاً عن خط شوش لأقل من شهر عندما اتصل بي، ذهبت إلى «الغولف». قال نريد أن نُوكل إليك مسؤولية خطٍّ من أجل العملية، ذهبنا إلى «دال بري» وقام بإعطائنا التوجيهات فيما خص «بئر النفط». سلمني جبهتي «بئر النفط» و«دشت عباس». تم اكتشاف قادة الكتائب من قبل حسن باقري باستثناء واحد أو اثنين منهم كانوا مسؤولين

قال هذا بينما الوحدات لم تدخل المنطقة بعد ولم يتم القيام إلا بأعمال الاستطلاع وكنا بعيدين عن العملية.

كان يقول: «وعد الله حتميّ». وعد الله بأننا سننتصر ونصل إلى طريق خرمشهر، قال ذلك بكلّ ثقة لدرجة أننا اعتقدنا أنه قد ألهم ذلك وأنّه يتحدث بلسان الغيب.

في ليلة عملية بيت المقدس، أول وحدة لنا تصل إلى طريق خرمشهر، أعلنا ذلك على اللاسلكي. في الصباح كان الجو لا يزال معتماً عندما رأيت حسن باقري يصل. جاء إلي وقال: همداني السيطرة على طريق خرمشهر أمرٌ حتمي. لقد كافئنا الله أجر جهودنا.

على جبهات مختلفة.[1]

خرمشهر محاصرة، هل سنعود بعد ذلك؟

وصلت القوات الإيرانية إلى الحدود؛ لكن خرمشهر لم تتحرر بعد. لم ينجح الهجوم الأول لتحرير خرمشهر. كان الجيش العراقي قد رتّب جميع إمكاناته في منطقة صغيرة حتى لا تتمكن القوات الإيرانية من الحصول على فرصة لتنفيذ العملية. عُقد اجتماع لاتخاذ القرار اللازم.

كان رأي جميع القادة هو وقف العملية حتى نتمكن من إعادة بناء الوحدات. كان هناك العديد من العلماء أيضاً، وكان الاجتماع يُختَتَم عندما قام حسن وقال: «خرمشهر محاصرة، هل سنعود بعد ذلك؟» ثم تابع: «لن نعود حتى نحرر خرمشهر.» مع كلام حسن هذا، غير القادة رأيهم. استمرت العملية وتم تحرير مدينة خرمشهر. كان

١- تصريحات الحاج قاسم حول سمات شخصية الشهيد حسن باقري.

لتواجد حسن باقري الدور الأبرز في خرمشهر. لو توقفنا في تلك المرحلة، لكان العراقيون قد استردوا منا بقية المنطقة، وفي حال لم يستردوها، لكانوا استطاعوا الوقوف أمامنا وربما طال الأمر إلى عامٍ أو عامين حتى نستطيع تحرير خرمشهر. لقد نشأت مع شباب الحرب؛ سواءً الذين استشهدوا منهم أو الذين مازالوا على قيد الحياة؛ لكني لم أر أحداً مثل حسن.

كان من قادة حرس الثورة الذين أرادوا تغيير أسلوب القتال وتمكنوا من ذلك خطوةً بخطوةً.

كان حسن قائداً حقاً. تفسيري أنه كان كالشهيد بهشتي في الحرب، نفس الدور الذي لعبه الشهيد بهشتي للثورة والإمام، لعبه حسن باقري في الجبهة والحرب، من المؤكد أن جميع قادة الحرب القدامى يرون أنه لو بقي حسن على قيد الحياة، لكان له بالتأكيد تأثير على واقع

الحرب. لقد كان مربٍّ لنا جميعاً.[1]

أنا مدين لحسن باقري

كنت في جبهة سوسنغرد في أوائل عام ١٩٨١ عندما شكّل الشهيد علي هاشمي جبهة في الحميدية، كنت أيضا في خدمته. كان ذلك عندما تم تشكيل الكتائب. تم تصميم عملية تسمى رجائي وباهنر، كنت نائب الكتيبة في تلك العملية. لقد كانت عملية حساسة. أردنا أن نحيط بالعراقيين على طريق سوسنغرد - الحميدية.

كان حسن باقري يعاين الجبهات، هناك كانت المرة الأولى التي أراه فيها. لم نكن نعرف بعضنا البعض جيدًا في ذلك الوقت. كان يتفقد الجبهة مرةً كل يومين أو ثلاثة أيام. في كل مرة كان يرافقه الشهيد مجيد سيلاوي. أحياناً كان علي هاشمي معه. من الاحترام الذي كانوا

١- تصريحات الحاج قاسم حول سمات شخصية الشهيد حسن باقري.

يقدمونه له، إعتقدت أنّه ابن الشيخ هاشمي رفسنجاني.

نظرًا لأن وجهه كان أمرداً، حتى الليلة التي سبقت العملية، عُقد اجتماع في «الغولف» وتجمع قادة الكتائب في قاعة الصلاة، هناك علمت أنه كان مسؤولاً عن المخابرات في العمليات الحربية. في اللقاء الأول، تصرف كما لو كان يعرفني منذ عدة سنوات ولنا تاريخ من الصداقة.

في ذلك الاجتماع، شرح لنا حسن العملية، وقدم لنا شرحا حول الاتصالات وبعض القضايا الأخرى، وقام بتقسيم أجهزة اللاسلكي على الفور. لأول مرة تعرفت على طريقة تفكيره في الحرب والقضايا الجديدة. كان لديه آراء جيدة جداً. شعرت أنّ كل شخصٍ في الاجتماع كان يُكنّ احتراماً خاصاً له. مثل السيد رحيم وعلي هاشمي والسيد غلامبور وقادة آخرون. لقد كنت منجذباً إلى

حسن منذ بداية عام ١٩٦٠. لعل أحد أسباب صمودي على جبهات الحرب كانت شخصية حسن. أنا مدين لحسن باقري.[١]

كان حسن باقري معجزة في الحرب

رحم الله الشهيد حسن باقري. لقد كان رجلاً فريدًا للغاية وعميق التفكير. لم يلتحق بأي أكاديمية أو كلية عسكرية؛ لكن الله وضع في هذا الشاب عالَمًا من الفكر والشجاعة والثقة والفصاحة. كان حسن باقري رجلاً عجيباً. ذات مرة في أواخر الحرب، عندما كان يأتي الإمام الخامنئي إلى الجبهة، كان يدخل إلى مراكز الفرق ويمكث هناك طوال الليل ويتحدث إلى قادة الفرق. وكان يناقش الإبهامات التي كانت تدور في أذهان القادة على مختلف المستويات، وأحيانًا كانت اجتماعاتٍ جريئة

١- تصريحات الحاج قاسم حول سمات شخصية الشهيد حسن باقري.

للغايـة. كان يفتح المجال للتحدث مع القادة. دخل مرة إلى فرقتنـا. كان هناك نقاش حول الجيش وحرس الثورة، وقـد شـارك بقصة مـن ذكرياتـه لتأكيـد الأمر الـذي يجري مناقشته.

قال: كنت مندوب الإمام في المجلس الأعلى للدفاع، كنـت قـد ذهبت إلـى الأهـواز للغولـف[1]، وكان بني صدر

١- قبـل الثـورة، كان الأمريكيـون العاملـون فـي شـركة النفـط قد بنـوا مواقع تتناسـب مـع ثقافتهـم في المسـتوطنات السـكنية لمـلء أوقـات فراغهم. ولذلـك فقـد اختـاروا مسـاحة كبيـرة علـى طـول طريـق الأهواز-ماهشـهر، بالإضافـة إلـى المبنى الرئيسـي في أعلـى التل لتجهيـز٩ ملاعب للغولف وكرة القدم.

بعد الثورة الإسـلامية، تم تسليم ملعب الغولف إلى حرس الثورة الإسلامية بأمرٍ من وزير النفط، المهندس تُندغويان، لحماية أنابيب النفط ومنشآته. في السـابع مـن أكتوبر (بعد ثمانية أيام من انـدلاع الحرب)، أصبح ملعب الغولـف، بسـبب عـدم اكتشـافه مـن العـدو وقربـه مـن مطـار الأهـواز إلـى جانـب موقعـه وقوعـه فـي مـأوى جبلـي مناسـب، كمـكان لاجتماعـات كبار المسـؤولين والقادة لتنسـيق الأمـور الدفاعية وصياغة اسـتراتيجيات الجبهات.

فـي الوقت الحالي، أعيـد بناء قاعدة «منتظري الشـهادة» ومبناه الحجري

فـي ذلك الوقـت الرئيس والقائد العام للقوات المسـلحة. كان من المقرر طرح خطةٍ لكسر حصار سوسنغرد. اجتمع العسـكريون وقـادة الحـرس للحديـث عـن هـذه الخطـة. كنـت أنا موجـوداً، وكان بني صدر والشـهيد جمران هناك أيضاً. وكان بني صدر مدير الجلسـة، كنت جالسًـا أيضًا. قـام قادة مـن الجيش، وقـف عقيد في الجيـش -لا أتذكر اسـمه- وشـرح خطته. ثـم وصل الـدور إلى قـادة الحرس. نظرت لأرى من يكون هذا القائد. وإذا بي أرى شابًا نحيفًا يرتـدي ثياباً خرقة ومعطفًا عريضاً يقـوم من مكانه. بمجرد أن قام، خفق قلبي بشـدةٍ. قلت لقد سـوف يقوم بتخريب العمل وبني صدر بخباثته المعتادة سيقوم بتوبيخهم.

قام حسـن إلى الخريطـة وبدأ في الحديـث. بينما كان حسـن يتحـدث، كنـت أرفـع رأسـي شـيئاً فشـيئاً مفتخرا

وتسجيله كمعلم وطني للدفاع المقدس.

بحچيثه فى حين كان بني صدر يقول لحسن أحسنت على الرغم مما كان يخفيه من خبثٍ. كان حسن باقري ذلك الشاب المعجزة. رأيت بعض المشاهد له في عمليتي بيت المقدس ورمضان. وفيما بعد لم تتح الفرصة لذلك، وقد ترك استشهاده إثره على كافة مجريات الحرب. كثير ممن رحلوا واستشهدوا لم يكن هناك من يستبدلهم. همت، خرازي، أحمد كاظمي، كانوا فريدين. لقد خلقهم الله ليكونوا إلى جانب الإمام الخميني في ذلك الوقت.[1]

كنت أعتقد أنه مصنوع من الفولاذ

ستبقى الجبهة والحرب حاضرة في أذهان كل من عاش فيها وقاتل فيها وأنا أحتفظ بتلك الساعات من حياتي ككنزٍ ثمينٍ في ذهني. «علي جاله[2]» هو أيضًا

١- كلام الحاج قاسم في ذكرى تحرير خرمشهر.

٢- ولد الشهيد اللواء الحاج علي جاله في «نتيزعليا». مع بداية الحرب

جزء من هذا الكنز الثمين الذي ستبقى ذكرياته دائمًا في خاطري. تم اختيار علي، إلى جانب عدد من المجاهدين، للتدريب على مدفع ١٠٦ وكان يمكن القول إنّه الوحيد الذي سرعان ما أصبح ماهرًا في هذا المجال. كان من مؤسسي وحدة دعم فرقة ثار الله. لم يكن علي مكتفيا بمدفع ١٠٦ خاصته؛ بل كان يأتي دائمًا بمقبضين

المفروضة، ذهب إلى ساحات معارك الحق في مواجهة الباطل وشاركت في كتائب مختلفة في قوات التعبئة ثم حرس الثورة الإسلامية. في عملية «والفجر الأولى» في عام ١٩٨٢، دخلت مدفعية ١٠٦ ملم الخدمة في فرقة ثار الله ٤١. في ذلك الوقت، لم تكن كتيبة رعد أو لواء العتاد قد تشكلت بعد، وكان مقاتلو كتيبة المدفعية ١٠٦ ملم يعملون بشكل مستقل تحت قيادة الفرقة، إلى أن تم تشكيل كتيبة تحت اسم دعم فرقة ثار الله ٤١ لأول مرة قبل عملية بدر، وأصبح الحاج علي جاله من أوائل القادة والمؤسسين لهذه الوحدة العسكرية القوية.

الكتيبة التي أصبحت فيما بعد لواءً، تولى الحاج علي جاله قيادة كتيبة مدفعية ١٠٦ ملم، ثم رجال مضادات الدروع. وأخيراً، بعد مشاركته في عملية عسكرية عام ١٩٨٦، خلال عملية «كربلاء ٥» في شلامجة، استشهد في انفجار بقذيفة هاون.

يا فتى هل رأيت ذلك؟! لقد أراد قتلنا

مـن نوع «آر بـي جي» ليسـتخدمهما عند الضـرورة. بفعله هذا كان يضلل العدو ويضاعف عدد القوات في نظره.

كانـت السـمات الشـخصية لعلـي جاليـه فريـدة مـن نوعهـا. كان يهتـم بالقـوات الخاضعـة تحـت إمرتـه أكثـر مـن اهتمامـه بنفسـه. لقـد تصرف ووضـع الخطـط كقائدٍ متمـرّسٍ. دائمـا ما تسـعدني أعمال علي وأقول في نفسـي أحسنت ألف مرة. لم يكن يتعب من العمل الكثير؛ كنت أعتقد أحيانًا أنه مصنوع من الفولاذ. في الحالات التي لم يكن لديه منصة أو متراساً لنشر مدفع ١٠٦ الخاصة به، فإنه إما سيجد مكانًا آخر لنشر المدفع أو يبني متراساً أو قاعدة في تلك اللحظة، بمفرده أو بمسـاعدة شـبابٍ آخرين. ما زلت أتذكر الصـوت العالي والذكوري لـ«علي جاله» الذي كان يهدر كالصاعقة في العملية، لم يكن من جنسنا.

عندمـا سـمعت صيحـة الله أكبر مـن الشـهيد تاجيك

والشهيد طياري من أعلى الخط، أدركت أن «علي جاله» قد أصاب الهدف بشكل صحيح ودمر الدبابات.[1] كان

١- في ذلك الوقت، تم تشكيل قسم جديد ولم يكن به العديد من المرافق، كان الحاج «علي جاله» يجلب الكتل من ضواحي المدينة وبقية الفرق الأخرى بواسطة الشاحنة التي يملكها لبناء خنادق المعدات. لقد صنع حوالي ٧٠ ٪ من المعدات بنفسه، وعندما لم يكن يعمل، كان يعتني بمدفعه عيار ١٠٦ ملم فيصلحه أو يعدّله. لقد أحب حقًا البندقية ١٠٦ ملم وشجع جميع القوات على الحفاظ على المعدات. ولفترة من الوقت، كان يذهب إلى مريوان كل يوم ويتصل بكرمان داخل المدينة. كان مرتبكًا وقلقًا. كنا نعلم أنه مستاء. لكنه لم يقل شيئًا ولم يذهب إلى كرمان حتى قال ذات يوم يا فتى! أتعلم أن طفلي مات أيضًا.

لم أكن أعرف ما الذي كان يتحدث عنه، كنت أعتقد أن الطفل كان أحد معارفه؛ لكن عندما أوضح، اكتشفنا أنه طفله حديث الولادة وأنه لم يعد إلى كرمان بسبب المشاركة في العمليات ومحاربة العدو. عندما كان يذهب إلى المتراس لإطلاق النار من مدفع عيار ١٠٦ ملم، كان يقوم بتعديل كل شيء دون خوف ثم يطلق النار.

كنت قائد الكتيبة المضادة للدبابات وكان هو نائبي. كنّا إذا ضربنا اثنتي عشرة دبابة في عملية واحدة. فإن مما لا شك فيه أن خمساً أو ستاً من هذه الدبابات كان علي جاله هو من يصيبها. اشتدت نيران العدو في ليلة عملية «كربلاء ٥». كنت بحاجة لرؤية الحاج علي عن قربٍ، وفي موقف إطلاق النار هذا، قلت من خلال اللاسلكي، هل ستأتي إليّ أو آتي أنا إليك؟ قال سوف آتي. بعد فترة شعرت أن نيران العدو كانت ثقيلة

لإطلاق النار الناجح الأول تأثير كبير على الشباب ووضع العملية. توقف الجنود العراقيون ولم يفعلوا شيئًا لبضع دقائق ثم فروا إلى منطقة خور عبد الله. هذا المشهد كان أجمل مشهد للحرب والذي للأسف ليس لدينا أي صور أو فيديوهات له. ليتكم كنتم موجودين لتشاهدوا قوة مقاتلينا عن قرب.

لقد تعرض العدو للإذلال لدرجة أن أكثر من ثلاثين دبابة كانت تطلق النار دفعة واحدة على «علي جاله» والشباب. لقد تكرر هذا المشهد الحربي مرات ومرات، وكان الشباب وبغض النظر عن شدة الخطر، يواجهون

للغاية وقلت في نفسي أنّه يجب الاتصال به وإخباره ألا يأتي. كان الأوان قد فات فعندما اتصلت؛ كان قد دخل إلى خندقي. وكان للحاج علي جاله دور رئيسي في إيقاف دوريات العدو.

أثناء المعركة، مع كل قذيفة تستهدف موقعنا، كان يحني ظهره ويجعل رقبته أكثر انخفاضاً من خصره وبعد الانفجار يتدخل بطريقة خاصة ويقول: يا فتى هل رأيت ذلك؟! لقد أراد قتلنا، وقد كان الجميع يتذكر هذه الحالة، لأنها كانت تتكرر مراتٍ عديدة.

العدوٍ مدججٍ بالسلاح بكل ثقة وطمأنينة. من حيث الأخلاق والتقوى، كان من أتقى القادة الذين كانوا مقدامين في الحرب ومحاربة العدو. كما اشتهر بين الشباب المجاهدين بالإيمان والتقوى والتضحية بالنفس. بقي العديد من قوات علي معه حتى اللحظة الأخيرة، في الغالب بسبب أخلاقه الحميدة. في المنطقة وفي الجبهة وفي الحرب، كان هناك صفاءٌ وعشق ومودة، لا أحد يهتم بنفسه فقط، الجميع يهتم بأصدقائهم ورفاقهم، والجميع قاتلوا وضحوا بأرواحهم في سبيل الله. استشهد «علي جاله» على نفس النهج والطريق وحلّق في السماء.[1]

موقع الشهيد محلاتي في السماء يوازي موقع الشهيد حججي

محافظة أصفهان هي حقاً العمود الفقري للدفاع

١- تصريحات الحاج قاسم في وصف سمات شخصية الشهيد علي جاله

المقـدس. السـبب الأول هـو حجـم الحضـور والتضحيـة والإيثـار والدعم الذي قدّمته هـذه المحافظة في الحرب. هـذه المحافظـة لديها النصيـب الأكبر من الشـهداء بين جميع محافظات البلاد.

كان دور أصفهان في الحرب مفتاحيًا ومحوريًا وأساسيًا ولا يمكن الاسـتغناء عنه. لا يمكـن تخيّل الحرب وكل ما حققتـه من إنجـازات دون هـذه المحافظة. فلـو أراد المرء التقليل من أهمية دور أصفهان في الحرب، فعليه تجاهل جزءٍ كبيرٍ من انتصارات وإنجازات فترة الدفاع المقدس.

إلـى جانب الدعم وهـذا الحجم من الإيثـار والتضحية لكافة الناس في الحرب، فإن دور أصفهان في إدارة الحرب هـو دور محـوري. ربما يمكن حشـد القوى البشـرية. لكن لا يمكـن تجاهـل دور شـهيدٍ عظيمٍ مثل الشـهيد حسـين خـرازي في الحرب؛ لا يمكن تخيل مشـهد الحرب بدون

الشهيد كاظمي والشـهيد همت -أبناء هذه المحافظة-؛ لا يستطيع أي شخص أن ينظر إلى مجريات الحرب دون التطرق إلى الشـهيد رداني وچوره في سـاحة المعركة، فقد كان دور رجل الدين الثوري هذا لا مثيل له.

لا يمكـن التطـرق إلـى أصفهـان وتجاهـل الشـهيد محلاتـي[1] ذلك الشـهيد الذي اتخذ قـرارا ثوريا على متن الطائـرة واختـار المـوت بشـرف علـى أن يتـم أسـره ذليلا،

١- ولد «الشـهيد الشيخ فضل الله محلاتي» عام ١٩٣٠في مدينة المحلات مـن عائلة متدينة، ولاهتمامه بالعلـوم الدينية ذهب بعد تعليمه الابتدائي إلـى قم المقدسـة والتحق بالحـوزة العلمية. انضم الشـهيد المحلاتي إلى جماعة «فدائيي الإسـلام» منذ البداية بسبب معتقداته الإسلامية العميقة وروحـه المناهضـة للظلـم، وبـدأ نضاله بقيـادة الشـهيد نواب صفـوي. تم القبـض على الشـيخ محلاتـي ونفيه إلى مشـهد في رمضـان ١٩٥٣لإلقائه خطابًا ناريًا في بوجنورد على غرار فوز اتحاد النفط وانقلاب ٢٨ أغسـطس. بعـد انتصـار الثـورة الإسـلامية، عشـية ١٣ فبرايـر١٩٧٩، كأول ناطق باسـم الثـورة، أعلـن الشـهيد محلاتـي انتصار النهضـة و إقامة النظـام الإلهي في البـلاد للأمة الإسـلامية الجديـدة عبر الإذاعـة. بالتزامن مع تشـكيل حرس الثـورة الاسـلامية، قبـل مسـؤولية الإشـراف علـى هـذه المؤسسـة الثوريـة والناشئة والسيطرة عليها وتوجيهها التي كلفه الإمام بها.

الموقع الذي كان للشهيد محلاتي في السماء لا يختلف عن موقع الشهيد حججي الذي استشهد بسيف داعش، وكلاهما من اصفهان، الطيار وكل من بداخل الطائرة قاموا بعمل ثوري.[1] الرجل الثوري هو الذي يجعل أمةً فخورةً

١- الطائرة التي تقل آية الله شهيد محلاتي والوفد المرافق له وجميع أعضاء مجلس النواب وقضاة المحكمة العسكرية، بعد عبورهم مدينة إيزه، كانوا يحلقون بالقرب من الأهواز عندما حلقت طائرتا ميغ عراقيتان مزودتان بصواريخ جو-جو حديثة فوق تردد الطائرة وحذرت الطيار بلهجتهما الإنجليزية- العربية بأن يرافقهم نحو العراق دون إصدار أي فوضى. (تبيّن أن الطيار نقل هذه المعلومات إلى برج المراقبة)

خاطبه العراقيون قائلين: أنت وطاقم الطيران الآخرون بأمانٍ، نضمن لك لجوئك إلى أي بلدٍ حرٍّ في العالم. نكرّر لا علاقة لنا بك، نحن نستهدف ركاب الطائرة. أدرك الطيار أن العملاء الداخليين، أو ما يعرف بالركن الخامس، قد أبلغوا العدو بإحصائيات وأسماء الركاب بشكلٍ دقيقٍ.

بعد علمه بنوايا العدو، ناقش الطيار الأمر مع آية الله محلاتي وترك له القرار النهائي. يجيب الشهيد محلاتي: «نحن نفضل الاستشهاد على الاستسلام للعدو البعثي». والطيار الشجاع قام بفعل ما كان عليه فعله.

واصل قائد الطائرة طريقه، رغم تحذيرات العدو المتكررة، وكان صوت تلاوة القرآن الكريم يعلو من داخل الطائرة. في هذه الأثناء يطلق العدو الصاروخ الأول. وبحسب شهود عيان شهدوا الحادث من الأسفل، فقد تمزق الجناح الأيسر للطائرة مع أول ضربةٍ. حاول الطيار بمهارة الهبوط

بوفاته واستشهاده. كان الشهيد محلاتي أسطورة في الروحانية. كان شخصيةً مميزةً حزن الإمام الراحل على استشهاده. كان الإمام الراحل يعتبر الشهيد محلاتي ينتمي له ولعاظلته تماما كالشهيد مطهري. أصفهان لديها مثل هذه الشخصيات المميزة. عندما كان ينعقد اجتماع للحرب، ولم يكن يحضر هذا الاجتماع الشهيد خرازي والشهيد كاظمي والشهيد داني وغيرهم، يكون القرار المتخذ في هذا الاجتماع منقوص. كان تعم الاجتماعات التى يحضرونها الهدوء والثقة خصوصا عند اتخاذ القرارات.[1]

بالطائرة على سطح مستوٍ. وعند رؤية المقاتلة العراقية لشجاعة ومهارة الطيار الإيراني، اضطرت إلى إطلاق صاروخها الثاني على الطائرة المتضررة. عندما سقط الصاروخ الثاني، تمزقت الطائرة واستشهد ركابها.

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء محافظة اصفهان.

سيقولون مرة أخرى باكري!

إذا جمعت عشرات الآلاف من المقاتلين من الأقاليم الناطقة بالآذرية وسألتهم من كان أشجعكم في الجبهة؟، فسوف يجيبون باكري! إذا سألت من كان أكثر روحانيًا وأخلاقيًا منكم، فسيقولون مرة أخرى باكري! لطالما استوقفتني حقيقة غريبة عن الإخوة باكري (الشهيد باكري وإخوته). فقد كانوا ثلاثتهم مفقودين في الحرب. أحدهم استشهد قبل انتصار الثورة والآخران استشهدا في ساحة المعركة.[1]

١- من بين الأشقاء الثلاثة علي، مهدي وحميد بكري، كان ذكر اسم علي مع البكاء عليه أقل من أشقائه وحتى الآن لم يتم نشر أي صورة له. كان الابن الأكبر لعائلة بكري، وقد تأثر إخوته الصغار بنضالاته، مما أدى إلى التحاقهم بطريق الكفاح والتضحية بالنفس.

ولد علي باكري عام ١٩٥٣ في مدينة «ميان دوآب». حصل على المرتبة الأولى في الهندسة الكيميائية، درس في كلية الهندسة بجامعة طهران، وفي عام ١٩٦٦ تخرج من الجامعة بالمرتبة الأولى، وبعد ذلك مباشرة بدأ التدريس في الجامعة. في العام نفسه، تحول إلى الكفاح المسلح ضد نظام بهلوي وسافر إلى لبنان عدة مرات لتلقي التدريب المناسب وتهريب

أضاع شقيقه ودائما ما كان يستخدم كلمة «آغا مهدي».

وبعد التعرف على العملية، قال حميد لشقيقه: لا يمكن

الأسلحة إلى البلاد. قبض على علي من قبل جهاز السافاك في سبتمبر ١٩٧١ وبعد الكثير من التعذيب حكم عليه بالإعدام في محكمة بهلوي العسكرية. وتم تنفيذ الحكم عليه في ٢٠ أبريل ١٩٧٢. تم دفن جثته في القسم ٣٣ من مقبرة جنة الزهراء في طهران. ولد حميد بكري عام ١٩٥٥ في مدينة أرومية. والظاهر أن حميد سافر إلى الخارج عام ١٩٧٦ للدراسة. ذهب أولاً إلى تركيا ومن تركيا إلى شوريا ليقضي دورة حرب العصابات، ثم ذهب إلى ألمانيا والتحق بالجامعة؛ لكن مع هجرة الإمام الخميني إلى باريس، ترك حامد الدراسة أيضًا وقصد منطقة «طلائية». ذاق حميد بكري طعم الشهادة في ٢٦ آذار ١٩٨٣ خلال عملية خيبر (منطقة طلائية) خلال معركة شرسة مع جيش البعث الغازي. أراد رفاقه إعادة جثمانه إلى العقبة بصفته نائب قائد فرقة عاشوراء ٣١؛ لكن قائد الفرقة الشهيد مهدي باكري قال: لا يمكنكم إحضار حميد إلا بعد إعادة جثث الشباب الآخرين. ولهذا السبب لا يوجد ضريح لحميد باكري حتى يومنا هذا.

ولد مهدي بكري عام ١٩٥٤ في مدينة «ميان دو آب». بعد التخرج، واصل دراسته في الهندسة الميكانيكية. مع انتصار الثورة الإسلامية، لعب مهدي باكري دورًا مهمًا في تأسيس وتنظيم حرس الثورة الإسلامية في أذربيجان الغربية. نظرا على صفاته الأخلاقية الفريدة، فقد نجح في تشكيل لواء قوي من الأذربيجانيين من المناطق الشمالية الغربية للبلاد وتولى قيادته في عدة عمليات. استشهد المهندس مهدي باكري أخيرًا في عملية «بدر» في ١٦ مارس ١٩٨٤ (بعد ١٢ عامًا من شقيقه علي). وأثناء نقل جثة مهدي باكري أصيبت بصاروخ وتقطعت إرباً ولم يعثر عليها.

ذلـك. لكـن إذا قلت أنه يمكننا فعل هذا فسـنكون تحت أمرك ونستطيع القيام بذلك وقد كان يتصرف دائمًا بطريقة لا يظن أحد أنه شـقيق مهدي باكري؛ والمثير للدهشـة أن كلاهمـا مفقود ولـم يتم العثـور عليهما بعـد، وهذه حكمة إلهية.

كان حميد شقيق مهدي مناضلاقبل الثورة. بقي جسده على الجانب الآخر من جسر الشيطات. قام شباب إجلاء الشـهداء وحثـوا «آغا مهـدي» على إعـادة جثمان حميد، ولم يكن آنذاك ذلك الأمر بادياً على وجهه، لم أكن أعرف أن أخـاه استشـهد، فشـهادة الأخ ليسـت أمراً هيّناً وسـهلا بـل هي أمر تكسـر الظهـر وتحنيه. أتيت إلى السـيد مهدي وقلـت أنه يمكننا إحضار جثة حميـد. فقال: قال إنك إذا أحضرتم جثث الشهداء الآخرين، أحضروا جثمان حميد أيضًا.

لذلك فإن قائدًا مثل «آغا مهدي باكري» يجب أن مرجعاً لشعبنا مثل تمام كما يرجع الناس فى مسائلهم إلى الفقيه. هؤلاء الشهداء هم مصدر للفخر. تزخر حربنا بنماذج مثل هذه القمم الشامخة.[1]

هذا الموضوع أزعج الشّهيد باكري

كان الشّهيد مهدي باكري سلمان الحرب. لا يوجد شخصية مماثلة وأكثر شمولية في تاريخ الدّفاع المقدّس أكثر من مهدي باكري وأخيه حميد. كان هذان الأَخَوان مميّزَيْن في الشّجاعة والإيثار والتّضحية بالنّفس. بطبيعة الحال، فقد كان خرّازي وهمّت كذلك أيضاً.

إذا أردنا وصف شخصيّة باكري، فعلينا الالتفات إلى نقاطه الثّلاث وهي «الإدارة والأخلاق والتّضحية». كان حميد بالنّسبة لمهدي، كالعبّاس بالنّسبة للإمام

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء محافظة اصفهان

الحسين عليه السلام، فلم يناديه بـ«أخي» أبداً، إنّما كان يقول له «السّيّد مهدي». كان حميد نفسه قائداً شاملاً، إلّا إنّه كان يتصرّف بطريقةٍ لا يُشعر بها أحدٌ أنّ شقيق مهدي هو قائد. على أيّة حال، فقد استشهدت هاتان الأسطورتان مظلومتَين ولم يتمّ العثور على جسديّ الشّهيدين العظيمَين حتّى الآن.

بالتّأكيد لم يكن من الممكن أن يسود مثل هذا الجوّ الرّوحيّ في فترة الدّفاع المقدّس ويجعله مخلّدًا بدون أن تمر خلاله شخصيّاتٍ كالشّهيد باكري. كانت أساطير الدّفاع المقدّس هذه معروفةً بشكلٍ عامٍّ وخاصٍّ، وكلّ عمل كان يقوم به هؤلاء القادة كانت تتبعه جميع الفرق، أكثر من رجوعها إلى مرجع التقليد حتّى.

عندما استشهد حميد في الجانب الجنوبيّ من جزيرة مجنون وبقي جثمانه في قناة المياه، لم نرَ على مهدي أيّ

علامةٍ على الحزن والتّغيّر. كنّا نمزح ونضحك في تلك الأجواء عندما أعلن الشّهيد كاظمي نبأ استشهاد حميد، وقد أغضب هذا الموضوع مهدي لأنّه لم يكن يريد نشر الخبر! لم يسمح أبداً بنقل جثمان أخيه إلى الخطوط الخلفيّة، لأنّه كان يعتقد أنّنا إذا أحضرنا جثامين الشّهداء الآخرين، فسنحضر جثمان حميد أيضاً.

كانت لي حادثةٌ أخرى مع الشّهيد مهدي باكري. في جزءٍ من نهر دجلة، كان هناك منعطفٌ يشبه حدوة الحصان التي تُحدث منعطفاً خاصّاً في المياه، وعندما حان وقت التّراجع خلال عمليّات «بدر»، ذهبت إلى مياه دجلة لإعادة الكتيبة الّتي كانت تحت إمرتي. في تلك الأثناء، سألني الأخ حسين آقايي: «هل لديك سهم؟»، فقلت: «كلّا، معي بندقيّة». قال: «تعال، إنّهم يحضرون مهدي على متن قارب، ولكن سقطت حينها قذائف

هاون وسط نهر دجلة، وبقي جثمان مهدي ضيفاً على نهر دجلة إلى الأبد».[1]

أصبح هذا المشهد من أروع المشاهد في حياتي

قُدّرَ لي أن أكون مع أحمد سليماني[2] منذ الطّفولة،

١- خطاب الحاج قاسم في حفل إحياء ذكرى شهداء فرقة عاشوراء ٣١.

٢- وُلد أحمد سليماني عام ١٩٥٧ في مدينة بافت (قرية قناة ملك). خلال خدمته في الحرب المفروضة، شغل مناصب مختلفة، بما في ذلك نائب رئيس المخابرات والعمليات ونائب رئيس أركان فرقة ثار الله ٤١ في عمليّاتٍ مختلفة.

في النّهاية، استشهد الحاج أحمد سليماني في أكتوبر١٩٨٤ في مرتفعات ميمك مع مجموعةٍ أخرى من رفاقه.

حلق أحمد رأسي في تلك الدّنيا

على الرّغم من المسؤوليّات الهامّة التي تولّاها أحمد سليماني في فرقة ثار الله، كان يستغلّ دائماً كلّ فرصة لخدمة قوّات التّعبئة. كان حلق رؤوس الجنود أحد أعماله. يقول أحد رفاق الشّهيد في هذا الصّدد:

«كان يحبّ التّعبويّين حقّاً. جاء مرّةً إلى الخفير، اعتقدت أنّه جاء لإلقاء محاضرة، فرأيت طابوراً من عشرة أو خمسة عشر شخصاً أمام الخيمة الّتي ذهب إليها. قلت إنّ القوّات تريد بالتّأكيد التّحدّث معه ومشاركته مشاكلهم.

رتّبتُ وضعي وذهبت إليه، رأيته يفتح محلّ الحلاقة الخاصّ به ويحلق

رؤوس الجنود!

قلتُ له: أخي سليماني، لماذا تقوم أنت بهذا؟ لدينا عددٌ من الجنود هذا هو عملهم في الأصل.

قال: سيّد فرود، بالله عليك لا تبطئ سوقنا!

عندما أراد المغادرة عند الغروب، ظهرت تقرّحاتٌ على أصابعه، فبكيت.

قال: العمل من أجل التّعبويّين له لذّةٌ خاصّةٌ للغاية.

ثـمّ حدّق في وجهي وقال: يعني أن يأتي أحدهم يوم القيامة ويأخذ بيدي ويقول: حلق أحمد رأسي في تلك الدّنيا!

أنا لا أقول إنّ أحمد معصوم، لكنّ حركاته وسكناته كان تذكّر الإنسان بالمعصومين والأولياء».

كنّا لا ننام في اللّيل بسبب ديون أبينا

نشأ الحاج قاسم سليماني مع أحمد سليماني منذ الصّغر. إحدى ذكريات الحاج قاسم الّتي لا تُنسى هي عندما كان عاملاً مع أحمد. في حقبة ما قبل الثّورة، قرّر الاثنان القدوم من الرّيف إلى المدينة من أجل العمل للمساعدة في إعالة أسرهم. يتحدّث الحاج قاسم عن تلك الفترة على النّحو التّالي:

كانت حوالي الظّهر عندما دخلت حافلةٌ صغيرةٌ إلى كرمان وتوقّفت في إحدى السّاحات، نزل الرّكّاب بسرعة، وذهب مساعد السّائق ووقف على الأغراض وأسقطها من أعلى. من بين الكمّيّات الكبيرة من أكياس اللّبن الرّائب وأنواع الكشك وما إلى ذلك، كان هناك سريرَين خاصّين بنا. وبعد لحظات، لم تبقَ حافلةٌ ولم يكن هناك ركّاب. بقي هذين السّريرَين ونحن الشّباب نقف بجانبهما مع ضوضاء المدينة. في تلك اللّحظات الصّعبة

والطّويلة، شعرنا بالحنين إلى الوطن بكلّ كياننا، وكنّا عاجزين حقّاً ولا نعرف ماذا نفعل.

كان علينا أن نفعل شيئاً، وقد جئنا في الأساس لفعل شيءٍ. كان وقتاً صعباً، وكان آباؤنا مدينين للحكومة، وقد أخذوا قروضاً زراعيّة، لكنّهم لم يتمكّنوا من إعادتها. كنّا لا ننام في اللّيل بسبب الحزن على انهيار الشّعب في يومٍ من الأيّام، واعتقال آبائنا وسجنهم، وكانت ذكرى مثل هذا اليوم تفرغ قلوبنا.

كان والدي مديناً بتسعمائة تومانٍ ووالد أحمد مدينٌ بخمسمائة تومان، والآن أتينا إلى مدينةٍ غريبةٍ للعمل. قال أحمد: «يا قاسم، لنقطع عهداً بأن لا نعود إلى القرية إلى أن نجمع المال الكافي والوافي!»

قلت: حسناً.

تصافحنا ثمّ قلنا يا علي وأخذنا أغراضنا ومشينا.

استأجرنا غرفةً في الأزقة الخلفيّة لشارع ناصري مقابل ١٥ تومان في الشّهر وكانت صاحبة منزلنا امرأةً عجوز اسمها آسيا. لم يكن عمرنا أكثر من ثلاثة عشر عاماً، وكانت أجسادنا صغيرة ونحيفةً جدّاً لدرجة أنّه أينما ذهبنا للعمل، لم يقبلونا حتّى قاموا ببناء مدرسةٍ في شارع خراجو، الذي كان في نهاية المدينة في ذلك الوقت، وقاموا باستخدامنا مقابل اثنين تومان في اليوم! إنّ الثّلج الذي سقط في كرمان عام ١٩٧١ مشهور.

جئت فقط من أجل قاسم وأحمد

لقد مرّت ثمانية أشهر منذ قدومنا إلى كرمان، والآن لديّ ثلاثمائة تومان ولدى أحمد ثلاثمائة وخمسين تومان. كنّا نظنّ أنّنا أوفينا بوعدنا، والآن حان الوقت لرؤية والدينا.

دفعتنا الرّغبة في زيارة العائلة إلى السّوق واشترينا بمبلغ حوالي سبعين تومان، حتّى أنّنا اشترينا قطعةً تذكاريّةً لجميع أقاربنا. ذهبنا في الصّباح إلى المرآب واستقلينا حافلةً حتّى مفترق طريق زنجان. من هنا إلى هناك، تعطّلت الحافلة وكان أمامنا سبعةٌ وأربعون كيلومتراً لنصل، وكان الثّلج يتساقط. تقدّم راكبان إلى الأمام ووضعنا أقدامنا مكان أقدامهما بحذرٍ وتمدّدنا، لكنّنا فكرنا في حلٍّ أفضل، خصوصاً أنّ الثّلج كان كثيفاً وكان اليوم في فصل الشتاء قصيراً وعلينا الوصول إلى المنزل بحلول المساء.

قالوا: في مثل هذه الحالة، البطل الوحيد هو الّذي يستطيع القيادة. لقد سمعنا صوته. سمعنا أنّ هناك رجلٌ قويٌّ يرفع الحمير والأبقار بأسنانه، فذهبنا إلى منزله. في البداية لم يقبل على رغم إصرار مرافقينا وقال: «لم أشبع من روحي بعد!».

لكنّه وافق فجأةً. كان من المفترض أن يوصلنا إلى أعلى تلال رابرمقابل خمسة تومان عن كلّ شخص.

عندما جلسنا في مؤخّرة السّيّارة، عاد الأمل بالحياة إلى قلوبنا مرّةً أخرى، وتخيّلنا أنّ والدينا سعداء. مرّ البطل بتقلّباتٍ وانعطافات، فعندما كانت تعلق السّيّارة، لم يكن علينا أن نساعده، فقد كان يحرّك السّيّارة ويضعها جانباً لوحده!

عندما وصلنا ودفعنا له الأجرة، قال: «لا تظنّوا أنّني خرجت من أجل العشرين تومان!» ثمّ أشار إلينا وقال: «كان لأجل هذين الشّخصين فقط. أقرانهم الآن مستلقون تحت الكرسيّ، ويخشى آباؤهم وأمّهاتهم عليهم من أن تصيبهم نزلة بردٍ في وقتٍ ما. الآن هو وقت راحتهم ولعبهم، وليس العمل في المنفى. تُفّ لهم لهذا اليوم الّذي صنعوه لنا!».

بعد عشرة أو اثني عشر عاماً، رأينا البطل مرّةً أخرى. لقد جاء إلى الجبهة

وكنتُ حاضراً فوق رأسه وقت استشهاده، وإذا أردتُ أن أذكر كلمةً خاصّةً وحصريّةً عن هذا الشّهيد، يجب أن أقول أنّ هذا الشّهيد العظيم يستحقّ لقب الرّجل الطّاهر. في الواقع، يمكن أن يكون لدى النّاس مفهومٌ أنّه يُمكن الوصول إلى درجة «العبد الصّالح» بعد المعصوم.

كان الشّهيد سليماني من أكثر قادة فرقة ثار الله فاعليةً، فكان موجودًا أيضاً في عملية (طريق القدس) في القناة التي حفرناها، وعندما ذهبت إلى تلك القناة في منتصف الليل، رأيته، وعندما رآني اختبأ على الفور خلف الأشجار، وبعد ذلك أدركت أنّه اختبأ لكيلا أعيده. لم يُظهر نفسه قطّ في منصب القائد خلال فترة عمله كقائدٍ لفرقة ثار الله، ولم يشعر أحدٌ أنّه كان في منصبِ

لخدمة جنود الإسلام.

نعم، كنت أقول، مشينا سبعة عشر كيلومتراً من رابر إلى القرية، وكانت أضواء البيوت تضاء مع وصولنا. وعندما انتشر الخبر في القرية، وأصبح يدور فيها، بقي النّاس معنا يحتفلون حتّى وقت متأخّرٍ من اللّيل.

مسؤوليّةٍ على الجبهة.

كان على اتّصالٍ مع جميع القادة، وكان لديه درّاجة ناريّة تبقيه متّصلاً بالميدان باستمرار كي يبقى قريباً من الجبهة وساحة المعركة أثناء العمليّات. كان في حالٍ غريبةٍ عندما كان يتلو دعاء كميل ليلة استشهاده، فقد بقي بحالة سجودٍ من بداية الدّعاء إلى نهايته، وبدا كأنّه أُخبِر باستشهاده غداً في السّاعة العاشرة صباحاً.

عندما رأيته بعد استشهاده، كان نصف وجهه مغطّى بالدّماء والنّصف الآخر يلمع مثل ضوء القمر، وصِدقاً كان هناك سكونٌ خاصٌّ في وجهه. رُؤية هذا المشهد، جعله من أروع المشاهد في حياتي خلال مرحلة الدّفاع المقدّس.[1]

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر شهداء العشائر.

كان شفيع زادة «حسَناً» بكلّ معنى الكلمة

كل شهيدٍ مثل باكري، همّت، حسن باقري، شفيع زادة، ياغتشيان وتجلّايي هو كافٍ لأمّة، فَهُم القمم الّتي تحقّقت في نطاقها الخُضرَة وأحدثت تغييراتٍ كبيرةً في المجتمع.

اكتشف حسن باقري العديد من القادة والمؤسّسين في تاريخ الدّفاع المقدّس، ومنهم حسن شفيع زادة مؤسّس مدفعيّة حرس الثّورة الإسلامية الإيرانيّة[1]، باكري، همّت،

١- شرب حسن شفيع زادة، ابن أرض أذربيجان النّقيّة، كأس الاستشهاد قبل ٢٨ عاماً في منطقة ماووت العراقيّة. قام هو و«حسن طهراني مقدّم» بتشكيل مدفعيّة الحرس الثّوري بنيران المدفعيّة التي غنموها من الجيش البعثيّ، وقد خلقا بهذه المدفعيّة ملاحم لا تصدّق خلال عملياتٍ مثل «و الفجر ٨». بعد استشهاد شفيع زادة، رفع رفاقه، تحت لواء حسن طهراني مقدّم في العقود التّالية، أيدي الحرس الثّوريّ الإيرانيّ النّاريّة إلى آلاف الكيلومترات وأنشأوا قدرةً تاريخيّةً لإيران الإسلاميّة.

«شفيع زادة» و«طهراني مقدّم» هما أبابيل الثّورة

في الثّقافة الإسلاميّة، «أبابيل» هي رمزٌ لحمَلةِ نار الغضب الإلهيّ على أولئك الّذين يدّعون أنّهم في حربٍ مع الله. كانت هناك طيورٌ صغيرةٌ مثل

«السّـنونو» تقـذف حجارةً صغيرةً علـى راكبي الفِيَلة مـع «أبرهة». الحجارة الّتي ورد ذكرها في القرآن تُسمّى «سِجّيل».

يُمكن تسـمية «حسـن شـفيع زادة» و«حسـن طهراني مقدّم» بأبابيـل الثّورة الإسلاميّة، وهما شابّان كان يُنظر إليهما على أنّهما أصغر من طيور السّنونو في مواجهة الشّـيطان، لكنّ مسـاعيهما السّـماويّة سـحقت جيـوش الكفر والشّرك.

مـع بدء الحـرب المفروضة وحصـار آبادان، اندفع الجنرال «حسـن شـفيع زادة» إلـى الجبهـات الجنوبيّـة بمجموعـةٍ مـن قذائف الهـاون الّتي كانت تحت مسؤوليّة الشّهيد باكري، ووصل مع عددٍ من المقاتلين الآخرين إلى جبهة آبادان بعد عدّة أيّام من الصّعوبات، واسـتقرّوا في المحطّة السّـابعة. بعـد ذلـك، حين أصدر الإمـام الخميني قراره لكسـر حصار آبـادان، لعب دوره التّاريخـي في كسـر هـذا الحصار وصـدّ البعثيّين الغُـزاة والمحتلّين. بعد عمليّة «طريق القدس»، شغَل الشَهيد شفيع زادة منصب رئيس أركان لواء كربلاء ولعب دوراً رئيسيّاً في تشكيله وتماسكه وقيادته.

إطلاق قيادة المدفعيّة في الحرس الثّوري الإيرانيّ

بعد عمليّة «الفتح المبين»، ومع الخبرة الّتي اكتسـبها، أدرك أنّه مع توسّـع التّنظيم الشّـعبيّ القتاليّ، ومن أجل تنفيذ عمليّاتٍ واسعةِ النّطاق، هناك حاجـة إلـى منظّمةِ دعـمٍ ناريّ تُسـمَى «المدفعيّـة». أثناء قيامـه بالقصف المدفعـيّ الأوّل وتنظيمه، تولّى مسـؤوليّة تنسـيق الدّعم النّـاريّ في قاعدة فتح خلال عمليّة «بيت المقدس» بموافقة عددٍ من القادة، وقد فعل ذلك بشكلٍ جيّد. كان يقدّم دائماً خططاً طويلة المدى بفضل مبادرته وإبداعه وبُعد نظره، مع التّأكيد أيضاً على مسألة تدريب القوّات.

لاحقـاً، بجهـوده الدّؤوبـة ليـلاً ونهـاراً، سُـرعان ما نظّـم الغنائم على شـكل

مدفعيّةٍ عسكريّةٍ وكتائبَ مدفعيّةٍ مستقلّة، وفي عمليّة «رمضان»، استخدم الغالبيّة العُظمى من المدفعيّة ضدّ العدوّ البعثيّ.

مساعدة سوريا وحافظ الأسد لإيران

في تمّوز ١٩٨٤، تلقّى محسن رفيق دوست، وزير الحرس الثّوريّ الإسلاميّ آنذاك، دعوةً رسميّةً من سوريا وليبيا. كانت نتيجة تواجد وزير الحرس الثّوريّ الإيرانيّ في سوريا وليبيا، تليها زيارة الرّئيس آنذاك -الإمام آية الله الخامنئي- إلى تلك الدّول، حصول إيران على هذا السّلاح الفعّال والاستراتيجيّ - وهو الصّاروخ. وعقب هذه اللّقاءات والمحادثات، تعهّد الرّئيس السّوريّ الرّاحل حافظ الأسد بتدريب عددٍ من القوّات الإيرانيّة لاستخدام عددٍ من الصّواريخ، ووعد الرّئيس اللّيبيّ بالتّعاون لإيصال عددٍ محدودٍ من صواريخ «سكوديت» مع معدّاتها إلى الجمهورية الإسلاميّة في إيران.

بعد المفاوضات ودون أيّ تأخير، أصبح تشكيل وحدةٍ صاروخيّةٍ في قلب مدفعيّة الحرس الثّوريّ أمراً أساسيّاً. فغادر ١٣ جنديّاً من ذوي الخبرة في مجال المدفعيّة، إلى جانب عددٍ من المترجمين، إلى سوريا لتلقّي التّدريب على الصّواريخ. كان السّوريّون يعرضون على القوّات الإيرانيّة برنامجاً مدّته ستّة أشهر لتدريبها على استخدام الصّواريخ. وكان قائد مدفعيّة الحرس الثّوريّ الإيرانيّ -حسن طهراني مقدّم- مسؤولاً عن القوّات الإيرانيّة في هذه المهمّة. كان حسن شفيع زاده القوّة الأولى الّتي رافقته في هذه المهمّة ووعدت بالتّعاون. كما كان يدرك أهمّيّة مطابقة النّيران في الحرب، ومنذ الأيّام الأولى لوجوده على جبهة آبادان، استخدم غنائم قذائف الهاون ضدّ مواقع العدوّ. سُرعان ما وقَع القائد الجديد للدّعم النّاري في الحرس الثّوريّ الإيرانيّ في حبّ قوّة وسلطة حسن شفيع زادة؛

كلاهما كان لديه أفكاراً كبيرةً لمعاقبة البعثيّين المُعتدين.

إنشاء مركز تدريب مدفعيّة الحرس الثّوريّ الإيرانيّ

في ٢٠ نيسان ١٩٨٢، قدّم رحيم صفوي عبر قرارٍ لقادة معسكرات القدس والنّصر والفجر والمنطقة الثّامنة، في ملعب الجولف بالأهواز، حسن مقدّم باعتباره الشّخص المسؤول عن إطلاق نيران المدفعيّة والهاون في الحرس الثّوريّ الإيرانيّ. عندما قرأ القرار، كان حسن شفيع زادة أوّل من تذكّر اسمه للتّعاون. في وقتٍ لاحق، تمّ افتتاح مركز حفظ وصيانة المدفعيّة في الأهواز، كما تمّ إنشاء مركز تدريب المدفعيّة في أصفهان من قِبل حسن شفيع زادة ويعقوب زهدي.

كانت مدفعيّة الحرس الثّوريّ الإيرانيّ تتطوّر يوماً بعد يوم وأظهرت نفسها أكثر فأكثر في الحرب. لم يعد من الممكن تنفيذ أيّ عملية أخرى بدون دعمٍ مدفعيّ. لعبت المدفعيّة، وهي واحدةٌ من أكثر وحدات الحرس الثّوريّ فعاليّةً وأهمّيةً، دوراً في الحرب وكان لديها ما تقوله فيها. حصل شفيع زادة خلال عمليّاتٍ مختلفةٍ على المزيد من غنائم المدفعيّة لتشكيل مجموعات مدفعيّةٍ جديدةٍ بعدّة كتائب.

شكّلت هذه المجموعات سلاحاً قويّاً لقيادة القوّات المقاتلة. ففي معارك خيبر، والفجر ٨، كربلاء ١، كربلاء ٥، وكربلاء ٤ الّتي كان للحرس الثّوريّ مسؤوليّتها العمليّاتيّة بشكلٍ مستقلّ، تمّ تقديم الدّعم النّاريّ لكامل منطقة العمليّات تحت قيادته. كانت ذروة دورها خلال عمليّة «والفجر ٨»، فالنّيران الكبيرة والمركّزة الّتي أطلقتها على العدوّ بتفوّقٍ كاملٍ، ووفقاً للقادة العراقيّين الأسرى، لم يكن قد رأى أحدٌ مثلها خلال الحرب، لأنّ أغلب وحدات العدوّ كانت تُدَمَّر قبل أن تصل إلى خطّ المواجهة وتشتبك مع جنود الإسلام.

كانت قذيفة الهاون سلاحاً مهمّاً للحرس الثّوريّ

يصف اللّواء السّيّد يحيى رحيم صفوي بداية الحرب والوضع غير المؤاتي لمنشآت الدّفاع التّابعة للحرس الثّوريّ الإيرانيّ، على النّحو التّالي:

كان الوضع في بداية الحرب محرجاً للغاية. سقطت خرمشهر، وكانت آبادان تحت الحصار بـ٢٧٠ درجة، وأغلقت جميع الطّرق المؤدّية إلى آبادان تقريباً، ووصل العراقيّون إلى ما وراء حدود الأهواز، وكانت المدفعيّة العراقيّة تضرب مدينة الأهواز بأكملها، وكان الجميع قلقاً من سقوط الأهواز أيضًا.

في ذلك الوقت، لم يقدّم لنا بني صدر، الّذي لم يكن يثق بقوّات التّعبئة والجيش، الذّخيرة وما كنّا نحتاجه للحرب.

في هذه الأجواء، أمر الإمام الخمينيّ بكسر حصار آبادان. توجّه مهدي باكري وحسن شفيع زادة إلى آبادان ومعهم قذيفة هاون عيار ١٢٠. جاء الرّجلان إلى منطقة الجولف. في تلك الظروف، كانت تُعتبر قذيفة هاون عيار ١٢٠ سلاحاً مهمّاً للغاية للحرس الثّوريّ الإيرانيّ، وكان على كبار قادة الحرس الثّوريّ أن يقرّروا مكان نشرها. انطلق الرّجال الثّلاثون إلى آبادان وكان مهدي باكري قائدهم وحسن شفيع زادة حارس الهاون، بحسب رؤية وأوامر قيادة العمليّات الجنوبيّة.

«كان السّيد مهدي باكري قائد هذه الوحدة وكان شفيع زادة هو حارسها. كانت حصّتهم ثلاث قذائف هاون في اليوم! ونظراً لقلّة الإمكانات والتّجهيزات، فقد وقفوا بشجاعةٍ حتّى عملية (ثامن الأئمّة) في ٢٦ تشرين الأوّل ١٩٨١، عندما تم كسر حصار آبادان.»

من الحصّة اليوميّة لقذائف الهاون إلى ٧٠٠ مدفع!

يقول العميد الرّكن يعقوب زهدي رفيق الشّهيد شفيع زادة عن عمليّة كربلاء ٥:

«خلال عمليّة كربلاء ٥، قلت لحسن شفيع زادة: هل تتذكّر أنّه في الأيّام الأولى من حرب آبادان مع السّيد مهدي باكري، كانت حصّتكم ثلاث قذائف هاون من عيار ١٢٠ فقط يوميّاً؟ لكن الآن يوجد ٧٠٠ مدفع تحت إمرتك وتطلق ٦٠٠ صاروخ كاتيوشا في اليوم، هل حلمت بهذا يوماً؟ هل تصدّق هذا؟

أجابني: يا يعقوب، لقد اختار الله تلك الأيّام الّتي سبقت لاختبار جدارتنا وكفاءتنا وإظهار درجة مثابرتنا وإخلاصنا، والآن نشكر الله على جعلنا مستحقّين، وعلى كشفه لنا ركناً من قوّته في الدّفاع عن دينه ومعاقبة أعدائه.»

قضى حسن حياته كلّها في مؤخّرة شاحنة.

كان شفيع زادة هو القائد، ووفقاً لمنصبه كان يمكنه ركوب سيّاراتٍ مميّزة، لكنّه كان راضياً عن شاحنة الخُردة، فقد قضى حياته كلّها في مؤخّرة الشّاحنة. عاش، أكل، نام واستراح في نفس الشّاحنة، واستخدمها أحياناً لتسهيل نقل التّعبويّين من مكانٍ إلى آخر.

على الرّغم من عدم وجود قيودٍ على الخدمات اللّوجستيّة والدّعم، إلّا أنّه كان دائماً قنوعاً بما لديه. كان يرتدي ملابس بسيطةً وعاش حياةً بسيطةً ونصح الآخرين باستخدام أموال المسلمين بشكلٍ صحيح.

أصيبت سيّارة الشّهيد شفيع زادة بقذيفة مدفعيّةٍ معاديةٍ بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٩ في منطقة عمليات كربلاء ١٠ في الشّمال الغربيّ (منطقة ماووت) أثناء توجّهها إلى خطّ المواجهة، فهرع للقاء ربّه واستشهد.

متوسليان، تجلّايي وغيرهم، والّذين كان لهم تأثيراً كبيراً خلال الحرب حتّى أصبحوا أكثر الأبطال ديمومةً وقد أظهروا ذلك لكلّ العالم. كان حسن شفيع زادة، بطل أذربيجان، أحد قادة فرقة عاشوراء، والّذي كان، من خلال تأسيس مدفعيّة الحرس الثّوريّ الإيرانيّ مع تلك المنظّمات وتأثيره غير المسبوق في الدّفاع المقدّس، رجلاً ذكيّاً بارزاً بالمعنى الحقيقيّ لكلمة «حسن».[1]

قلتُ له قُم، إنّ الوضع سيّءٌ للغاية!

كان الشّهيد محمّد نصر اللّهي نائب رئيس أركان فرقة ثار الله ٤١. خلال إحدى العمليّات، في السّاعة الثّانية بعد منتصف اللّيل، طلب أحد خطوطنا الدّفاعية ذخيرةً فوريّةً. هرعت إلى السّقيفة ورأيتُ محمّداً جالساً بعينَين محتقنتَين بالدّماء ويفك حذائه ليستريح.

١- الحاج قاسم سليماني في حفل إحياء ذكرى الشّهيد باكري والشّهداء القادة لفرقة عاشوراء ٣١.

قلت له: «لا تخلعه، قُم، إنّ الوضع سيّءٌ للغاية». ربط شريط حذائه فوراً ونهض يمشي بالذّخيرة. بعد أن غادر، أدركت أنّه لم ينم على الإطلاق لمدّة ثلاثة أيام بلياليها، وبعد ذلك بقي معنا ثلاثة أيّامٍ ولياليٍ. لا أعرف إذا ما كان قد استراح في النّهاية أم لا. عندما كنّا في مقرّنا، لم يكن محمّد يعرف الهدوء، فكان دائماً ينام أمام الباب حتّى إذا كان لدى شخصٍ ما شيئاً ضروريّاً ليفعله، يكون أوّل من يستيقظ ولا يدع الآخرين يستيقظون. استحوذ شغف العمل من أجل الله على كيانه بالكامل فلم أسمع منه عبارة «لا يهمّني» قَطّ. كلّ المعاناة كانت متعلّقةً به سواء في المقرّ أو في المنطقة. كان وجهه متقشّراً وأسوداً من شدّة الجهد المفرط تحت الشّمس. في تلك الأيام، كان بياض أسنانه أكثر وضوحاً عندما يضحك.

خلال عمليّة «والفجر ٨»، عندما سيطر العراقيّون على

الطّريق عبر النّار، كان محمّد نصر اللّهي[1] ومعه اثنين

١- كان محمّد نصر اللّهي من أوائل الحرس الثّوريّ الإيرانيّ في كرمان وكان له حضوراً كبيراً خلال أحداث فتنة كردستان؛ بحيث كان له دوراً مميّزاً في عامي ١٩٨٠ و١٩٨١ في منطقة باوة مع زملائه الآخرين من كرمان. لم يستسلم بعد نهاية فتنة كردستان، بل ذهب إلى ساحة المعركة ضدّ النّظام البعثيّ في العراق.

هذا الشّابّ لم يغلق عينَيه ولم ينم منذ ثلاثة أيّام

قال الإمام القائد في لقاءٍ جماعيّ مع عائلات شهداء محافظة كرمان عام ٢٠٠٥ حول مقاتلي لواء ثار الله وخاصّة عن الشّهيد محمّد نصر اللّهي:

أنتم أهل كرمان لديكم شهداءُ كُثر، لكنّ معظم شهدائكم ينتمون إلى لواء ثار الله. هل تعرفون ماذا يعني هذا اللواء؟ هو لواء قويٌّ وشجاعٌ ومخلصٌ ومصدر فخر. بعض أولادكم الّذين استشهدوا مع جيش ثار الله ليلة عمليّة «والفجر ٨»، عندما اضطرّوا لعبور نهر اروند المضطرب من أجل الوصول إلى العدوّ، قاموا بالغوص على عمق ١٣٠٠ متر وانطلقوا من جانبٍ واحدٍ من الماء إلى الجانب الآخر. فيما كانت تتدفّق مياه نهر أروند نحو الأسفل انطلاقا من منبعها فقد كانت مياه المد البحريّة تعلو من جانب البحر، ولهذا يُعتبرُ أروند ممرّاً عجيباً. ارتدى أبناؤكم بدلات الغوص - دون معرفة العدوّ- وغاصوا على عمق ١٣٠٠ متر وهو أوسع جزءٍ من أروند؛ وليس بعمق ١٠ أمتار و٢٠ متراً و١٠٠ متر، ووصلوا إلى الجانب الآخر، وتمكّنوا من أخذ الشّاطئ المقابل من العدوّ وصنعوا ذلك الفتح العظيم الّذي قلب الأحداث رأساً على عقب.

في هذه العمليّة، تمّ نقل زوارق حرس الثّورة الإسلامية الإيرانيّة إلى شواطئ أروند دون أن يعرف العدوّ. جاءت كلّ هذه القوّات والإمكانات من بعيدٍ

من رفاقه داخل السّيّارة بالقرب من تقاطع معمل الملح.

إلى سفح مياه أروند، لكنّ العدوّ، بكلّ معدّاته وبمساعدة الأقمار الصّناعية الأمريكيّة والبريطانيّة والسّوفياتيّة، لم يستوعب الحركة العظيمة التي قام بها حرس الثّورة الاسلامية الإيرانيّة، حيث كان قد جلب كلّ هذه القوّات من فرقٍ مختلفة إلى ذلك المكان. وكان يجب أن ينقل أبناء فرقة ثار الله القواربَ إلى الشّاطئ.

ومن أشهر شهداء هذه الفرقة، ذلك الّذي لم يسترح خلال عشرين يوماً من نقل هذه القوارب سرّاً. ونُقل عن قائده العزيز (الحاج قاسم سليماني) -الحمدلله تعالى الذي حفظه لنا وهو أحد أحبابنا- قوله أنّ هذا الشابّ لم يغلق عينَيه ولم ينم منذ ثلاثة أيّام. بعد أن نام في الخندق لمدّة ثلاثة أيّام، طرأت مُهمّةٌ جديدة؛ ذهبت وناديته وأخذته معي في المهمّة! هؤلاء هكذا كانوا يجاهدون حقّا.

هؤلاء يشوهون صورة الثّورة عبر هذه الرّفاهية والتّرف

يقول أحد أصدقاء الشّهيد نصر اللّهي في التّعبير عن السّمات الشّخصيّة لهذا الشّهيد وإيلائه اهتماماً خاصّاً للمحافظة على الخزينة: «ذات يوم، تمّ إبلاغ وحدتنا أنّ عضواً في مجلس كرمان قد حضر للتّحدّث في إحدى الإحتفالات. قال شخصٌ جاء في وقتٍ سابقٍ للتّنسيق من قِبَل هذا المندوب أنّ السّيّارة يجب أن تكون دوريّة. اعترض محمّد، لكنّ هذا الشّخص نفسه ذهب وأخذ دوريّةً من المقرّ. كان محمّد منزعجاً جدّاً لسماع ذلك. جاء ليلاً وقال لي: «هؤلاء يُشوهون صورة الثّورة عبر هذه الرّفاهية والتّرف»، وقد أعطى الإمام الخمينيّ ﷺ لاحقاً مثالاً على مدى بساطة حياته.»

انفجرت عندها قذيفة مدفعٍ قرب السّيارة وأصابت محمّد في رأسه وحملته إلى حلمه الّذي طالما حلم به. عندما سمعت نبأ استشهاد محمّد، ظلّت كلماته أنّ «الله عالمٌ وهو الّذي يختار، لا علاقة لي» ترنّ في أذني، وربّما كان هذا الاختيار هو سبب فرحته، فعندما كشفوا عن وجهه للمرّة الأخيرة في مقبرة الشّهداء، ظهرت على وجهه ابتسامةٌ أبديّةٌ ظاهرةٌ. نفس الابتسامة الّتي امتلكها منذ أن كان طفلاً، نفس الوجه الّذي كان يتجوّل ويبتسم خلف الدّعامة في الزّقاق.[1]

يبدو الأمر كما لو أنّه يسير في شوارع جيرفت

خلال عمليّة كربلاء ٥، ذهبت إلى قناة السّمك بسبب تمرّد القّوات، يشهد الله أنّنا لم نستطع أن نتحرّك في القناة. كانت النّيران غزيرةً لدرجة لم نكن لنتوقّعها، بحيث لو

١- مأخوذٌ من كتاب «الابتسامة الأبديّة».

ظهر اللّاسلكيّ قليلاً من حافّة القناة، فسيتمّ إطلاق النّار من ٣٠ دبّابةٍ على الأقلّ في وقتٍ واحد.

أُصيب كلّ الّذين كانوا إلى جانبي في ذلك الوقت. وفي هذه الحالة، لفت انتباهي فجأةً شخصٌ في الحصن. عندما فتحت عينيّ جيّداً، تعرّفت عليه؛ كان مهدي طيّاري يقف هناك وقد ضُمّدَ رأسه. فكّرت في نفسي أنّه لولم تكن موجة، لما تجرّأ الرّجل الحكيم على فعل ذلك. تحدّثت معه لاختبار عقله وذكائه لأرى هل هو في مكانه أم لا؟!

كانت لديه شجاعةٌ كبيرةٌ، فلم يكن يعير نيران العدوّ، الّتي كانت تهطل كالمطر من النّاحية العراقيّة، أيّ اهتمام. كنت أخشى أن يصيبه مكروه، أمسكت بيده وسحبته إلى داخل القناة. تحدثت معه لفترةٍ وشرحت له أنّه يجب عليه التّوقّف عن فعل الأشياء الخطرة. أعطيته

فرقةً هناك للتّحرّك نحو الفرق العراقيّة ومواصلة العمليّة. كانت القوّات تتحرّك من جانب الحصن، لكن هو كان يغادر من أعلى الحصن. لقد فعل طيّاري ذلك لإزالة الخوف من القوّات و إعدادهم لمعركةٍ بطوليّةٍ. حصلت هناك حربٌ غريبة، لم أشاهد مثل شراستها من قبل. لم أرَ خلال الحرب قطّ قائداً شجاعاً ومقداماً كطيّاري. لم أشاهد هذا الشّخص مُنحنياً أمام العدوّ أو مهتمّاً برصاصاته، كان يركض نحو الرّصاصة وليس خلفها... خلال العمليّة نفسها (كربلاء ٥)، كان الحاج مهدي طيّاري[1] المنقذ للعمليّة في نطاق فرقة ثار الله. كان أداؤه،

١- سنراجع جزءاً من رواية الحاج قاسم سليماني عن شجاعة الفرقة ٤١ ثار الله والشّهيد مهدي طيّاري في عملية كربلاء ٥:

قمنا بأكبر عمليّةٍ في تاريخ الحرب

الجبهة الّتي كانت قد صُبغت بالموت من قبل، تغيّرت فجأة. في الوقت نفسه، غطّى الضّباب الكثيف المنطقة بأكملها؛ حتّى فقدت الرّادارات والأقمار الصّناعية كفاءتها ودام هذا الضّباب الكثيف في المنطقة لمدة ١٢ يومًا، وكنّا نجهّز أنفسنا خلال هذه الفترة؛ بينما لم يعتقد العدوّ أنّه

يمكننا تنفيذ أكبر عمليّةٍ في تاريخ الحرب، بعد أسبوعين من العمليّة السّابقة. عندما أشير إلى تلك الفترة، أشعر أنّه لا تلك الشجاعة ولا هذا الفكر ولا هؤلاء الأشخاص ينتمون إلى هذا العالم الأرضيّ؛ بل كانت تلك المشاهد الّتي سادت وخلقت تلك الأجواء هي من صنع الله وإرادته.

عصر تلك العمليّة، ابتكرنا تدابير مختلفة. على سبيل المثال، حفرنا مجرى ماءٍ سُكب فيه الماء من الحصن، وأخفينا في هذا التّيّار، حوالي ١٠٠ قارب. علت ضجّةٌ بشريّةٌ ليلة العمليّة في هذا الحصن لا يمكن مقارنتها بأيّ مكانٍ آخر. كانت الوجوه الّتي توزّعت في الخنادق، إمّا تتلو القرآن أو تصلّي أو تكتب الوصيّة. وأولئك الّذين كانوا بالتّأكيد ذاهبون للموت كانوا قد اختفوا في الحصن. أرعبنا شيءٌ حَدَث قبل غروب الشّمس، بحيث شعرنا أنّ العملية تمّ تسريبها. أطلق العدوّ صليات كاتيوشا ممّا أدّى إلى تدمير عددٍ من الزّوارق إضافةً إلى ناقلة جنود. كان هذا بمثابة تحذير. صعد الشّباب إلى القوارب ليلاً واتّجهوا نحو خطّ العدوّ. كان أبعد محور لدينا بعمق أكثر من ٥-٦ كيلومترات داخل المياه.

أصعب محور كان محور الفرقة ٤١ ثار الله

كما تعلمون، برد خوزستان مريرٌ جدّاً. من حيث الجدولة، كان على كلّ القوى أن تتحرّك من جميع الخطوط وتصل إلى المحور عند السّاعة ١٢. كان المحور الأكثر صعوبة هو محور فرقة ثار الله ٤١، والّتي لعبت دوراً حيويّاً في «كربلاء ٥» وكان عليها أن تقطع أبعد طريق داخل الماء. كانت مشكلتنا الأكثر أهمّية هي اختيار الكتيبة الّتي تفصل الخطوط. كانت عمليّتنا استشهاديّةً بالكامل وكان لدينا عدد كبير من الاستشهاديّين.

كنّا نسعى لتنفيذ العمليّة بعناية. تمّ وضع علاماتٍ على طول الطّريق الّذي كان على الأخوة سلوكه إلى قلعة العدوّ، وكان لدينا اتّصال لاسلكيّ

بعد الغوّاصين، حاسماً في الاستيلاء على (سربل)، الأمر الذي كان له تأثيرٌ عميقٌ على مصير العمليّة بأكملها. يُمكن أن يُطلق عليه والحاج يونس لقب الرّجلان رقم

حّتى الجزء الخلفيّ من حقل ألغام العدوّ. دخل الشّباب إلى الماء، تحرّك ثلاثة غوّاصين نحو العدوّ. كنّا قد توقّعنا أن نعبر هذا الطّريق في غضون ساعتين.

لم يصدّق السّيّد محسن رضائي

عندما دخلنا الماء، انطلقنا قبل نصف ساعةٍ من الموعد واتّجهنا نحو العدوّ. أمّا محورنا الآخر، وهو من أبناء فرقة سيّد الشّهداء العاشرة (كرج)، حيث اشتبكت مع العدوّ قبلنا. كنّا على مسافة ٢٠٠ متر من الأسلاك الشّائكة عندما بدأ الاشتباك. أضيئت الأنوار في الجوّ وهكذا بدأ اشتباكنا مع العدوّ قبل أن نصل إلى الأسلاك الشّائكة. كان العدوّ قد وضع الكثير من العقبات، لكنّنا كسرنا الخطوط. كان من أبرز ما لدينا في الحرب أنّه لا يوجد خطٌّ دفاعيٌّ يمكن أن يمنع قوّاتنا من التّسلّل إلى منطقة العدوّ. عندما تمّ كسر الصّفوف الأولى من قبل الشّهيد عابديني والشّهيد الحاج علي محمّدي بور، كان العدوّ لا يزال مرتبكاً عندما دخلت قوّات السّريّة الثّانية على الخطّ. عندما كان الشّهيد طيّاري يتحدّث خلف جهاز اللّاسلكي لم يخطر ببال أحد أنّ هذه الكلمات من قلب خطوط العدوّ. كانت مبادرة الشّهيد طيّاري في هذه العمليّة مهمّةً وفعّالةً جدّاً. عندما أعلن الشّهيد طيّاري أنّه عبر من قناة الصّيد، وأوصلت هذه الرّسالة للسّيّد محسن رضائي، لم يصدّق ذلك!

واحد في عمليّات كربلاء ٥.

كان العبور خلال عمليّة كربلاء ٥ صعباً جدًّ ومحبطاً. فشلت عمليّة كربلاء ٤ وخلّفت أجواءً معنويّةً سيّئةً. كان جزءٌ من المنطقة مليئاً بحقول الألغام، والجزء الآخر مغطّىً بمستنقعٍ كبيرٍ من الطّين لا يُمكن عبوره.

تمّ أخذ الخطّ الأوّل من قبَل ثلاث كتائب من الغوّاصين. أوّل كتيبة بدأت عملها بعد الغواصين كانت كتيبة الحاج مهدي، وكان عليهم عبور غابة من الأسلاك الشّائكة بمسافة خمسمائة متر. كان عملاً رائعاً، فمنذ بداية العمليّة كان يتحدّث الحاج مهدي عبر اللّاسلكيّ وكأنّه موجودٌ على خطّ المواجهة بين النّار والدّم. يبدو الأمر كما لو أنّه كان يتحدّث ويمزح في شوارع جيرفت. لم يكن لديه أيّ شعورٍ بالخوف أو القلق. كانت يتقدّم بسرعةٍ كبيرةٍ بحيث كان من الصّعب على الإنسان تخيّلها.

لـم يلتفـت الحاج مهـدي إلى يمين ويسـار الكتيبـة أثناء العمليّـة. لقـد كان يفكّـر فقط فـي وظيفته ويحـاول تنفيذ مهمّتـه بكفـاءةٍ وبأسـرع وقـتٍ ممكـن. كنّا مشـغولين في المعركـة وكانت عقولنـا هناك عندما أعلـن الحاج مهدي طيّـاري فجـأةً عبـر اللّاسـلكيّ أنّه عبر قنـاة الصّيـد، وكان علـى الجانـب الآخـر مـن القناة! عندمـا نقلـت الخبر إلى محسـن، لم يمرّ وقتٌ طويلٌ حتّى انضـمّ إلى موجتنا على اللّاسلكيّ وبدء بتشجيع الحاج مهدي.

لـم يصـدّق أحدٌ أنّ الحـاج مهدي قد عبر قنـاة الصّيد، فكنّا جميعاً في شكّ. كرّرت رمز الجسر عدّة مرّات للحاج مهدي، للتّأكّد. أخيرًا، قلتُ إنّه ربّما نسـي كلمة المرور أو أسـاء فهمها. سـألتُ الحاج مهدي كالعـادة: «هل عبرت جسـر الصّيـد؟»، أجـاب طيّـاري عبـر اللّاسـلكيّ، «نعـم، عبـرت جسـر الصّيـد، لقـد وصلت إلـى الجهـة الأخرى».

اغرورقت عيون الجميع بالدّموع. كان من الصّعب جدّاً تصديق ذلك، وقلت لطيّاري: «حسنًا، لا تذهب أبعد من ذلك...».

كانت العمليّة الأخيرة الّتي شارك فيها الشّهيد طيّاري هي نفسها آخر عمليّات الحرب أي عمليّة «بيت المقدس». كان الحاج مهدي قائد كتيبة، لكنّه كان يساعدنا أيضاً في قيادة المحور. لم يكن ينقصه شيءٌ عن ليؤدي دور قائد المحور.

لقد ساعدنا في أمورٍ مختلفة، كالإعداد لخطّ تنفيذ العمليّات وما إلى ذلك، كان أمل الجيش. في تلك العمليّة، عندما نظرت إلى وجه الحاج مهدي في الصّباح شعرت بحالةٍ غريبةٍ فيه. كان قلقاً، ولم يتكلّم إلّا قليلاً، وكان منشغلاً بنفسه. لم يؤدّ عبادته سرّاً في ذلك اليوم، على عكس عادته المعهودة. في تلك اللّحظات، قلّةٌ من

النّاس كان لديهم مزاجه المعنويّ. كان لوجه طيّاري لونٌ خاصٌّ، وشفتاه تتحرّكان باستمرار، كما لو كان يقول ذِكراً. هناك شعرت بشكلٍ لا إراديٍّ أن طيّاري كان أيضاً مسافراً؛ مسافرٌ إلى السّماء، وإلى أرض الشّهداء.

منذ بداية الحرب، فقد لواء ثار الله العديد من أحبّائه. وفي ذلك الوقت، كان طيّاري يُعتبر أحد آمالنا في لواء ثار الله. عندما وصلني خبر استشهاد الشّهيد طيّاري خلال العمليّة، انهارت كلّ حساباتي، ولم يعد يهمّني إن كنّا سننتصر أو نهزم في تلك العمليّة. لا فرق عندنا، سواء نَجَونا أم لا، فقد أعددنا أنفسنا لحدوث أيّ احتمال. كان قائداً غريباً حقّاً. بعد عمليّتي كربلاء ١ و٥، كان لديه أيضاً القوّة والقدرة على إدارة عدّة كتائب. لم يلعب دور قائد كتيبةٍ في كربلاء ٥، فبدلاً من ذلك، كان يقف في قلب المعركة وسط وابلٍ من الرّصاص ويرشد الكتيبة.

أتذكّر في صباح يوم عمليّة كربلاء ٥، عندما عَبَر طيّاري بكتيبته عبر قناة الصّيد، قام بمبادرةٍ مثيرةٍ للغاية حتّى تتمكّن الكتيبة الأخرى من المرور عبرها بشكلٍ جيّد، فقام بتركيب جسرٍ من الألياف هناك جنباً إلى جنبٍ مع شباب التّخريب، وكانت هذه المبادرة فعّالةً للغاية في تسريع العمليّة.

أرى أن طيّاري كان شخصيّةً مميّزةً عن باقي أبناء جيرفت؛ وكثيرٌ منهم كانوا أيضاً قادةً أعزّاء وقيّمين وعملوا بجدّ. لقد كان حقّاً شخصاً مختلفاً في التّوجيه والإدارة؛ كان أداؤه جيّداً، خاصّةً في توجيه القوّات في أصعب الظّروف. قاد الحاج مهدي طيّاري ما لا يقلّ عن أربع أو خمس عمليّات بشكلٍ جيّدٍ واستطاع النجاح وأداء دورٍ رئيسيٍّ فيها.[1]

١- كانت المضادّات الجويّة المتمركزة في معسكر «قشلة» من أهمّ أجزاء عمليّة والفجر ٨. في ليلة العمليّة، أعطى الحاج قاسم سليماني الأوامر

منذ اليوم الّذي حمل فيه الحاج مهدي جهاز اللّاسلكيّ، أظهر حقّاً مكانته البارزة في جميع جوانب الحرب وأثبت ذلك. كان الشّهيد طيّاري أمل الجيش.[1]

الأخيرة للحاج مهدي بشأن المضادّات. لو تمّ استخدام هذه المضادّات، كانت ستشكّل حاجزاً كبيراً في مقابل القوّات العاملة ضمن جيش ثار الله. وضعت المضادّات على تلٍّ صغيرٍ، وكان مُشرفاً بالكامل على طول الشّاطئ، لذا إذا تمّ استخدامها، فستكون قويّةً لدرجة أنّها لن تسمح حتّى لطائرٍ أن يعبر إلى الجانب الآخر. كانت المضادّات على الجانب الآخر من اروند بالقرب من مدينة فاو. تمّ تجهيزها بمجموعةٍ متنوّعةٍ من الأسلحة المتطوّرة وكانت محميّةً بالعديد من التّحصينات.

كانت أهمّ نقطةٍ في عمليّة والفجر ٨ قد وصلت الى الكتيبة ٤١٩ والّتي كان الحاج مهدي مسؤولاً فيها عن العمليّة. تحرّك الحاج مهدي، بعد قراءة كلمة سرّ العمليّة، أمام القوّات ثمّ تبعته الكتيبة. في تلك الليلة، قاد الكتيبة إلى المضادّات بسرعةٍ كبيرةٍ حتّى أنّ القوّات العراقيّة لم تتح لها فرصة ارتداء زيّها العسكريّ. ترك العراقيّون في حيرة من أمرهم لما حدث. لم يفهموا كيف وصلت القوّات الإيرانيّة إلى فوق رؤوسهم قبل أن يحصلوا على أدنى المعلومات. في تلك الليلة، عندما وصلنا إلى المعسكر، كانت خيمة المضادّات لا تزال موجودة، ولم تُتح للعراقيّين الفرصة لإزالتها. عندما أذاع خبر السّيطرة على معسكر قشلة عن طريق اللّاسلكيّ، لم يستطع المخيّم تصديق ذلك. وبعد تلك العمليّة، فتح الحاج قاسم حساباً منفصلاً للكتيبة ٤١٩، خاصّةً على نائبه؛ أي الحاج مهدي طيّاري!

١- جزءٌ من رواية الحاج قاسم سليماني عن عمليّة كربلاء ٥.

الشّهيد الّذي دُفن بالقيود والسّلاسل[1]

١-أنا حرٌّ، لا تقلقوا

كان الشّهيد غلام حسين خزاعي رافري من شهداء كرمان، وهو الشّهيد الّذي دُفن بالأغلال والسّلاسل. يروي والد حسين؛ قبل يوم أو يومين من إرساله إلى الجبهة، اشترى حسين بعض السّلاسل وأحضرها إلى المنزل. سألنا حسين عن سبب إحضار السّلاسل.

قال: سأقول لكم فيما بعد!

وبعد أن فُتحت وصيّة حسين، رأينا أنّه قد أوصى بربط يديه وقدميه قبل دفنه حتّى تكون له شهادةً قويّةً يوم القيامة للتّعبير عن العبوديّة لله.

لقد فاجأتنا وصيّة حسين، لم نكن نعرف لماذا رغب بمثل هذه الوصيّة.

عاملنا البعض معاملةً سيّئةً، فكانوا يؤذون قلوبنا بالسّخرية ولسعات اللّسان. أحياناً كانوا يسألون: أين بيت الشّهيد المُقيّد؟ وكانوا يعذّبوننا بهذه الكلمات.

ذات ليلةٍ رأى أحد الأقارب حسيناً في المنام. سأله: ما هذه الوصيّة؟ لقد أحرقتنا بهذه الإرادة.

كان حسين واقفا على التلّ، فتح ذراعيه ورجليه وقال: أنا حرٌّ، لا تقلقوا.

منذ ذلك الحين، لم نعد نعير السّخرية أيّ اهتمام.

لم نكن نعرف هل ننفّذ وصيّة الشّهيد أم لا. ذهبت إلى الشّيخ حقيقي؛ إمام مسجد كرمان الكبير، فاستغرب وبكى وقال لي: «قلّةٌ هم الّذين رأينا أو سمعنا عنهم وقد وصلوا إلى هذا المستوى من النّمو والكمال، إنّه أمرٌ غير مسبوقٍ منذ بداية الإسلام». ثمّ أمرنا باتّباع وصيّة الشّهيد بشرط الحفاظ على الحالة الطبيعيّة للجسد.

الشّهيد غلام حسين خزاعي هو العاشق الّذي كان يحبّه الجميع. كان حسين مُغرماً بأبي عبد الله الحسين عليه السلام، وكان يحترق لأجله عليه السلام ويذرف الدّموع بكلّ كيانه حزناً وإيماناً، ولمّا كان يدعو كان يبكي هو أوّلاً قبل الجميع وأكثر منهم.[1]

وُكّل غلام عباس خزاعي، شقيق الشهيد، بتنفيذ الوصيّة. يقول: كانت السّلاسل عاديّة، وكان طولها حوالي مترين. في التّاسعة مساءً، أخذت السّلسلة وذهبت مع بعض الأصدقاء إلى مقرّ «معراج». وكان قد تمّ تجهيز الشّهداء للتّشييع. أحضروا التّابوت وفتحوه. كان نائماً بسلام. طلبت من أصدقائي تنفيذ الوصيّة؛ لكنّ أحداً منهم لم يقبل. قبّلت وجه حسين، وضعت السّلاسل حول يديه ورجليه ثمّ ربطتها، وقبّلت وجهه مجدّداً. بهذه الطّريقة تصرّفت بناءً على الوصيّة.

اتّصل أحد أصدقائه من المدينة وقال: لقد أحبّ حسين أن يكون حاضراً مع السّلاسل يوم القيامة ويداه ورجلاه مقيّدتان بحيث تشمله العناية الإلهيّة، وذلك استناداً إلى الآية ٤٩ من سورة إبراهيم الّتي تقول: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾.

١- توصيف الحاج قاسم عن الشّهيد خزاعي رافري.

شكَر الشّيخ هاشمي رفسنجاني الحاج يونس على عمله

أتذكّر أن السّاعة كانت تقترب من الثّانية بعد الظّهر عندما جاء السّيد شمخاني إلى خندقي بواسطة سيّارة إسعافٍ لزيارة خطّ «شَلامْجة». ثمّ خرجنا لتفقّد حالة الأخوة ومكانهم والاستعدادات اللّازمة للعمليّة. رأيت الحاج يونس من بعيد قادماً نحونا بوجهٍ هادئٍ ولطيفٍ لا يُلاحَظ فيه أدنى تعب.

كان ظلُّ الابتسامة موجوداً دائماً على شفتيه. الكلّ يعرف كم أحببت الحاج يونس. كان حبّي للحاج يونس زنكي آبادي[1] مثل حبّ الأب لابنه. يعلم الله أنّني كلّما

١- ولد يونس زنكي آبادي عام ١٩٤٠ في قرية زنكي آباد في كرمان. مع انتصار الثّورة، ذهب إلى كردستان لمحاربة الانفصاليّين. في عام ١٩٨١، أصبح عضواً في حرس الثّورة الإسلامية الإيرانيّة. أدّى تدبيره وشجاعته وجرأته في مختلف العمليّات إلى أن يختاره الحاج قاسم سليماني -قائد فرقة ثار الله ٤١ آنذاك- قائداً للواء الإمام الحسين عليه السلام. استشهد الحاج يونس أخيراً في ١٦ كانون الأوّل ١٩٨٦ في منطقة «شلامجة» خلال عمليّة كربلاء ٥. وكان الشّهيد قد شارك في عمليّات مهمّة مؤثّرة متعدّدة مثل

نظرت إلى مكانته كنت أستمتع به وأفتخر به، فقد كان الحاج يونس أملي؛ على الرّغم من أنّ السّيّد ميرحسيني لم يكن قد استشهد بعد.

قلت للسّيّد شمخاني: «هل تعرف أيّ شخصٍ يقترب منّا؟»

نظر شمخاني بتمّعنٍ إلى الحاج يونس وقال: «كلّا، لا أعرف!»

فتح المبين وبيت المقدس.

أثّرت شهادته عليّ بقدر تأثير شهادة كتيبةٍ بأكملها

كان للحاج قاسم سليماني علاقة خاصّة بالحاج يونس، بحيث كان لاستشهاد هذا القائد أثراً كبيراً عليه. يقول الحاج قاسم في هذا الصّدد:

«كانت أصعب اللّحظات بالنّسبة لمن كانت لهم مسؤوليّات في الحرب هي اللّحظة التي يستشهد فيها رفاقهم أو أصدقاؤهم، وتزداد حدّة هذه اللّحظات عندما يكون ذلك الشّهيد السّعيد ركيزة الحرب وعمودها.

في بعض الأحيان، أثّرت شهادته عليّ بقدر تأثير شهادة كتيبةٍ بأكملها. كان الشّهيد الحاج يونس زنكي آبادي من هؤلاء الّذين اعتُبروا أمل جيش ثار الله. كان حريصاً دائماً على العمل الشاقّ في المقدّمة».

قلت بحزم: «الحاج يونس زنكي آبادي هو قائد الفرقة المستقبليّ».

ثمّ أخبرته عن أخلاق الحاج يونس ودوره حتّى وصل إلينا. حالما اقترب منّا الحاج يونس، قام الأخ شمخاني وقبّله بحرارةٍ وحبٍّ، وبينما كان يمسك الحاج يونس بين ذراعيه ويضمّه إليه، قال: «سلَّمكَ الله يا أخي!»، فأجاب الحاج يونس بحزمٍ شديدٍ ووجهٍ سعيدٍ ومبتسمٍ: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

إلى أن بدأت عمليّة كربلاء ٥. برأيي، كان أهمّ نجاحٍ لنا في تلك العمليّة هو العمل الاستثنائيّ الّذي قامت به القوّات في الجبهة. لم تمنح قوّات الحاج يونس العدوّ فُرصةً. ضرب الحاج يونس نقطة العدوّ المُستحيلة، وقام بهذا الهجوم من هذه النّقطة حيث هاجم المجاهدون اللّاقط الهوائي على جسر قناة الصّيد؛ لقد استطاعوا تتبّع

العراقيّين إلى هذا الحدّ.

لم يسيطروا على جسر الصّيد فحسب، بل عبروا أيضاً الجسر وأخذوا قمّته. عندما أعلن الحاج يونس أنّه على الجانب الآخر من الجسر، كان شيئاً لا يمكن تصوّره بالنّسبة لمعسكر الخاتم والشّيخ هاشمي رفسنجاني. اتّصل بي السّيد محسن رضائي وقال لي: «يا أخي! ابن محافظتك (الشّيخ هاشمي رفسنجاني) مُمتنٌّ للوضع الّذي نشأ».

بينما كانت الفرق الأخرى مشغولة في المعركة، كان الحاج يونس قد عبر قناة الصّيد وتمركز خلف العدوّ.[1]

تخيّلوا مئات الرّصاصات تسقط على رأس شخصٍ في اللّيل!

كان صبره ومرونته نموذجاً مثاليّاً حقّاً. كان بعض

١- من كلام الحاج قاسم سليماني عن الشّهيد الحاج يونس زنكي آبادي / مأخوذة من الكتاب «الحاج يونس».

الشّباب ثابتين بقوّة، كعلي شفيعي، والحاج أكبر بختياري والحاج يونس. وأي أشخاص آخرين لم يكونوا لتحملوا ما تحمّلوه هؤلاء الشباب تحت نيران العدوّ الشديدة. تخيّلوا مئات الرّصاصات تنهمر فوق رأس شخصٍ في اللّيل، هذا الواقع يقضي على معنويّاتِ أيّ إنسان؛ لكنّ الحاج يونس كان يبدو أكثر سعادةً وقوّةً مع تفاقم الأوضاع.

استغرقت عمليّة «والفجر ٨» بضعة أشهرٍ لقد مكث على الجبهة هناك طوال الوقت؛ ولم يعد إلى الأهواز لأخذ قسطٍ من الراحة أو أخذ حمام دافئ...

في بعض الأزمات، يجب أن يكون القائد حاضراً أو يرسل ممثّلاً يتمتّع بسلطةٍ عاليةٍ في اتّخاذ القرار ومقبولٌ أيضًا لدى القوّات. أي أنّ القوّات يجب أن تعرفه وتعلم أنّه رجل عملٍ ولديه القدرة على إخراجهم من الأزمة. كان

الحاج يونس من هؤلاء.

على سبيل المثال، في عمليّة كربلاء ٣، عندما كان الوضع حرجاً؛ وبما أنّه لم يكن من الممكن حدوث تقدّمٍ إضافيٍّ بحيث توقّفت القوّات تماماً وكان العدوّ يطلق النّار على رؤوسهم من جميع الجهات، رفع الحاج يونس رأسه مرّةً واحدةً وسط كثافة النّيران فى حين لم يكن يجرؤ إلّا القليلين على رفع رؤوسهم، ووضع العارضة على ارتفاعٍ وكان يفتح الطّريق برماياته أمام الأخوة للتّقدّم. هذا لا يحتاج إلى قلب أَسدٍ فحسب، بل كان يُظهر أيضاً حماس الحاج الّذي لا يسمح بضياع ما تمّ تحقيقه؛ حتى لو على حساب حياته وروحه.[1]

كان الأمر كما لو كان هناك جدال مع الله

كنّا جالسين في الخندق في جزيرة مجنون، وكان

١- من كلام الحاج قاسم سليماني عن الشّهيد زنكي آبادي / مأخوذة من الكتاب «الظّهور».

هناك أيضاً السّيّد حميد ميرأفضلي[1]. كنّا نرشد شباب

١- جاء السّيّد حميد ميرأفضلي إلينا أثناء عمليّة خيبر. كنت أنا ورضا عباس زادة وأحمد أميني وعلي عابديني ومحمد قنبري الّذين استشهدوا جميعاً فيما بعد مع آخرين. كلّهم كانوا إمّا قادة كتائب أو مندوبين أو في مكانٍ ما في موقع المسؤوليّة. في حوالي السّاعة الرّابعة فجراً، جاء وطلبنا جميعاً وقال: «يا شباب، تعالوا واجلسوا، أريد التّحدّث إليكم جميعاً». فذهبنا.

قال: «هذه آخر مرّةٍ نلتقي فيها. لن أبقى معكم بعد الآن. هذه هي عمليّتي الأخيرة». كان حزيناً جدّاً في تلك اللّيلة.

وقال: «طلبت من الله شيئين، أحدهما أن أذهب إلى كربلاء على رجليّ، فقد حصل هذا وذهبت إلى مرقد إمامي ومرقد أخ الإمام، وذهبت مرّتين».

اتّضح من بريق عينيه ونبرة صوته أنّه فرح، ثم أكمل قائلاً: «التّالي هو الشّهادة، وهي أيضاً...»

نظر في أعيننا جميعاً وقال: «ادعوا ...»، نظر إلينا أكثر وقال: «لم يعد بإمكاني التّحمّل، لقد غادر الجميع، ويجب أن أذهب أنا أيضاً».

أومأنا إليه وضحكنا عليه وقلنا له أن يخبرنا عن رحلته إلى كربلاء.

فقال: كان هناك عقيد عراقيّ التقينا به. كنّا ندفع له فيأخذنا إلى المنطقة ويرجعنا، وكنّا نقوم أيضاً بالتّصوير والتقاط الصّور. سألناه ذات يوم: «هل يمكننا أن نذهب إلى كربلاء ونعود؟».

قال العقيد: «كلّا! إنّه صعبٌ جدّاً؛ لأنّنا يجب أن نمرّ عبر الشّرطة العسكريّة في البصرة». الفكرة التي لم تخطر ببالنا. كنا نذهب كل يومٍ إلى الجزيرة وإلى سقيفتنا ونواصل عملنا.

كتائب الجيش من أجل العمليّة. أدركت للحظةٍ أنّ السّيّد ليس موجوداً؛ يعني أنه خرج، وقد مضى على خروجه وقتاً طويلاً. فقد ظننت أن هذه النيران الغزيرة قد نالت منه.

لـم أكـن أريـد أن أفكّر بطريقةٍ أخـرى. لكن فـي النّهاية،

ذات يـومٍ جاء العقيد وقـال: «لقد وصلتم لأمنيتكـم». ذهبت وقمت بكلّ مـا يلـزم، سـأصطحبكم إلـى كربـلاء. لم نصـدّق، لقـد طلـب مـالاً إيرانيّاً، وأعطينـاه ليصرّفهـا ويعود. ذهبنا في سـيارةٍ عراقيّةٍ ونمنا فـي منزل العقيد ليلاً، وفي اليوم التّالي تحرّكنا نحو كربلاء.

قـال العقيد: عندما تدخلـون المدينة وتذهبون إلـى الضّريح، لا يحقّ لكم البـكاء، ترمون رؤوسـكم إلى الأسـفل، وتغادرون. سـترتدون أيضاً الملابس العربيّة الّتي لديكم.

ذهبنـا، وعندمـا رأيـت أكاليل الزّهور تلـك، تذكّـرت أنّ العقيد قـال إنّه إذا بكينـا، فسـوف يأتـون ويأخذوننـا جميعـاً. تمالكـتُ نفسـي وذهبـت إلـى الضّريـح، ولم نكن هنـاك لأكثر من يومٍ واحد. عدنا خـلال يومٍ واحد، وفي المجموع، مكثنا في الحرم مدّة يومين.

بعد شهرٍ أو شهرين من هذا الزّيارة، طلبنا مرّةً أخرى من العقيد أن يأخذنا. قال: «حسناً». هذه المرّة بقينا في كربلاء والنّجف لمدّة أسبوع.. لقد زرت عنكم جميعاً.

ثـمّ نظـر إلينا وقال: «دعوت كثيراً لأجلكـم، لا تكونوا بخلاء، وادعوا ألّا أبقى أكثر».

لـم تكـن قذائف الهاون تلـك تميّزبين هذا السّـيّد وغيره. كنتُ خائفاً من الجروح والشّـظايا ورحيل السّـيّد. نهضت وخرجـت. نظـرت ورأيت أنّ السّـيّد قد ذهـب وجلس في خنـدقٍ علـى الجانب الآخـر، وكان يتحدّث إلى شـخصٍ مـا. مشـيت ببـطءٍ واقتربـتُ منه، فلـم أرَ أحداً. كان رأسـه مرفوعـاً نحـو السّـماء، وكان يتحـدّث مـع الله ويقـول: متى عليّ أن أُصلح في النّهاية؟ أيّ طريقٍ عليّ أن أسـلكه كي أصل إليك؟

كان الأمـر كمـا لـو كان هناك جـدال مـع الله؛ لا كعدُوَّين، بـل مثـل صَديقَيـن. كان يقـول: قـل لـي، أنـا السّـيّد حافـي القدمين(١)، ماذا أفعل، أيّ طريقٍ يجب أن أسلك للخروج

١- كان السّيّد حميد ميرأفضلي يسمّى «حافي القدمين» في الجبهة. كان السّـيد حميـد حافي القدميـن في الحرّوالبرد في سـاحات القتـال. وكلّما سُـئل عن سـبب كونه حافـي القدمين لـم يجيب حتى قال ذات مرّة: «أنا حافـي القدمين لأنّ الكثيرمن الدّماء أريقت على هذه الأراضي دفاعاً عن الوطن الإسلاميّ».

من هنا؟ لم أعد أستطيع التّحمّل. أنت تعلم جيّداً أنّي لم أعد أستطيع... لذا أرِحني!

كان أحمد خُلاصة عن الإمام

كانت تربية الإمام الرّاحل في مجتمعنا مثل تلك الخلايا الجذعيّة التي أحدثت التّغيير، وظهر هذا التّغيير أيضاً في الأماكن الّتي كان له أثر فيها، كالأشخاص الّذين كانوا بطريقةٍ ما كالإمام. بالطّبع، فإن أولئك كانوا حرفيّاً خُلاصةٌ عن الإمام في أبعادٍ مختلفةٍ من سلوك الإمام، روحانيّة الإمام، وشخصيّة الإمام لكنّهم لم يكونوا بمستوى الإمام. في الحرب، كان للإمام الرّاحل تأثيرٌ أيضاً وكانت هناك شخصيات خلاصاتٍ منه. كان أحمد أحد هذه الخُلاصات، ولم يكن ذلك بسبب اتّصال أحمد بالإمام؛ بل كان بسبب وَفرة حبّه للإمام. الآن سأذكر صفاته، وما كان تأثير أحمد على المجموعة في الحرب، ممّا جعلنا

نقول إنّ جزءاً من شخصيّة الإمام الرّاحل الوجوديّة تبلورت في شخصٍ مثل أحمد كاظمي[1].

١- كان يوم ١٠ كانون الأوّل ٢٠٠٥، عندما صَدَمت الأخبار السّيّئة الجميع؛ وتحطّمت الطّائرة الّتي كانت تقلّ قائد القوّات البرّيّة لحرس الثّورة الإسلامية مع مجموعةٍ أخرى من قادة الحرس بالقرب من أرومية، ممّا أدى إلى استشهاد جميع ركّابها.

حتّى ذلك الحين، ربّما كانت قلّةٌ من النّاس تعرف الجنرال أحمد كاظمي كقائدٍ للقوّات البرّيّة في حرس الثّورة الإسلامية الإيرانية. لكنّ أحمد كاظمي كان اسماً معروفاً بين قادة الدّفاع المقدّس والقوّات المسلّحة.

أثناء وبعد الدّفاع المقدّس، كان الجنرال كاظمي أحد أهمّ القادة المؤثّرين في حرس الثّورة الإسلامية. وقد أظهر تواجده في مناصب، مثل قيادة فرقتي النّجف الأشرف الثامنة والإمام الحسين عليه السلام الرّابعة عشر وقيادة قاعدة حمزة سيّد الشّهداء وقيادة القوّات الجوّيّة والبرّيّة لحرس الثّورة الإسلامية، قوّته القياديّة العليا.

ولد الشّهيد كاظمي في نجف آباد بأصفهان عام ١٩٥٨، وقضى طفولته ومراهقته في نفس المدينة. في سنّ السّابعة عشرة ذهب إلى سوريا للدّفاع عن الشّعب الفلسطينيّ وخضع للتّدريب العسكريّ، وخضع في أحد مقارّ حركة فتح لدوراتٍ في الحرب غير النّظاميّة.

لقد عاقبتهم الثّورة

مع بداية نضالات الأمّة الإيرانيّة ضدّ النّظام الإمبراطوريّ، بدأ أحمد أيضاً نضاله ضدّ الشّاه واعتقله السّافاك مرّةً واحدةً. يقول محسن رضائي عن نضالات أحمد كاظمي قبل الثّورة: «نشط في عامَي ١٩٧٧ و١٩٧٨ في

التّظاهرات والمسيرات وتوزيع المناشير وكتابة الشّعارات. في آخر محرّم قبل انتصار الثّورة، تعرّف عليه عملاء السّافاك واعتقلوه من بين جموع موكب العزاء. بقي في سجن السّافاك لعدّة أشهرٍ وتعرّض لتعذيبٍ شديدٍ. وكان الشّرطيّ قد لَكَم أحمد على فمه بحذائه، ونزف أنفه حتّى شهرٍ بعد إطلاق سراحه. بعد انتصار الثّورة، طلب منه المسؤولون القضائيّون في نجف آباد تسجيل التّعذيب الخطير الّذي تعرّض له حتّى يتمكّنوا من محاكمة المسؤولين، لكنّه لم يقبل وكان يقول: «لقد عاقبتهم الثّورة». اللّافت أن أحد هؤلاء، قبل استشهاد أحمد ببضع سنواتٍ، طلب من أحمد كاظمي المساعدة في نقل ابنه من جامعة آزاد من مدينةٍ إلى أخرى، وقد أوصى أحمد جامعة آزاد بحلّ مشكلته.»

تشكيل فرقة النّجف الأشرف بخمسين فردٍ

بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة، توجّه أحمد كاظمي، مع بداية الحركات الانفصاليّة في كردستان، بمجموعة قوامها ٥٠ شخصاً، إلى المناطق الغربيّة من البلاد لمواجهة أعداء الثّورة.

ومع بداية الحرب المفروضة، توجّه إلى المناطق الجنوبيّة من البلاد وتولّى مسؤوليّة الجبهة الفيّاضيّة في منطقة آبادان. شكّلت مجموعةٌ مكوّنةٌ من ٥٠ شخصاً، مع أحمد كاظمي، النّواة الأولى للتّشكيل العسكريّ، الّذي أصبح لاحقًا أحد أقوى الفرق العسكريّة في إيران، وسمّيت المجموعة فرقة النّجف الأشرف الثّامنة.

أصبح أحمد كاظمي، الّذي كان شابّاً مجهولاً في بداية الحرب، قائداً قويّاً ومؤثّراً في السّنوات التّالية، لدرجة أنّه أعلن تحرير خرمشهر عبر اللّاسلكيّ خلال عملية بيت المقدس.

يبيّن الحاج قاسم سليماني خواصّ ومميّزات الشّهيد أحمد كاظمي في

ذكرى أربعينيّته في حوارٍ مشتركٍ مع الجنرال رشيد. يقول الحاج قاسم في هذا الحوار عن إدارة الشّهيد كاظمي ما يلي:

كان أحمد فطِناً ومدبّراً

كانت الفِطنة من سمات أحمد، أيّ أنّه في المعنى الحقيقي كان مدبّراً. لم ينتظر حتى يتمّ إخباره في المعسكر عن خطّ جيشه. عند مناقشة منطقة عمليّةٍ ما، كان دائماً ينظر إليها من زوايا عديدة؛ لذلك كانت موافقاته منطقيّةً، وكذلك كانت اعتراضاته منطقيّةً أيضاً.

ثانيًا، عندما أراد اختيار خطّ الحدود، كان لمعارضته أو موافقته في العمليّة تأثيرٌ على كيفيّة عمل فرقة النّجف الثامنة. على سبيل المثال، أنظروا إلى جميع الخطوط الحدوديّة التي اتّخذتها فرقة النّجف. أصرّ أحمد على أنّ النّصر والهزيمة لن يكونا على عاتق أحد.

في الواقع، اعتمدت فرقة النّجف وأحمد بدرجة أقلّ على فصائليهما الموجودة على أطراف المحاور الّتي يعملون فيها. كان دائماً يختار أن يكون هذا الفصيل طبيعيّاً أو أنّه يختاره بطريقةٍ تؤثّر على العمليّة بأكملها؛ مثل عمليّة والفجر٤. في هذه العمليّة، توقّف حسين خرازي تحت مرتفعات صخرة المعادن. توقّفت عند قمّة بنجوين، وتوقّف الحاج همّت على مرتفعات خلوذة، كما توقّف باكري على مرتفعات كنكرك، وعندما أتى إلى عمله، جرّد «خلوذة» و«بنجوين» من مميّزاتهما وسيطر عليهما. كان هدف أحمد هو الحصول على مرتفعات لورستان. كانت عمليّة أحمد عمليةً صعبةً. في عمليّة والفجر٤، كان الضّغط على أحمد أكبر من الضّغط علينا جميعاً؛ لأنّه أراد أن يأتي عبر حقل الألغام من سهل شيلر؛ كان الجناح مفتوحاً للوصول إلى لورستان، وكانت قمّة واحدة؛ لكنّه اختار أن يأخذ النّقطة، ويحرّر المنطقة بأكملها، وقد قام بذلك.

في الحقيقة، خلال عمليّة «الفتح المبين»، لم يكن أحدٌ في الجناح الأماميّ لأحمد، فقد جاء من زليجان إلى وسط جبل المشداغ وخرج إلى منطقة «الرّقابيّة». كان هذا الجانب أيضاً مرتضى قرباني، ورؤوفي كقائد فرقة وليعصر السّابعة، ومتوسليان، وكنت أنا في هذا الجانب، وكان خرّازي أيضاً. وصل إلى الخطّ الحدوديّ بيني وبين خرازي وأسقط الجميع بما فعله.

وتجدر الإشارة إلى مناورة أحمد في عمليّة بيت المقدس حين سار بمحاذاة نهر الخين والتفّ حول العدوّ. حتّى في المرحلة الأولى، كان التّكتيك الّذي اعتمده حين جاء من أعالي «دار خوئين» وقصم ظهر العدوّ مهمّاً جدّاً.

كان أحمد مميّزاً في التّخطيط والقيادة

في عمليّة كربلاء ٥، جاء إليّ أنا ومرتضى قرباني برفقة حسين خرازي وزاهدي. ذهب في اليوم الأوّل إلى الغرب من قناة الصّيد ونظر إلى الجبهة، كان يبدو مستاءً، وشعرتُ أنّه يعتقد بعدم وجود أحدٍ يعتمد عليه للقيام بهذا العمل. لم يقل لنا كلّا على الرّغم من إصراري أنا ومرتضى هناك، لأنّنا كنّا في ساحة الحرب، لكن اتّضح أنّ الإجابة كانت لا. جاء وأخذ هذه الزّاوية من السّيف خماسيّ الأضلاع وأسقط المنطقة الّتي أمامه بالإضافة لطريق «شلمجة».

لذلك نقول إنّ أحمد كان يتمتّع ببراعةٍ فائقةٍ في التّخطيط والقيادة. على سبيل المثال، في عمليّة رمضان، أنظروا إلى المكان الذي يهاجم فيه أحمد؛ كما أنّه يتحرّك مباشرةً إلى الطّرف الشّمالي لقناة الصّيد. هذه الحركة، تعني أنّ كلّ شيءٍ حتّى شلمجة، يصبح بدون مميّزات وعديم الفائدة. التفت الفرقة السادسة من خلفها واستطاعت كسر الصفوف

الخلفية للعدو عبر تشكيلات ثلاثية. في آبادان، اختار أيضاً مكاناً مميّزاً حتّى يُفقد بقيّة المناطق دون أي ميزة.

لماذا اختار أحمد الفيّاضيّة؟

يروي مهدي كياني: كنت جالساً في فيلق آبادان، أتى مهدي وأخبرني أنّ شخصاً جاء من أصفهان ويريدني في حاجةٍ. جاء وقال: «أنا أحمد كاظمي، وقد أحضرت بعض القوّات إلى هنا، فأعطونا خطاً للدّفاع». قلت له: «تعال بعد الظّهر لنتحدّث».

جاء في فترة ما بعد الظّهر وكان هناك مكان بجوار «بهمن شير» حيث اعتاد العراقيّون المرور عبر هذه التّلال لهجوم أو العمل الاستخباراتيّ، وعرضته على أحمد وطلبت منه الذّهاب إلى هناك. غادر ثمّ عاد بعد فترةٍ وقال: «هذا ليس من شأننا، أعطني مكاناً مفيداً». في عام ١٩٨٠، وليس عام ٢٠٠٥، قال: «أعطني مكاناً مفيداً ويمكنني استخدامه».

ذهبت إلى كلهر في الفيّاضيّة وقلت له أن يأتي إلى هنا. قال إنّ هناك مكاناً قريباً من العراقيّين يناسبه: «هذا مكانٌ جيّدٌ بالنّسبة لي». بعد ذلك جاء كلهر وقال: «أخبرنا أحمد أن نذهب إلى الجانب الآخر»، ووقف أحمد هناك للحصول على نتيجة.

هذه المسافة المحدودة بيننا وبين العراقيّين، والّتي لم تكن كبيرة، أصبحت النّقطة الهشّة للعراقيّين، وكان لها دور مهم في منع سقوط آبادان وكسر الحصار عليها. كان الأمر كما لو أنّ هذه المهارة والبراعة كانت مختبئةً باستمرارٍ في أحمد منذ اليوم الأوّل. في منطقة آبادان، يمكن رسم الخطوط في أيّ مكانٍ، ولكن لماذا اختار أحمد الفيّاضيّة؟ لأنّه كان يعلم أنّه إذا مارس الضّغط، يمكنه أن يغلق الجسر في وجه العراقيّين ويجعل الجبهة بأكملها غير فعّالة، وهذه كانت من صفات أحمد في الجبهة.

الآن هناك الكثير من النّقاش حول هذا الموضوع، فكلّ هذا فيه الكثير من التّفاصيل.

أحمد هو الشّخص الّذي أحدث تغييرا كبيرا في نظام القوّة الدّفاعيّة

كانت المميّزة الأخرى بُعد نظر أحمد، والّتي أصبحت أكثر وضوحاً في نهاية الحرب وبعدها. كما ترون إدارة أحمد الآن، كانت هي نفسها تماماً أثناء الحرب. خلال الحرب، جلس السّيّد محسن ومجلس القيادة واختاروا منطقة العمليّات. لكنّ موضوع التّخطيط للعمليّة وكيفيّة استخدام المنطقة متروكٌ لأحمد وآخرين. استفاد أحمد من الإدارة وكان بعيد النّظر في هذا الأمر. أي عندما كان في سلاح الجوّ، كان يشعر أنّه في يومٍ من الأيّام سوف نواجه حتماً هذا الموقف أو ندخل في حربٍ في مكانٍ ما، بعد انتهاء الحرب العراقيّة الإيرانيّة.

عندما تذهب إلى سلاح الجوّ، ترى أنّ أحمد يعير الاهتمام لترسانة ومنظومة صواريخ حرس الثّورة الإسلامية. لا أريد التّقليل من دور السّيّد شمخاني، لكنّ الشّخص الذي أحدث تغييرا كبيرا في نظام القوّة الدّفاعيّة، كان أحمد. يعلم الأخ رشيد أنّه استغرق وقتاً طويلاً وقضى وقته ليل نهار لإنهاء مسألة صاروخ شهاب ٣، وكانت تواجهه أمورٍ أخرى أيضا، على سبيل المثال كان أحمد يصرّ على إدخال نظام مروحيات جديد يحقق خرقا في الجمود الّذي كان سائدًا في ذلك الوقت. أصرّ على تصميم طائرةٍ قصيرة المدى تستطيع التحليق على ارتفاع منخفض؛ وتكون فعّالة لدعم الجبهة؛ أي أنّه كان يملك بصيرةً وبُعد نظرٍ منذ ذلك الوقت.

لطالما كنت أقول: كم تعمل يا أحمد؟

تمتّع أحمد بميزةٍ أخرى هي استغلال الفرصة في البُعد التّكتيكي وفي البُعد الاستراتيجيّ. في البعد التّكتيكي، عندما كان يضرب العدوّ، لم

يكـن ليتوقّـف إلّا عند اللّحظـة الّتي كان يحصل فيها علـى نتيجة. انظروا إلى جميع عمليّاته، تستطيعون رؤية هذا الأمر؛ لم يُجبَر يوماً على التوقّف عـن القصـف. أينمـا كان المسـار مفتوحـاً، كان يواصـل ضغطـه للوصول إلـى النّقطـة الّتـي كانت الهدف من عملـه. هكذا كانـت كلّ عمليّاته. قد لا تعرفـون، على سـبيل المثال، أنّـه توقّف تحت مرتفعات لورسـتان، وفي المرحلـة الثّانية ذهب إلى الوسـط، ثمّ قام بالتفافٍ وسـيطر على لورسـتان وأنهـى العمليّـة التـي كانت تجـري هناك فـي خطوةٍ واحـدةٍ؛ أي أنّنـا لم نرَ عمليّاتٍ لأحمد تقسّمت على مراحل؛ باستثناء العمليّات واسعة النّطاق الّتـي تولّـى فيهـا أحمد القيـادة وكانت تُحسـب لـه كإنجاز. كانـت جميع العمليّات على هذا النّحو.

كما ترون، حتّى خلال عمليّة «بدر»، كلّما تطوّر سـير العمليّة، كان يتحرّك بشـكلٍ مسـتقيمٍ حتّى وصل إلى نهر دجلة، ثمّ عبر نهر دجلة وذهب ووقف على جانب طريق العمارة -البصرة، متجاوزاً منطقة الرّوطة بأكملها حتّى قناة السّويب.

كان يدل هذا على استغلاله للفرص في عملياته التّكتيكية والاستراتيجية. عندمـا وصل أحمد إلى القوّات البرّيّـة، كان يضرب العدوّ بتوقيته. لطالما سـألته: كـم تعمـل يـا أحمـد؟ عندمـا كان في القـوّة الجويّـة، أحسـبوا فترة وجـوده فيهـا؛ أنا لا أريد أن أقلّل من عمل الآخريـن لا قدّر الله؛ لكن اجمعوا كلّ الفترات الأخرى باسـتثناء فترة السّـيد قالیباف، سترون أنّه حقّق قفزةً. خـلال تواجـده فـي القّوة البرّيّـة، كان يركـض حينها كالّـذي لا يملك وقتاً للوصـول إلى نقطةٍ معيّنـةٍ والحصول على نتيجةٍ اسـتراتيجيّةٍ. كان أحمد فريداً حقّاً في هذه المواضع. كما أودّ أن أذكر أنّ أحمد كان يعتبر أنّ الفرص محدودةٌ من النّاحية الزّمنيّة، سـواء في التّكتيك أو الإستراتيجيّات؛ كمن

ليس لديه وقت؛ هذه هي الطّريقة الّتي كان ينظر بها إلى القضايا.

لقد حدّد نظاماً خاصّاً لكلّ شيء

انضباط أحمد كانت من السّمات الأخرى التي كان يتمتع بها. انظروا إلى الانضباط في قراراته بشكلٍ عام، فعندما كان أحمد في سلاح الجوّ، ترون أنّه قد حدّد نظاماً لكلّ شيء. أينما ذهبت تستطيع رؤية تنظيمه. لن تجد مكاناً فوضويّا في سلاح الجوّ. في الثّكنة الّتي كان يتواجد فيها، على الرّغم من أنّه مبنى قديمٌ ومتهالك؛ لكنّه استطاع تنظيمه وترتيبه ومنحه هيكليّة مناسبة.

ساحة التنظيم الصّباحيّة هي أفضل ساحةٍ صباحيّةٍ، وكذلك فإن المقبرة الّتي أنشأها للشّهداء هي أجمل المقابر. هذا التّنظيم كان يتكرّر في أيّ عمل يقوم به أو قاعدة يذهب إليها. كم سنة مرّت على قاعدتنا الجويّة؟ مرّت خمسون سنة، اذهبوا وانظروا، هذه أيضاً من إنجازات أحمد؛ فكانت أفضل القواعد نظرًا للإمكانات الّتي كانت آنذاك. كان خطّ أحمد كاظمي هو الأنظف خلال الحرب. كان عمله الأفضل، وطعامه كان أفضل طعام، كان يمكن رؤية الانضباط في كلّ مكان، في ترتيب الخنادق، في ترتيب الأسلحة و... أنظروا إلى مذكّرات الإمام القائد، يقول: «عندما زرتُ جيش النّجف، كانت فرقة أحمد كاظمي هي الفرقة الأولى الّتي كانت قد جهّزت قائمةً خاصّةً بالدّبّابات». كان لديه خطّة للجميع ولكلّ شيء، وكان هناك انضباطٌ خاصٌّ في جميع أعماله؛ ليس لأنّه كان لديه تأديبٌ صارم، كلا؛ كان كلّ شيء في مكانه، وما كان يفعله هو الشّيء الصّحيح الّذي ينبغي فعله.

كان أحمد يقلّب أماكن الجميع!

بعد الحرب، ظهرت سِمتان لأحمد، برأيي طوّرتا العديد من الصّفات

الرّوحيّة لديه. كانت إحداهما أدب أحمد والأخرى كتمانُه للسّرّ. نادراً ما رأيت هذه الصفات تجتمع في شخصٍ واحد. من الصّعب على قائدٍ عسكريّ أن يكون له مثل هذه الشّخصيّة، والقول إنّ أحمد كان خلاصةً عن الإمام، قولٌ صحيحٌ حقّاً.

راقبوا، عندما كان حسين خرازي يرتدي قميصه فوق بنطاله، فإنّ ٩٩٪ من لواء الإمام الحسين عليه السلام كانوا يلبسون قمصانهم فوق سراويلهم. كما قاموا بتقليد نبرة صوت حسين، وذكر حسين، وطريقة مشي حسين؛ أحمد كان كذلك أيضاً. كانوا يقلّدونهم فعلاً. لقد كانوا حقّاً قدوةً ومثالاً يُحتذى به وكان لديهم الكثير من التّأثير على الآخرين.

كان أدب أحمد رائعاً، وأعتقد أنّ أدبه كان مفتاح كلّ شيءٍ وجعل الكثير من الأمور تبدو أفضل. مثالٌ على تواضع أحمد كان في الاحتفالات المختلفة؛ على سبيل المثال، خلال أسبوع الحرب، عندما يتمّ دعوة القادة أو في يوم من الأيّام يتمّ دعوة هيئة الأركان العامّة إلى اجتماع، يكون ترتيب المقاعد متناسباً مع الرّتبة والدّرجة والموقع، ولكلّ فردٍ مكانٌ محدّدٌ. كان من أسباب رفضي حضور بعض الاحتفالات هو أخلاق أحمد وتواضعه الكبير؛ كانت معركةٌ في المقرّ؛ كان أحمد يقلّب أماكن الجميع ويبدّلهم حتّى يظل واقفا هو في النّهاية، ولا يمكن أن تجري الأمور خلاف ذلك. إذا أردنا الذّهاب في رحلةٍ ما بثلاثة سيّارات على سبيل المثال، كان يستقل السيارة الخلفية ويتوقف لفترات طويلة بحيث تكون كل السيارات أمامه. حتّى في زحمة السّير، كان أدبه مميّزاً. فتّشوا بين أصدقاء أحمد، لن تجدوا أحداً يذكر أنّ أحمد قال سوءاً في أحدٍ أو اغتاب شخصاً في يوم من الأيّام. إذا اعترض أحدٌ، يقول شيئاً مقتضباً ولا يلتفت إلى الموضوع كثيراً. كان يفضّل الجميع على نفسه. طبعاً من الممكن

أن يكـون أحدهـم قـد رأى أحمد كاظمـي في الحرب ولم يكـن على معرفةٍ بـه ويقول إنّ أحمد شـخصٌ عنيـدٌ؛ لكنّه لم يكن كذلـك وهذا الحكم غير صحيح.

كم شخص يعرف أنّ أحمد كان مؤسّس جيش النّجف الأشرف؟!

وأمّا كتمانُه للسّرّ؛ كم شخص منّا يعرف أنّ أحمد كان مؤسّس لواء النّجف الأشـرف، في حين كنا نتسـاءل عن مؤسـس هذا اللواء. قالوا يشـيرون إلى أحمـد كاظمـي ولا يعرفونـه، كـم شـخص كان يُدرك مـا يُدركـه أحمد؟ كم شـخص منّا يعرف أنّ أحمد تخلّى عن كلّ رفاهيةٍ يمكنه الحصول عليها من أجل الدّفاع عن الولاية؟ كم شخص منّا يعرف هذا؟ كم مرّة قيل هذا؟

لم يأتِ مرّةً ليقول إنّني مُصاب

حتّـى يوم استشـهاد أحمد، لـم نكن نعلم أنّـه كان مصاب بجـروح كثيرة. والله، لـم يقـل أحمـد يومـاً أنّ هذه الشّـظيّة أصابت رأسـي، أو أصابتني في وجهي، ولم يأتِ مرّةً ليقول إنّني مُصاب. كنتُ أنا أقرب النّاس إلى أحمد، ولم أكن أعلم أنّه مُصاب إلى هذا الحدّ، ولم يقُل شيئاً قط! يشهد الله أنّه لم يتكلّـم قـطّ. كان لأحمد العديد من الصّفـات، ودائماً ما كان يتحدّث عن الانقطـاع عـن الدّنيا! كان رجلاً غريباً حقّاً. أي كلّمـا ابتعد المرء عنه كلّما شـعر أن يبتعد عن القمة التي كان أحمد موجود فيها. لقد كان حقّاً كقمّة الجبـال. كان مختلفاً، وتميّز بفضائل كثيرةٍ، ولهذا السّـبب أقول إنّ أحمد كان حقّاً خلاصةً لشخصيّة الإمام الخمينيّ ﷺ في أبعادٍ مختلفة.

لقد لعب أحمد دوراً حقيقيّاً في جميع العمليّات، ممّا كان له أثراً إيجابيّاً على جميع المحاور الأخرى، وهي نعمةٌ من الله تشمل البعض.

هذان الشّخصان كانا المحررين لخرمشهر

على أيّ حال، فإنّ عمليّة بيت المقدس وتحرير خرمشهر سيبقى مخلّدة في أذهان النّاس إلى الأبد. قد تُنسى عمليّة الفتح المبين، وكسر حصار آبادان، ومعركة الفاو، وحتّى عمليّة والفجر١٠؛ لكن لا ينبغي نسيان خرمشهر. أمّا كيف حدث أنّنا لم نجرِ القرعة بين هؤلاء العشرين من قادة الفرقة؛ لكن في نهاية المطاف، سَلّمت قيادة العملية لحسين وأحمد. بمعنى آخر، فإن الله قد أعطى مفتاح تحرير هذه المدينة لأحمد وحسين، وكان هذان الشّخصان المحررين لخرمشهر؛ أي أن قائدين من قادة الفرقة تسلّما عملية تحرير خرمشهر، وهذين القائدين كانا حسين وأحمد. وكانت خرمشهر المدينة التي قُدّر أن يذهب لها هذين القائدين وتبقى في قلبهما للأبد. لم يتحدّث حسين شيئاً عن عملية التحرير طالما كان على قيد الحياة، وكذلك فعل أحمد، لم يقل شيئاً أيضاً. لم نسمع أبداً من الآخرين، ولم يتحدث هو نفسه شيئاً؛ بأن يقول كنتُ في خرمشهر وفعلتُ كذا وكذا! مطلقا!

ماذا حصل في سريلانكا؟

يقول محمّد باقري أنّه كان ضمن وفدٍ في سريلانكا عام ١٩٩١ ضمّ أحمد أيضاً. يقول محمّد، الّذي كان على رأس الوفد: «لقد عرّفته على قادة ومسؤولي سريلانكا وقلت لهم: أحمد هذا هو مُحرّر خرمشهر». فقال حينها: «دعك من هذا الأمر». ولاحقًا خلال الأيّام الأربعة أو الخمسة المقبلة، تجمعت جميع البعثات حول أحمد، وكان أحمد ذلك القائد القويّ بالنّسبة لهم، فهو محرّر خرمشهر، وكانوا يهتمون لكل ما يقوله ويكتبونه على الفور.

هل تعتقدون أنّه يمكننا العثور على شخصية مثل أحمد كلّ ٢٠٠ عام؟ يبدو أن الأمر صعبا إن ظننا أنّ جامعاتنا وكليّاتنا يمكنها تخريج أشخاص

كأحمد كل فترة، كلّا! كان أحمد عُصارة شخصٍ يأتي كلّ بضعة قرون. لقد جاء وحقّق مثل هذا الإنجاز، ثمّ انتهى الأمر وغادر.

كم تبلغ قيمة الصّواريخ؟

يقول الجنرال الشّهيد حسن طهراني مُقَدّم: «في إحدى العمليّات ضدّ المنافقين، كان من المفترض أن نستهدف منطقةً بالصّواريخ. كنت قد جهّزت الصّواريخ وزوّدتها بنظام التوجيه، وكانت من تلك الصّواريخ الحديثة. فجاءني نداء من داخل العراق: هل أنت مُستعدٌّ يا مُقَدّم؟

قلت: أجل.

قال: كم تبلغ قيمة الصّواريخ؟

قلت: وهل تريد أن تشتري؟

قال: قُل، كم تستحقّ؟

قلت: ستة آلاف دولارٍ مثلاً.

قال: لا ترمِ، فَهُم لا يستحقّون قيمتها!»

من المُستبعد جدّاً أن تحضر قائداً في منتصف عمليّةٍ ويتصرّف بهذا القدر من الحذر والحكمة. أيّ شخصٍ عندما ينهي عملاً ما يحبّ أن يطلق رصاصة الأخيرة بنفسه كي يلتقط الصّور مع هذا النّجاح؛ لكنّ الجنرال كاظمي كان يهتمّ لرضا الله ويهتم لشؤون بيت المال فقط في عمله. هل تعلمون لماذا؟ لأنّ قدوته كان أمير المؤمنين عليه السلام؛ فعندما كان يريد القضاء على العدوّ، كان يتريّث قليلاً، لكي يتخلّى عن هوى نفسه، ثم يقوم بعد ذلك بالقضاء على عدوّه قربةً إلى الله تعالى ولنيل رضاه.

كان أحمد كاظمي البطل المجهول لزلزال بم

في السّاعات الأولى لزلزال بم، فشل النّظام الإداريّ والخدماتيّ في

كان أحمد أكثر بروزاً منّا جميعاً

كان لأحمد كاظمي بعض الصّفات الأساسيّة الّتي

محافظتي بم وكرمان بالكامل. ولم تبدأ الإدارات عملها إلا بعد مرور ٢٤ ساعة.

لم يكن الحاج أحمد الرّجل الوحيد الذي شارك خلال سنوات المقاومة والجهاد ضدّ العدوّ البعثيّ. في نفس اليوم الذي وقع فيه الزّلزال، شحّ جميع الإمكانات الجوّيّة الموجودة لدى سلاح الجوّ التّابع لحرس الثّورة الإسلامية من طائراتٍ ومروحيّاتٍ، إلى المنطقة وتمركز هناك. من خلال تكتيكه، كان تحلق طائرةٌ أو مروحيّةٌ كل اثنتي عشرة دقيقة من أجل نقلّ الجرحى، ممّا ساعد في إخراج أكثر من ٣٠ ألف مصابٍ من بم عبر أكثر من ٦٠٠ طلعةٍ جوّيّةٍ ونقلهم إلى المستشفيات في مدنٍ أخرى، الأمر الذي ساهم في إنقاذ آلاف الأرواح. كما شارك شخصيّاً في عمليّات إنقاذ النّاس من تحت الأنقاض فيما كانت عينيه تفيض بالدّموع.

يقول السّيّد محسن رضائي: «عندما وصلت إليه في اليوم الثّاني لزلزال بم، كان بجانب المدرج في لاندكروزر حيث كان يتابع عمليات الإنقاذ عبر اللّاسلكيّ، فكان يتحدّث إلى الطّيّارين وطواقم الطّيران من جهةٍ وعمّال الإنقاذ على المدرج من جهةٍ أخرى. وكان وجهه المتعب يشير إلى أرقه وقلّة نومه. نمت في اللّيل لبضع ساعاتٍ في إحدى الخيام المجاورة للمدرج، وعندما استيقظت قبل صلاة الصّبح، نظرت إلى المدرج ورأيت أحمد وكان لا يزال يعمل.»

استسلم أحمد للنوم بعد مرور أكثر من مئة ساعة من العمل ولم يحدث هذا إلّا لأنه فقد وعيه.

أخذها من الإمام. صحيحٌ أنّها كلّها من دين الإسلام، لكنّ الإمام كان يجسّد نموذجاً، وعندما كنّا ننظر إلى الحرب كنّا نرى أنّ أحمد هو الأبرز في هذه الأشياء التي أذكرها. كانت لأحمد خمس خصائص مهمّةٍ شوهدت في لواء النّجف خلال الحرب، حتّى أنّنا عندما ننظر إلى لواء النّجف فلا يتبادر إلى ذهننا سوى أحمد. عندما تذكرون لواءً ما يتبادر إلى ذهنك العوائق والمشاكل التي واجهت ذلك اللواء، لكن عندما تنظرون إلى لواء النّجف فلا يخطر ببالكم سوى أحمد.

كانت مهارة عظيمة أن يأتي شخصٌ ويقوم بناء لواء داخل مدينةٍ ما، ثم لا يكون هذا اللواء موازيً البقية الألوية التي تمتلك الإمكانات الكبيرة، خاصّةً لناحية الكوادر، بل يصبح هذا أيضاً مفتاح الحرب الرّئيسيّ. كان دور أحمد محوريّاً، لذلك كان يُختَصر كلّ شيء فيه، أي كلّ

المبـادرات والمواضيـع المختلفة. هـذا لا يعني أنّ أحمد كان يختصـر ويلغـي أدواء الجميع فقد كان الناطق بسـان الجميع[1] ويتحدّث عن مبادرات الجميع وخططهم. في الحقيقة كان يمكن معرفة الصورة العامة من خلال الشرح الذي كان يُقدّمه هو. بالطّبع، حسـين خرازي كان كذلك أيضاً، لكنّنا نتحدث الآن عن أحمد.[2]

توسّلوا إلى أحمد ليغادر منطقة بدر

مـن بيـن العمليّـات العشـر الرّئيسـيّة خـلال الحـرب، وهـي عمليّات «ثامـن الأئمّـة»، «طريق القـدس»، «الفتح المبيـن»، «بيـت المقدس»، «بدر»، «خيبـر»، «والفجر ٨»، «كربـلاء ٥»، «والفجـر ١٠»، كان أحمـد المنقـذ فـي سـتّ عملياتٍ على الأقلّ.

١- جزءٌ من حديث الحاج قاسم في أربعين الشّهيد الحاج أحمد كاظمي.
٢- جزءٌ من حديث الحاج قاسم في أربعين الشّهيد الحاج أحمد كاظمي.

لقد استطاع الصمود في عمليّة «ثامن الأئمّة» كيلا تسقط آبادان بيد العدوّ. وشكّل مع حسين المحوَرين الأساسيّين لكسر حصار آبادان. خلال عملية «بيت المقدس»، تحديداً في اللّيلة التّاسعة عشر أو الثّامنة عشر، عندما كنّا جميعاً مُتعبين، وكان الجميع مهووساً بتأجيل العمليّة لمدّة أسبوعين، تحدّث حسن باقري وقال: «لقد قدمنا وَعَدنا للإمام». قلنا إنّ خرمشهر محاصرةٌ، فكيف نعود؟!

كان الجميع مُتعبين. لأنّنا بدأنا عمليّة «بيت المقدس» بعد ٤٠ يوماً من عمليّة «الفتح المبين». استولت فرقتان على خرمشهر. وكان لكلٍّ منهما خمس كتائب، أي ٣٠٠٠ رجل مقابل ٢٠٠٠٠ جنديٍ مُعادٍ، وكانت هذه كتائب أحمد وحسين. اقتصرت كلّ الإنجازات في عمليّة «خيبر» على ما قدّمه أحمد. في «بدر»، كان مثل النّيزك، واستطاع شقّ

الجبهة واختراقها.[1]

الصّوت الّذي يجب أن يسمعه كلّ الإيرانيّين

كانت هناك صداقةٌ حميمةٌ بين الشّهيد مهدي باكري والشّهيد كاظمي. توجّه مهدي إلى الغرب من نهر دجلة وأقام في أحد المباني. عندما حاصر العدوُّ الشّهيد باكري، وكان جريحاً ضعيفاً، تجلّت ثقته من خلال صوته قبل أقلّ من عشرين دقيقةٍ من استشهاده، بجب أن يسمع كل الإيرانيين هذا الصّوت.

في تلك اللّحظات، أصرّ الشّهيد كاظمي على الشّهيد باكري أن يتراجع إلى الخلف. لكنّ الشّهيد باكري قال للشّهيد كاظمي: «أحمد! تعال أنت إلى هنا. فلو أتيت إلى هنا، أظن أننا لن نفترق إلى الأبد». واستشهد باكري ولا يزال جثمانه مفقوداً.

١- مذكّرات الحاج قاسم سليماني عن الشّهيد أحمد كاظمي.

لا أنسى، عندما استشهد مهدي باكري في وقت متأخّر من اللّيل، كان جميع المقاتلين قد أخلوا منطقة عمليّات «بدر» وتراجعوا إلى الخلف، ولم يبقَ سوى ١٠ أشخاص كانوا يصرّون ويتوسّلون إلى أحمد ليخرج من المنطقة إلّا أنّه لم يقبل، وكان يقول: «لماذا أصبحت حربنا هكذا؟! لماذا صارت بهذا الشّكل؟!».[١]

أحيا ذكرى الشّهيد خرازي مدّة ١٩ عاماً

في كلّ مرّةٍ يفقد فيها أحدٌ عزيزاً، يبقى يذكره سنةً أو سنتين أو أربعين يوماً. من النّادر أن يرتبط شخصٌ مع شخصٍ فقدَه لفترةٍ طويلةٍ. بقي أحمد كاظمي يذكر حسين مدّة ١٩ عاماً. لم يكن هناك جلسةٌ، اجتماعٌ رسميٌّ، لقاءٌ ودّيٌّ، اجتماعٌ عائليٌّ، ولا سفرٌ إلّا وذكر فيه باكري وخرّازي وهمّت.

١- مذكّرات الحاج قاسم سليماني عن الشّهيد أحمد كاظمي.

لـم أرَ أيّ صـلاةٍ لأحمـد لم يبـكِ خلالها فـي القنوت أو فـي آخرها، وقد بقي الذّكر التّالي على لسـان أحمد دائماً: «يا ربّ الشّهداء، يا ربّ الحُسين، يا ربّ المهديّ»، فكان يردّده ثمّ يبكي.[1]

لطالما كنتُ أقول: جُعلتُ فِداكَ يا أحمد!

كنـت أنـا وأحمـد كاظمـي أصدقـاء مقرّبيـن للغايـة. لا أعـرف ما إذا كنتُ أحببتُ أحمـد أكثر أو هو أحبّني أكثر. كان دائمـاً فـي ذهني أنّـه ليتني أسـتطيع أن أثبت لأحمد بطريقةٍ ما مدى حبّي له. فكّرت في نفسي أنّ أفضل شيءٍ لإثبات هذا الحبّ والصّداقة، هو أن أقدّم له إحدى كُليتَي يوماً ما على سبيل المثال؛ فأنا أملك من كلّ شيءٍ اثنين، فأعطـي واحدةً لأحمد. عندما كان أحمد حيّ بيننا، كان هـو محـور حياتنـا كلّهـا، وكلّ شـيءٍ نسـتمتع بـه فـي هذه

١- نفس المصدر

الحيـاة. كنـا نرى باكـري، خرّازي، زين الدّيـن وهمّت في وجـه أحمـد. كنّا نرى الكثير من الشّـهداء في وجه أحمد. عندمـا تفقـد شـخصاً هـو كلّ ذكرياتـك وخواطـرك، فهذه ليسـت خسارةً طبيعيّةً. كان أحمد يذكّرنا بكلّ الذّكريات والخواطر. لقد أشعل أحمد النّارَ بنا جميعاً عندما رحل.

الجمـع الّـذي كان أحمـد يحضـر فيـه كنت تفـوح من طهـارةٍ من نوع آخر، والجلسـة الّتي كان يجلس فيها، كان لها رونقٌ خاصٌّ. نشـعر الآن بِرُكودِ مجالِسنا بشكلٍ واضحٍ؛ لذلك فإنّ رحيل أحمد ليس طبيعيّاً بالنّسبة لنا.

لطالما كنتُ أقول لأحمد: «ليت ما يؤلمك يؤلم رأسي! جُعلتُ فِداكَ يا أحمد!». هذا ما كنتُ أقوله لأحمد. أسأل الله أن يلحقنـي بأحمد في أسـرع وقتٍ ممكن! نحن نعتبر أنفسـنا جديريـن بهـذه الرّعايـة. إذا أردتُ أن أكتـب لـه رسـالةً، سـأكتب ذلك أيضاً أي (خُذني إليـك ولا تتركني

وحيداً)!

هـل تصدّقون أنّنـي أغبط أحمـد؟! فأنا على اسـتعداد لأقدّمُ عمري كلّه؛ مقابل أن أسمع صوته مرّةً أخرى.[1]

بقي هذا العيب حتّى نهاية الحرب

كان هنـاك عددٌ منّا يعملـون كمدرّبين؛ ليسـوا مدرّبين بمعنـى المدرّبيـن العسـكريّين الّـذي يقدّمـون تدريباتٍ عسكريّة؛ بل مدرّبين بالمعنى الأكثر شموليّةً من ذلك. كلّ لقـاءٍ لم يحضره أحمد كان ناقصاً، ولمّا استشـهد بعضهم استمر هذا النّقص حتّى نهاية الحرب. الأشخاص الثّلاثة الّذين لعبوا دور المدرّب هم حسن باقري وحسين خرّازي وأحمد كاظمي.

إذا جلسـنا جميعـاً وتحدّثنـا خـلال الحـرب، وقمنـا باتّخـاذ قـراراتٍ فيمـا لـم يوافـق عليه أحـد هـؤلاء الثّلاثة،

١- مقابلة الحاج قاسم في برنامج رواية الفتح.

فإن التّصديق على هذا القرار سيكون صعبا بالتأكيد، فالكلمة الأخيرة كانت لهم. عندما كان يعارضون عمليّةً ما، فلأن بها مشكلةٌ أو لسببٍ ما، وإذا أصرّوا على أهمية عملية ما، فلأنها كانت مهمة بالفعل.[1]

مشكلة سوريا أن ليس فيها «همّت» و«خرّازي»

لو كان لدى الدّولة والحكومة السّورية شخصٌ واحدٌ كالحاج همّت وحسين خرّازي وكاظمي، لكان هذا البلد آمناً، ولم يكن ليوجد أيّ تأثيرٍ للهجمات عليه. لكنّ الحلقة المفقودة هي عدم وجود مثل هؤلاء الشخصيات، والّذين ظهروا خلال مرحلة الدّفاع المقدّس عندنا وساهموا بتغييراتٍ جوهريّةٍ مذهلةٍ للغاية في مختلف الأبعاد الأخلاقيّة والسّلوكيّة؛ لدرجة أنّ بعض الشّباب الذين نشأوا خلال هذه الحقبة قد وصلوا في الحقيقة إلى

١- مذكّرات الحاج قاسم سليماني عن الشّهيد حسين خرّازي.

مكانة يتحسّر عليه كبار العلماء.[1]

رأيتُ المظلوميّة و القهر في وجه الحاج همّت

كانت شهادة الحاج همّت من أكثر قصص الشّهداء قادة الحرب إيلاماً. طبعاً كانت شهادة الشّهيد باكري أجمل قصّة عن القادة الشّهداء.

اتّصل الحاج عبّاس كريمي وقال إنّ العراقيّين اتّصلوا وسيطروا على الخطّ. بالنّسبة للحاج همّت الّذي عانى كثيراً في منطقة «الطّلائيّة»، كانت هذه بمثابة مأساة داخل مأساة له. لم يستطع الحفاظ على هدوئه أكثر.

عندما كان العراقيّون يأخذون خندقاً، كان الخط بأكمله يسقط ويدخل في فوضى. كان عرض الخطّ ثمانية أمتارٍ. أخذ العراقيّون الخطّ ثم تابعوا تقدمهم. هنا

١- كلمة الحاج قاسم سليماني في ذكرى الشّهداء القادة للّواء ٢٧ محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ظهرت مظلوميّة الحاج همّت، نظرإلى جمعِنا وقال لي: «هل تمنحني بعض القوات التي هي تخت إمرتك؟!». وعندما قال الحاج همّت هذا، استطعت أن أرى كلّ المظلوميّة والقهربادية وجهه، فأجبته بالإيجاب.

كانت لدينا كتيبةٌ على جسرٍفي نهاية الجزيرة الجنوبيّة. قلتُ للشّهيد ميرأفضلي (السّيّد حافي القدَمَين) أن يذهب مع الحاج همّت ويضع قوّةً إضافية تحت إمرته. كانت درّاجة ميرأفضلي النّاريّة وسيلة النّقل الوحيدة. ركب الحاج همّت درّاجة الشّهيد ميرأفضلي وغادرا، لكن ليس إلى الخطّ، بل إلى الله. استشهد الحاج همّت وميرأفضلي معاً. لم يعرف أحدٌ أنّهما استشهدا حتّى مضيّ ساعتين.[1]

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر دوكوهة الكشفيّ.

كانت السّمة الخاصّة بقوّات أميني أنّهم أهل بكاء

كان انتقاء الحاج أحمد أميني[1] لأفراد القوّات الخاصّة

١- ولد أحمد أميني في ٢٢ أيلول ١٩٦٣ في قرية محمد آباد برفسنجان. توجّه إلى الجبهة للمرّة الأولى خلال عمليّة الفتح المبين وعاد منها جريحاً. منذ ذلك الحين، لم تكن هناك عمليّةٌ لم يكن لها أثرٌ في جسد «الحاج أحمد». انتشر صيت شجاعته تدريجيّاً داخل الجيش، و بالتّزامن مع المرحلة الثّانية من عمليّة والفجر٤، تمّ اختياره كقائدٍ لإحدى كتائب فرقة ثار الله ٤١. كانت عملية والفجر٨ قمّة عطاء هذا الرّجل العظيم. عبرت كتيبة الغوّاصين خاتم الأنبياء ٤١٠ تحت قيادته نهر أروند البرّيّ ووطأت أرض العدوّ. شكّلت كتيبة الغوّاصين الموجة الأولى من الهجوم. الحاج أحمد أميني الّذي كان في آخر مهمّةٍ له من قِبَل حرس الثّورة الإسلامية، كان أوّل من استشهد من هذه الكتيبة، وقد روى شاطئ بدمائه أروند في ١١ شباط ١٩٨٥، بعدما أصيب في رأسه بشظايا قذيفة هاون واستشهد عن عمرٍ يناهز ٢٢ عامٍ.

لم نكن قد نفّذنا عمليّاتٍ في نهرٍ هائجٍ كنهر أروند

يروي الحاج قاسم سليماني عن إدارة الشّهيد أحمد أميني خلال عمليّة والفجر٨ التّالي:

العمليّة الأخيرة للجمهوريّة الإسلاميّة والتي تمّ التّخطيط لها كعمليّةٍ رئيسيّةٍ ومهمّةٍ كانت والفجر٨. كان لهذه العمليّة العديد من الحساسيّات الهامّة. بعض الحساسيّات كانت عامّةً والبعض الآخر خاصٌّ بجيش ثار الله، وكانت هذه المرّة الأولى الّتي أراد فيها القيام بمثل هذه العمليّة. حتّى الآن، لم نكن قد نفّذنا عمليّاتٍ في نهرٍ هائجٍ كنهر أروند. كانت

منطقة العمليّات منطقة مستنقعات؛ رأس البيشة، الفاو، خور عبد الله والمسافة الفاصلة بين خور وأروند. أعقب هذه العمليّات ثلاث عمليّاتٍ كبيرةٌ نُفّذَت دون نجاحٍ يُذكر. والفجر التّمهيديّة، خيبر وبدر كانت ثلاث عمليّاتٍ كبرى فشِلَتَ أو لم تحقّق نجاحاً كبيراً في الأهداف المحدّدة لها. بالنّظر إلى أنّ العمليّة كانت أكثر صعوبةً وتعقيداً من العمليّات الثّلاث السّابقة، كان هناك خوفٌ من أن تكون نتيجتها مماثلةً للعمليّات السّابقة. كان يمكن أن يكون لهذه النّتيجة تأثيرٌ عميقٌ على مسار الحرب. استخدمنا خلال عمليّتي بدر وخيبر نبات الحور كغطاءٍ ووصلنا إلى العدوّ. كانت درجة حرارة الممرّات المائيّة عالية وكانت بمثابة الأفران في الغابة الكثيفة، وكان يمكننا اتّباع مبدأ التّمويه والاستتار. في أروند، كان عرض النّهر واضحاً وكان العدو مشرفٌ علينا تماماً.

كان يصل عرض أروند إلى ٢ كيلومتر

كان يمكن للعدوّ تدمير جميع القوّات بسهولةٍ عن طريق إطلاق النّار، وبدا من الصّعب اتّباع مبدأ المباغتة. كانت الأهواز المدينة الأكبر والأقرب للعدوّ وكان بإمكانهم، بطبيعة الحال، الحصول على الأخبار والمعلومات من الجواسيس والمُخبرين. كنّا نتحرّك باتّجاهَين- الغرب والجنوب والجنوب الغربيّ. كان من السّهل السّيطرة عليهم عبر الطّابور الخامس في المقابل كان يمكنهم الحصول على الأخبار والمعلومات بسرعةٍ. كانت كلّ مواصلاتنا من داخل مدينة الأهواز. بعد عبورنا المدينة وخوين، كنّا في مرأى العدوّ. وفي الشّويبدة (في آبادان)، عندما عبرنا نهر بهمنشير ونزلنا باتّجاه أروند، كنّا في المرأى غير المسلّح للعدوّ. هناك نقطةٌ أخرى وهي أنّ الخطّ هناك كان شبه مهجور. وفي هذه المناطق حيث كنّا نريد عبور أروند، كانت قوّات الدّرك موجودة هناك واحدةً تلوَ الأخرى. بسبب

وجود نهر أروند، الّذي كان يُعدّ عقبةً رئيسيّةً، لم يستخدم العدوّ المنطقة كثيراً من النّاحية العمليّاتيّة، بل كان استخدامه مرتبطاً أكثر في مجال التّجسّس العراقيّ. المشكلة التّالية، الّتي كانت خاصّة بجيش ثار الله وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ على مصير قوّات كسر الخطوط والغوّاصين، هي عرض نهر أروند. عرض أروند كان أوسع نقطةٍ في منطقة العمليّات الخاصّة بفرقة ثار الله ٤١ ولواء المهديّ. كان مكاناً مرتبطاً بالبحر وكانت شدّة المدّ والجزر فيه أكبر من الأماكن الأخرى. كان الشّاطئ، الّذي كانت تغطّيه المياه عند المدّ والجزر، واسعاً جدّاً. عند الجَزر، كان في مقابلنا مستنقعٌ كبيرٌ يُضاف إلى عرضه مائةٌ إلى مائةٍ وخمسين متراً في حالة المدّ، فكان عرض أروند عمليّاً يصل إلى ١٣٠٠ - ١٤٠٠ متر. كان يصل هذا العرض في بعض الأحيان إلى كيلومترين؛ فعادةً ما كانت تمتلئ الجداول بالماء؛ ولكن نظراً لعدم تجريفها، فإنّ مياه المجاري المائيّة كانت تمتدّ إلى كامل البستان وتغطّيه. حتى أنّ المياه كانت تصل إلى الطّريق الخلفيّ، الّذي كان يَبعُد عن أروند في الحالات العاديّة أربعة إلى خمسة كيلومتراتٍ.

تقرّحت أجسامهم كلّها بسبب ملوحة الماء

بعد تسليم المهمّة، كان موضوع الغوص أوّل شيءٍ يجب أن نتعامل معه بجدّيّة. كان علينا كسر خطّ العدوّ بقوّة الغوص حتّى نتمكّن من الخروج عبر الطّرق الأخرى، من خلال الجداول، لندعم قوّة الغوص ونكون قادرين على السّعي وراء أهدافٍ أخرى. لأجل كسر الخطّ، كانت كتيبة الحاج أحمد أفضل كتائبنا وأكثرها تدريباً. وكان علينا اكتشاف ذلك.

لم نذكر مكان منطقة العمليّات ضمن توجيهات الحاج أحمد العمليّاتيّة، لكن قلنا أنّه يجب عليك عبور منطقة المدّ والجزر الزّرقاء. من السّمات المميّزة عند الحاج أحمد أنّه عندما كان يتمّ تكليفه بمهمّةٍ، كان يذهب

تلقائيّـاً وعفويّاً ليضع برنامجاً تدريبيّـاً متكمالاً. ميزةٌ أخرى خاصّةٌ بالحاج أحمـد هي انتقـاؤه القوّات الخاصّة، بحيث كان يبحث في جميع أقسـام الفرقـة ليختـار قوّاتـه، فتـرى أنّه أخذ قـوّةً من الاتّصـالات، وقوّةً مـن الأفراد، وأخـرى للأمور اللّوجسـتيّة وغيرها....، حتّى أنّه اسـتقدم ثلاثة أو أربعة من شـباب أصفهان؛ أشـخاصٌ مثل صغيرا ومؤذّن وقضاوي. كان هؤلاء نخبة شـباب أصفهـان فـي شـرق البـلاد، فأصبح صغيـرا ومـؤذّن من قادة سـرايا الحاج أحمد أمّا شخصٌ كقضاوي فعمل في القوّة اللّوجستيّة للجيش.

كان لدى جميع قوّات أميني روحٌ معنويّةٌ عاليةٌ و شجاعةٌ خاصّةٌ، فكانت هذه الكتيبة مركزاً لشـجعان الجيش بحقّ. كانت الكتائب تتشـكّل عادةً من مدينةٍ واحدةٍ، لكنّ الحاج أحمد كان يختار قوّاته من كلّ المدن. على سـبيل المثـال، كان الشّـهيد طيّـاري مـن أبناء منطقـة فارس. فـي كل مرّةٍ يأتي إليه شخصٌ، يبقى عنده حتّى النّهاية. كانت السّمة الخاصّة بقوّات أمينـي أنّهـم أهل بـكاء؛ فبالإضافـة إلى الشّـجاعة كانوا أهلّ دعـاءٍ وصلاةٍ. خـلال عمليّـة «والفجر ٨»، قامت هـذه القوّات بأعمالٍ عظيمةٍ، سـواء في البعد الرّوحيّ و المعنويّ أو في الشّجاعة. عندما تنظر إلى وجوههم، كنتَ تـرى أنّهم كانوا شُـبّاناً ويافعين بشـكلٍ عامّ؛ شـبابٌ مُلتهبـون كانوا مليئين بالمعنويّـات والشّـجاعة. اختـار مائـةً وثمانيـن شـخصاً منهـم كغوّاصين. في منطقة «سرچشـمه»، نظّموا دورةً تدريبيّةً للسّـباحة وتعلّموها. بالطبع، كان قـد تـمّ تدريـب طاقـم الكتيبة مـن قبل. وبعـد ذلك نقلناهـم إلى بندر عبـاس. كان هنـاك مكانٌ مهجورٌ بجوار المنطقة البحريّة، فأخذه من أجل التدريـب علـى المـدّ والجزر. عند المـدّ والجزر، يكـون ارتفاع أمـواج البحر كبيراً جدّاً؛ أمواجٌ من مترين، أربعة أمتار وأقلّ وأكثر. بطبيعة الحال، كانت السّباحة والغوص في البحر أمراً صعباً ومُرهقاً جدّاً للأخوة الّذين عملوا في

المياه العذبة من قبل؛ لكن كان عليهم التّعرّف على مياه البحر والتّعامل معها عند المدّ والجزر. ذهبت لرؤيتهم، فرأيت أنّ الأخوة قد عملوا بجدٍّ في التّيّارات العالية للمدّ والجزر لدرجة أنّ جميع الأجزاء الحسّاسة في أجسامهم قد أصيبت بتقرّحاتٍ شديدةٍ، حتّى أنّ المياه المالحة دخلت إلى جراحهم الّتي كانوا قد أصيبوا بها.

قد تقسم موجة الانفجار شخصاً إلى نصفَين

أضرّت مياه البحر المالحة بأعين البعض منهم. عليك أن ترى هذه الأمور، حتى تستنتج هذا الأمر الّذي كانوا يقولونه عن الحاج أحمد؛ «يكفي أنّهم عشقوا تنفيذ العمليّات». كانت تأتي معظم الأمور تجري بينما كان يأخذنا الكلام والمزاح. نقلنا القوّات إلى سدّ دز، وكانت هناك تمارين مكثّفة للغوص والرّماية. كان بعض تدريبهم صعباً وخطيراً؛ على سبيل المثال، إطلاق آر بي جي من الماء أمرٌ صعبٌ وخطيرٌ؛ قد تقسم موجة الانفجار الشخص إلى نصفين. كانوا يمارسون هذه التّدريبات والرّماية في الماء وقوفاً واستلقاءً وفي وضعيّاتٍ مختلفةٍ. بعد ذلك تمّ نقل الكتيبة إلى بهمن شير. كان نهر بهمن شير مشابهاً لنهر أروند وقريباً منه. نصبوا الخيام في البساتين الّتي تقع قبل «شويبدة»، لكن بسبب الأمور الأمنيّة، تمّ استخدام الغرف الطّينيّة للسّكّان المحلّيّين في الغالب. بدأت القوّات هناك بالتّدريب العمليّ أثناء التّحرّك على الشّاطئ، وكسر الخطّ، والتّحرّك في المستنقع، والحركة العموديّة، وما إلى ذلك، كما ابتدعوا طرُقاً للتّحرّك خلال المدّ والجزر. إذا تفرّقت القوّات في الماء وتحرّكت على التّوالي، فلن تتمكّن من الوصول إلى شاطئ العدوّ بأمانٍ. في بهمن شير، كان معظم العمل الّذي تمّ إنجازه تكتيكيّاً؛ طريقة التّحرّك، طريقة الوصول إلى خطّ العدوّ، والتّعامل مع المدّ والجزر، وما إلى ذلك. كان نهر بهمن

شير مشابهاً لنهر أروند، كما كان القسم الأكبر من المدّ والجزر يحصل هنا. كان شاطئ بهمن شير مثل شاطئ أروند تماماً؛ وشمل شاطئ مستنقعات وبساتين حول الشّاطئ وطرق ومروج؛ لكن بالطّبع، كانت شدّة المدّ والجزر في أروند أقوى بكثيرٍ منها في بهمن شير.

كان المدّ والجزر شديداً عند منفذ الخليج الفارسي

بين الأعمال والتدريبات، كان أسلوب التحرّك في الماء؛ لكي لا تأخذ الأمواج القوّات معها، حيث كان المدّ والجزر شديداً عند منفذ الخليج الفارسي وكان يدفع الشباب إلى وجهة معيّنة. ما كان مهمّاً أثناء العمل، هو الوصول إلى النقطة المستهدفة على ساحل العدوّ. كان ينبغي أن تترجّل كلّ القوات في نقطة معيّنة، ولم يكن ينفع أن يصل كلّ واحد منها على حدى؛ إضافة إلى أنّهم كانوا سيستشهدون كلّ في تلك الحالة. كان الحاج أحمد قد وضع تدابير مختلفة من أجل إنجاز هذا العمل؛ في المرحلة الأولى، كان يصرّ على أن تدخل القوات إلى المياه مع بعضها وجنباً إلى جنب؛ لكنّ هذا الأمر لم يكن ليُطبّق بسهولة. ففي بهمن شير حيث كان المدّ والجزر أقلّ شدّة بشكل كبير، كنت ترى أنّ أحدهم كان يدخل الماء ويخرج منه في نقطة تبعد كيلومترين. كان هناك حلّين؛ الأوّل هو تماسك الأيدي ببعضها البعض؛ أحدهم يعطي يده اليسرى والآخر يده اليمنى، ثمّ يسيرون داخل الماء؛ والأسلوب الآخر كان استخدام الحبال. كانوا يعقدون الحبال ضمن مسافات متساوية وكان كلّ شخص يمسك بعقدة ويمشون بشكل متّصل مع بعضهم البعض. كان هذا الأسلوب أنجح وأكثر فعالية من الأسلوب السابق، وقد تمرّنت القوّات عليه بشكل أكبر.

كانت الأسلحة كلّها تصبح غير قابلة للاستخدام داخل المياه

كانت ثياب الغوص، نظراً إلى نوعيّتها، تطفو بالشباب فوق سطح الماء. كان الحاج أحمد يبذل قارى جهوده لكي ينسّق بين القوات التي ترتدي هذه الثياب وتحمل هذه المعدّات. ينبغي الالتفات إلى أنّ القوّة التي تسعى لأن تخترق صفوف العدوّ وتعبر ساحل أروند، لا تستطيع أبداً أن تحمل معها تجهيزات أساسيّة. فغالبية الأسلحة التي كانت بمتناول أيدينا كانت تفقد فاعليتها في الماء، وكنّا قد توقّعنا أنّ الوقت الفاصل بين لحظة دخول الإخوة إلى الماء ولحظة خروجهم هو ساعة على الأقلّ. وخلال هذه الساعة ونظراً لشدّة المدّ والجزر وكون أطراف الساحل محاطة بالمستنقعات، كانت كلّ الأسلحة التي يحملونها تُستهلك وتُصبح غير قابلة للاستخدام. في أنحاء العالم، تستخدم القوات الخاصة أسلحة خاصّة مضادّة للمياه من أجل القيام بهذه الأعمال، لا تلك الأسلحة البدائية التي كانت بحوزتنا.

بذل الحاج أحمد جهوداً كبيرة من أجل موازنة ثقل مستلزمات الغواص. فإذا تخطّى وزن الأسلحة والمعدّات التي يحملها الغواص أكثر من الحدّ اللازم، كان مصيره سيكون الغرف وإذا كان وزنها أقلّ من الحدّ اللازم، كان سيطفو فوق الماء. كان الوزن المسموح به مختلفاً باختلاف وزن وحجم أجساد الأشخاص. لقد أنجز الحاج أحمد هذه الأعمال في بهمن شير.

لعلّ غالبيّة الناس لا يعلمون من كان يعتني بأبنائهم

الإنجاز الآخر، كان التعرّف على أعمال العدوّ؛ مثل سائر العمليّات الأخرى. لم يكن ليدع قوّاته تنطلق قبل أن يذهب ويستطلع جبهة العدوّ عن قرب وبدقّة. كان يمشي باطمئنان عندما يرى النقطة التي ينوي اختراقها بشكل مباشر ويستطلعها عن قرب. هذا كان أسلوبه في العمل. وفي العمليّات السابقة أيضاً كان يقطع حقول الألغام بمساعدة شباب الاستخبارات

والعمليّات ويستطلع كلّ الأمور بشكل جيّد؛ مكان استراحة قوّاته؛ مكان توقّفهم؛ كيفيّة اختراقهم لجبهة العدو؛ النقطة التي سيضربونها بالآربي جي و... عبر الحاج أحمد نهر أروند على مرحلتين برفقة صغيرا، مؤذّن، قنبري وسائر شباب الاستخبارات والعمليّات، ذهب إلى ساحل العدوّ وتفقّد العوائق وجبهة العدوّ عن قرب، ثمّ عاد. كان هذا الاستطلاع يضفي دقّة على عمله ويجعله أكثر اطمئناناً. لعلّ أغلب النّاس لا يعلمون كيف استشهد أبنائهم، ومن كان يعتني وكيف كانت تتمّ الاستفادة منهم.

كان الحاج أحمد أحد آلاف القادة الذين كان وجودهم يحترق من أجل الحفاظ على قواته وإيصالهم سالمين غانمين إلى خطوط العدوّ، ويستفيد منهم من أجل تحقيق الأهداف التي كانت أهداف الإسلام في واقع الأمر. لهذا السبب، كان يتقبّل الأخطار دائماً ويبذل الجهود ويتكبّد العناء من أجل أن تُنجز العمليّة بأفضل صورة وأبسط شكل ممكن. كان يجري الاستطلاعات ثمّ ينفّذ دورة قصيرة مدّتها عشرة أيام لكي يوجّه قوات الغوص وقادة الوحدت ومعاوني الفرق والكتائب ويبيّن لهم الأمور في ساحل العدوّ. كانت هناك شجرة يتسلّقها ويُري قواته بواسطة المنظار كلّ واحدة من المتاريس، والنقطة التي ينبغي أن يسيطروا عليها، والمعابر وأساليب العمل، وكان يخبر كلّ واحد منهم مساره الخاص الذي ينبغي أن يدخل منه، وأين ينعطفون إلى اليمين وإلى اليسار ثمّ بعد هذه التوجيهات كان يتّضح لقوّاته ما ينبغي عليهم فعله وكانوا يحيطون بكلّ تفاصيل مسؤوليّاتهم. لقد كان الغوّاصون في فيلق الحاج أحمد على دراية تامّة فعلاً بكلّ ظروف العدوّ وتفاصيله مثلهم مثل أيّ قائد فيلق آخر.

وافقت على اقتراح الحاج أحمد على مسؤوليّتي

الإنجاز الآخر الذي قام به -وأظنّ أن لم تنجح أيّ واحدة من فرق الغوص

في تحقيقه - هو أنّه عرّف قواته على نهر أروند وأجرى مناورات العمليّة داخل هذه المياه. كان يصرّ علينا بأن نتمرّن داخل هذه المياه، لكي يزول خوف الإخوة. كان يقول، ينبغي أن أكسر هذا الخوف والقلق. وفي العمليّة كانت لدينا ثلاث محاور لنتحرّك عبرها، وكان كلّ جبهة يوجب علينا عبور نهرٍ معيّن. يكفي عندما ينطلق ١٥٠ أو ١٦٠ غوّاصاً في الأنهر لكي يصلوا إلى بداية نهر أروند أن تأخذ الأمواج أحدهم وتسوقه نحو العدوّ، فتفشل العمليّة كلّها. أصرّ علينا كثيراً وجاء بالأدلّة على ضرورة أن نتمرّن، وأنّنا إن لم نتمرّن سوف نواجه مشكلة وأنّ هذا التمرين مؤثر بشكل كبير في النجاح. قبلت وافقت على اقتراحه دون أن أطلع المقرّ على ذلك.

أدخل الحاج أحمد شبابه من الأنهر الثلاثة علي شير، بلامه ومجري، وبدأ تعليمهم الغوص ووصلوا إلى بداية نهر أروند ثمّ عادوا. تمّ توجيههم وإطلاعهم على مسار نقطة الانطلاق ورأوا أروند عن كثب. عاودوا تكرار هذه العمليّة في الليلة التالية أيضاً. عندما رأيت حركة الإخوة الغواصين، شعرت أنّ اختراق خطوط العدوّ بات سهلاً إلى درجة كبيرة بالنسبة إليهم. كانوا محيطين بتفاصيل جبهة العدوّ وكان كلّ واحد منهم بمثابة خبير مطّلع على تفاصيل نهر أروند. قبل ليلة أو ليلتين من العمليّة، عقدنا جلسة وكان على قادة الكتائب أن يشرحوا مخططاتهم من أجل اختراق خطوط العدوّ.

كان موضوع كلّ كلمة من كلماته حول مواجهة الموت

كان قادة عدّة فيالق حاضرين في تلك الجلسة، وقدّم الجميع تقاريرهم، كان الحاج أحمد يدقّق كثيراً على أسلوب بيانه وتوضيحه لتكتيكه، كان يظنّ أنّه من الممكن أن يُفتضح أمره ويكتشف العدوّ ذلك، رغم أنّ مستوى الأمن الاستخباري للجلسة كان كبيراً جدّاً ويتخطّى طرح مثل

هذه القضايا؛ لكنّه كان متردّداً بشكل دائم. أصرّيت عليه أن يوضح، لفت كلامه انتباه الجميع، كأنّ أحداً لم يكن قادراً على التنفس، كان الجميع ينصتون إليه من أعماق وجودهم ويترقّبون ما سيقوله هذا الشاب قصير القامة والجريء الذي كان كلّ حديثه وموضوع كلّ كلمة من كلماته حول مواجهة الموت. لم يكن الحديث عادياً، بل حول شخص أراد النزول إلى حفرة نار ومصارعة الموت، وكان يفصّل المشاهد. كان الحاج أحمد ذو هيبة خاصّة عند التحدّث، وكانت لديه جرأة خاصّة. بعض الذين لم يكونوا يعرفونه كانوا يظنّون أنّه يغالي ويبالغ.

سأل السيّد علائي، قائد المقر: يا سيّد أميني، ما الذي ستفعله إذا رآك العدوّ وأنت داخل الماء؟

لم يكن لهذا السّؤال جواب، ما الذي كان الغوّاص ليقدر على فعله؟! ردّ الحاج أحمد على الفور: سأقرأ آية «وجعلنا»، قال ذلك بثقة تامّة.

بعده حدّثت الآخرين بقضيّة عمليّة «بدر» وأصبحت آية «وجعلنا» وسيلة مهمّة استخدمها الشباب لحفظ أرواحهم في تلك العمليّة. بكى الحاج أحمد وقرأ مجلس عزاء وقال بأنّنا سنفعل ذلك بالتوسّل بالسيدة الزهراء وعقد الأمل على الله عزّوجل ودعاء إمامنا الخميني العزيز. لا تقلقوا، وبدأ يتحدّث ضمن هذا المضمار.

أين تلك الدّموع من هذه الضحكات!

كان قد تمّ تحديد نقطة بجانب نهر أروند خاصّة بفرقة الغواصين، وتمّ نقل القوات إلى هناك قبل يومين أو ثلاثة. عقدنا جلسة ضمّن القوات في مقرّ القيادة، وتحدّثت إليهم فيها. كانت جلسة عجيبة. لعلّه لم يشهد التاريخ نظيراً لمثل هذه الجلسات؛ بسبب الروحانيّة التي كانت لدى الإخوة، وحماستهم ومعنوياتهم العالية. لقد صنع الحاج أحمد من الأشخاص

العاديّين، رجالاً لعلّ العرفاء الذي يبلغون منزلة عالية وسامية في سنّ العجز، لا يقدرون على الوصول إليهم. لو أنّك كنت تتجوّل في الليالي في مزارع النخيل في بهمن شير، كنت سترى عند كلّ نخلة شخصاً جالساً مثل أيتام مسلم بن عقيل، يصلّي ويبكي ويرفع يديه بالدعاء. لم يكن ممكناً أن لا ينهض شخصٌ في كتيبة الحاج أحمد لأداء صلاة الليل والتضرع والبكاء. كانت الشمس تغرب، وكان عليك أن ترى البكاء في تلك الجلسة، وتشاهد ركوبهم في السيارات، بكاء ووداع وعناق وذرف دموع من جهة، وضحك عند ركوب السيارات من جهة أخرى.

أقسم بالله أنّهم كانوا بهيئة كأنّهم كانوا في مدينة كرمان، كانوا قد ارتدوا ثيابهم الجديدة كأنهم ذاهبون إلى عرس، يمزحون مع بعضهم البعض ويضحكون؛ كان المشهد شبيهاً تماماً بالمشهد الذي نُقل حول أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في ليلة عاشوراء، على سبيل المثال كان مسلم يمازح حبيب بن مظاهر، ويتحدّثون ويضحكون، لقد رأيت ذلك بكلّ وجودي في شباب الحاج أحمد، فلم يكن هناك شخصٌ واحدٌ أيضاً يفكر بما سيحدث الليلة. استقلّوا السيارات وذهبوا إلى الساحل وارتدوا ثيابهم. كانت أجواء عجيبة!

كأنّ رسول الله كان على وشك أن يعرج، كانت الروحانيّة تلوح في أجواء الساحل، وكان كلّ من يرى هذا المشهد، يجهش بالبكاء. كان مستحيلاً أن يكون أحدهم هناك دون أن تنسكب الدموع من عينيه. كان الشباب ذوي القامات الممتشقة والوجوه النقيّة والروحانيّة يرتدون ثياب الغوص ويستعدّون للانطلاق.

تحليلاتكم لا تنفع أحداً سواكم

كنا قد مددنا أسلاك هاتف من شطّ الماء حتى الالخندق الذي أتواجد

فيه، لكي نراقب الإخوة بشكل دقيق. وكان الماء في حالة المدّ. وقع هناك أمرٌ كنّا قد توقّعناه سابقاً، توقّعنا أنّ المدّ في ليلة العمليّة سيكون في أكمل حالاته، وفي هذه الحالة كانت مدّة استقرار الماء حوالي العشرين دقيقة، كنّا قد توقّعنا أن نتمكّن من العبور بأنفسنا باتجاه ساحل العدوّ أو نكون قد قطعنا نسبة كبيرة من المسافة خلال هذه المدّة حتى يبدأ الجزر حيث تكون المياه في وضع مستقرّ. كنّا نتوقّع أن يكون الطقس جيّداً ويكون الماء ساكناً وهادئاً. لعلّ الله كان يريد أن يقول لنا في تلك اللحظات أن هؤلاء عبادي وأنتم لا تملكون اختيار أيّ شيء. وتحليلاتكم لا تنفع أحداً سواكم أيضاً، أنا أريد أن آخذهم! هؤلاء إلهيّون وأنا المسؤول عن تحرّكاتهم. طبعاً توصّلنا في ذلك الحين إلى هذه النتيجة.

وجّهوا لنا أمراً بالانطلاق حتى ننطلق

في كلّ تلك الساعات، كنا نشعر بالقلق والاضطراب؛ كنّا نفقد أعصابنا ونستعيدها. عندما وصل الشباب إلى مسافة قريبة من الساحل، اتّصل بي يزداني. ثمّ تحدّث إليّ بعده الحاج أحمد، قال: لا يمكنك الذهاب أبداً! سألته، لماذا؟ قال أنّ الأمواج شديدة لدرجة أنّها لا تسمح لنا بدخول الماء! ذهبت باتجاه الشباب فرأيت أنّ الموج شديدٌ لدرجة أنّه يطيّر الشباب إلى أطراف الساحل. عدت إلى الالخندق واتّصلت بالحاج أحمد، سأل: ما الخطب؟ قلت له بأن ليس هناك خطبٌ معيّن، يقول السيد يزداني بأنّ المدّ والجزر شديد، لكن لا مشكلة لدينا، وجّهوا لنا أمراً بالانطلاق حتى ننطلق. قال لتنطلقوا إذاً، لكن قبل أن تدخلوا الماء، توسّلوا بالسيدة الزهراء أوّلاً واقرأوا دعاء التوسّل. إجعلوا السيدة فاطمة الزهراء واسطة ثمّ ادخلوا الماء. كانت شدّة الأمواج أربعة أضعاف؛ أي أسوء ظروف ممكنة! وفي مثل هذا الماء كان القارب لا يقدر على التحرّك وكان

مـن الطبيعـي أن يضيـع الغواصون بين الأمواج؛ لكن لا شـكّ لـديّ أنّه في أنّ اليد الغيبيّة حمت الإخوة وأوصلتهم إلى سـواحل العدوّ. وفق التحليل المـاديّ، كان التحـرّك والتقـدّم داخـل المـاء مسـتحيلاً، لـم تكـن الأمواج تسـمح للإخـوة بـأن يتنفّسـوا، بغـضّ النظـر عن عـدم القدرة علـى الغوص والتقـدّم وسـط أمـواج بطـول ثلاث أو أربعـة أمتار. كنّـا قد توقّعنـا أن يوصل الإخوة أنفسهم إلى الساحل في غضون ساعة. وكنا قد نسّقنا موعد انطلاق العمليّة وفق ذلك.

سنلتقي على ساحل الكويت!

ولأنّ فيلق ثار الله كان يسـير داخل أعرض نقطة في نهر أروند، كنّا قد توقّعنا أن يطـول بهم الأمر من الناحية الزمنيّة. دخل الشـباب إلى المياه وتحرّكوا، ازداد قلقنـا عندمـا أراد الله أن يمتحننـا وتكاتفـت الظـروف ضدّنـا لكـي لا نتمكّـن مـن لعـب أيّ دور. كانـت قـد مـرّت عشـر دقائق عندما عـاد أحد الغواصين وقال بأنّ شـدّة الأمواج كانت لدرجة أنّها بعثرتنا جميعاً، تلاشى صفّنا ورأيت نفسي فجأة على ساحلنا؛ قطعنا الأمل بعد هذا الكلام!

ونظراً لمزاح بعض الغواصين مع بعضهم البعض قبل الانطلاق وقولهم بأنّنا سـنلتقي في سـاحل الكويت أو داخـل معدة الحوت والقرش أو في وسـط البحر وعلى الجزيرة الفلانية و... رأيت كلّ تلك المشاهد أمامي. مرّت ٣٠ دقيقة عندما انبعث صوت من جهاز الحاج أحمد يقول، هاشـم، هاشـم، أحمد. وبدأ يناديني. يعلم الله أيّ حالة شعرت بها حينها. لم أكن أصدّق فـي البدايـة أنّـه وصـل إلى سـاحل العـدوّ وخطر علـى بالي أنه في سـاحلنا نحـن؛ لكـن عندما بدأ يخفض صوته ويتكلم بهـدوء، أيقنت أنّه وصل إلى ساحل العدوّ. كان شرح كيفيّة قطع كلّ تلك الطريق والوصول مهمّاً جدّاً. قدّم الحاج أحمد تقريره الأوّل، قال بشـكل مشـفّر أنّني وصلت إلى ساحل

العـدوّ ووصلت مـع قواتي إلى نقطة واحـدة. كان المذهـل والعجيب أنّهم وصلـوا إلـى النقطـة التي كنا نتمنّـى أن يصلوا إليها ولم نصـل إليها أبداً في جولات الاسـتطلاع. تماماً أمام معسـكر قشـله والنقطة التي كان ينبغي أن يوجّهـوا منهـا ضرباتهـم للعـدوّ، كانوا قد وصلـوا قبل الموعـد المتوقّع. كان لدينا متّسـع مـن الوقت، قلت لهـم اصبروا لنرى ما سـيحدث. قلت له أن ينـادي صغيـرا ومـؤذن، قائـدي فرقتيـن فـي كتيبة الحـاج أحمـد كان من المقـرّر أن يعمـلا انطلاقاً من محاور أخرى. قال بأنني لا أملك اتصالاً بهما. قلـت انتظـر لكـي يصل الإخـوة المرافقين لنـا. كنت أقصـد الكتائب التي سـتقاتل من الميمنة والميسـرة، ثـمّ أجرينا اتصالات أخـرى ثلاثة أو أربعة، قـال: أنـا في البسـتان؛ أي أنهـم دخلوا حقل ألغـام العدوّ، وفي هـذه الأثناء أعلن صغيرا أنّه وصل إلى جبهة العدوّ.

انقطع اتصالنا بالحاج أحمد

مرّت ربع سـاعة ثمّ طلبت من الإخوة أن يبدأوا العمليّة. قال الحاج أحمد فـي اتصالـه الأخير أنّني عبرت خطـوط العدوّ وبتّ فـي جبهتهم الخلفيّة. عبرنا البسـتان وتسـلقنا جدرانه وبتنا في الجهة الأخرى. كان قد دخل إلى جبهـة العـدوّ وقسّـم قواته ووضع كلّ قسـم منهم بجانب معسـكر؛ حتى أنّه دخـل بعـض المعسـكرات واسـتطلعها، كان المذهل أنّ مـؤذن ذهب إلى داخل أحد الخنادق وحضّر إبريق شـاي سـاخن. جلس واحتسـى كوباً من الشـاي ثمّ خرج! حـان موعد انطـلاق العمليّة، هتفت بكلمة السـرّ وكانت هـذه أوّل عمليّـة أهتـف فيها بكلمة السـر وأنا هانئ البال تقريبـاً. ثمّ بدأت القوات عمليّة تطهير ساحل العدوّ، وفي أقلّ من عشرة دقائق انقطعت كلّ نيـران العدوّ التـي كانت تنهمر فوق نهر أروند. أبـدع الحاج أحمد في نقطة أخـرى لعـلّ أحـداً لـن يصدّقها إن تمّ شـرح تفاصيلهـا. أخذ معـه مصابيح

من السّمات الخاصّة به. كان يذهب ويفتّش في كل فرق الجيش ويختار قوّاته.

تراه يأخذ قوّةً من الاتّصالات، وقوّةً من المشاة، ووحدةً من الدّعم، حتّى أنه استقدم ثلاثة أو أربعة من شباب أصفهان.

كان لدى جميع قوّات أميني روحٌ معنويّةٌ عاليةٌ وشجاعةٌ خاصّةٌ، فكانت هذه الكتيبة مركزاً لشجعان الجيش بحقّ. كانت الكتائب تتشكّل عادةً من مدينةٍ واحدةٍ، لكنّ الحاج أحمد كان يختار قوّاته من كلّ المدن. على سبيل المثال، كان الشّهيد طيّاري من أبناء

شديد الإضاءة؛ من تلك المصابيح التي تشبه منارة سيارة الشرطة وتوضع على حافة الطريق عندما تجري عمليّات إصلاح الطرق لكي لا تقع حوادث سير في الليل. رأيت فجأة أنّ كلّ ساحل العدوّ بات مضاء وبدأت الأضواء تغمز. عثرت القوارب على الطريق بسهولة وبسرعة كبيرة وأتت مسرعة باتجاه نقطة المسح والتطهير لكي تواصل قواتنا عملها. انقطع ارتباطنا بالحاج أحمد أثناء هذا الاتّصال ....

منطقة فارس. في كل مرّةٍ يأتي إليه شخصٌ، كان يستمر تحت إمرته حتّى النّهاية. كانت السّمة الخاصّة بقوّات أميني أنّهم كانوا أهل بكاء؛ فبالإضافة إلى الشّجاعة كانوا أهلّ دعاءٍ وصلاةٍ. خلال عمليّة «والفجر ٨»، قامت هذه القوّات بأعمالٍ عظيمةٍ، سواء في البعد الرّوحيّ والمعنويّ أو في الشّجاعة. عندما تنظر إلى وجوههم، كنتَ ترى أنّهم كانوا يافعين وشُبّاناً بشكلٍ عامّ؛ شبابٌ مُلتهبون كانوا مليئين بالمعنويّات والشّجاعة. اختار مائة وثمانين شخصاً منهم كغوّاصين.[1]

١- مذكّرات الحاج قاسم عن الشّهيد الحاج أحمد أميني / مأخوذةٌ من كتاب «الجسر الخشبيّ».

إذاً أين كان هؤلاء القوميّون؟

ليس سيّئاً إن كانت القوميّة تعني حبّ الوطن، ولو كانت القوميّة هذه تعني بناء الوطن لرأينا ذلك في الحرب. كانت هذه الحربُ هجوماً أجنبيّاً، وقد تعرّضت إيران، التي هي قلبُ ونواةُ القوميّة، للهجوم من قبل العدوّ، إذاً أين كان هؤلاء القوميّون؟ لماذا لم نرَ الجبهة الوطنية؟ ولم نرَ حركة الحرّيّة؟

لم نرَ في الجبهة أحداً قام بتشكيل الكتائب والسرايا، أبداً! لم يكن هدفي هذا القول، أمّا من يملك حسّ

القوميّة، عليه أن يسجد اليوم في طريق الإمام الخميني. هذا الإنجاز الكبير للإمام كان لكلّ الشعب والوطن.

عندما يُقتَل حيوانٌ أو يندلع حريقٌ في مكانٍ ما يجتمع دُعاة حماية البيئة ويتحرّكون بسرعة. ونحن لم نرَ القوميّين قاموا بأيّ فعلٍ أو تحرّكٍ طوال فترة هذه الحرب الطّويلة.[1]

بئساً لبعض الجهلة!

رفع بعض الجهلة شعار الجمهورية الإيرانية في مقابل الجمهورية الإسلامية! بئساً لهم! أو قالوا فلنذهب إلى أمام السفارة الروسية ولنرفع شعار الموت لروسيا (وليس الموت للاتحاد السوفياتي) عوضاً عن شعار الموت لأمريكا. هؤلاء هم أمريكيو اليوم. نتائج أفعال أمريكا في العراق، أفغانستان وباكستان أمام أعيننا. قبل مدة جاء إليّ النائب العراقي السني الكردي السيد «محمود عثمان»

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في تجمع الدفاع المقدس للفرقة ٤١ ثار الله

وهـو عضو في مجلس النواب وشـخصية سياسـية عراقية بارزة. قال لي: «ذهبت مرّة إلى المنطقة الخضراء (منطقة في العراق تحت السيطرة الأمريكية). دخلت إليها، أبرزت بطاقتي النيابية. قالوا: يجب أن يتمّ تفتيشك. قلتُ: قوموا بالتّفتيـش. قالـوا: لا نسـتطيع ذلـك، يجـب أن يفتّشـك كلب والآن هو نائم! قلتُ: حسـناً أيقظوه! قالوا: يتمّ إيقاظه عبـر أحد الضباط الأمريكيين فقط!». هذه ليسـت قصّة، ولا ترجـع إلـى الحقبـة القاجاريّـة، إنما تتعلّق بهـذه الفترة الحاليـة! وفـي هذا البلـد المجاور لنـا أي العـراق، العراق الـذي قُتـلَ فيه حتى الآن مليون شـخصٍ بسـبب الحرب الأمريكيّة، وهذا ما يحصل أيضاً في أفغانستان وباكستان. لا لشـعار الموت لأمريكا، وليكن الشعار الموت لروسيا؟! هل هذا شعارٌ عقلانيّ؟ هل يمكن نعت هذه الحركة باسمٍ غير «العَمالة»؟[1]

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في ذكرى الشهداء محمدى بور

الوطنية الزائفة بمعيار الحرب

أعتقد أنّ الكثير من العناوين التّي لها جانبٌ وطنيٌّ وقوميٌّ في إيران ليست سوى كذبة، وهذا الإعتقاد ثَبُت لدينا بالتجربة.

رفعوا شعار القوميّة لمواجهة الإسلامويّة (الحركة الإسلامية)؛ القوميّة لا تعني حبّ شخصٍ يعاني لوطنه ثم يأتي ليقوم بعملٍ من أجل خدمة وطنه؛ وإلّا كُنّا رأينا القوميّين يتقدّمون أيّ عنصرٍ آخر في ميادين الحرب.

خلال فترة حرب الثمانِ سنوات المفروضة والعدوان الخارجيّ على إيران، كان من المفترض أن نرى القوميّين، حركة الحرّيّة والجبهة الوطنيّة؛ لكننا لم نرَ أثراً لهم، لم نرَ تعبويّاً واحداً منهم، لم نرَهم في أي مكان يسجّلون أسمائهم، أو يجمعون القوات، أو يقدّمون تشكيلاً لكتيبةٍ أو مجموعاتٍ فيرسلوها إلى الجبهة، لم يحصل هذا أبداً.

كانت القوميّة كذبة لأجل مواجهة المذهب والإسلام.[1]

الإمام الخميني حافظ على الهويّة والقوميّة الإيرانيّة

أنتم تعلمون أنّ ٧٠٠ عامٍ من تاريخ إيران هو تاريخٌ مفقود. جاءت قوميّاتٌ مختلفةٌ إلى إيران، وهي موجودةٌ بكثرةٍ في كتُبنا التّاريخية، استولوا على إيران واستلموا زمام الحكم وسيطروا عليها. من المغول إلى الأفغانيّين إلى الخوارزميّين إلى السّلجوقيّين إلى السّامانيّين، وكلّ قوميّة منهم حكمت هذا البلد لمدّةٍ طويلة. انقضى ما يقرب السّبعمائة عامٍ من تاريخ إيران في هذه الصّراعات.

اليوم، ولأوّل مرّةٍ في تاريخ إيران، داخليًّا وخارجيًّا، إيران خرجت منتصرة من أيّ حربٍ اندلعت حولها، فيما كان العالم الإسلامي هو المنتصر من أي حرب اندلعت خارج هذا العالم. لم تكن حرباً بالسّيوف والخيول والمنجنيق،

١-خطاب الحاج قاسم سليماني في الذكرى السنوية للشهيد شاطري

إنّما حرباً بالطّائرات، الصّواريخ، الدّبّابات، القنابل ومختلف أنواع النيران العجيبة والغريبة. لقد حافظ الإمامُ الخمينيّ على إيران على صعيد الهوية والقوميّة.

على المستوى الوطنيّ، عشنا هذه الحرب وشهدنا غيرها من المؤامرات المختلفة على مدى ثلاثين ونيّف من سنوات الثّورة.[1]

الشّهداء استشهدوا لأجل كلّ الشّعب الإيرانيّ

إنّ بث التّشاؤم في النّاس حيال الدّين هو أمرٌ خطير. يجب ألّا يكون النّاس متشائمين بشأن الدّين ولا يجوز إخافتهم من المتديّنين؛ لأنّ إبعاد النّاس عن الدّين يؤدي إلى ارتفاع معدّلات الطّلاق وزيادة المفاسد الاجتماعيّة بالإضافة إلى تلاشي القيم. ومن هُنا فإن علاقة حزب الله لا تقتصر على العنصر الحزب اللهي، بل تمتد لتنسج

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في الذكرى السنوية للشهيد شاطري

علاقة مع العناصر ضعيفة التديّن.

الكثير من بنات الشّهداء الحاضرات في جلستنا هذه، لم يَرين آبائهنّ. أباؤهنّ لم يستشهدوا من أجل منطقةٍ فقيرةٍ في طهران أو النّقطة الفلانيّة في مدينة كرمان؛ إنّما استشهدوا في سبيل الشّعب الإيرانيّ أجمع. حسناً كيف يُرهبون الآن جزء من المجتمع من المتديّنين؟ هذه استراتيجيّةٌ وسياسةٌ خاطئة.[1]

استهدفوني أنا ولا تستهدفوا حرس الثورة الإسلامية

قال الإمام الخمينيّ ذات مرّة «أنا راضٍ عن حرس الثورة الإسلامية، ولن أفكر بذلك مرّةً أُخرى أبداً». أنا لا أقول هذا لأنّني ضمن حرس الثورة الإسلامية. لا تقارنوا حرس الثورة بي -أنا صاحب العيب-، استهدفوني أنا ولا تستهدفوا حرس الثورة الإسلامية! لولا وجود حرس الثّورة الإسلامية

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في جمعٍ من أوائل المجاهدين والمقاتلين القدامى لمرحلة الدفاع المقدس بمحافظة كرمان

لما كان هناك بلد، وهذا كلام يصحّ لكلّ الأزمنة.

لا ينبغي تقويض أحد وجعله هدفاً للهجوم، كما لا ينبغي الارتباط بأحاديث تعود للحقبات الماضية؛ لأنّ صَدْر حرس الثّورة الإسلامية اليوم هو درع تضحيةٍ في سبيل الوطن والشّعب إضافة إلى أنهم لا يُميّزون بين منطقة غنيّة وأُخرى فقيرة. يجب أن نكون واعين وألّا ننظر من منظار سياسيّ. إن كنّا مجاهدين ونريد عزّة إيران حقّاً، فيجب أن نراعي هذه المبادئ.[1]

ليتهم أشعلوا النّار بنا وليس بعلم الجمهورية الإسلامية الإيرانية!

عندما رأيت المشهد الأحمق لذلك الرّجل الجاهل وهو يحرق علم الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كنت مستاءً جداً؛ قلت ليتَهم أحرقوني أنا شخصيّاً (وليس صورتي فحسب) عشر مرات ولم يُحرقوا العلم؛ لأنّنا قدّمنا عند

١- نفس المصدر

كل قِمّةٍ عشرات شهداء من أجل رفعة هذا العلَم. خلال عمليّات (كربلاء ٥) رأيت مشاهد عجيبة مع الكتيبة ٢٧ «محمد رسول الله» غرب قناة الصّيد حيث قدّمنا شهيداً عند كل متر من أجل الدّفاع عن الوطن.[١]

الأحداث الإلهيّة ليست صدفة

لولا بعثة نبيّ الإسلام الأكرم لم تكن إيران اليوم موجودة -طبعاً لا اليوم ولا غداً-. كانت علاقتنا مع نبيّ الإسلام، مع أمير المؤمنين، مع فاطمة، مع الإمام الحسين، مع زينب، مع العبّاس، مع علي الأكبر علاقة غرباء... لقد منحتنا تلك الثورة وتلك الحادثة العظيمة رصيداً كبيراً بحيث ربطتنا بمحيطٍ إلهيٍّ عظيمٍ يسمّى الإسلام، وبعد ذلك وصَلَتنا بأساس الإسلام وخُلاصَته أي شجرة أهل البيت الطّيّبة ونحن كنّا فخورين بتسمية أنفسنا شيعةً.

١- خطاب الحاج قاسم في الجمعية العمومية الثامنة عشرة للبصيرة

الأحداث الحقيقية والإلهية ليست صدفةً أو عَرَضيّة، كأن يأتي مثلاً قائد من جيش الإسلام بعد حادثٍ ما ويفتح قصر كسرى ويستولي على إيران. كان هذا بسبب حقيقة نبي الإسلام الكريم.[1]

مسلمو غزة ولبنان هم خطّ مواجهتنا

إنّ الذين قالوا «لا لغزّة، لا للبنان، روحي فداءٌ لإيران» قد كذبوا ولم يفهموا حقيقة الأمور. لولا غزّة ولبنان، لما بقيت روحٌ اليوم في جسد إيران. أولئك المسلمون في غزة ولبنان، هم خط مواجهتنا الأوّل. بغض النظر عن المسائل العقائدية، فهناك هو خط مواجهتنا. لماذا إسرائيل التي تملك عشرات الصواريخ النووية لا تتجرأ ولن تجرؤ على الاعتداء على بلدنا؟ لأنّهم يرون قوّتنا هناك. إيران اليوم في ذروة قوتها الحقيقية بفضل العناية الإلهية، ببركة هذه الدماء، ببركة نور

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في ذكرى الشهيد الحاج علي محمدي بور.

الإمـام الخميني المقدس، وببركة القيـادة الحكيمة للإمام الخامنئي. العدو يعترف بهذا، لا علاقة لنا بذلك، لا حاجة لنـا لرفع الشـعارات. يقـول العـدو إن إيران ابتلعـت العراق، نحن لا نقول هذا وطبعاً لا نقبل بذلك. العدو ينظر إلى هؤلاء المستضعفين الذين يُحبّون إيران وهم في المقابل يجلسون على رأس الحكم في العراق. يَرَون الحكيم، نوري المالكي، الجعفري وطالباني ثم يقولون أنّ إيران ابتلعت العراق.[1]

يجب تقبيل قَدَم هذه الأمّة

هذه الأمّة لا نظير لها، أمّةٌ لو كانت حاضرةً في زمن غربة أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الإمامين الحسـن والحسين عليهما السلام لـكان العالَـم الإسـلاميّ اليـوم مختلفـاً. لقـد لاحظـت أنّ الشـعب الإيرانـي كان المنقـذ لهـذا النّظـام وهـذه الثّـورة خـلال ثمـانٍ إلى تسـعِ حقبـات. أوّلهـا كان خـلال انتصار

١- نفس المصدر

هذه الثورة، حيث مشى الشّعب خلف الإمام الخميني في تلك الظّروف الصّعبة، واستطاع إيصال هذه الثّورة العظيمة إلى الانتصار.

بعد انتصار الثّورة مباشرة، أدّت مشاركة الشّعب في الاستفتاء والانتخابات المختلفة إلى تثبيت أسس النّظام. بعد ذلك كانت فترة مواجهة الفتن خصوصاً في المرحلة الأولى للثّورة التي كانت فتيّة آنذاك. حوادث اللّيبراليين، اليساريّين، المنافقين، حادثة كردستان، حادثة بلوشستان، الانقلابات المختلفة وحروب الشوارع التي أشعلها المنافقون وغيرها، قام الشعب بالقضاء عليها جميعاً. ثم بدأت الحرب المفروضة، حيث صمد الشّعب أيضاً قدّم أبناءه لمواجهة العدوان وقدّموا أكثر من مئتي ألف شهيد من خيرة الشّباب ودافعوا عن كيان هذا الوطن. استطاعت إيران، في هذه الحرب الغير متكافئة،

من إلحاق الهزيمة بأعدائها من الشّرق والغرب.

بُعيد رحيل الإمام الخميني المُفجع، ساد الخوف والقلق الشّديدين أرواح الإيرانيّين؛ ومع شقّ الطّريق الصحيح، اجتمع الشّعب حول القائد الجديد -الإمام الخامنئي- وبذلوا أرواحهم في خدمته وأنقذوا النظام من خطرٍ كبير كان محدق به. لقد استطاع الشّعب الإيرانيّ من خلال حكمته وبصيرته أن ينتصر على الحوادث والفتن المتتالية، خصوصاً تلك الفتنة الأخيرة عام ٢٠٠٩. يجب تقبيل قدَم هذه الأمّة والتّبرّك من تراب أقدام هذا الشّعب، لانّه شعبٌ عظيم.[١]

١- خطاب الحاج قاسم خلال مسيرة ١١ شباط في كرمان عام ٢٠١٨

في إيران آلاف التنظيمات التي تُشبه حزب الله في لبنان

يجب علينا إدراك العوامل التي أوجدت تلك الثقافة ومعرفة الشخصيات العظيمة التي تواجدت سابقا في الجبهات كي نتمكن اليوم من ترويجها في المجتمع.

في جزء من أبعاد الجيل الحالي، هناك ولاء أكبر من ذلك الذي كان متواجدا لدى جيل الدفاع المقدس، كما أن معارفهم هي أكبر من تلك التي كانت لدينا عند انخراطنا في الجبهات. وفي نفس الوقت، نفتقد لروحية الجبهات، التي كانت سائدة في السابق، في تشكيلات

اليوم؛ لماذا؟

ماذا حصل في جبهاتنا حتّى أصبح نموّ أبنائنا على هذا الشكل؟ في الجبهات، وصل بعض الأشخاص -الذين نرى صورهم بيننا هنا- إلى مرحلة اليقين. ونحن نُدرك السبب الرئيسي لهذا من خلال الجبهة.

الشيء الذي أبقى أعدائنا اليوم في شك جدي وعميق حيال الإقدام على استهداف بلدنا ليس الموقف السياسي، ولا نظرتهم للعالم، بل إن الشيء الذي ردع أعدائنا حتّى اليوم هو الثماني سنوات من تاريخ الدفاع المقدس ومواضيع أخرى يُدركها العدو جيداً. نحن لا نقول أبداً أنّ عدوّنا لن يستهدف بلدنا، فهو قد يُقدم على ارتكاب حركة خاطئة؛ لكنّنا حاضرون وجاهزون له وأيّ ضربة يريد توجيهها للجمهورية الإسلامية سيكون مصيرها الفشل.

لـم يعـش عدوّنـا حربـاً أصعـب وأشـدّ مـن حـرب ٣٣ يومـاً[1] فـي لبنـان ولـم يكـن هنـاك عـدو أكثـر تطـوراً مـن

١- عُرفت حرب إسرائيل وأميركا ضد لبنان عام ٢٠٠٦ بحرب تموز وحرب لبنان الثانية وقد بدأت يوم ١٢ تموز ٢٠٠٦ بين جيش العدو الإسرائيلي ومجموعات حزب الله على الحدود اللبنانية الفلسطينية وانتهت بتاريخ ١٤ آب ٢٠٠٦ تنفيذًا للقرار ١٧٠١ الصادر عن مجلس الأمن الدولي.

في هذه الحرب، كانت المرة الأولى التي يتخطى فيها عدد قتلى الجيش الإسرائيلي عدد شهداء الطرف المقابل بحيث خسرت إسرائيل ١١٧ جندياً وضابطاً في مقابل ٧٤ شهيداً في صفوف حزب الله. وهذا عكس ما حصل خلال حرب الأيّام السّتّ عام ١٩٦٧ ضد بعض البلدان العربية كالأردن وسوريا ومصر حيث خسر الجيش الإسرائيلي ١٦ جندياً فقط.

ذكرت مصادر الجيش الإسرائيلي أنّ ٢٤٥ جندياً في صفوفه أصيبوا بأمراض نفسية بسبب الصدمات التي تعرضوا لها خلال حرب تموز ٢٠٠٦.

لم يستطع سلاح الجو الإسرائيلي خلال حرب تموز ٢٠٠٦ من تحقيق حتّى إنجاز واحد، وقد استمر خلال المعارك بتدمير البنية التحتية وقصف البيوت والأبنية دون أي نتيجةٍ ميدانية. واعتُبر تدمير مروحيتين إسرائيليتين خلال هذه الحرب قمّة عجز سلاح الجو الإسرائيلي.

حاولت فرق الكوموندوس الإسرائيلية خلال الحرب توجيه ضربات لقوات حزب الله من خلال عمليات إنزال خلف الخطوط الدفاعية للحزب إلّا أنّ كلّ المحاولات باءت بالفشل وكان ضمنها عملية لمحاولة أسر الشيخ محمد يزبك ممثل السيد حسن نصرالله في بعلبك.

اعتمد الجيش الإسرائيلي أسلوب الحرب عن بُعد حيث أمطرت

العدو الإسرائيليّ. لقد تفاجئوا بأنّ أقوى جيش في المنطقة قد وقع بيد فئة صغيرة اسمها حزب الله وقد ألحقت هذه الفئة هزيمة مُدويّة بهذا الجيش. وفي إيران آلاف التنظيمات التي تُشبه حزب الله في لبنان وينضوي تحت لوائها ملايين العناصر كعناصر حزب الله.[1]

كان عليكم أن تذهبوا لرؤية جنوب لبنان

كان الشهيد شاطري[2] قدوةً ومثالًا أخلاقياً وسلوكياً؛

طائراته مختلف المناطق اللبنانية بالصواريخ عبر أكثر من ١٥ ألف غارة وبقي سلاح البحر الإسرائيلي مدة ٨ آلاف ساعة حاضراً في مقابل الساحل اللبناني بهدف تضييق الحصار والخناق. كما وأطلق سلاح البر الإسرائيلي أكثر من ٢٥٠٠ قذيفة هاون نحو الأراضي اللبنانية.

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في المؤتمر العاشر لشهداء محافظة كرمان

٢- ولد حسن شاطري في تموز ١٩٦٢ من عائلة متدينة في سمنان. نظراً لإمكانياته الكبيرة فقد تولّى مهام عديدة منها: قائد كتيبة عام ١٩٨١، مسؤول الخدمات والعمليات في معسكر حمزة سيد الشهداء عام ١٩٨٣، مسؤول الخدمات والعمليات ورئيس أركان كتيبة سردشت عام ١٩٨٤، مسؤول العمليات في سردشت بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٧، قائد الهندسة

فعندما ذهب بفكره إلى لبنان، استطاع أن يُبدّل عبر سلوكه الخاص من الوجه المأساوي للأنقاض والدّمار. لا أعتقد أنّ أحداً استطاع مجاراة الشهيد شاطري في نشر الدّين.

أنتم لا تستطيعون منحه ميدالية فهو أعظم شأنًا من مسألة السيطرة على تلّة أو استرجاع منطقة أو محور ما. لقد استحوذ على القلوب عبر أفعاله الصادقة وأخلاقه

في معسكر حمزة سيد الشهداء عام ١٩٨٨ وكذلك قائد الهندسة في فيلق أصفهان.

كانت قيادة قسم الهندسة في فيلق القدس آخر مسؤوليات المهندس حسن شاطري المعروف باسم (حسام خوش نويس). أصبح رئيس لجنة إعادة الإعمار في لبنان بعد حرب ٣٣ يوم عام ٢٠٠٦. لم تقتصر مسؤوليته على إعادة الإعمار في المناطق الشيعية فحسب، بل وسّع دائرة عمله لتشمل إعادة إعمار الكنائس المسيحية ومساجد أهل السنة. كما ساهم في إعادة إعمار وترميم الجسور والطرق والأماكن الدينية والثقافية التي تضررت جراء الحرب. يُذكر أنّ الشهيد شاطري تولى أيضاً مسؤولية المشاريع العمرانية في أفغانستان. استشهد حسن شاطري على طريق دمشق بيروت بغارة إجرامية إسرائيلية.

الحميـدة، فتجلّت عظمته برحيلـه. عندها، كان عليكم الذهاب لرؤية جنوب لبنان.

تحرير خرمشهر نموذج لمحور المقاومة

قد لا يوجد أحد يؤمن بأنّ ما جرى في فلسطين ولبنان كان نتيجة خبرة سـابقة وتجربـة ناجحة. هناك أمثلة حيّة علـى هذه المجريـات ومنها انسـحاب العدو الإسـرائيلي مـن جنوب لبنـان ومن غـزة، والتي اسـتفادت مـن تجربة الحـرب التـي فرضـت علينـا والتـي أصبحـت نهـراً غزيراً عظيماً يتدفّق نحو جميع تيّاراتنا ويروي جميع منازلنا.

مـن يسـتطيع أن يُنكـر أنّ سلسـة الأحـداث هـذه التـي بـدأت مـن خرمشـهر ووصلـت إلى جنـوب لبنـان وبعدها إلـى الداخـل الفلسـطيني وعلى الحـدود المصريـة لم تؤدّ إلى اسـتنهاض الشـعوب؟ لقد تحررت خرمشهر في العام

١٩٨٢ ونحن اليوم أمام انتصارات أكبر خارج الحدود.[١]

حزب الله هو المولود المبارك للثورة الإسلامية

حدثت التحولات الأساسية في المنطقة خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة على محاور ثلاثة: فلسطين، العراق ولبنان. كانت إنجازات الجمهورية الإسلامية ودورها المؤثر في هذه المحاور واقعٌ اعترفَ به الأعداء. إنّ نجاح سيادة الشّعب في أيّ نقطة من العالم الإسلامي سيكون من مصلحة الجمهورية الإسلامية وسيوجّه ضررًا للغرب.

إنّ الإنتصارين المباشرين لحزب الله في لبنان عند تحرير الجنوب من الإحتلال الإسرائيلي عام ٢٠٠٠ وفي حرب ٣٣ يوم ضد العدو الإسرائيلي يدلّان على قدرة وقوة هذا الحزب وهو المولود المبارك للثورة الإسلامية.

١- خطاب الفريق سليماني في جلسة علنية لمجلس الشورى الإسلامي

كذلك فقد ألحق المجاهدون الفلسطينيون وشعب غزة المضحي الهزيمة بالإسرائيليين خلال حربَي الأيّام الثمانية و٢٢ يوماً ببركة المساعدات المؤثرة للجمهورية الإسلامية، وهذا يدل على المكانة الرفيعة التي تحظى بها الجمهورية الإسلامية في المنطقة. لقد تحققت هذه المكانة الدينية والسياسية العظيمة بأقلّ تكلفة وضمن إطار المصالح الوطنية.

شهيد بلا حدود

قلّما يقيم المسيحيون مراسم تأبين للشهداء في كنائسهم ومناطقهم، إنّما أقاموا هذه المراسم للشهيد حسن شاطري. كذلك فعلت كل المذاهب والأديان الموجودة في جنوب لبنان. لقد كان الشهيد قدوةً في الأخلاق والسلوك وهذا سيبقى حياً. رأيت في مكان آخر شعباً لديه حكومة ونظاماً، لكنّه كان يعود للشهيد شاطري

في حلّ مشكلاته. هذه النماذج ليست نماذج شخصيّة، وليست رمزًا لمدينة، بل أكبر ذلك بكثير.

في بعض الأحيان يفقد الإنسان شخصاً ويتأثر بذلك لأنّه كان عزيزاً بالنسبة إليه. وفي بعض الأحيان يكون هذا الشخص بحجم مدينة، بل محافظة، وأحياناً أكبر من محافظة، يكون بحجم وطن. هذا شيء يبعث على الفخر والاعتزاز. وهذا هو المعنى الحقيقي للشيعي! والمعنى الحقيقي لإيران! والمعنى الحقيقي للثورة الإسلامية![1]

لا نعرف أسطورة كعِماد

في الحقيقة، أنا لم أعرف أسطورة تُشبه الحاج عِماد[2]

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في ذكرى الشهيد شاطري

٢- وُلد الشهيد عماد مغنية المعروف بالحاج رضوان في مدينة صور في شهر تموز من العام ١٩٦٢. سجّل الشهيد عماد بإسمه أكبر عدد من العمليات ضد العدو الإسرائيلي في العالم. تتألف عائلة الحاج عماد من والده ووالدته وأخين استشهدا لاحقاً هما جهاد وفؤاد. انتقلت عائلته من صور إلى ضاحية بيروت الجنوبية حيث أتمّ دراسته.

في أوائل الثمانينات، انتسب إلى القوة ١٧ التابعة لجبهة التحرير الفلسطينية وتختصّ بحماية الشخصيات القيادية أمثال أبو عمار، أبو جهاد وأبو إياد. منذ ذلك الوقت، أصبح للشهيد عماد دور أساسي في نقل السلاح من جبهة التحرير الفلسطينية إلى حركة أمل وحزب الله في لبنان وبعد اجتياح عام ١٩٨٢ اضطرت الجبهة لمغادرة لبنان.

امتدّ حصار بيروت لثلاثة أشهر ومع خروج المقاتلين الفلسطينيين وجبهة التحرير من بعض المناطق، انتسب الحاج عماد لأفواج المقاومة اللبنانية (حركة أمل) التي أسّسها الإمام السيد موسى الصدر والشهيد مصطفى شمران. انتقل الشهيد عماد بعدها إلى صفوف حزب الله بالتزامن مع التحاق السيد حسن نصرالله بالحزب أيضاً.

بعد نجاحه في عدة عمليات، تمّ تسليمه مسؤولية حماية كبار المسؤولين في حزب الله وبعد ذلك عُيّن مسؤولاً للعمليات الخاصة في الحزب.

ادعى العدو الإسرائيلي أن الحاج عماد كان المخطط لعملية أسر الجنديين الإسرائيليين جنوب لبنان صيف العام ٢٠٠٦ والتي أدّت إلى اندلاع الحرب الإسرائيلية ضد لبنان.

كتبت الصحيفة البريطانية «صانداي تلغراف» عن الشهيد مغنية: «لقد كان مجاهداً ثورياً، وبايع الإمام الخميني للتضحية بحياته من أجل الثورة الإسلامية.»

الصور التي تم نشرها للشهيد عماد حتى الآن قليلة جداً وهذا ما دفع جهاز الـ(إف بي آي) للقول بأنّ الحاج عماد أجرى في حياته عمليتين تجميليتين لوجهه بهدف التمويه.

كان الشهيد مغنية بعيداً عن الإعلام واشتهر بـ«رجل الظل» في المقاومة

سواء بين صفوف الذين استشهدوا أو بين الذين يسلكون اليوم درب الشهادة. أحدَثت شهادة الحاج عماد مغنية ضجّة كبيرة في العالم الإسلامي. بعد رحيل الإمام الخميني، لم أرَ شخصية من غير العلماء كشخصية

الإسلامية كما اعتُبر العقل المدبّر لحزب الله.

كان الحاج عماد ملاحقاً من قبل ٤٢ جهاز أمنيّ واستخباريّ بالحد الأدنى. وقد اتهمه الأمريكيون والإسرائيليون بالمسؤولية عن الكثير من العمليات ضد العدو الإسرائيلي. لم يكن يحبّ أبداً الظهور الإعلاميّ وعُرف بعدة أسماء وألقاب وكان السيد حسن نصر الله يناديه بـ«الحاج عماد». وصفه الإسرائيليون بـ«بن لادن الشيعة» ونعته الأمريكيون بـ«القاتل الأكبر».

تبنّى الشهيد مغنية ثلاث عمليات عام ١٩٨٢ وهذا ما وضعه قيد الملاحقة من قبل الأمريكيين والفرنسيين. العمليات الثلاث هي: عملية تفجير السفارة الأمريكية في بيروت في نيسان ١٩٨٣ والتي أودت بحياة ٦٣ أمركياً، عملية تفجير مقر قوات المارينز في بيروت وقُتل فيها نحو ٢٤١ جندياً وضابطاً أمريكياً، وعملية تفجير مخيم الجيش الفرنسي في منطقة البقاع وانتهت بمقتل ٥٨ فرنسياً. عُرِف الشهيد عماد بمسؤول العمليات الخاصة في حزب الله بسبب مهاراته الخارقة في التخطيط والقيادة.

أعلنت أمريكا عن جائزة بقيمة ٢٥ مليون دولار للمساعدة في القبض على عماد مغنية كما كان هدفاً لـ٤٢ دولةً في العالم.

نجا قبل شهادته من عدة محاولات اغتيال واستشهد في ١٢ شباط ٢٠٠٨ بتفجير سيارة في العاصمة السورية دمشق.

الحاج عماد والذي خلّفت شهادته حزناً كبيراً في العالم الإسلامي.

كُتبَت في حقّه مئات المقالات والبيانات والخطابات. لم يستطع أحدٌ ذمّه، بل على العكس، حتّى الأعداء قاموا بمدحه واحترامه. وهذا لم أرَه سوى عند رحيل الإمام الخميني، حيث لم يستطع أعداؤه القيام بشيء غير مدحه وتقديسه. لذلك، فإن الذين كانوا ينتقدون الحاج عماد في مختلف الدّول قاموا بمدحه بعبارات مطوّلة بعد استشهاده.

لم يستطع أيّ شيء أن يعطّل مسيرة الشهيد عماد مغنية، حتى علاقته بأولاده، مع أنّ الشهداء هم أكثر الناس عاطفةً. كان لديه علاقة كبيرة تجاه تلك المشاعر السامية، ولولا هذه العلاقة، لم تكن صرخة المظلومين حول العالم لتُسمع.

لـم يكن عمـاد مغنية متخصصاً في مجـالٍ واحد؛ كان خبيـراً بحـرب الشّـوارع. أمّـا مـع كلّ هزيمـةٍ للعـدوّ، يزداد تعلّقه بشيءٍ أسـمى بحيث كان يبتسم عندما يصله خبر استشهاد أحد المجاهدين.

يعـود رمز الثّبات في المعركة إلى هذه الفسـلفة، وما ميّز عماد مغنية عن غيره وجعله يسـطع كالشـمس هو أمنياته وارتباطاته؛ لأنّ حلمه كان يتخطى الأرض ولم يكن يشغله شـيءٌ عليها عن أمنياته، وهذه ميزةٌ خاصّةٌ بالحاج عماد قلّما تمّ الحديث عنها.[1]

لم يكن يترك السيد حسن حتّى يرى البسمة على شفتيه

أنا لسـت فـي موقع يمكّنني مـن تعيين المقـام الفقهي لأحد، إنّما السيد حسن نصرالله هو آية الله لأنه أظهر الكثير من الشواهد والآيات الإلهية في مواجهة العدو. وهل يكون

١- خطاب الحاج قاسم في الذكرى السنوية للشهيد مغنية

الحيـاز علـى لقب آية الله في الفقه فقـط ؟ لقد كان آية في مواجهـة عـدوّ الله. كان الحـاج عماد غريـب الطّاعة، فقد كان متواضعـاً جـداً أمام تلك الشـخصية الفريـدة لآية الله السـيد حسـن نصـرالله (روحـي فـداه). كان لدى الشـهيد مغنيـة نظـر مغايـر لرأي السـيد حسـن نصـرالله فـي بعض الأمـور إلّا أنّه كان يُلزم نفسـه تنفيذ قـرار الأمين العام طاعةً للتكليـف، ولـم يحـدث أن لاحـظ أحدٌ مـن المجاهدين يوماً أن قام الشـهيد بمخالفـة أيّ قرار للأمين العام لحزب الله. أحيانـاً كنـتُ أرى السـيد قلقـاً، إلّا أنَ الشـهيد مغنية كان يجلس معه حتى الصبح ولا يغادر إلى أن يرى بسـمةَ السّـيد على شـفتيه ويشـعر بطمأنينة قلبه. إنّ قول الأمين العـام بحقّ الشـهيد عماد بأنّه «ابـن الإمام الخميني» كان صادقـاً تمامـاً ومتكاملاً؛ على الرغم مـن الحب الذي كان يكنّه للإمام القائد الخامنئي. كان عماد مغنية يعتقد بأنّ

استعادة عزّة لبنان كان بفضل قيادة السيد حسن نصرالله الحكيمة، وقد التزم طوال فترة جهاده بأوامره، وكان ينظر للسيد على أنّه منقذ الشيعة في لبنان كما أنّ المسيحيين يدينون له في وجودهم بسبب تدبيره وحكمته.[1]

عماد، رجل المأساة

كان عماد بمثابة رجل المأساة بالنسبة للعدو؛ فعلى الرغم من كل التدابير والاحتياطات التي كان يتخذها العدو فقد عانى هذا العدو من المآسي والفجائع في نهاية كل معركة. كان الشهيد مغنية الرجل الأول الذي استطاع اختراق الصور المباشرة لطائرة مسيّرة تابعة للعدو ومن خلالها أدرك نيّة الإسرائيلي في جنوب لبنان. وكانت «عملية أنصارية»[2] أكبر الهزائم التي تعرّض لها العدو

١- نفس المصدر

٢- كانت «عملية أنصارية» كميناً موفقاً وتاريخياً لحزب الله مقابل القوة الخاصة للكوموندوس البحري الإسرائيلي وأدّت لمقتل ١٢ عنصراً من هذه

كنتيجة لتخطيط وتحضير عماد مغنية لها[1].

إطلاق الصّاروخ بالتّزامن مع خطاب السيد حسن

القوة.

يعتبر كمين أنصارية من أهم العمليات التي قام بها حزب الله ضد العدو الإسرائيلي، وقد تحدث عنه الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله عدة مرات أخيراً. على الرغم من جهود العدو الإسرائيلي للتقليل من أهمية هذه العملية عبر وسائل إعلامه ووصفها بالصّدفة إلّا أنّ سير الكمين ونتيجته التاريخية كانت دليلاً واضحاً على يقظة حزب الله وعلى الهزيمة الكبيرة التي مُني بها العدو الإسرائيلي. شكّل كمين أنصارية صدمة كبيرة للمسؤولين الإسرائيليين وضربة موجعة للعدو سيّما على صعيد التوازن الإستراتيجي في مقابل حزب الله. كانت هذه العملية نقطة تحوّل في الصّراع وفي تاريخ المقاومة والمنطقة. أدّت العملية إلى مقتل ١٢ عنصراً من القوة البحرية الإسرائيلية وتحديداً من الوحدة الخاصة المسمّاة «وحدة شيطيت ١٣».

ظلّ العدوّ ينكر هذا الكمين طوال سنوات إلى أن اضطر للاعتراف به بعد كشف تفاصيله كاملة من قبل حزب الله الذي استطاع أن يحدّد عدد ومسير حركة القوة الإسرائيلية آنذاك.

اعتبر نتنياهو الذي كان عنصراً في قوة الكومندوس الإسرائيلية أنّ هذه العملية «من أقسى المصائب التي حلّت بنا» وقال: «خسرنا عدداً من جنودنا المميزين، وأنا لا أبالغ بذلك، في الماضي واجهنا مصائب كثيرة إلّا أنّ هذه المصيبة لا سابقة لها.»

١- خطاب الحاج قاسم في الذكرى السنوية للشهيد مغنية

مـن أهـمّ الخطوات التـي كان يقـوم بها سـلاح البحرية الإسـرائيلية خلال كل الحروب السـابقة قطع الطريق التي تربط العاصمة بيروت بالجنوب اللبناني، وذلك من أجل قطـع خطوط الإمداد ليتمكّن من السـيطرة على مجريات الحرب بسـرعة. لو تابعتم كلّ الحـروب اللبنانية لتمكّنتم مـن ملاحظة الـدور الدقيـق لسـلاح البحرية الإسـرائيلية. وجّـه الشـهيد عمـاد مغنيـة خـلال حـرب ٣٣ يـوم ضربـة قاضيـة للعدو الإسـرائيلي. العجيب في هـذه الضربة أنها حصلـت أثنـاء خطاب الأميـن العام لحـزب الله وتحديداً عنـد قولـه: «انظـروا الآن»، عندما رُميـت البارجـة الحربية الإسـرائيلية[1] بصـاروخ أدّى إلـى تدميرهـا وإخراج سـلاح

١- شـكّل تدمير البارجة الحربية (سـاعر) واحداً من أهمّ أحداث حرب ٣٣ يـوم. ما زاد حيرة الإسـرائيليين والأمريكيين هو كيفيـة توجيه هذه الضربة، مـكان إطـلاق الصّـاروخ، طبيعـة السـلاح المسـتخدَم، وكيـف أنّ أجهـزة الرصد المتطورة التي كانت على متن البارجة لم تظهر شيئاً حينها.
اسـتطاع حـزب الله إصابـة واحدة من بـوارج (سـاعر٥) الثلاث يـوم ١٤ تموز ٢٠٠٦ فـي اليـوم الثالث من حرب ٣٣ يوم. كان بحوزة الجيش الإسـرائيلي

البحرية من معادلة الحرب[1].

اصطحبني ذات مرّة إلى غرفة عملياته

بقي الحاج عماد شخصية تلاحقها كل أجهزة المخابرات الغربية وبعض الأجهزة العربية بالتنسيق مع

حينها ٣ بوارج من نوع (ساعر٥): INS Hanit, INS Lahav, INS Eilat، وكانت البارجة (حانيت) أحدث وأفضل هذه البوارج.

نتجت عن هذه الضربة موجة سلبية في نفوس القوات الإسرائيلية مقابل موجة من الفرح والحماس في صفوف المقاومين.

تمكن حزب الله خلال هذه الحرب من إصابة بارجة أخرى عبر صاروخ (كروز) إلّا أنّ الجيش الإسرائيلي لم يعترف بذلك حتى اليوم.

تحدث السيد حسن نصرالله خلال مقابلة معه عن تفاصيل خطابه أثناء إطلاق الصاروخ نحو البارجة الإسرائيلية وقال: «كنت في الضاحية لحظة ضرب البارجة (ساعر) في البحر المتوسط. كنّا قد وعدنا بمفاجئات خلال الحرب وكانت هذه العملية واحدة منها. كانت هذه العملية معقدة جداً من الناحية التقنية والتنفيذية، وقد تمكّن المجاهدون من تنفيذها. انتظرت كثيراً قبل ذلك الخطاب، ووعدت خلاله بالمفاجآت، وفي نهايته، أتى أحد الأخوة وأخبرني بإنجاز العملية. لقد أعلنت عن هذه العملية مباشرة على الهواء.»

١- خطاب الحاج قاسم في الذكرى السنوية للشهيد مغنية

العدو الإسرائيلي على مدى ٢٥ عاماً لكن بدون نتيجة. كانوا يعرفونه جيداً.

امتلك الشهيد مغنية شخصية عجيبة بحيث كان يدخل بيوت خصوم حزب الله والبعيدين عن فكره ويناقشهم. كان يسعى لإقناعهم بالتحالف مع حزب الله، وعندما كانت محاولته لا تنجح كان يقول: أنا لست رضوان، أنا عماد مغنية! وكان الجميع عندها يقومون بعملهم على أكمل وجه. في حين كان الكثيرون يقصدون أماكن معيّنة بدعم أمني كبيروبرفقة أجهزة حماية ضخمة، كان عماد يذهب إليها فريداً ويجري نقاشاته ثمّ يخرج منها بدون جلبة. لقد منحوه لقباً دقيقاً عندما قالوا بأنّه كان يهبط كالسيف والبرق ويختفي كالشبح.

كان يعتقد الحاج رضوان بأنّ إخضاع العدو يستدعي

إحياءَ وتضافر كلّ القدرات الجهادية في العالم الإسلامي. كان عماد مغنية الشخص الذي ربط الحركات الفلسطينية بمركز المقاومة وأوّل من أحضر ياسر عرفات إلى إيران. لقد رفع من قدرات حركة حماس وفعّل عمل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وهذا العمل حوّل غزة إلى حصنٍ لا يُقهَر. إنّ غزّة ولبنان اليوم مصدر القلق الدائم لإسرائيل وكما قيل «كلّ صاروخ يتم إطلاقه من غزة، يمكن رؤية بصمة عماد مغنية عليه.»

اصطحبني ذات مرة معه إلى غرفة عملياته وأراني المبنى المقابل وقال: «يراقبني فريق باستمرار عبر الكاميرا من هذا المبنى!» كان يُجاري عدوّه إلى نقطة يقضي فيها عليه مع كل قدراته وتجهيزاته. حاول الأمريكيون والإسرائيليون اغتياله عدة مرات لكن محاولاتهم باءت بالفشل مرارًا.

لـم يكتـفِ بالمسـاعدة علـى انهيـار حـزب البعث في لبنان فحسـب، بل سـاهم بالقضاء عليه فـي العراق أيضاً وقدّم المساعدة للمجاهدين العراقيين.[1]

لا ننام ليلاً إلّا إذا فكّرنا بأعدائنا

أدّى استشـهاد الحاج عماد إلى إغراق العالم الإسلامي في الحزن، لكنّ من المهم الإشـارة إلى أنّ الإسـلام ذو قوة إنتاجية ودائماً ما يُخرج إلى العالم الإسـلامي شـخصيات جديدة درَست وتدرّبت في نفس مدرسة الشهيد مغنية.

الملاحظـة التـي يعلمها العـدوّ والتي يجـب أن يُدركها جيّـدا هي أنّ القصاص لدماء عماد ليس بإطلاق صاروخ وليـس بقتـل شـخص، بـل إنّ القصـاص لدمـاء عمـاد وجميـع مـن هـم كعماد واستشـهدوا في فلسـطين ولبنان وإيـران وباقـي الأماكن إثر مؤامرات الكيـان الصهيوني، هو

١- خطاب الحاج قاسم في الذكرى السنوية للشهيد مغنية

القضاء واجتثاث هذا الكيان الصهيوني قاتل الأطفال. العدوّ يعرف أنّ هذا الأمر حتميّ ويعرف أنّه يولَد يومياً إلى عشرات الأطفال الذين يحملون أسماء الشهداء وسيملؤون أماكنهم، لذلك فإنّ هذا الوعد الإلهيّ سيتحقّق ونحن على ثقة بتحقّق هذا الوعد.

نحن نؤمن بصدق الوعد الإلهيّ وقد شهدنا عليه مرّات عديدة وسنشاهده في الثأر لهؤلاء الشهداء. نحن لا ننام ليلاً إلّا إذا فكّرنا بعدوّنا كأنّه أمام أعيننا. هذا العدو لن يستمرّ طويلاً، وأفعاله الإجرامية دليل على ذلك. لا يوجد عوامل تدعم استقرار وثبات هذا العدوّ. سيستمر طريق الشهداء، عماد مغنية وجهاد مغنية وبقيّة شهداء فلسطين ولبنان والعراق وغيرهم، وأنتم تشاهدون كيف يتوسّع ويَكبُر محور المقاومة وسيتسع نطاقه كلّ يوم.[1]

١- نفس المصدر

حاول البعض سحب علم فلسطين من يد إيران

كان إطلاق يوم القدس أحد الروائع المهمة للإمام الخميني وسببًا لعزّة إيران في العالم الإسلاميّ. يوم القدس شبيه بيوم الله (١١ شباط) الذي يشارك فيه الشعب متّحداً عبر مسيرات مميّزة ومهيبة، لأنّ هذا اليوم شبيهٌ ومُساوٍ لأعظم الأحداث وهو انتصار الثورة الإسلامية في ١١ شباط.

لم ترغب بعض الدول العربية بتأسيس يوم للقدس في فلسطين. وتُعدّ مظلومية الشعب الفلسطيني أهمّ المشاكل التي يعاني منها خلال هذه الفترة، حيث أنّه مُحاصر من قِبَل الدول الصديقة وبعض الدول الإسلامية.

حاول البعض سحب علم فلسطين من يد إيران، وقد قلتُ للأخوة الفلسطينيين أنّنا سندعم أيّ شخص يحمل العلم الفلسطيني، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار أن أيّة

دولـة عربيـة تمتلك القـوة لدعم فلسـطين. هـذه الأحداث تحمـل بعـض النقاط فـي طياتهـا وعلـى الإنسـان التحلّي بالصّبروالتحمّل لرؤية نهايتها.[1]

قلتُ لنفسي: «ليتَ الإمام لم يقُل هذا الكلام!»

في معركة الخندق، اعتبرنبيّ الإسلام برؤيته الحكيمة أنّ حفرالخندق سيكون مفيداً. وعندماكان الجوع يضغط على الناس، كان النبي الأكرم يربط حجَراًعلى بطنه حتى لا يدبّ اليـأس فيهم. ولمّا كانـوا محاصرين، شـرعوا بحفرالخندق باستخدام الوسائل التي كانت متاحة حينها، وكانت تندلع شرارات عند اصطدامهم هذه الوسائل بالصخر، فيرى النبي الأكرم ذلك ويرفع نداء «الله أكبر» ثلاث مرات. تكررت هذه الحادثة ثلاث مرات وفي جميعها كان النبي يرفع نداء «الله أكبر». عند ذلك قال النبي: «رأيت فتح كسرى والروم والشام

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في جمعٍ من أوائل المجاهدين وقدامى المقاتلين خلال حقبة الدفاع المقدس بمحافظة كرمان

في هذا النور». لم يلتفت المسلمون لكلام الرسول بسبب جوعهم، إلّا أنّ النّبيّ لاحظ مستقبل الإسلام في ذلك النور بواسطة إيمانه وتقواه.

عند اندلاع حرب ٣٣ يوم في لبنان، التقيت الإمام القائد وكان من ضمن توصياته التي قالها لي: «هذه الحرب كحرب الخندق، سيكون في نهايتها نصرٌ كبيرٌ لمحور المقاومة.» قلتُ لنفسي: «ليتَ الإمام لم يقُل هذا الكلام!» لم يكن لدى السيد حسن نصرالله والحاج عماد مغنية وأنا أيّ أملٍ في هذا النصر. ثمّ قال لي كلاماً عجيباً آخر: «لديّ إحساسٌ بأنّ إسرائيل كانت تنوي توجيه ضربةٍ مفاجئةٍ لحزب الله، إلّا أنّ قيامَه بأَسر الجنديّين الإسرائيليّين منَعَ هذا الهجوم المُباغت».

عندما كنت في تلك المنطقة، لم يكن يملك السيد حسن نصرالله أو المجاهدون هذه المعلومات. ثمّ قال: «قُل

لهم أن يقرأوا دعاء الجوشن الصغير». دعاء الجوشن الصغير دعاءٌ مليءٌ بالمعاني إلّا أنّه ليس معروفاً بعكس دعاء الجوشن الكبير الذي يُقرأ في ليالي القدر. وأضاف: «أوصيتُ بقراءة دعاء الجوشن الصغير لأنّ الإنسان عندما يكون في ضيق وعجز بحيث ليس لديه ملاذ، و إذا أراد التكلم مع الله في قمّة المصائب والمشاكل، فهذا الدعاء هو الأفضل.» ثمّ رجعتُ وأبلغتُ هذه التوصيات للسيد حسن نصرالله.[1]

هزيمة أفضل تكنولوجيا في مقابل أفضل أيديولوجيا

كان العدوّ الإسرائيلي خلال حرب ٣٣ يوم على لبنان مزود بأحدث وأفضل تكنولوجيا موجودة آنذاك في العالم. وعندما كان العدوّ في ذروة كبريائه بسبب هذه القوة، رأينا كيف أنّه انهزم أمام أيديولوجية حزب الله. تبلغ مساحة لبنان ١٠٤٥٢ كيلومتر مربع ولو افترضنا أنّ حزب الله متواجد

١- خطاب الحاج قاسم خلال لقائه مع أبناء الشهداء في كرمان

في ثلث مساحة لبنان فستكون هذه المساحة حوالي ٣٠٠٠ كيلومتر مربع، في حين دارت عمليات بيت المقدس الإيرانية خلال مرحلة الدفاع المقدس على مساحة تقدّر ٥٠٠٠ كيلومتر مربع. لقد تلقّى العدو الإسرائيلي هزيمة مع كل ما يملكه من قوة أمام أيديولوجية حزب الله مع أنّ الحرب التي شنها كانت تدور في مساحةٍ أقلّ من مساحة العمليات في الحرب التي كانت دائرة بين إيران والعراق.[1]

وصفوا حزب الله بعملاء إيران

كانت (الانتخابات اللبنانية)[2] بمثابة استفتاء. لماذا؟ لأنّ كلّ أولئك الذين يُدلون دائماً بتحليلات خاطئة وخرقاء ويتكلمون دون معلومات رأوا بأنّ هذه الانتخابات حصلت في وقت كانت كل الأحزاب المعارضة لحزب

١- خطاب الحاج قاسم خلال معرض صخرة الصبر في ورامين

٢- الانتخابات النيابية اللبنانية التي جرت في عام ٢٠١٨ وحصل خلالها حزب الله وحلفاؤه على أغلبية المقاعد في مجلس النواب

الله تتهمه بالتدخل في الشأن السوري واليمنيّ والعراقي وغيرها من الدول.

أدرج مجلس التعاون، السعودية والدول التي يحكمها بعض الجهلة، أنظف وأشرف حركة إسلامية وأسماء تدخل السرور على قلوب المسلمين كالسيد حسن نصر الله -الذي يجب ذكر اسمه مترافقة مع الصلوات- على لائحة المنظمات الإرهابية. ذلك الحزب الذي هزم أهمّ عدوّ للعالم العربي.

نشروا شائعات ودعايات كثيرة في لبنان وصفت حزب الله بـ«عملاء إيران». حصلت هذه الانتخابات تحت وطأة هذا الدعايات الفوضوية بالإضافة إلى تمويل وصل إلى ٢٠٠ مليون دولار دفعتها السعودية حينها.

إنّ دفع ٢٠٠ مليون دولار في بلدٍ تبلغ مساحته واحد على خمسة عشر من مساحة كرمان وفي هذه الفترة

الزمينـة القصيرة، ليس مزحة! ولكن ماذا كانت النتيجة؟ كان الرابـح الأول فـي مدينـة بيـروت ولأوّل مـرة فـي تاريـخ لبنان شخصية شيعية تنتسب إلى حزب الله. من بين كلّ رابِحَيْـن في الانتخابـات، حصل واحدٌ منهما على صوتٍ مـن حـزب الله. وقـد حصـل حـزب الله وحلفـاؤه لأوّل مـرة على ٧٤ مقعداً من ١٢٨ متاحةً في مجلس النواب. تحوّل حـزب الله من حـزب المقاومـة إلى دولـة لبنـان المقاوِمَة. حصل هذا الانتصار في قمّة الحصار والعقوبات والضغوط وصرف الأموال والتحركات الخبيثة لآل سعود.[1]

١- خطاب الحاج قاسم خلال اجتماع مع المضحّين في شهر رمضان عام ٢٠١٨

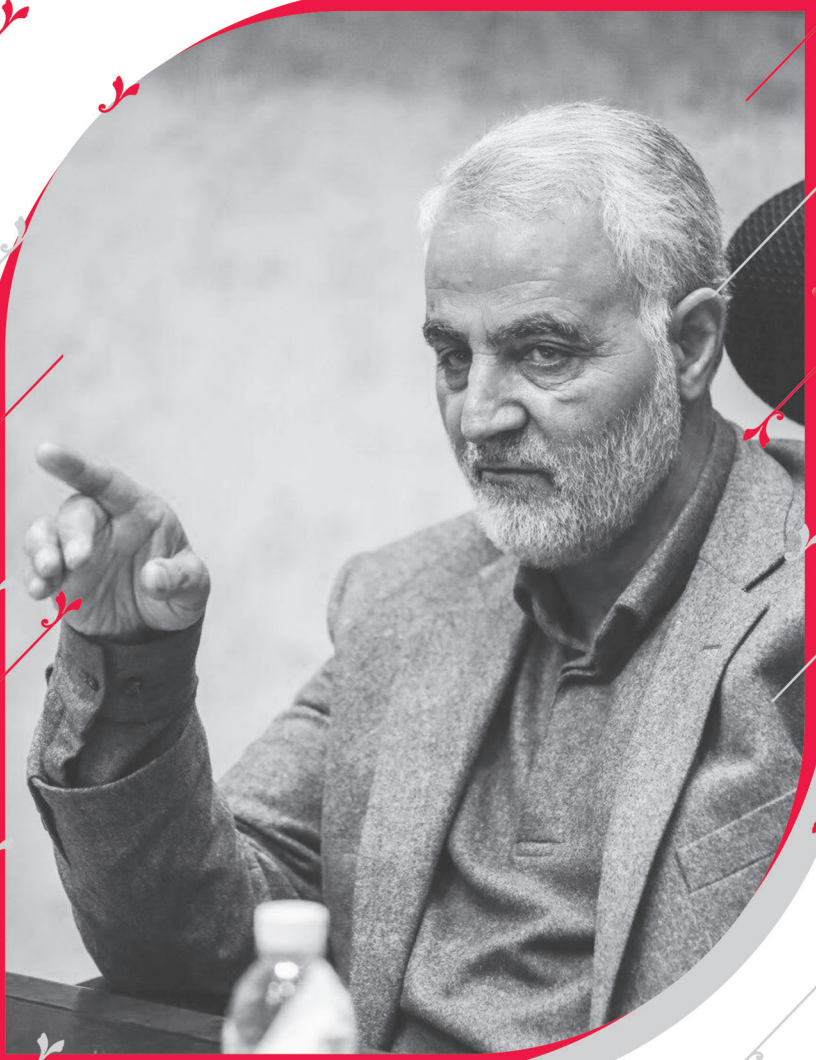

مواجهة داعش هي نفسها الدّفاع عن المصالح الوطنيّة

نواجه اليوم أزمةً مذهبيّة حقيقيّةً على مسافةٍ قريبةٍ من بلدِنا، لم تحصل أزمةٌ شبيهةٌ لها على طول التاريخ الإسلاميّ حتى في عصر صدر الإسلام. لم يتعرّض المذهب لهكذا تهديد أو خطر حتّى عندما قطعوا رأس سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام. لو ساهم أحدٌ بدفع الشعب للتراخي أمام هذا الخطر، فسيكون شريكاً في سفك دم أفراد هذا الشعب. هذه الأزمة كالطاعون وهي بلاءٌ كبير. إذا ضرب الطاعون أو الوباء أحد البلدان

المجاورة لنا، سيتهدّد بلدنا بلاءٌ عظيم، عندها ماذا سنفعل لنحمي ونحصّن شعبنا من هذا الخطر؟ ألا نغلق حدودنا؟ ألا ندقّق في الوافدين والمغادرين على حدودنا البرّيّة؟ ألا نقدّم المساعدة للبلد الذي يعاني من مرض الطاعون حتى لا يصيب بلدنا؟ هذه ليست مسألةً إنسانيّةً فقط، إنّما نقوم بذلك من أجل حماية بلدنا أيضاً. مثلاً نقوم بعقد اجتماعٍ لبحث ومعالجة مشكلة الغبار-وهي خطوة صحيحة- لأنّها تؤثّر على مجتمعنا على الصّعيدَيْن الصّحيّ والنفسيّ، واليوم جاء طاعونٌ يسمّى داعش إلى جوارنا، حيث يُعتَبرُ قطعُ رأس الإنسان أسهل من قطع رأس نعجةٍ بالنسبة إليهم، ولا يقدمون على جريمتهم عبر قتل شخصٍ واحدٍ أو شخصَيْن، إنّما يجمعون المئات وفي لحظةٍ واحدةٍ مع صرخة «الله أكبر» يفصلون رؤوس الجميع عن أجسادهم بواسطة السكاكين!

إذا لم يخبر أحدٌ شعبنا بهذا الخطَر، ولم يسعَ لرفعِ هذا البلاء عنه، فسيكون شريكٌ في المصيبة القادمة. إذ إنَّ مواجهة داعش تُعدّ بمثابة الدّفاع عن مصالحنا الوطنيّة. ذلك الذي يقول بأنّ رأس الأفعى موجودة في إيران، يجب أن نسحقه وهو نفسه الخبيث الذي خطّط لاغتيال نبيّ الإسلام ليلة المبيت، هو الفكر الشرير ذاته.[1]

الهلال الشّيعيّ هو هلالٌ إقتصاديّ

يتحدثون عن «الهلال الشّيعي»[2]، لكنّ الهلال الشّيعي

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في تجمع الدفاع المقدس للفرقة ٤١ ثار الله

٢- كان الملك الأردنيّ عبد الله الثاني أوّل من استعمل مصطلح «الهلال الشيعيّ» وكان يريد حينها تبيان القوة الشيعية في المنطقة، واستعمله من بعده حسني مبارك في مصر وبعض المسؤولين السعوديين. يعتقد هؤلاء بأنّ الجمهورية الإسلامية استغلت نفوذها بين الشيعة في العراق وأدّى ذلك إلى تغيّرات في الجغرافيا السياسيّة في الشّرق الأوسط بحيث غلب ميزان القوّة لمصلحة الشيعة في مقابل المصالح الأمريكيّة وإسرائيل وأهل السُّنّة.

تزامن إطلاق هذا المصطلح مع مرحلة وصول الشيعة إلى الحكم عبر

ليس سياسـيّاً، بل هلالٌ إقتصاديّ. يُعد النفط أهمّ مسألة اقتصاديّةٍ عالميّـة. نحن نعلم بأنّ البلـدان الثلاثة: إيران، السـعودية والعـراق تمتلك أكبر قـدرٍ من النّفـط العالميّ. تأتـي السـعودية فـي المرتبـة الأولـى، تليهـا إيـران والعـراق فـي المرتبتيـن الثّانيـة والثّالثـة، ويقع ما يقـارب ٧٠-٨٠٪ مـن النّفـط في المناطـق الشّـيعيّة. النفط العراقـي موجودٌ فـي البصـرة وبغـداد، ويقـع ٨٠٪ مـن النّفط السّـعوديّ في المناطـق الشّـيعيّة تحديداً في الدّمّـام والقطيف، والنّفط الإيرانيّ أمرُه واضحٌ.[1]

الإنتخابـات العراقيـة بعـد الهجوم الأمريكـيّ على العراق عـام ٢٠٠٣. على هذا الأساس، أكملَ العراق هلال مناطق النفوذ الشيعي الذي ضمّ لبنان، سوريا، العراق، إيران، باكستان وأفغانستان؛ بمعنى أنّه ليس فقط في إيران عبر الجمهورية الإسلامية وفي لبنان عبر حركةٍ قويّةٍ ومتقدّمة، إنّما أيضاً في العراق وسـوريا حيث اسـتطاعوا الوصـول إلى الحكم، أصبـح لديهم موقعٌ حاسمٌ في المنطقة.

١- خطاب الحاج قاسـم سليماني في تجمع الدفاع المقدس للفرقة ٤١ ثار الله

الكلام الإستراتيجيّ الخاطئ لأشخاصٍ مسؤولين

لا يُمكـن مقارنة الحادثة السـوريّة بأيّ حادثةٍ أُخرى؛ إن مـن ناحية حجم المؤامرة وإن من ناحيـة الّذين وقفوا وراء هذه المؤامرة.

أحياناً يقول بعض المسـؤولين عندنا كلاماً اسـتراتيجيّاً خاطئاً، كقولهم لماذا حاربنا في سوريا؟ حسناً، لأنّه يوجد كيـانٌ ضـالٌّ ومتغطرسٌ كالعدوّ الإسـرائيليّ لديـه أكثر من ٣٠٠ رأس نـووي، ويعتمد اسـتراتيجيّة الحرب الإسـتباقيّة بحيـث يدمّـر ويقصف كلّ قـوّة قبل أن تُظهـر فعاليتها، أمّا اليوم، فقد وقفت الجمهورية الإسلاميّة في وجه هذا العدوّ بـكلّ عزّةٍ وقـوّةٍ، والّدليل علـى ذلك أنّـه بالإضافة لجنودنا الموجوديـن فـي الدّاخـل، هناك جنـودٌ آخرون فـي أماكن أُخـرى أوقفوا هذا العدوّ. شـكّلَت الجماعات الإرهابيّة في سـوريا كـرة ثلجٍ اسـتطاعت احتلال ٧٠٪ من مسـاحة هذا

البلـد ودخلوا العراق حتـى وصلوا إلى تخوم بغداد وتحولوا إلـى كـرات ثلجيـة ضخمة ووحشـية. يحـدث أن يضرب زلـزالٌ بقوّة ٥ درجاتٍ مدينةَ طهـران، عليكم أن تتخيّلوا لو وصلت داعش إلى إيران، أيُّ عقلٍ هذا؟

فـي يـومٍ من الأيّام، اتّصل بي شـخصٌ من بغـداد وقال: «يـا فـلان، هـل تفكّـرون بالبصرة؟ هنـاك ١٠٠ شـخص من داعـش متواجـدون قـرب البصـرة.» قلـتُ لـه: «يبلغ عدد سـكان البصرة أكثر من ٢ مليون نسمة!» أنظروا كيف يدمّرُ الخوفُ المجتمع!

يُعتبـر القضـاءُ على الإرهـاب الأميركيّ الصُّنـع من قِبل الجمهوريّـة الإسـلاميّة أهـمّ إنجـازٍ للسّياسـة الخارجيّـة للبـلاد. لقـد تنفّـس العالـم الصُّعـداء بعـد انتصـار محـور المقاومـة علـى المجموعـات الإرهابيـة والتكفيريّة، وهذا الانتصـار لا يُمكن تثمينه على الصّعيد الإنسـانيّ. أولئك

الّذين يشعلون الشّموع من الناحية الإنسانيّة لأجل حادثةٍ ما، ألم يَرَوا كيف كانت تُفَجَّر الشاحنات في الأسواق العراقيّة ويُقتَل الكثير من النّساء والرّجال؟ لماذا لا تلاحظون؟! لماذا تتركون النّاس تراودهم أفكارٌ أُخرى؟ هذه خيانة.

كان انتصار محور المقاومة على التّيّارات الإرهابيّة والتّكفيريّة في العراق وسوريا يصبّ في صالح شعوب العالم والمنطقة كما كان من أجل شعبنا. ماذا كان سيحصل في شوارعنا لو لم تُقدَّم كلّ تلك التّضحيات؟ لقد رأيتُ مشاهد عجيبة كثيرة إبتداءً ممّا حصل في سنجار وصولاً إلى مناطق أخرى، قطعوا رؤوس ٢٠٠٠ شابٍّ بدون أيّ ذنبٍ بالقرب من أحد الأنهار في يومٍ واحد. حسناً، أيّ بلاءٍ كان سينزل على رؤوسنا لو وصل هذا الشيطان إلى بلدنا؟ على كلّ حال، لقد نصرنا الله عزّ

وجلّ.[1]

قالوا:«لا تتدخّلوا في سوريا والعراق»

عندما دخلنا إلى العراق للدّفاع عن شعبه، لم نفصل أبداً بين مصالح إيران والعراق. نحن نعتبر أنّ مصالح الشعب العراقيّ هي مصالحنا أيضاً. قلنا لهم بأنه يجب أن ينتصروا، أن يكونوا أحراراً، وأن يحقّقوا استقلالهم؛ فهذه القضايا هي في الأساس تصب في مصلحتنا. كان هذا هو ظاهر وباطن مساعدتنا للعراق وسوريا، ولم نكن نبحث عن حصّةٍ على الإطلاق. لم نسعَ للرّبح مثل بعض الدّول كأن نقول: «نريد الموصل، كركوك، و...». ماذا طلبنا من فلسطين حتّى الآن؟ هذا لا يعني أنّه إذا لم تُعلن فلسطين تشيُّعَها فلن نعمل مع الفلسطينيين. ٩٩,٩٩٪ من الفلسطينيين هم من أهل السُّنّة، ونحن ندافع عنهم.

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في جمعٍ من أوائل المجاهدين وقدامى المقاتلين في مرحلة الدفاع المقدس بمحافظة كرمان

كان بعض الأصدقاء على أعلى المستويات في داخل وخارج البلد يقولون: «لا تتدخّلوا في سوريا والعراق ودافعوا عن الثّورة باحترام». أحدهم قال: «هل نذهب كي ندافع عن الظّالم؟»، فأجابهم الإمام القائد: «هل ننظر إلى البلدان التي تربطنا بها علاقات على أساس من هو ظالمٌ ومن هو ليس كذلك؟ نحن ننظر إلى المصالح.»

لقد صنعوا الوهّابيّين وجيش الإسلام والجيش الحرّ ومجموعاتٍ أخرى ضدّنا، لكنّ إيران كانت مصدر ثبات سوريا. نحن مَنَعنا حربَهم الطّائفية بالدّين وليس بالقوّة العسكريّة. تتمتّع الجمهورية الإسلاميّة اليوم بسيادةٍ حقيقيّةٍ لا يُمكن انتهاكها في المنطقة.[1]

لماذا لم تجرؤ على ارتكاب أيّ خطأ يا سيّد أوباما؟

كم كيلومتر تبعد قاعدة عين الأسد -التي تتمركز

١- خطاب الحاج قاسم في القمّة العالميّة ليوم المساجد.

طائراتك فيها- عن الرّمادي يا سيّد أوباما؟ كيف يمكن أن تُهَدَّد أمّةٌ هكذا ويعمّ القتلُ فيها، ثمّ تستقرّون في ذلك البلد أنتم، بحجّة الدفاع عن تلك الأمّة، وتشكلّون تحالفاً ثمّ لا ترتكبون أيّ خطأ؟ ماذا يُسمّى هذا؟ هل يكون هذا غيرُتواطؤٍفي المؤامرة وأنّك طرفٌ فيها؟ وهل يُعبّرعن نيّتكم التي لا تحمل أيّة نيّة لمواجهة هذه المجموعات التكفيريّة والإرهابيّة؟ من أين يأتي اقتصاد داعش؟ من آبار النفط في كركوك، ومن آبار النفط في دير الزور السوريّة! إلى أين يُصدّر هذه النّفط؟ طبعاً لا يمكن تصدير كلّ هذا النفط عبر ناقلةٍ أو حاويات صغيرة، بل يتمّ ذلك عبر عشرات ناقلات النفط. من أين يشحنونها؟ هل ينقلونها تحت الأرض؟ أو من فوق الأرض عبر حلفائكم في التحالف الدوليّ لمواجهة داعش؟![1]

١- خطاب قائد قوة القدس في الحرس الثوري الإيرانيّ الفريق قاسم سليماني في لقاء مع الجرحى والمقاتلين في محافظة كرمان

سندعم سوريا حتّى النّهاية

البعض ينتقدوننا: «لماذا تدعمون سوريا إلى هذا الحدّ؟». يجب أن نقول لهؤلاء بأنّنا لا نكترث بدعايات العدوّ؛ لأنّ سوريا هي خطّ المقاومة الأماميّ، وهذه حقيقةٌ لا يمكن إنكارُها. يجب علينا دعم المسلمين لأنّهم يرزحون تحت الضغط والظّلم. فيما خص الهجوم على سوريا، هناك ٧ دولٍ كانت في الخطّ الأماميّ لهذا الهجوم وهي تركيا، السعودية، فرنسا، بريطانيا، أمريكا وإسرائيل وكانوا على ثقة من سقوط بشار الأسد.

هناك إصرارٌ عجيبٌ لدى العدوّ الإسرائيليّ وبعض دول المنطقة حالياً على رحيل الأسد، حتّى إنّهم يقولون: «أن تأتي القاعدة أفضل من أن يبقى بشار الأسد».

أصبحت جبهة النّصرة مكاناً للتسكّع يقصده أفرادٌ من مختلف الدول، يقومون بأعمالٍ وحشيّة، حتّى

إنّ بعضهم وصل به الإجرام إلى حدٍّ لا يوصف. كما يقول بعض معارضي الأسد: «لو حصلت الإنتخابات، سنصوّت لبشار الأسد»، لأنّهم يؤمنون بأنّ بشار الأسد أكثر ديموقراطيّةً من هؤلاء.

اختبرت أمريكا خلال الحرب على سوريا الكثير من الوسائل لإسقاط بشار الأسد منها الحصار السياسي ووجود القاعدة وكان آخرها كذبة استخدام السلاح الكيميائيّ التي لم تصل إلى نتيجة.

لا تكترث أمريكا للديمقراطيّة في مصر ولا لحقوق الإنسان في سوريا وهي غير قلقةٍ بشأن القضيّة النوويّة في إيران، إنّما هدفهم الأساسيّ هو كسر محور المقاومة. نحن سندعم سوريا حتّى النهاية، فالقضية السورية أصبحت الآن مسألة هيبةٍ بالنسبة للأمريكيّين، لذلك هم يسعون بأيديهم وأرجلهم، ويريدون تحقيق النجاح ولو كان

ظاهريا فقط.[1]

كلّ شعوب العالم مَدينةٌ لمجاهدي الدّفاع المقدّس

كان يمكن للهزيمة أمام التّكفيريّين في الحرب السورية أن تغيّر تاريخ المنطقة ومجرى العالم. كانت هذه الحرب من أخطر الأحداث. العالم كلّه مدينٌ لانتصار أبناء هذه الأمّة وانتصار التشيّع على التّكفيريّين. كانت الإنسانية هي السبب الأساسي لهذه التّطوّرات والانتصارات.

بدَت الجماعات التّكفيريّة في هذه الحرب، سواء باسم داعش أو بأسماءٍ أخرى، مُخيفَةً أكثر من أيّ جماعةٍ أخرى. كانوا يملكون في صفوفهم نحو ٧ آلاف إنتحاريّ، وكانوا مُتديّنين. يشير البعض إلى أنّ هؤلاء تعرّضوا لغسيل دماغٍ أو تمّ إعطاؤهم بعض الأدوية، لكنّ الأمر ليس كذلك، فهناك حالات مماثلةٌ في التّاريخ. عندما نقرأ حروب

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في مجلس الخبراء

«الجمل» و«النّهروان»، نرى العناد الّذي كان موجوداً ضد القرآن النّاطق والذي كان عليّ عليه السّلام.[1]

الحشدُ الشّعبيّ هو شجرة العراق الطّيّبة

الحشد الشّعبيّ[2] هو شجرةٌ طيّبةٌ ورأس مالٍ كبير للشّعب العراقيّ. من المؤكّد أنّ هذه الإنتصارات الّتي حصلت في الميدان اليوم كانت بفضل الحشد الشّعبيّ والجيش العراقيّ وشرطة الاتّحاد، لكنّ دور الحشد الشّعبيّ لم يكن هناك مثيل له. لقد أفضى وجود القوى

١- خطاب الحاج قاسم في الجمعيّة العموميّة الثّامنة عشرة للبصيرة

٢- كلمة الحشد باللغة العربية تعني التّعبئة وكلمة الشّعبيّ هي نسبةٌ إلى الشّعب. وتركيب هاتين الكلمتين يعني التعبئة الشّعبيّة. الحشد الشعبيّ هو قوّةٌ شعبيّةٌ وُلدت من رحم الفتوى الجهاديّة للمرجع الشّيعيّ آيت الله السّيستاني عندما كانت داعش قد احتلّت مساحاتٍ عراقيّةٍ واسعة. وصف رئيس مجلس التعبئة في العراق عقيل الحسيني هذه الحالة على أنّها امتدادٌ للتّعبئة الإيرانيّة وكان قد لفت سابقاً إلى أنّ التعبئة العراقيّة تشكّلت من خلال تجربة التّعبئة الإيرانيّة. وكان نوري المالكي قد صرّح للإعلام قائلاً: «لقد اتّخذنا التعبئة الإيرانيّة نموذجاً لهيكلة الحشد الشّعبيّ العراقيّ».

الشّـبابيّة المتطوّعة إلى جانب الجيـش العراقيّ بالإضافة إلـى تأثيرهما المتبادل على بعضهما البعض، إلى ملاحمَ عظيمـة. كان الحشـد ضـرورةً للشـعب العراقـيّ لصـرف أنظـار الطّامعين عـن العراق وإحباطِ كل مؤامـرةٍ تُحاكُ له إلى الأبد. تمّ إنشـاء قوّةٍ شـعبيّةٍ كبيرة وكان التأثير الثقافيّ للحشد كبيراً.[1]

بنيّ، هذا لبنان لك!

خلال فترة رئاسة بشار الأسد لسوريا، ذهب ملك الأردن عبد الله الثاني إلى سوريا، أخذ بِيد بشار الأسد واصطحبه إلـى لبنـان. كان لبنان حينهـا قد أخرج الجيش السّـوريّ من أراضيه وتمّ إزالة تمثال حافظ الأسد من وسط بيروت. هنـاك قال له: «بنيّ، هذا لبنـان لك!». ماذا طلب منه في المقابل؟ طلب أن يسـحب بشـار الأسـد يدَه من يد إيران

١- خطاب الحاج قاسم خلال مراسم تأبين شهيد الدفاع المقدّس الشهيد نصيري

وحزب الله.

في السّنة الماضية، تواسطَ الرّوس لعقد مفاوضاتٍ بين السّعوديّين والنظام السّوري. ذهب حينها وليّ العهد السعوديّ محمّد بن سلمان -الذي كان مستعجلاً للوصول إلى الحكم- إلى روسيا، تحدّث مع الرّوس الذين قبلوا أن يقوموا بهذه الوساطة. عُقد اجتماعٌ بحضور أحد الأشخاص من سوريا وبن سلمان. سأل بن سلمان خلال الجلسة عن أوضاع الرئيس الأسد وعائلته؛ وكأنّ السّعودية لم تكن من بدأ الحرب على سوريا!

قال المندوب السوريّ: «رأيت عندها أنّ الجوّ إيجابيّ، فقلتُ لِبِن سلمان: تعالوا لنتّحد معاً ونخرج داعش التي هي خطرٌ على كلّ الشعوب. فردّ بن سلمان: داعش ليست شيئاً مهمّاً، نستطيع التخلص منها في يومٍ واحد، أنتم لديكم مشكلةٌ واحدةٌ وهي علاقتكم بالجمهورية

الإسلاميّة. اقطَعوا هذه العلاقة واتَّخِذوا موقفاً ضدّهم وسينتهي كلّ هذا بسرعة».

هذا صحيح، تكمن مشكلة النّظام السوريّ في مسألتين مهمّتَين: الأولى محوريّة سوريا في خطّ المقاومة ودعمها لها، والثانية هي تقارب النظام السوريّ من النّظام في الجمهوريّة الإسلاميّة.[1]

١- خطاب الحاج قاسم خلال الذكرى السنوية للشهيد حسين همداني.

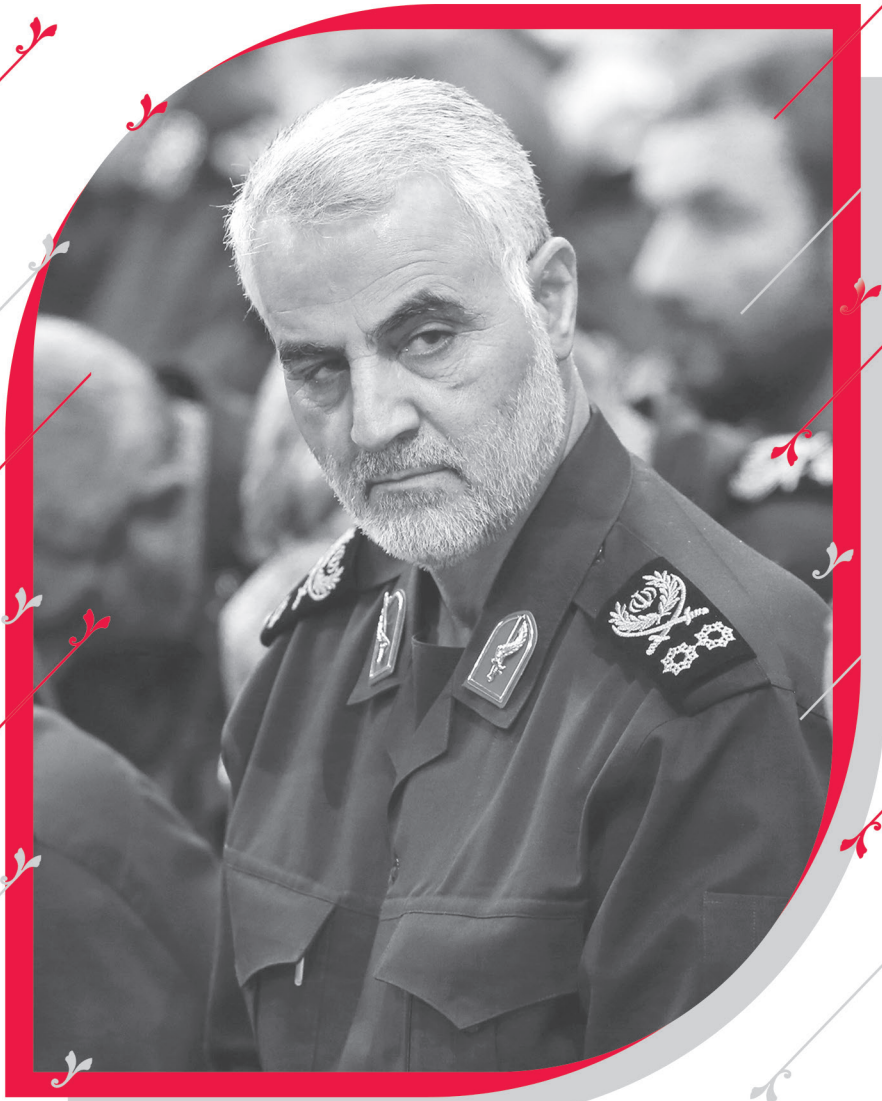

الفصل التّاسع: مدافعو الحرم

مدافعو الحرم هم المدافعون عن قدسيّة الإنسان

مدافعو الحرم ليسوا مدافعين عن الأرض فقط، بل هم يدافعون عن قدسيّة الإنسان. فلولم يواجهوا المصيبة بأجسادهم ولم يقدّموا أرواحهم لكانت ستحلّ الكارثة بهذه الأرض حتّى أنّه ستُنسى كلّ المصائب عندها باستثناء مصيبة كربلاء.

لقد ضمّد هؤلاء المجاهدون نزيف دماء الأطفال والشّباب والرّجال والنّساء في العالم عندما قبلوا بأن تجري دموع الحزن على وجوه نسائهم وأطفالهم وأحبّائهم. كما

زرعوا بذور الحماسة لدى الإيرانيّين إلى جانب الرّوحيّة العالية، وجلبوا العزّة لجميع رجال ونساء وشباب هذا المجتمع. اليوم، فإن الشعب الإيراني العزيز ليس ممتنّا لجراح أطفالكم فحسب، بل إنّ أسماءَ أبنائكم أصبحت معروفةٌ لدى كلّ المظلومين في المنطقة وباتوا يعتبرونهم كأبنائهم.

يا لها من مَشاهد جميلةٍ من الشّعبين العراقيّ والسّوريّ رأيتها في مآتم عزاء أبنائكم، وكم من الدموع جَرَت على وجوهٍ مجهولةٍ لأمّهاتٍ اعتبرن أنفسهنّ أمّهات لشهدائنا.

لا يمكن وصفُ ابتسامة الخلاص التي رسموها على وجوه الأطفال المحاصرين في «آمرلي» و«نبّل» و«الزّهراء» و«الفوعة» و«كفريا» و«دير الزّور» و«حلب» و«الفلّوجة» و«بلد» و«الموصل» لا بقَلَمٍ ولا تعبير. كلّ هذا بفضل قيادة رَجُلٍ يواصل رفع الهمّة العاليةِ للأمّة الإيرانيّة ويقود الجميع

إلى طريق العزّة والكرامة، القائد الّذي جسّد مكانة الإمامَ الخمينيّ بحقٍّ في شخصيّته.[1]

إذا قتلتني وجعلتني شهيداً فسأشفع لك!

لماذا ينصرُ الله الشّعبَ الإيرانيّ؟ ستزداد هذه الانتصارات يوماً بعد يوم ولن يستطيع الأميريكيّون والسّعوديّون فعلَ شيء. هذه إرادةٌ إلهيّةٌ وهم لا يساوون شيئاً في مقابل هذه الإرادة، لأنّ الأمّة الإيرانيّة مستعدّةٌ للتّضحية بروحها وهي أمّة تستحقّ النّصر. لدينا هذه القدرات في قائدنا الّذي هو بكلّ تواضعٍ خادمٌ للعالَم الإسلاميّ، كما لدينا أمّةٌ أظهرت أنّنا مخلصون لكلٍّ من الوطن والدّين.

أنتم حاملو راية الوطن والمُصطفون إلهيّاً، أدّوا حقّ العَلَم الّذي في أيديكم جيّداً. في معركة خيبر، وضع الرّسول

١- جزءٌ من رسالة الحاج قاسم سليماني إلى معرض الاحتفال بعيد ميلاد أبناء شهداء الدّفاع المقدّس.

الأكرم صلى الله عليه وآله السّيفَ في يد من يؤدّي حقّه وكان هذا الشّخص هو أمير المؤمنين عليه السلام الّذي اقتلع باب خيبر من مكانه. لم تكن تلك اليد الّتي رفعت باب خيبر أقوى من غيرها، بل كان ذلك بسبب قوّة إيمانه. وما نَصَر النّبيّ صلى الله عليه وآله في الحروب كان سببه الإيمان؛ مثلاً عدد القوّات الأمريكيّة كبيرٌ جدّاً (أكثر من مليون) ولكن بسبب غياب الإيمان، كانوا عندما يأتون إلى العراق يضعون لهم الحفاضات حتّى لا يخرجوا من دبّاباتهم بسبب الخوف.

أمّا أنتم، فقد وقفتم في وجه العدوّ بجهدكم وسلاحكم البسيط، لأنّكم أسلمتم أرواحكم. تسليم الرّوح لا يعني أن تتصرّف بتهوّر، بل أن تتصرّف بحكمةٍ دون خوفٍ من الموت. الشّخص الّذي يخيفنا من الموت هو في الواقع يعطينا وساماً. فمثلاً كتب الشهيد علي محمّدي -وكان قائد كتيبة- في دفتره: «يا أخ العرب الّذي تبحث عنّي

وأنا أبحث عنك، أقسم بالله إذا قتلتني وجعلتني شهيداً فسأشفع لك!».

وهنا يجب الالتفات إلى مسالة الحلال والحرام في حياة النّاس، لا نستطيع الاستيلاء على بيوتهم في حين يمكننا الاهتمام بالصّلاة. هذا هو مكان المستحبّات وأقرب نقطة إلى الله. قال الإمام الخمينيّ في رسالته إلى حُجّاج بيت الله الحرام[1]: «أيّها الجالسون أمام بيت الله، ادعوا للّذين يقفون في وجه الأعداء». لقد أظهر الإمام في

١- جاء في الرسالة الإلهيّة السّياسيّة التي وجّهها الإمام الخمينيّ إلى تجمّع الحجيج الكبير عام ١٩٨٠: «نحن حاضرون للشّهادة وقد عاهدنا الله أن نتبع الإمام الحسين عليه السلام. أيّها الجالسون أمام بيت الله للدّعاء، ادعوا للّذين يقفون في وجه أمريكا وسائر القوى العظمى، واعلموا أنّنا لسنا في حربٍ مع العراق والعراقيّون يؤيّدون ثورتنا الإسلاميّة. نحن في حالة حربٍ مع الولايات المتّحدة واليوم خرجت اليد الأمريكيّة من كُمَ الحكومة العراقيّة، وإن شاء الله ستستمرّ هذه المعركة حتّى الاستقلال الحقيقيّ وقد قلتُ مراتٍ عديدةٍ إنّنا رجالُ حربٍ والاستسلام لا يعني شيئًا للمسلمين».

كلامه عظمة الجهاد.[1]

الهجرةُ في سبيل الله كالشّهادة

كلّ من يحضر هذا التّجمّع هو مُكرَّم، والسّبب أنّ لديكم ميّزةٌ وهي أنّكم هاجرتم إلى الله أوّلاً. الهجرة في سبيل الله في نفسها هي عملٌ عظيم، حيث أنّ الإنسان إذا مات خلالها ماتَ شهيداً. ومن يهاجر إلى الله، حتّى لو لم يستشهد في أرض المعركة، فهو شهيد.

الملاحظة الثّانية هي أنّكم مجاهدون وأتيتم من أجل الجهاد، وهذا له أجرٌ عظيمٌ لا يستطيع أحدٌ تثمينه. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحَه الله لخاصّة أوليائه»، ولدينا الكثير من هذه المعاني في الأحاديث والرّوايات، حتّى إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بكى عندما عاد من معركة أُحُد على الرّغم من كلّ الجراحات،

١- من كلام الحاج قاسم سليماني على هامش تحرير مدينة البوكمال.

وهـذا دليـلٌ علـى الفضيلـة العظيمـة والنتيجـة المهمّـة للجهـاد. مـع أنّ أميـر المؤمنيـن عليه السلام كان معصومـاً، إلّا أنّ بشـرى الشّـهادة الّتي زفّها له رسول الله صلى الله عليه وآله جعلته سعيداً، لذلـك كانت جملة «فزتُ وربّ الكعبـة» الجملة الأخيرة الّتـي قالهـا الإمـام علـيّ عليه السلام بعـد أن ضُـربَ علـى رأسـه. حسـناً، هذا هو الطّريـق والميدان الّـذي وضعتم أقدامكم فيـه. الهدف واضحٌ بالنّسـبة لكم. من المهـمّ جدّاً إذا أراد الإنسـان القيـام بعملٍ مـا ووَضَـع في سـبيل ذلـك أجمل وأغلـى مـا يملك هـو أن يكون هـذا العمل الـذي يضعه ذا قيمةٍ.

إن لم يكن للعمل قيمة، لا يمكن بذلُ كلّ غالٍ ونفيسٍ من أجله. الإنسـان يقدّم الأغلى مـن أجل الهدف الغالي، ولأنّ القضيّـة مهمّـةٌ جـدّاً، قَبلتُـم أن تأتوا إلى هنـا وتقدّموا التّضحيـات. أنتـم تضحّون برؤوسـكم وأيديكـم وأرجلكم

وكلّ وجودكم، وهذا واضحٌ من خلال بعض الأخوة الّذين جُرحوا ورفضوا ترك هذا المكان ويعشقون التّواجد فيه![1]

سنموت، شئنا أم أبينا

الإنسان يموت شاء أم أبى، سواء كان ملكاً، إمبراطوراً أو عالِماً. الموت إجباريٌّ و٩٩٪ من النّاس يموتون بهذا الشّكل، و١٪ فقط يملكون التّوفيق لاختيار موتهم بأنفسهم. ما هي نتيجة الموت الإجباريّ؟ يصل الإنسان إلى نقطةٍ لا يستطيع فيها إبعاد ذبابةٍ عنه. هل شاهدتم حالةَ احتضار؟ يقول الإمام السّجّاد عليه السلام: «مَوْلَايَ ارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرِي». تُنزع عنّا كلّ الأعمال مع الموت.

أنتم في طريقٍ اخترتموه للدّفاع عن المقدّسات وسلكتموه في سبيل الله. هو ليس فقط دفاعاً عن مقام

١- خطاب الحاج قاسم في جمعٍ من مدافعي الحرم في سوريا

السيّدة زينب والسيدة رقيّة عليهما السلام، بل هو دفاعٌ عن كلّ المقدّسات، الإسلام، أهل البيت عليهم السلام والإنسانيّة. كونوا على يقينٍ أنّه تمّ اختياركم لهذا، سواء حافظتم عليه أم لم تحافظوا.[1]

أعِرِ الله جُمجُمَتَك

يقول أمير المؤمنين عليه السلام بمعنى الحديث أن المجاهد الحقيقيّ هو الّذي لا يشعر بالسّعادة لكونه على قيد الحياة ولا يحزن على فقد أصدقائه، لأنّه يُضحي بنفسه في سبيل الله. الصّفات الخُلُقيّة للمجاهد مهمّةٌ جدّاً، فهو مظهرٌ بأبعادٍ مختلفة. الأساس الأوّل لهذه الصّفات هي الصّلاة. أخي العزيز، لا يجب أن تترك نافلة اللّيل، لأنّ لها نقاءٌ خاصّ. لا تظلِموا في جهادكم؛ فلا تكونوا مظلومين يطئوكم بأقدامهم ولا ظالمين، لهذا يجب أن

١- نفس المصدر

تكونوا حذرين جدّاً عندما تتحرّكون للجهاد.

المجاهد هو أكثر النّاس التزاماً بالشّرع وهناك تشريعاتٌ تحكم آدابه وسلوكه وظاهره وباطنه. هذا الموضوع أساسيٌّ ومهمٌّ جدّاً. يجب أن نَهَبَ أنفسنا جميعاً للإسلام ونقول: «يا ربّ، لقد وهبتُ هذه الحياة الّتي أعطيتني إيّاها لك». لقد كرّست السيّدة مريم عليها السلام عمرَها لله فمنحها الله هذه العظمة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أعِرِ الله جمجُمَتَك»، قُل إنّ هذا الجسدَ لله، أقرِضهُ إيّاه؛ هذا لا يعني ألّا تخطّط، بل خطّط، لكن لا ينبغي أن يؤدي هذا التخطيط إلى غرس أفكارٍ خاطئة فيك.[1]

إزالة غبار المظلوميّة عن وجه الأفغان

كان اختيار اسم «الفاطميّون»[2] لهذا اللّواء قيّماً ومُباركاً.

١- خطاب الحاج قاسم في جمعٍ من مدافعي الحرم في سوريا

٢- شكّلت مجموعةٌ من الجنود الأفغان النّواة الأولى للواء «الفاطميّون» وكانوا يسمّون جيش محمّد صلى الله عليه وآله. قاتلت هذه المجموعة الاتّحاد السوفياتيّ

لقد أزال جهادُ مُقاتلي «الفاطميّون» غبار المظلوميّة عن وجه الأفغان. إنّ نضالات جنود «الفاطميّون» مؤثّرةٌ للغاية في ساحات القتال وكان لها آثاراً بعيدة المدى، وقد تجاوز العمل هذه النّضالات. أصبح الفاطميّون أيضاً مصدر التّغييرفي مجتمعنا.

لقد غيّر نضالُ لواء «الفاطميّون» المواقف بحيث أصبح اليوم -والحمد الله- يُنظرإلى الشّعب الأفغانيّ بنظرةٍ مختلفة وباحترامٍ رفيع. أصبحت قبور الشّهداء الأفغان كمَزارات الأولياء وقد أولاها النّاس اهتماماً خاصّاً.

في أفغانستان ودافعت عن الثورة الإسلاميّة في إيران وكانوا يُعتبرون بطريقةٍ ما أتباعاً للإمام الخميني قدس سره كما شاركوا في الحرب ضد طالبان. تشكّلت النّواة الأولى للفاطميّون من ٢٥ شخصاً وكانوا أوّل التنظيمات التي ذهبت إلى سوريا. عملوا في البداية مع كتائب سيّد الشهداء عليه السلام العراقيّة وغيرها من المجموعات وكانوا إلى جانبهم كمجموعةٍ صغيرة. تمّ اختيار اسم «الفاطميّون» لهذا اللّواء لأنّه تشكّل خلال أيّام شهادة السّيّدة الزّهراء عليها السلام. ذهبت هذه المجموعة إلى منطقة السيدة زينب عليها السلام في سوريا بتاريخ ١٢ أيّار ٢٠١٣ وأعلنت جاهزيّتها وأصبحت تُعرَف اليوم بـ«لواء الفاطميّون». كان الشهيد علي رضا توسلي الملقّب بـ(أبو حامد) مؤسّس هذا اللّواء.

لا شـيء يمكـن أن يؤثّر تعرّض جزءٍ مـن المجتمع الإيرانيّ للعائـلات الأفغانيـة علـى هـذا الحجم مـن الكفـاح للواء الفاطميّين وهذا الدّفاع عن المُثُل والاستشـهاد في سبيل هذا الخطّ. لقد أدى هذا الأمر إلى احترامٌ رفيع للأفغان من قِبَل المجتمع الإيرانيّ.

تحدّث الإمام القائد خلال لقاءٍ مع مجموعةٍ من عائلات شـهداء مدافعي الحرم ولواء «الفاطميّون» بكلماتٍ ثمينةٍ في موضوع شـهداء مدافعي الحرم وأشـار إلى تميّزهم عن سائر الشهداء.[1]

لم يتمّ إجراء دعاية حكوميّة للدّفاع عن الحرم

ما شاهده الإنسـان من أفعالٍ من مدافعي الحرم هؤلاء، في كلّ من سـوريا والعراق، يـودّه لويهوي إلى الأرض دون وعيٍ ويقبّل أقدام صانعي هذه المشاهد. رأيتُ في العراق والـد أحد مدافعي الحرم وقد استشـهد ولـده، لكنه رفض

١- خطاب الحاج قاسم في لقاءٍ مع عائلة الشهيد أبو حامد.

أن يترك جبهة الدّفاع عن الحرم والمعركة ضدّ الأعداء للمشاركة في تشييع الجسد الطّاهر لابنه الشّهيد.

في داخل بلدنا أيضاً تمّ إرسال مدافعي الحرم طواعيةً، ولم يكن هناك أي دعايةٍ حكوميّةٍ لإرسال المتطوعين كما أن حكومتنا لم تولي اهتماماً كبيراً لهذه المسألة، لكنّ الكثير من الأشخاص، من الشّباب إلى كبار السّنّ، تمكّنوا من إقناع أُسرهم وأقاربهم كي يسمحوا لهم ولا يقفوا في طريقهم.[1]

حافظوا على هذه الحرارة وهذا النّبض

يملك بعض الأخوة عشقاً وحبّاً كبيرين للجهاد والشّهادة. أرى العديد من الأمثلة القيّمة -ليس فقط عوائل الشهداء- من الطلّاب وغير الطلّاب وهم متعطّشين، أكثر منّا في بعض الأحيان، للاستشهاد والتّضحية في سبيل

١- خطاب الحاج قاسم في الجمعيّة العموميّة الثّامنة عشرة للبصيرة

الله والثّورة. قد يأتي البعض ليقول: «أريد أن أكون من مدافعي الحرم، كيف يمكنني ذلك؟». رسالتي هي أن تحافظوا على هذا الاهتمام والحبّ والدّافع لديكم. قد تتمكّن من ذلك وقد لا تتمكّن، وقد يصل دورك وقد لا يصل، هذا ليس مهمّاً كثيراً، المهمّ هو أن تحافظ على هذا الدّافع والاهتمام. إذا ضَعُفَ فيك هذه الحافز والحماس، عندئذ يضعُف الدّين ونُصبح أكثر تعلّقاً بالدنيا. هناك أهمية قصوى يجب أن تولَ لهذه الحرارة وهذا الخفقان والدّافع كما يجب أن نهتم لكي نحافظ عليها في داخلنا. كانوا يقولون لنا: «حافظوا على هذه الكراهية الثّوريّة لديكم». ليس لهذه الكراهية جانب ثوري، لكنّ يجب على الإنسان أن يحافظ على هذه الكراهية الضّروريّة لعدوّه، وكأنّه في خطّ الجهاد ضدّهم، وينطبق الشّيء نفسه على الجهاد.[1]

١- خطاب الحاج قاسم في أسبوع التعبئة.

لا يُقال ذكيٌّ لي ولأمثالي

سمعتُ في «دير العدس» صوتاً مميّزا جدّاً يتكلّم. فقد كان للسيّد «إبراهيم صدرزادة»[1] صوتًا خشنًا واضحًا.

١- وُلد مصطفى صدرزادة في ١٠ أيلول ١٩٨٦ في مدينة شوشتر بمحافظة خوزستان من عائلةٍ متديّنة. كان عمره ١١ عاماً عندما انتقل مع عائلته إلى محافظة مازندران وبعد سنتين انتقلوا للسّكن في مدينة شهريار بمحافظة طهران. درس في شبابه العلوم الدّينيّة في الحوزة العلميّة، ثمّ أصبح طالب أديان وعرفان في الجامعة. كان في الوقت نفسه منشغلاً باستقطاب الشّباب من المناطق المحيطة بشهريار وإقامة دروسٍ ورحلاتٍ ثقافيّةٍ وعسكريّةٍ وجلسات محاضراتٍ لهم.

تطوّع مصطفى صدرزادة في عام ٢٠١٣ تحت اسمٍ جهادي «السّيّد إبراهيم» للذّهاب إلى سوريا من أجل الدّفاع عن الدين ومقام السّيّدة زينب عليها السلام، وبسبب شجاعته في محاربة أعداء الدين، أصبح قائد كتيبة عمّار ونائب

لم أكن أعرفه، وعندما سمعته يتكلّم عبر اللّاسلكيّ قلتُ: «من هو هذا الشّخص الّذي جاء من طهران والتحق بلواء الفاطميّين؟»، فأجابني الشهيد «حسين بادبا»: «إنّه السيّد إبراهيم»! وعندما عُدنا من دير العدس، سألت الشهيد حسين: «من هو السّيّد إبراهيم صاحب هذا الصوت الرجولي الخشن؟» فدلّني عليه قائلاً: «هذا هو»، شابٌّ راشدٌ نحيفٌ ومخلصٌ جدّاً يروق للإنسان التّعرّف والنّظر إليه، لقد أحببته حقّاً. سألتُ: «كيف جاء إلى هنا؟». قيل لي: «عندما لم نسمح له بالمجيء، ذهب إلى مشهد وانتسب إلى لواء الفاطميّين كأفغانيٍّ ثمّ جاء إلى هنا».

يُقالُ ذكيٌّ لشخصٍ كهذا، وليس لي ولأمثالي، فالذّكيّ

قائد لواء الفاطميين. أخيراً وبعد إصابته عدّة مرات خلال المواجهات مع داعش، استشهد ظهر يوم التاسع من محرم الموافق لـ٢٣ تشرين الأول ٢٠١٥ عند أطراف حلب بسوريا، ودُفن في مقبرة شهداء جنّة الرّضوان في مدينة شهريار.

ليس من يسعى لتكديس الأموال وخداع النّاس. الذّكيّ والمبدع هو من يغتنم الفرص بهذه الطّريقة ويحسن الاستفادة منها. لماذا قام هو بهذا العمل؟ لأنّه ثمينٌ جدّاً. إنّ اللهُ يحبّ المجاهدَ في سبيله؛ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

إذا أحبّ أحدٌ اللهَ فسيملأ قلبه بالحبّ والمودّة والعطف. هُناك أمثلة كثيرة كالسيد إبراهيم في أنحاء طهران، لكنّ هذا ما جعله عزيزاً جدّاً.[1]

لا تخَف، فهي لا توجع!

استشهد مؤخّراً في سوريا شابٌّ يبلغ من العمر ١٧ عاماً، كان قد قال لأمّه قبل استشهاده: «وفقاً للحُلم الّذي رأيته، ستكون هذه المرّة الأخيرة الّتي نأكل فيها معاً»، لكنّ الأمّ لم تقبل بهذا التّفسير للحُلم.

١- خطاب الحاج قاسم في جمعٍ من مدافعي الحرم في سوريا.

كان قد روى أيضاً الحُلم التّالي لأصدقائه فقال: «رأيت في الحُلم منذ ليلتين أنّهم يجلسون على صدري ثم يريدون فصلَ رأسي عن جسدي، فأصرخ، عندها يأتي الإمام الحسين عليه السلام إليّ ويقول: «لا تخَف، فهي لا توجع، أنا أيضاً فصَل العدوُّ رأسي عن جَسدي ولم يجعني شيء».[1]

الشّهيد حُجَجي وذاك القاتل الشّرّير، كلاهما من ثمار المسجد

نحن لدينا الكثير من الشّهداء حتّى إنّ بعضهم قد ذُبح، لكنّ الله أحياناً يصنع حادثاً من أجل إظهار عظمة موضوعٍ ما، وكان الشّهيد مُحسن حُجَجي[2] ليظهر عظمة

١- خطاب الحاج قاسم خلال مراسم أربعينيّة رحيل والدة الشهيدين حسين واصغر ايرلو.

٢- ولد محسن حُججي عام ١٩٩١ في مدينة نجف آباد الأصفهانيّة وكان واحداً من أبطال مدافعي الحرم واستشهد في سوريا. كان الشّهيد حججي أحد المجاهدين والعناصر النّاشطين في مؤسسة الشّهيد أحمد كاظمي، وقد أسرته مجموعةٌ إرهابيّةٌ من تنظيم داعش خلال عمليّةٍ بالقرب من

مدافعي الحرم العظام. نرى وجهَين في مشهد أَسْر الشّهيد حججي: ذلك الوجه الّذي يريد الذّبح، والوجه الآخَر المُراد ذَبحُه، والاثنان من ثمار المسجد. كلُّ معاركنا في العالم هي لأجلِ مسجدٍ واحد هو المسجد الأقصى، ووحدتنا كلّها تتمحور حول مسجدٍ واحد وهو المسجد الحرام الّذي يُمكن أن يوحّد العالم الإسلامي.

الحدود السّوريّة العراقيّة، واستشهد بعد يومين على يد إرهابيّين تكفيريّين في سوريا. كان هذا المجاهد الثّقافيّ ناشطاً في ترويج الكتب وقام بأعمالٍ جهاديّةٍ في معسكرات البناء لخدمة المناطق المحرومة وكان من خدّام «سالكي طريق النّور» في مناطق عمليّات الدّفاع المقدس. بعد انضمامه للحرس الثّورة، عمل بعد الظّهر في محلٍّ لبَيع الكتب وكان ينفق عائداته في رّحلاته الجهاديّة إلى المناطق المحرومة للتّخفيف من حدّة الفقر. أُسرَ هذا الشّابّ الراشد على يد تنظيم داعش خلال فترة خدمته الثّانية في سوريا على الحدود العراقيّة في يوم الإثنين ٧ آب ٢٠١٧ واستشهد يوم الأربعاء ٩ آب ٢٠١٧ في منطقة التنف السورية.

قال الإمام الخامنئيّ خلال لقائه عائلة الشّهيد حججي: «شهداؤنا كلّهم مظلومون. فضلاً عن مُحسنكم، ثمّة شهداء آخرون استشهدوا على هذا النّحو نفسه، أي إنّ العدو فصل رؤوسهم عن أجسادهم، ودرجاتهم جميعاً عالية، وكلّهم أعزّاء عند الله تعالى. لقد أعزَّ الله تعالى هذا الشّاب بسبب خصوصيّاته وجعله ممثّلاً ومتحدّثاً بإسم كلّ هؤلاء الشّهداء».

لدينا ثلاثة أنواعٍ من المساجد في العالَم الإسلاميّ، ونحن نرى ثمار هذه الأنواع الثّلاثة الموجودةُ أيضاً في بلدنا: مسجدٌ يصنع الوعي ويربّي، مسجدٌ آخر يبثّ روحاً من الإهمال ويُخفض الهمم والدّوافع في المجتمع حيث يقتصر عمل إمام الجماعة فيه على التّحدّث للمأمومين بما يُحبون وحسب، والنّوع الثّالث من المساجد هو بمثابة الآليّة التّي ركبها قادة التّكفيريّين فكانت نتيجتها ولادة تنظيم داعش وجبهة النّصرة.[1]

كان حسين بادبا[2] رفيقاً لي أثناء الحرب وقد أحببته

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في لقاء اليوم العالميّ للمسجد.

٢- ولد حسين بادبا عام ١٩٦٩ في عائلةٍ متديّنةٍ من مدينة رفسنجان التابعة لمحافظة كرمان. ذهب في سن الخامسة عشرة إلى ساحات القتال ضدّ القوات البعثية، وقضى ٤ سنوات في الجبهة، وخلالها تمّ تحديده كمسؤول عن محورٍ، وفي بعض الأحيان شغل منصب قائد سريّة أو نائب قائد كتيبة.

وقد أصيب الشّهيد مرّاتٍ عديدةٍ أثناء معارك الدّفاع المقدس، وأخيراً، بعد فقدانه لإحدى عينيه، أصبح جريحَ الدّفاع المقدّس بنسبة جراحٍ

كثيراً، وهو الآن من شهداء مفقودي الأثر. كنّا من المدينة نفسها، وقد توسّط عبر زوجته من أجل المجيء إلى هنا، وهذا مهمٌّ جدّاً أن تأتي امرأةٌ نيابةً عن زوجها فتتوسّل وتقول: «إقبَل أن يذهب زوجي إلى الجبهة وأن يصبح شهيداً».

هذا كلامٌ مهمٌّ جدّاً ويدلّ على أنّ الهدف ذو قيمةٍ عالية. لقد أحببته كثيراً. كانت واسطته في المرّة الأولى

بلغت ٧٠ في المائة. ومع ذلك، لم يستسلم بعد الحرب، وكان في طليعة المقاتلين في المهمّات الجنوبيّة الشّرقيّة لفرقة ثار الله ٤١ ضدّ العناصر المناوئة للثّورة والمخربين في عام ١٩٩١.

مع بداية المعارك بين قوى المقاومة والتّكفيريّين في سوريا، غادر الحاج حسين أيضًا إلى الشام كقوّة استشاريّة تطّوّعيّة، لكنّه بسبب روحيّته العالية، لم ينأى بنفسه عن الصّراع وعاد إلى إيران مصابًا عدّة مرّات، لكنّ بعد كلّ مرّةٍ كان يعود إلى سوريا لإنهاء عمله غير المكتمل على الرّغم من أن جراحه لم تكن متماثلة للشفاء التامّ.

تجرّع حسين بادبا -الصّديق القديم للحاج قاسم سليماني- مع رفيقه في الجبهة هادي كجباف شربة الشّهادة بتاريخ ١٨ نيسان ٢٠١٦ خلال المعارك في منطقة بصر الحرير بمحافظة درعا السّوريّة ولم يعد جسده الطّاهر إلى الجمهوريّة الإسلاميّة حتّى الآن.

هـي زوجتـه، وفـي المـرّة الثانيـة جـاء بنفسـه، ولم أسـمح بذهابه مرّة أخرى، ثمّ عادت زوجته لتتوسّـط له مرّةً أخرى فقـد قال لها: «لديكِ سـمعةٌ طيّبةٌ عند فـلان، اذهبي إليه وتوسّطي لي عنده كي يسمح لي بالذّهاب». جاء إلى هنا واستشهد في العام الماضي خلال الأيّام الفاطميّة.[1]

استطاع الفريق الشّهيد حسين بادبا عبر إصراره أن يبلغ قافلة الشّهداء، وربمّا استطاع تجاوزها، وهو لم يتمكّن من ترجمة الكلام الغيبيّ[2] للشّهيد حسين يوسف اللّهي فيه

١- خطاب الحاج قاسم في جمعٍ من مدافعي الحرم في سوريا.
نظرت إلى ساعتي، لقد مرّت ٢٥ دقيقة.

٢- كانـت إحـدى المسـائل المهمّـة المرتبطـة لعمليّـات «والفجـر ٨» هي مسـألة المدّ والجزر البحريّ والّذي يؤثّر كذلك على نهر اروند، فقام الأخوة بوضـع علامـة على عامـودٍ ووضعـوه في المـاء على الشّـاطئ لقيـاس المدّ والجـزر بدقّـةٍ فـي مختلـف الأوقـات والأيّـام، وكان للعامود حـارسٌ مهمّته تسجيل حجم المدّ والجزر بالدّرجات.
تكمـن أهمّيـة هـذه المسـألة فـي تعديـل وقـت عبـور الغوّاصين إلـى اروند بحيث لا يتقاطع مع زمن الجزر، لأنّ الماء حينها سيسحب كلّ الغوّاصين إلـى البحر. مـن ناحيةٍ أخرى، كانـت المياه تتحرّك فـي الاتّجاه المعاكس

للنّهر من البحر في فترة المد، وحين تلتقي قوتي المد والجزر للنّهر يصبح الماء راكدًا، فيكون هذا هو الوقت المناسب للعبور من اروند.

أمّا موضوع تحديد ساعةٍ ركود الماء من اللّيل يحدث هذا ومدّته فقد كان شيئاً يجب احتسابه والتّنبّؤ به، وقد وجد الأخوة المعلومات الكافية لحلّ هذه المشكلة، فوضعوا علامةً على عامودٍ وثبتوه في الماء بجانب الشاطئ، وكان لهذا العامود ثلاثة حرّاس يسجّلون أحجامًا متعدّدةً في أوقاتٍ مختلفة.

كان حسين بادبا أحد هؤلاء الحرّاس، وكان قد روى بنفسه: «أعطونا دفتراً كنّا نسجّل بداخله التّاريخ والوقت والدّرجة الّتي نقرؤها على العامود كلّ ١٥ دقيقة. نحن الثّلاثة، كان هذا عملنا فقط على مدى شهرَين.

كنتُ مرهقاً جدّاً وغلبني النّعاس في تلك اللّيلة، وكان دوري في منتصف اللّيل، جاء الحارس الّذي سبقني وأيقظني قائلاً: إنهض يا حسين، حان دورك للحراسة.

قلتُ له وأنا في تلك الحالة: حسناً إذهب أنت ونَم، سأقوم حالاً.

ذهب الحارس إلى مكانه ونام معتقداً أنّني استيقظتُ وسأذهب إلى مكان الحراسة، لكنّه عندما نام، نمتُ أنا أيضاً. بعد لحظاتٍ قليلة، قفزتُ من مكاني دفعةً واحدة، نظرت إلى ساعتي، كانت قد مرّت ٢٥ دقيقة. نهضت بسرعة، نظرتُ إلى رفاقي وكانوا جميعاً نائمين، كما كان حسين يوسف اللهي ومحمد رضا كاظمي في الأهواز، فقلتُ في نفسي: الحمد لله لم ينتبه أحدٌ لما حصل. لم تكن المسافة بعيدة بين خندقنا والعامود».

لن تصبح شهيداً يا حسين!

«ذهبتُ إلى مكاني بسرعة، أخذت الدّفتر وقمت بتدوين معلومات الـ٢٥

دقيقةً التي كنت نائماً فيها بناءً على معلومات الأيام السابقة الموجودة في ملاحظات الدّفتر. في اليوم التّالي، كنت داخل المخيّم عندما رأيت محمّد رضا كاظمي يدخل بالسّيارة وجاء مباشرة إليّ دون توقف، ثمّ نزل من السّيارة وناداني.

قال: حسين، تعال إلى هنا. تقدّمت نحوه.

قال بدون مقدّمات: لن تصبح شهيداً يا حسين!

انخطف لوني، وفهمتُ سبب كلامه هذا، لكن كان من المهمّ أن أعرف كيف علم بالأمر.

قلت: لماذا؟ ليس هناك شيئاً آخر تريد قوله؟

قال: هذا الّذي أقوله لك فقط.

قلت: حسناً أخبرني سبب ذلك.

قال: أنت تعلم.

قلت: لا أعلم، قل أنت.

قال: كنت حارس العامود في اللّيلة الماضية، صحيح؟

قلت: أجل.

قال: بقيتَ نائماً مدّة ٢٥ دقيقة وكتبتَ الملاحظات على الدّفتر من عندك. يجب أن يكون لدى الشّخص الّذي يسعى للشّهادة الكثير من الشّهامة والشّجاعة، كان من الأفضل أن تترك مكان الـ٢٥ دقيقة خالياً وتكتب: «كنتُ نائماً».

قلت: من قال هذا؟ ليس كذلك على الإطلاق.

قال: لا تقل المزيد، الآن أنت تكذب أيضاً، لذا كن على يقينٍ بأنّك لن

تصبح شهيداً.»

محمد رضا، أخبر حسين أنه لن يستشهد

«ركب السّيّارة حزيناً وذهب إلى عمله. أصبحت تراودني الأفكار مع فعله هـذا، كيـف علـم بما حصـل؟! فـي تلـك اللّيلـة كان الجميـع نائمين ولو لاحظني أحدهم لم يكن يسـتطع قول أيّ شـيءٍ لمّحمد رضا كاظمي لأنّه كان في الأهواز وبمجرّد وصوله لم يتحدّث إلى أحدٍ وجاء إليّ مباشرةً.

والأهمّ من ذلك، كيف عرف بدقّةٍ أنّني كنتُ نائمًا لمدّة ٢٥ دقيقة؟! بقي ذهني مشـغولاً بهذه القضيّة لعدّة أيّام. كلّما فكّرت من أين علم بذلك لم أكـن أصل إلى جواب. إلـى أن ناديتُ ذات يوم محمّد رضا كاظمي وقلت له: تعال، أحتاجك لبضع دقائق.

قال: ما الخبر؟

قلت: أردت أن أتحدث عن ذلك اليوم.

قال: ماذا تريد أن تقول؟

قلت: إن أردتَ الحقيقة، لقد كنت مُحقّاً في ذلك اليوم، نعم بقيتُ نائمًا، لكـن صدّقني إنّـه لم يكن مقصوداً. أيقظني الحـارس، لكنّني كنت مرهقاً جدّاً، أنا نفسي لم أفهم كيف عدتُ للنّوم.

قال: قلتَ إنّك لم تبقَ نائماً في ذلك اليوم، هل أردت أن تزرع الشّكّ فيّ؟

قلـت: أردت أن أخفيـه فـي ذلك اليوم، لكـن عندما رأيتـك تتحدّث بثقة واطمئنانٍ أدركتُ أنّه هناك خطبٌ ما.

قال: حسناً ماذا تريد أن تقول الآن؟

قلت: لا شيء، فقط أريد أن أعرف كيف علمتَ بذلك؟

قال: لا تهتمّ بهذه الأشياء، اعلم فقط أنّك لن تستشهد.

قلت: بحقّك قل لي، صدّقني ذهني مشغولٌ بهذه القضيّة منذ عدّة أيّام.

قلت: لماذا تُقسم؟ لا يمكن أن أقول.

قال: حسناً الآن وقد أقسمت، أخبرني.

سكت قليلاً وقال بتردّد: حسنًا، الآن بعد كلّ هذا الإصرار، سأقول، لكن عليك أن تعدني بألّا تذهب وتخبر الجميع، على الأقل طالما أنّنا على قيد الحياة.

قلت: كما تريد.

قال: كنت أنا وحسين يوسف اللهي نائمين في خندقٍ داخل معسكر الشهيد كازروني في الأهواز. أيقظني حسين منتصف اللّيل وقال: محمد رضا، حسين الآن نائمٌ في الموقع وليس هناك من يقيس المدّ والجزر، قم الآن واذهب إليه!

بما أنّني كنتُ على يقينٍ من أنّ حسين لم يكن يكذب أو يتحدّث بشكلٍ عبَثيّ، فقد نهضت للمجيء إلى هنا. وعندما أردت الإنطلاق جاء مجدّداً وقال: قل لحسين أنّه لن يستشهد. هل فهمتَ الآن لماذا أتحدّث بكلّ هذا الثّقة؟

عندما سمعتُ اسم حسين يوسف اللهي، أصبحت مُكبّلاً. فقد كنتُ أعرفه جيّداً، وعندها أيقنتُ أنّني لن أصبح شهيداً.»

لا علاقة لقذائف الهاون هذه بي!

يتابع الشهيد السّيّد ابراهيم صدر زاده زميل الشهيد بادبا قصّة استشهاد الحاج حسين بادبا على النّحو التالي: «لقد غرق الحاج حسين في معاني ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾».

كان الأخوة يحذّرون الحاج حسين من الخطر عندما كان يقوم للصّلاة في

ميدان الحرب، لكنّه كان يجيبهم: ﴿أُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾.

كان الحاج حسين غارقاً في معنى <وأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِّ> وقد أوكل كلّ أعماله إلى الله عزّوجلّ. عندما كنّا نسأله: «ألا تحبّ أن تستشهد؟»، كان يقول: <وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِّ>. كان الحاج حسين قد سلّم نفسه لله بالكامل.

كان لدى الحاج حسين شجاعةٌ عجيبة. أتذكّر عندما سقطت قذائف الهاون على الأرض بجانب الحاج حسين في إحدى العمليات، رميتُ حسين على الأرض معي حتّى لا تصيبه شظايا الهاون، لكنّ الحاج حسين قال: «لم فعلتَ هذا؟»، قلت: «أنّها قذائف هاون يا حاج!».

قال: «لاعلاقة لقذائف الهاون هذه بي، سأُصاب بها في الوقت المحدّد».

ولا يزال كلام الحاج حسين في أذني.

أتذكّر بعد ذلك أنّني رأيتُ الحاج حسين يستغفر الله بشكلٍ مستمرّ.

سألته: ماذا حصل؟ لم كلّ هذا الاستغفار؟

قال: أنا هربتُ بسبب قذيفة هاونٍ واحدةٍ.

قلت: لا تقل تلك القذيفة الّتي رميتُك على الأرض بسببها؟!

قال: أجل، تلك هي.

كان الحاج حسين يقول: «كلّما أردت أن أذنب، كان الشّهداء يحمونني».

وكان الحاج حسين بادبا قد اختار لنفسه الشّهيد يوسف اللّهي -زميله في الحرب المفروضة والذي أعطى رسالةً للشّهيد محمد رضا كاظمي مفادها أنّ حسين لن يستشهد- وكان يتحدّث معه ويستشيره في كلّ أمور حياته. الحاج حسين يستأنس جدّاً بهذا الشّهيد وقد رفعه الله إلى قمّة العرفان.

أتذكّر حين استشهد علي رضا توسّلي (أبو حامد)، كان الحاج حسين جالساً وركبته على ركبة أبو حامد وسقطت قذيفة الهاون بجوار أبو حامد. في العادة، كان على قذيفة الهاون أن تفعل بحسين ما فعلته بأبي حامد. قطعت تلك القذيفة رأس ويد أبو حامد، وأدّت إلى استشهاد الأخوة الّذين كانوا خلفه، لكن كان من الغريب أنّ حسين لم يصب بأذىً وتغبّرت ثيابه فقط!

فتح الحاج حسين عينيه وقال: ما زلتُ على قيد الحياة

أصيب الحاج حسين برصاصةٍ تحت قلبه خلال إحدى العمليّات، وفي ذلك اليوم نزف الحاج حسين دماءً كثيرة، وظنّ الأخوة أنّه على طريق الشّهادة وأصبحوا يلقّنونه الشّهادتين، فتح الحاج حسين عينيه فجأةً وقال: «ما زلتُ على قيد الحياة». كلّ هذه الأحداث جعلتني أؤمن بشكلٍ خاصٍ بالحاج حسين بادبا.

قال الحاج قاسم: «يجب أن يَدعو شخصٌ واحدٌ»

ذهبت في عيد النّوروز برفقة الحاج حسين إلى الحاج قاسم سليماني، فقال الحاج قاسم لحسين: «أخشى أن تستشهد».

قال أحد مجاهدي الفرقة ٤١ ثار الله والّذي لم أكن أعرفه: «لن يستشهد الحاج حسين، هكذا قال الشّهيد يوسف اللهي».

قال الحاج قاسم: «كلا، لو دعا له الّذي يجب أن يدعوله، لأصبح شهيداً».

بمجرّد أن قال الحاج قاسم هذه الجملة، صار حسين بادبا كالخشبة وقال لي: «إبراهيم، ماذا قال الحاج قاسم؟»، فكرّرتُ له ما قال الحاج قاسم.

عندما عدنا إلى بيت الحاج حسين في تلك اللّيلة، عاد وسألني عمّا قاله الحاج قاسم فكرّرت له قوله مجدّداً، وبعد ذلك سألني الحاج حسين عن

هذا الموضوع أربع أو خمس مرّات.

بعد مدّةٍ سألني الحاج حسين: «إبراهيم، هل يعلم الحاج قاسم بالغيب؟!». فقلت: «ماذا تقصد بهذا السّؤال؟».

قال الحاج حسين: «رأيتُ حلُماً لم أروِهِ لأحدٍ حتّى الآن»، سألته: «أيّ حلُم؟».

قال الحاج حسين: «منذ فترة، رأيتُ الشّهيد محمد رضا كاظمي في الحلُم وهو نفس الشّخص الّذي جاءني برسالة الشّهيد يوسف اللّهي وقال: إنّك لن تستشهد. طلبتُ من الشَهيد كاظمي في المنام أن يدعولي كي يوصلني الله إليه وأنضمّ له، ولكنّ الشّهيد كاظمي لم يدعُ، فدعوتُ الله بنفسي وطلبت من الشّهيد كاظمي أن يقول (آمين) لكي يُلحقني الله بالشّهداء إلّا أنّه لم يقُل واكتفى بالنّظر إلى وجهي وابتسم.»

من أين علم الحاج قاسم بما قاله الشّهيد كاظمي؟

بعد هذا الحلُم، وقبل أقل من شهرٍ من استشهاده، قصد حسين بادبا -بحسب فيلمٍ عُرض في حفل تأبين هذا الشّهيد العظيم في كرمان- قبر الشّهيد محمد رضا كاظمي كما التقى بوالديه هناك.

طلب الحاج حسين هناك من والدة الشّهيد كاظمي أن تدعولحسن عاقبته، فرفعت والدة الشّهيد كاظمي يديها إلى السماء، وطلبت من الله حسن العاقبة للحاج حسين ودَعَت له.

وهكذا كان أثر دعاء الشّهيد كاظمي على لسان والدته بحقّ الشّهيد بادبا ومغامرته الجميلة الّتي انطلقت في أوّل رجب شهر الرّحمة والمغفرة.

يقول حجّة الإسلام الشّيرازي عن الشّهيد حسين بادبا: «تمّ اختبار حسين لمدّة ٣٠ عامًا لمعرفة مدى تمسّكه بمُثله العليا ورغبته، وهي الاستشهاد.

والذي قاله في محضر الله إلى إرادةٍ إلهيّة فحسب، بل ربّما استطاع تجاوز الشّهيد يوسف اللّهي.[1]

لواء الفاطميّون هو تذكارٌ للشّهيد أبو حامد

في كلّ مرّةٍ كنتُ أرى فيها الشّهيد توسّلي (أبو حامد)[2]، كانت تولد لديّ فرحةٌ مزدوجةٌ؛ وكان من مؤسفًا

في عام ٢٠٠١ قرّر أداء فريضة الحجّ عن الشّهيد يوسف اللّهي من أجل تعميق هذه العلاقة، لكنّه أيضاً لم يرضَ بذلك».

بقي لمدّة عامٍ كاملٍ يتوسّل عند ضريح الشّهيد يوسف اللّهي كلّ يومٍ قبل أذان الصَبح، حتّى فُتِحت الطَريق أمامه وتوجّه إلى سوريا.

١- خطاب الحاج قاسم في الذّكرى السنويّة الأولى لشهادة حسين بادبا.

٢- ولد علي رضا توسلي المعروف بأبو حامد في أفغانستان عام ١٩٦٢ وهو قائد ومؤسّس «لواء الفاطميّون». خسر توسّلي والده بعمر السّبع سنوات ثمّ فقد أمّه بعد سنتين، وهاجر إلى إيران عام ١٩٨٤. درس في الحوزة العلميّة في أصفهان وبعدها في الحوزة العلميّة بقمّ، وكان يعمل في مهنة البناء بالتّوازي مع دراسته. ذهب الشّهيد توسّلي إلى كردستان خلال الحرب العراقيّة الإيرانيّة وكان في الخامسة عشرة من عمره وبقي في تلك المنطقة لأكثر من عام. ومع انتهاء الحرب العراقيّة الإيرانيّة، ذهب إلى أفغانستان لقتال الجيش السّوفياتيّ، ثمّ عاد إليها مع اندلاع حرب طالبان. عمل في ورش البناء في إيران من عام ٢٠٠٢ إلى عام ٢٠١٣. غادر إلى سوريا مع بداية

لنا أنه سرعان ما غادرنا وحقّق أمنيته. إنّ الدّور الّذي قام به الشّهيد توسّلي في تذكاره المسمّى «لواء الفاطميّون» هو دور مستمر، فهذا اللّواء كما الكوثر؛ هو خيرٌ ثمينٌ ليس فقط للمسلمين هنا، بل للعالم الإسلاميّ كلّه. كان لهذا العمل أثرٌ مميّزٌ لا يستطيع أن يُدركه البعض حاليّا، لكنّهم سيدركون أثره في الدّفاع عن العالم الإسلاميّ في المستقبل.[1]

صُدمتُ عندما قال هذا الكلام

آخر مرّةٍ رأيتُ فيها الشّهيد همداني كانت قبل ساعاتٍ قليلةٍ من استشهاده، وقد رأيتُ فيه حالةً من الشّباب. كان الشّهيد همداني رجلاً كتوماً وصبوراً، بتعبيرنا لم يكن من أهل الفوضى أو التّفاخر بالنّفس في المجتمع، كانت

الأزمة هناك، واستشهد يوم السّبت بتاريخ ٢٨ شباط ٢٠١٥ خلال تحرير تل قارين عند أطراف درعا في سوريا ودفن في مدينة مشهد المقدّسة.

١- خطاب الحاج قاسم خلال لقائه عائلة الشّهيد توسلي (أبو حامد).

لـه شـخصيّة خاصّـة. لـم يلاحـظ أحدٌ شـخصيّتَه مـا دام لـم يقترب منه. خـلال مرحلة الدّفاع المقـدّس، لم أعرف الكثيرعـن الشّـهيد همدانـي لأنّنـا كنّا نعمل فـي وحداتٍ مختلفةٍ في ذلك الوقت، لكنّني تمكّنتُ من التّعرّف على هذه الشّخصيّة القيّمة في سوريا خلال الآونة الأخيرة.

فـي المـرّة الأخيـرة الّتـي رأيـتُ فيهـا الشّـهيد همداني، صُدمتُ للحظةٍ، وعلمتُ فيما بعد أنّه كان علمٍ بشـهادته قبل حصولها. عندما تحدّثتُ إلى عائلته في وقتٍ لاحقٍ، أدركـتُ أنّـه كان علـى علمٍ بذلك قبـل عدّة أيّـام وأنّه كان قد سلّم عائلته رسالةً بعد إتمامه جميع أعماله وإجراءاته التي تشـيرأنّه سـيرحل عن هـذه الدّنيا. قال لي بابتسـامةٍ ووجـهٍ بشـوشٍ: «تعـال نأخـذ صـورةً معـاً، ربّما تكـون هذه الصّـورة الأخيـرة لي ولك». لم يكن من الّذين يلحّون على شـيءٍ كالرّغبـة فـي التقـاط صورةٍ مع شـخصٍ مـا، لذلك

صُدمتُ عندما قال هذا الكلام. أردتُ أن أقول: «لا تذهب»، وكنتُ عائداً للتوّ من المكان الّذي أراد الذّهاب إليه، لكنّ شعوراً ما أخبرني ألّا شيء مهمّ هناك، لكنني لم أقل له شيئاً.

عندما رأيتُ حالةَ الشّهيد همداني تلك، تذكّرتُ هذا الشِّعر:

إنما ميدان الحرب هو ساحة رقص الرجال وتلطخهم بدمائهم

يصافحون لفَقد أيديهم، يرقصون ليحاربوا عيوبهم

هذه حالةٌ جميلةٌ جدّاً، فالقطرةُ التي تسقط في البحر لا تبقَ قطرةً، فهي تختلط بالبحر. لقد رأيت فيه تلك اليد ورأيته بحالة الرّقص تلك وحالة الطّيران والعروج والشّوق.[1]

١- خطاب الحاج قاسم في مراسم الذّكرى السنويّة للشّهيد همداني.

أصبح الحاج حسين أبا وهبٍ وليس الجنرال أبو وهب

كان الشّهيد همداني في ظاهر الأمر عميداً، أميراً، محطّ احترامٍ وجنرالاً. كلّ هذه الألقاب والرُّتب العسكرية جاءت بعد الحرب، أمّا خلال الحرب فقد كان لقب الأخ هو اللقب الموجود وحسب. ثمّ جاءت الأسرة فيما بعد، فالأبناء والأحفاد والمنزل. هذه هي الأقفال والمسامير الّتي تدفع الإنسان للتّمسّك بالأرض وتربط قدمَيه بها.

لا يوجد أحدٌ ينتقد التّمتّعَ والاستفادة من الدّنيا، فالحبّ والعاطفة موجودة لدى كلّ البشر، وهل يمكن لأيّ شخصٍ ألّا يحبّ أولاده وزوجته وأحفاده ووالديه؟ هذه كلّها من الأشياء الّتي جعلها الله في فطرة الإنسان عند خلقه؛ لكنّ المهمّ وهو ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام -ولم يستطع الجميع فعله، لكنّ الشّهداء استطاعوا- وهو أن يسلخ الإنسان نفسه عن هذه الأرض، أي ألّا يغزو

الحـبّ والعاطفة قلب الإنسـان وألّا يصبحـا هدفاً له، وإلّا فـلا مشـكلة بوجود الحبّ ما دام ليس هـو الهدف النهائي للإنسان.

لم يسـمح الشـهيد همداني بأن تصبح هـذه العلاقات هدفاً له، فهو كان قد رُشّـح لتولّي مسـؤوليّة مناصب عدّة. لقد نزع عنه كلّ هذه الرُّتب والدّرجات، وبدلاً من تسميته بالجنرال حسين همداني، فقد أعاد نفسه إلى الفترة التي قضاهـا سـالفاً في الدّفـاع المقدّس، والأخ حسـين أو الأخ الحاج حسـين أصبح أبـا وهبٍ وليس الجنـرال أبا وهب، وأطلـق مصطلحًـا جميـلاً ومقدسـاً وهـو «مدافعـو الحـرم» بـدل المصطلـح المقترح في بادئ الأمـر وهو جيش أنصار الحسـين عليه السلام[1]. كانـت حيـاةً مباركةً وجميلـة، فالبعض

١- مـع بداية الأزمة السّـوريّة وتلبيةً لطلب الحكومة السـورية حيث طلبت المساعدة من إيران، فقد تمّ اختيار الجنرال همداني للذّهاب إلى الجبهة السّورية نظراً لمميّزاته وخبراته.

قال الحاج قاسم: «أنت الشّخص المناسب لهذا العمل»

يشرح الشّهيد همداني كيفيّة تواجده في الجبهة السّوريّة بقوله: «تمّ إرسالي إلى سوريا بتاريخ ٣ كانون الثّاني ٢٠١٢ وكنتُ أعمل حينها كقائدٍ لفيلق طهران في حرس الثّورة الإسلامية، وكانت آثار فتنة عام ٢٠٠٩ والمشاكل الّتي نتجت عنها لا تزال قائمة. كنّا في ذلك الوقت في مرحلة تطوير جيش محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقمنا بتوسيع المناطق من ستّة لتصبح اثنين وعشرين. كنّا ننظّم الكتائب الأمنيّة عندما استدعاني الجنرال جعفري. وصلت لخدمته، وبعد تقديم تقريرٍ عن أوضاع فيلق طهران قال لي: «يا فلان، هل تذهب إلى سوريا؟». كان الكثيرون يحبّون الذّهاب إلى سوريا، سكتّ قليلاً ثمّ قلت: «لماذا أذهب؟ وبأيّ عنوان؟»، قال: «لقد طلب النّظام والجيش السّوريّ المساعدة، اذهب كقائدٍ وقدّم المساعدة. الجنرال قاسم سليماني قال أيضاً أنّك الشّخص المناسب لهذا العمل».

نظراً للدّافع الكبير الّذي كان لديّ من أجل الذّهاب إلى سوريا والدّفاع عن مقام السيّدة زينب عليها السلام والسيّدة رقيّة عليها السلام، أجبتُ على الفور موافقاً على العرض. لم أقل أبداً سأفكّر ثمّ أبلغكم جوابي، بل قدّمت جوابي مباشرةً هناك. اتصل هو أيضاً بالجنرال سليماني وأبلغه موافقتي على العرض.

نجح الجنرال همداني خلال تواجده في سوريا من إعادة إنتاج النّموذج نفسه الّذي تم ابتكاره في إيران والذي كان يقدم المساعدة للبلاد في الأوقات الحرجة، والمقصود بهذا النموذج هي قوات التعبئة الشّعبية، فأطلق تشكيلات الدّفاع الوطنيّ في سوريا الّتي كان لها الفضل في العديد من الانتصارات التي تحققت في سوريا في القتال ضد الإرهابيّين التّكفيريّين.

في آذار ٢٠١٣، وصلت الحرب في سوريا إلى مرحلةٍ خطيرةٍ لدرجة أنّ القصر الرّئاسيّ لهذا البلد بدأ يتعرض للخطر، لكنّ اقتراح الجنرال همداني في

هذا الوقت أنقذ سوريا من سقوطٍ مُحتمل.

ليلةٌ مليئةٌ بالتّرقّب في دمشق

يـروي الشّـهيد همدانـي كيفيّة عرض هذا الاقتراح على بشّـار الأسـد على النحـو التالـي: «فـي آذار ٢٠١٣، كان الإرهابيّـون يقتربـون مـن نقطـة النّصر، وتمكّنـوا مـن إحـكام الحصـار بدعـمٍ كامل مـن السّـعودية وقطـر والإمارات والدّول الغربيّة واقتربوا من القصر الرّئاسـيّ السّـوري في دمشـق بحيث باتوا علـى أعتابـه. كان الوضـع معقّـداً للغايـة فـي تلـك اللّيلـة. بالطّبع أرسـلنا العائلات إلى أماكن آمنة، وكان بشّار الأسد يعتقد أنّ الموضوع انتهى وكان يتطلّع إلى الذّهاب إلى بلدٍ آخر.

قُـدِّم الإقتـراح الأخير لبشّـار الأسـد في تلـك اللّيلـة، قلت لـه: الآن بعد أن انتهـى كلّ شـيء وأصبـح القصر الرّئاسـيّ مُهـدّداً، يجب أن تنفّـذ إقتراحنا الأخير.

قال: ماذا نفعل؟

قلـت: نفتـح أبواب مخازن الأسـلحة ونسـلّح النّـاس بالأسـلحة الموجودة فيها حتّى يتمكّنوا من إيقاف هؤلاء الإرهابيّين بأنفسهم.

الشّـكر لله أنّ الأسـد وافـق عندها علـى هذا الاقتـراح، وفي تلـك اللّيلة، تمّ إنقاذ سوريا من السقوطِ الحتميّ، وصَدّ النّاسُ الإرهابيّين التّكفيريّين عند أطراف القصر الرّئاسـي ومن ثمّ المدن السّوريّة. شكّلت هذه القوّات نفسها النّـواة الأولـى لما يسـمّى الدّفاع الوطنـي، وهي الّتي تقاتـل داعش والنصرة وغيرها الآن في سوريا.

لقـد حشـدنا الشّـباب السّـنّة والشّـيعة والعلويّيـن في سـوريا، لأنّهـا كانت خطّة الإمام القائد بأن نسـتفيد من شـبابهم للدّفـاع والمواجهة، وفيما عدا

يعيش ١٠٠ عامٍ لكنّه لا يترك أثراً خلفه. شخصٌ كالشّهيد

ذلك فقد قال الحاج قاسم سليماني حينها: سأنتقل بجيشٍ من إيران إلى سوريا، وسننهي الحرب.»

قال الإمام القائد: «إنّ الوضع في سوريا يشبه المريض»

يقول الجنرال همداني عن أيّامه الأولى في سوريا: «كنّا في الشّهر الأول مع ثلاثة أصدقاء، اثنان منهم أتوا من لبنان، ولم يكن يُسمَح لنا بالعمل أينما ذهبنا. كانوا يقولون: «ما هي المساعدة الّتي ستقدّمونها؟»، فنردّ عليهم: «جئنا لنتشارك خبراتنا»، وكان الجيش السّوريّ مغروراً أيضاً. عندما يكون الإنسان عاجزاً، فإنّه يلجأ إلى الله وهناك يتمّ الوصال. لم نكن ننام أكثر من بضع ساعاتٍ في اللّيل وكنّا مشغولين بالصّلاة والدّعاء. يقول آية الله بهاء الديني: «من يقرأ زيارة عاشوراء كلّ يوم، ستُحلّ كلّ عُقَدِه»، ونحن أيضاً كنّا نقرأ زيارة عاشوراء بعد صلاة الفجر، وهكذا بدأت تُحلّ العُقَد شيئًا فشيئًا.

أردنا العودة في إحدى المرّات، لكنّ الإمام القائد قال: «إنّ سوريا مثل المريض الّذي لا يعرف أنّه مريض، ويجب أن تخبره أنت بمرضه. لا يذهب إلى الطّبيب، عليك أن تأخذه إليه بنفسك. عندما يذهب إلى الطّبيب يقول إنّه لا يريد دواءً، يجب أن تصف له الدّواء. لا يشتري الدّواء، عليك أن تشتريه له. لا يتناول الدّواء، عليك أن تعطيه إيّاه بنفسك وتراقبه». هذه كانت الوصفة لبقائنا.»

أخيرًا، وبعد سنواتٍ من الجهاد والإيثار، استشهد الجنرال حسين همداني بتاريخ ٨ تشرين الأوّل ٢٠١٥ على أطراف مدينة حلب السّورية خلال قيامه بمهمّته الاستشاريّة.

كنتُ مستاءً جدّاً في الآونة الأخيرة

مطهّري أو العلّامة الطّباطبائيّ يترك آثارًا قيّمة للتّربية، ومن مثل الإمام الرّاحل قدس سره فقد خلّف نظاماً كاملاً، وشخصٌ كالإمام الخامنئي يستطيع أن يخلق عالماً تربويّاً. هذا عمرٌ مليءٌ بالبركة، فخلال ما يقرب ٦٠ عاماً من حياته، ترك الشّهيد همداني أجمل وأفضل ثمرٍ في حياته.[1]

جاء في وصيّة الجنرال الشّهيد همداني: «هل يمكن أن نشكر النّعمة العظيمة الّتي أعطانا إيّاها الله الرّحيم؟ وهي نعمة ولاية الفقيه، إمامنا العظيم، الجمرانيّ الكبير في السّنّ، وخليفته عليّ زماننا، الّذي يسير على الدّرب نفسه ويعبر بقافلة الثّورة في كلّ العواصف والكمائن. لكن لا، يجب أن نكون شاكرين أكثر، ليس قولاً بل فعلاً، وأن نلبّي كما لبّى الشّهداء.

أنا العبد الفقير، حسين همداني، التّلميذ المتواضع في الدّفاع المقدّس، أعترف أنّني لم أقم بعملي بشكلٍ جيد، وأحيانًا، كانت تأتيني هذه النّفس المتمرّدة وتخدعني، فتغريني وتوسوس لي، وأومئ لها برأسي، وكان يولد اعتراضٌ في داخلي، لكنّ الله أعانني، وبعدها أدركت، فندمت وتبت، وطلبت من الله المغفرة والرّحمة، وفي الآونة الأخيرة شعرتُ بضيقٍ شديدٍ. أرجو أن يكون الله راضياً عنّي عند تسليم الرّوح، وكلّي أملٌ برحمته، وليس بأفعالي.»

١- خطاب الحاج قاسم في مراسم الذّكرى السنويّة للشّهيد همداني.

لم يكن الشّهيد الله دادي يسعى لطلب الشّهرة

كان الشّـهيد الله دادي[1] أحد مؤسّسـي تعبئة ثار الله في

١- كان الجنـرال الله دادي يقـول: «تلقّيـتُ أمر مسـؤوليّتي أثناء الحرب من الحاج قاسـم سليماني شخصيّاً عبر اللّاسـلكيّ. فعندما استشهد الشهيد زنـدي قائـد كتيبـة العتـاد لفرقة ثـار الله خـلال عمليات (كربـلاء ٥) ووصل الخبر إلى الحاج قاسم، قال لي عبر اللّاسلكي: «تولّى القيادة».

كان يقـول الشّـهيد الله دادي دائمـاً: «أنـا لسـت معنيّـاً بمراسـم الاسـتلام والتسـليم، فعلـي فقط تنفيـذ الأمر وتحمّل المسـؤوليّة الّتـي كُلّفتُ بها في عمليّات (كربلاء ٥) بطريقةٍ جيّدة، يجب أن أحترم هذه القداسـة وأحافظ عليهـا ويجب أن أطيع قائدي دائمـاً». كان الحاج علي مهتمّاً جدّاً بقادته كما كان ولائيّاً ويعمل حسب أوامرهم.

كان الشّـهيد الله دادي يحـبّ الفريـق قاسـم سـليماني كثيـراً وكان يقـول: «أخبرنـي الفريق سـليماني: إنّني سـعيدٌ بوجود العديد من الأشـخاص في حـرس الثّـورة الإسـلامية وخاصّةً وجـود شـخصين اثنين، أحدهمـا أحمد كاظمي الّذي استشهد والآخر هو أنت يا عزيزي».

كان الشّهيد الله دادي يقول دائماً: «لا يهمّني العالم كلّه بقدر ما يهمّني أن أعمـل بطريقةٍ لا ييأس فيها قائدي، بل تسـعده حتّى النّهاية». للإنصاف، لقد رأينا جميعاً رضا القائد عن جنديّه. دخل الحاج قاسـم سـليماني إلى قبر الشّـهيد الله دادي خلال مراسـم الدّفن، فنشـر راية الإمام الحسـين عليه السلام ثمّ أدخل جثمان الشّـهيد إلى القبر، كما وضع عباءة السـيد حسن نصر الله فوق جسده وتربة الإمام الحسين عليه السلام في القبر وقرأ زيارة عاشوراء.

شـاهدنا لعبة العشـق بين القائد والمطيع لـه. كان الحاج علي يصف أيّام

محافظة كرمان، كما قدّم خدماتٍ مهمّةٍ في فيلق الغدير في محافظة يزد؛ وبهذا الشّكل فقد أصبح اللّواء القتاليّ لهذه المحافظة معروفاً باسم «مدرسة الغدير» بفضل تأثير شخصيّة هذا الشّهيد وإنجازاته.

إحدى المميّزات الّتي كنت أعرفها عن الشّهيد الله دادي أنّه على الرّغم من كلّ مسؤوليّاته الاجتماعيّة والعسكريّة، لم يسعى مطلقاً للشّهرة.

إنّ الولاية والتّديّن لدى الشّهيد الله دادي جعلته أسوةً مثاليّةً، فهو الشّخص الّذي لم يتأثّر قلبه أبداً بالمناصب المادّيّة الدّنيويّة، ولم تدفع ذلك الأخ العزيز للتّقاعد عن متابعة الطّريق الّذي سلكه لأكثر من ٣٠ عاماً، أي الشّهادة في سبيل الله.

وجوده في سوريا بحماسٍ وشغفٍ ويقول: «لقد استطعنا تأسيس التّعبئة العالمية التي كان الإمام الخميني ﷺ يدعو لإنشائها على الدوام».

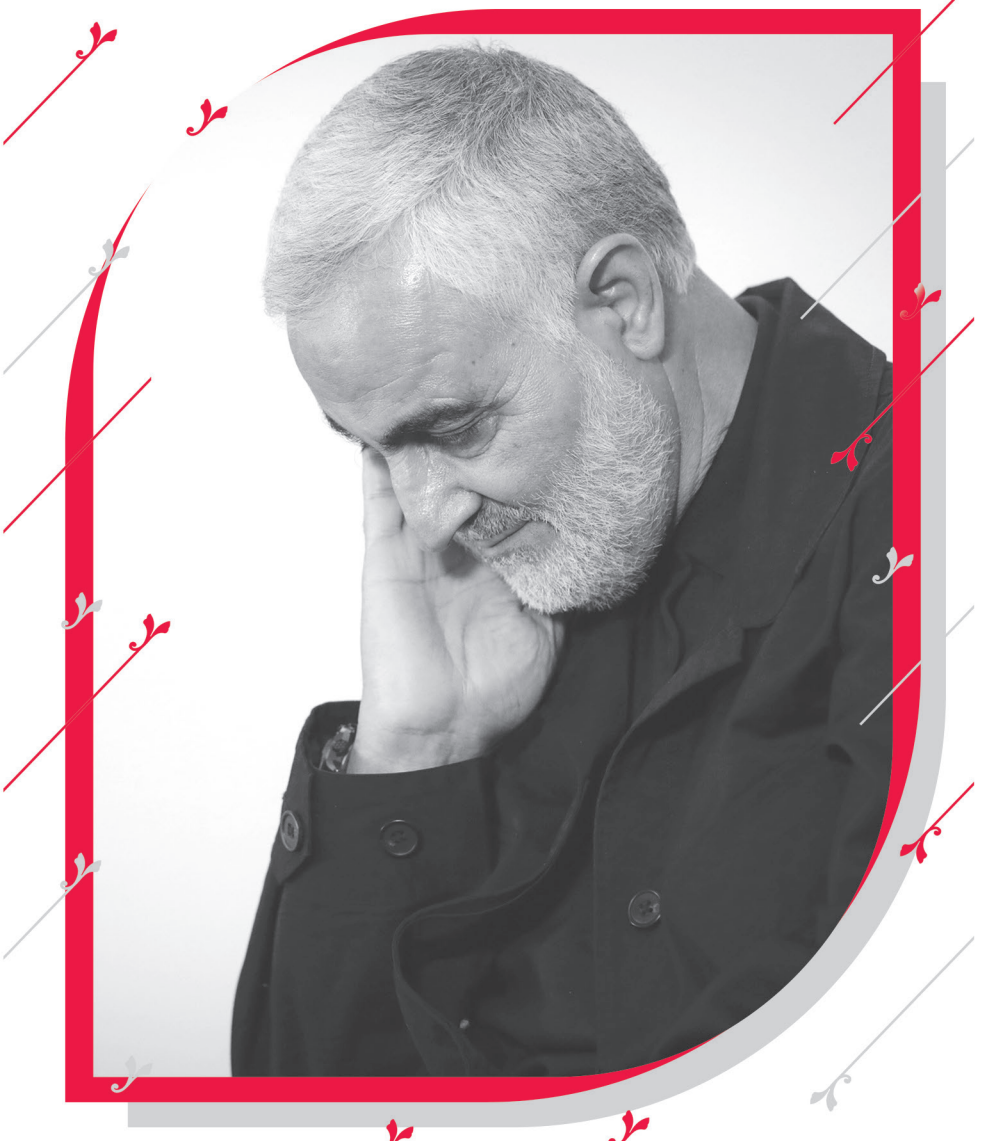

«الحاجي» .. العنوان الّذي انتشر!

ما أظهرنا على التّلفاز، خلال هذه السّنوات العشر أو الخمس عشرة، عن الحرب والقادة والمجاهدين كان غير متكامل ولم يلتفت إلى كلّ أبعادهم الوجوديّة وأبعاد الحرب والجبهة، حتّى ظنّ النّاس أنّهم مجموعة أشخاصٍ كانوا يدعون فقط. صوّرنا بَساطة الحرب، لكنّنا لم نتمكّن من تصوير تعقيدات الجبهة والحرب.

على سبيل المثال، عنوان «الحاجي» الّذي أصبح مشهوراً! أنا أقول إنّ هناك تشويهاً لحربنا حقّاً فيما نسعد

ونجلس لنشاهد ونستمع.

لـم يكن هناك «الحاجـي»! كنّا أنا وأحمد وحسـين ولم تكن كلمة «الحاجي» مسـتخدمة على الإطلاق. حتّى أنّ اسـتخدام كلمـة «الأخ» -الأخ حسـين والأخ قاسـم مثلاً- كان محدوداً وكان يُنادى بالاسم فقط. عندما أشاهد هذه الأفـلام، أعتقـد أنّـه كان هنـاك دكّاناً. نقـرأ الجرائـد فنراها مليئـةً بالذّكريـات الكاذبـة، محض كذبٍ عن الشّـهداء! «ذهبـتُ مع الشـهيد إلى هناك، الشّـهيد فعـل كذا وكذا»، كلّهـا كـذبٌ وأشـياء يُـدرك الإنسـان بأنّهـا غيـر صحيحة. لذلـك اخترعـوا قصّـة عـن قائـد كتيبـةٍ كان علـى اتّصالٍ بالعراقيّيـن، وهـذه القصـة فـي الأسـاس غريبـة وعجيبة! كلّنا لدينا قصصٌ عن الحرب التي خضناها وعن أبطالنا، لكن لم تكن كذلك؟!

كان عليهم الاستثمار في فيلمٍ كفيلم للإمام علي عليه السلام،

عن «حسـن باقـري» على سـبيل المثـال[1]. إقـرأوا الكتب عن «حسـن باقري»، وليس حسـن هذا، فمثال حسـن في الحـرب كان كمثـال الشـهيد بهشـتي بحيث لم يسـتطع أحد أن يملأ مكانه قط.[2]

المسجد مركزٌ ثقافيٌّ

عندما يتّم تعييني كمسؤولٍ عن صيانة جسرٍ ما، يجب أن أعلم أنّ وظيفتي لا تقتصر على صيانة هذا الجسر، إنّما لهذا الجسر بيئـةٌ خاصّة، وإذا هوَت تلك البيئة سـيهوي الجسر أيضاً.

إذا كانـت نظرتنـا للمسـجد علـى أنّـه إمـام المصلّيـن مجـرّد نظـرةٍ إلـى البيئـة داخـل المسـجد وأنّنـا نريـد أن نحافـظ فقـط على عـدد الأشـخاص داخله، فقـد أخطأنا

١- للتّعرّف أكثر على شـخصيّة الشّـهيد حسن باقري الرّجوع إلى الصّفحة ٣١٢.

٢- مقابلة الحاج قاسم مع مجلّة «خاتم إيران» الفصلية.

وخسرنا. المسجد هو مركز، ويجب مراعاة المنطقة الكاملة المحيطة به. كلّ المحجّبات، غير المحجّبات، المحافظين، الإصلاحيّين، الرّجال، النّساء، الأطفال و... الّذين يقطنون حول المسجد، يجب أن يدوروا حول مركزٍ واحدٍ هو المسجد.

إذا سقطت بيئة المسجد، فإن الخطّ الأمامي لإمام المصلّين قد ينكسر، وفي هذه الحالة يستطيع العدو من النفوذ إلى الخطّ وبالتالي أن يظهر أنّ إمام المصلّين ليس على مستوى المسؤولية؛ أي أنّه لم يكن لديه تواصلٌ جيّدٌ واستقطابٌ وإرادةٌ كافية. عندما نجعل أخاً متعباً يعمل في عدّة وظائف إماماً لحيٍّ به عدّة آلافٍ من العائلات، فلا فائدة منه. كيف يمكن لهذا الشّخص المتعب أن يحافظ على بيئةٍ بهذا الحجم؟

نحن نستخدم كل هذه الوسائل لتجهيز كتيبة قوامها

٣٠٠ شخص، فهل المسجد أقلّ من كتيبة؟ إذا كان إمام المصلّين يكتفي بخطبة مدّتها عشرين دقيقة، فهل يمكن إصلاح شيءٍ بهذه الخطبة؟[١]

إذن من يبقى؟

يتردد في المجتمع دائماً قول بأن هذه محجّبةٌ وتلك غير محجّبة، هذا محافظٌ وذاك إصلاحيّ، إذن من يبقى؟ وما الذي تريدون الحفاظ عليه؟ هؤلاء جميعهم هم شعبنا. هل كلّ أبنائكم متديّنون؟ كلّهم يقيمون صلاة اللّيل؟ يشبهون بعضهم البعض؟ كلّا. أيّ شخصٍ يدّعي ذلك هو مخطئ. حسناً، ماذا يفعل ربّ العائلة في هذه الحالة؟ يستقطبهم جميعاً، بعضهم بالحبّ والآخر بالعاطفة، أي يجذب كلّ أفراد الأسرة بطريقةٍ ما ويحافظ على كرامتها. مجتمعنا هو عائلتنا، لذلك علينا الاهتمام

١- خطاب الحاج قاسم في قمّة اليوم العالميّ للمسجد.

بهذا الموضوع.

ترديد أقاويل كأنا وأصدقائي المتديّنين، أو أنا وزملائي في الهيئات الدّينيّة، أنا ورفاقي... حسناً، ما الغاية من هذا؟ هذا لا يمكنه أن يحافظ على الثّورة والجمهوريّة الإسلاميّة! هذا لا يؤثّر على المجتمع. نحن نقبل هذه الثّقافة إن كانت كذلك، وفي المجال السّياسيّ نقوم برسم الخطّ نفسه. ماذا يبقى إذا؟! يجب أن نستقطب الجميع، فلنستقطب المحجّبات وغير المحجّبات معاً.[1]

في بعض الأحيان عليك أن تصرخ

أصبح «الغزو الثّقافيّ» اليوم أكثر تعقيداً وشدّةً وانتشاراً وتهديدا ممّا كان عليه بالأمس. كان المصطلح الّذي استخدمه الإمام القائد لهذه القضيّة والقلق الثّقافيّ

١- نفس المصدر

مناسباً جدّاً ودقيقاً وحكيماً. جميع المسائل الّتي يذكرها في مواضيع مختلفة تتميّز بالحكمة العميقة. «الكمين الثّقافيّ» و«الغزو الثّقافيّ» هي كلمات تبعث على اليقظة والوعي، تماماً كالصّراخ.

عندما ترى حادثاً، تلاحظ أنّه لا يمكنك إيقاظ شخصٍ ما بإيماءةٍ أو صوتٍ منخفض، تصبح مجبوراً على أن تصرخ. إنّ كلمة «الكمين الثّقافيّ» و«الغزو الثّقافيّ»[1] هو بمثابة الصّراخ بصوت عالٍ، بحيث إذا انتبه أي شخصٍ قليلاً إلى داخله، فسيدرك عمق الحادث. هذه ليست مقولة شابٍّ عاطفيّ، بل مرجع تقليد والولي الفقيه

١- الكمين الثّقافيّ، الغزو الثّقافيّ، الهجوم الثّقافيّ و... كلّها مصطلحاتٌ استخدمها الإمام القائد منذ السّنوات الأولى بعد نهاية الدّفاع المقدّس للإشارة إلى الخطر الّذي يتهدّد الثّقافة الإسلاميّة-الإيرانيّة. يقول الإمام في إحدى خطبه: «إنّ العدوّ يحاول أن يأخذ شبابنا بعيداً عنّا من خلال نشر الثّقافة الخاطئة أي ثقافة الفساد والفحشاء. أنّ ما يفعله العدوّ على الصّعيد الثّقافيّ هو غزوٌ ثقافيّ بل كمينٌ ثقافيٌّ ومجزرةٌ عامّةٌ ونهبٌ ثقافيّ».

وشخصيّةٍ تنمو في سياق الإسلام منذ سبعين عاماً. قد يستغرق الأمر سنواتٍ كي ندرك هذا الشّعور والفهم.[1]

لدينا المنطق والأسس لمحاربة أمريكا

هناكَ أصولٌ وأسسٌ لمحاربة أمريكا. أحدهم سألني: «لماذا تتحدّث الجمهوريّة الإسلاميّة دوماً عن مواجهة أمريكا؟ ولماذا تكثر من ترداد اسم أمريكا؟» قلت: «لديّ سؤالٌ لك: كانت أمريكا في إيران تفعل ما تشاء على مدى خمسين عاماً، لم يكن هناك رادعٌ لها، وكانت تقوم بما تريد. أذكر لي تأثيراً جيّداً ومفيداً من أمريكا. هل تجد نتيجةً من الوجود الأمريكيّ في إيران على مدى خمسين عاماً؟» حسناً، نحن لدينا كلاماً مدروساً ومنطقيّاً لمواجهة أمريكا، وهل أيدينا خاليةٌ من المنطق حتّى نخاف من الكلام؟[2]

١- خطاب الحاج قاسم في قمّة اليوم العالميّ للمسجد.

٢- نفس المصدر

عندما كان المسؤولون العراقيّون يقرأون كتاب «إنني أعيش»..

اليوم، تمّ تأليف العديد من الأعمال في مجال الدّفاع المقدّس، وقد حرّكت هذه الأعمال، الّتي تم تجميعها في بعض البلدان، بعض النّاس. عندما كان المسؤولون العراقيّون يقرأون التّرجمة العربيّة لكتاب «إنني أعيش»[1]، كانوا يقولون: «لم نصدّق أنّ الحكومة

١- كانت معصومة آباد، راوية كتاب إنني أعيش، أحد شابات الهلال الأحمر الّتي عملت بعد الثّورة الإسلاميّة ممثّلةً عن مسؤول الهلال الأحمر في إحدى دور الأيتام في مدينتها، ومع بداية الضّربات الجويّة للنّظام البعثيّ على آبادان اضطرّت لنقل الأولاد إلى شيراز وتمّ أسرها في طريق العودة خلال تلك الأيّام في بداية الحرب. حُبست مع ثلاثين امرأةٍ أخرى لأكثر من أربعين شهرًا في أحد سجون النّظام البعثيّ، وبعد الإفراج عنها وعودتها إلى وطنها، وخلال أدائها مراسم الحجّ، قرّرت حمل القلم للكتابة حفاظاً على تراث ثماني سنواتٍ من الدّفاع المقدّس، وكانت نتيجة عملها كتاباً من ٥٥٠ صفحة روت في فصوله الثّمانية قصّة حياتها من الصّغر حتّى إطلاق سراحها من الأسر. الكتاب الّذي كتب الإمام القائد فيه لمدحه: «قرأتُ هذا الكتاب بشعورٍ مزدوج من الحزن والفخر فيما كنت أقف في بعض الأحيان خلف ستار من الدّموع .. وهذا أيضًا من الكتابات التي يجب أن تُترجم».

العراقيّة السّابقة عاملت السّجناء الإيرانيّين، وخاصّة النّساء منهم، بهذه الطّريقة».

أُلّفت كتبٌ قيّمةٌ ومؤثّرةٌ وجميلةٌ في مجال الدّفاع المقدّس، ويشجّع الإمام الخامنئي، على قراءة هذه الكتب. ولعلّ كتب مذكّرات الدّفاع المقدّس والكتب الّتي نُشرَت في هذا المجال هي من الكتب الّتي تهمّه ويحبّها.

كان لهذه الكتب تأثيراً قيّماً في مجتمعنا؛ بالطّبع لا تزال هناك بقعٌ مظلمةٌ في بعض نواحي المجتمع تمنعه من التّوجّه إلى مثل هذه التّعاليم، لكنّ هذه الكتب تنقذ حياة جميع أفراد المجتمع.[1]

١- الحاج قاسم سليماني في جلسة صنع القرار لمؤتمر ٦٥٠٠ شهيد من محافظة كرمان.

هذه من ضمن المزاعم عن الحرب

مـن الرّاسـخ في أذهان النّاس -وقـد أظهر البعض ذلك فـي الأفـلام- أنّ كتيبةً كانـت تتنافس خلف حقـل ألغامٍ لترمـي نفسـها على الأرض وتستشـهد! لـو كان لدى المرء فهـمٌ للحـرب ومعرفـةٌ جيّـدةٌ بهـا، فإنّه يعلـم أنّ مثـل هذا الشّيء ليس حقيقيّاً، لأنّ شخصاً واحداً يكفي لفتح ممرّ. فـي الأسـاس، كيـف يمكـن أن يحصـل هكـذا شـيءٌ في الحرب؟!

هذه من ضمن المزاعم عن الحرب؛ وبمجرّد أننا نعتقد بـأن هـذه الأمور تدل علـى الشّـجاعة، فإنّنا نعظّـم الكذبة لدرجة أن النّتيجة تصبح عكسيّة.

لـم يكـن لدينا في الحرب شـيءٌ مـن هـذا القبيل على الإطلاق، لكنّ شـبابنا كانوا يفتحون الطّريق عبر عمليات هندسـية يقومـون فيها بمبـادرات شـخصية. برأيي، هذه

المزاعم تؤدّي إلى التّساؤل وطرح علامات استفهامٍ حول مبادرات وجهاد الأخوة الّذين ضحّوا بأرواحهم خلال الحرب.

على سبيل المثال، من صفات الحاج علي محمّدى بور في الكتيبة ٤١٢ أنّه كان دقيقاً في تفاصيل العمل. مثلاً، لم يكن من الممكن ألّا يتفقّد بنفسه الممرّ الّذي كان من المفترض أن تعبره كتيبته ليلاً من أجل العمليّات. كان من المستحيل لديه السّير في عمليّةٍ دون التّحقّق من الممرّ.

يعني أنّه كان يذهب حتّى نهاية الطّريق الّتي نسمح له بها -بحيث كان من الممكن أسره وكشفه لو ذهب أبعد من ذلك- ويتحقّق من الممرّ. كان يذهب عدّة مرّات برفقة قادة السّرايا للتأكّد من الطّريق، حتّى قبل أن تراها الكتيبة. كما كان يتفحّص المكان خطوةً بخطوةٍ؛ في أيّ

نقطةٍ ينبغي أن تتّحرك الكتيبة ببطء، وأين تمكث، وأين لا تتكلّم، وأين تنام، وكيف ينبغي أن تدخل، وأين يجب أن تواجه الكمين وتردّ عليه. كان يخطّط لمواجهة كلّ سلاحٍ يقابله وينزع فتيل الألغام الأماميّة، حتّى أنّه كان يحصي عدد الألغام، مثلاً كم يوجد في المكان من ألغام الخنفساء، وألغام وولمر، والألغام المضادّة للمركبات، ثمّ يرسم خريطةً، ويدخل إلى ساحة العمليّة.[1]

هل كان جيل الدّفاع المقدّس جيلاً مميّزاً؟

استطاع جيش ثار الله -الّذي كان تأسيسه تأسيساً إلهيّاً[2] وأتمنّى أن يكون من جيوش الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف

١- من ذكريات الحاج قاسم سليماني عن الجنرال الشّهيد علي محمّدي بور.

٢- كان الشّهيد «حسن باقري»، بالإضافة إلى عبقريّته الخارقة في حلّ قضايا الاستخبارات والعمليّات الحربيّة الرّئيسيّة، ماهراً في اكتشاف وإدخال مواهب جديدةٍ تملك المؤهّلات اللّازمة وقادرة على تحمّل مسؤوليّة الوحدات القتاليّة المنشأة حديثاً في الحرس الثّوريّ الإيرانيّ.

قبل عمليّة طريق القدس، التقى بـ«قاسم سليماني»، الّذي كان في ذلك الوقت يقود كتيبتين من مقاتلي كرمان الموجودين خلال العملية، واعتبره الشّخص المناسب لتشكيل الوحدة القتاليّة لمحافظة كرمان، وفي كانون الثاني ١٩٨١، دعا الحاج قاسم من جبهة شوشة إلى ثكنات الجولف.

سلّم باقري محور العمليّات في «بئر النّفط» لسليماني وكان قد تمّ تكليفه مواجهة العدوّ على جبهة دشت عبّاس رفقة مقاتلي كرمان.

بعد تحديد المحور العمليّاتيّ لمقاتلي المحافظة، توجه سليماني إلى كرمان، لأنّ الحاج قاسم كان القائد الوحيد الذي لم يكن لديه قوّة يقودها في المنطقة، لذلك قرّر سليماني الاستفادة القصوى من الوقت لجمع الفريق والقوّة القتاليّة وتأمين المقوّمات المطلوبة. لم يتحدّث حسن باقري مباشرة مع سليماني عن تشكيل لواء كرمان المستقلّ، لكنّه كان يأمل أنّه من خلال تنظيم مقاتلي المحافظة، سيكون قادراً على تحقيق حلم تشكيل لواء كرمان الّذي كان يدور في ذهنه لعدّة أشهر، حتّى لا تبقى قوّات كرمان مبعثرةً في مختلف نقاط الجبهة.

٦٠٠ مقاتل وسيّارتين باليتَين

عُقد يوم الاثنين في ٢٦ شباط ١٩٨١ اجتماعٌ في ثكنة القدس في كرمان بدعوةٍ من سليماني، وكان المشاركون في الاجتماع هم نفس الأشخاص الّذين شاركوا سابقًا بشكلٍ خاصّ في تشكيل اللّواء. عندما انتهى الاجتماع، كان لمقاتلي كرمان وهرمزگان وسيستان وبلوشستان وحدةً قتاليّةً مستقلةً بشكلٍ غير رسميّ، وعلى الرّغم من عدم اختيار اسمٍ لها بعد، كانوا على يقينٍ من أنّه من الآن فصاعداً، بعد مغادرتهم إلى الأهواز، لن يكونوا مجموعاتٍ متفرّقةً مشتّتةٍ في مناطق مختلفةٍ من الجبهة.

وهكذا انطلق اللّواء القتاليّ الأوّل لحرس الثّورة الإسلامية في المنطقة

ويكون شهداؤنا من أصحاب ذلك الإمام يحاربون الكفر في ركابه ويحيون الحكومة الإلهيّة الموعودة- أن يربّي جيلاً

الجنوبيّة الشّرقيّة من البلاد، والّذي كان قد بدأ باقتراح شفهيّ من حسن باقري لقاسم سليماني، لتولّي جبهة بئر النفط في نهاية يوم الاثنين ٢٦ فبراير ١٩٨١، بحضور مجموعةٍ محدودةٍ في إحدى الغرف في ثكنة القدس بكرمان، وتمّ اختيار وتقديم قائدٍ للّواء ونائبٍ له وعددٍ من المسؤولين. لكنّه كان لا يزال يفتقر للاسم والمقوّمات والعديد. حتّى بعد أسبوع، لم يكن لدى اللّواء المشكّل حديثاً سوى ٦٠٠ مقاتل جاهزٍ للقتال ومركبتين باليتَين.

عمليّات فرقة ثار الله ٤١

من العمليّات الّتي شاركت فيها فرقة ثار الله ٤١: ميمك (عمار ٣) (٩ أيلول ١٩٨٥)، نصر ٤، أم الحسنين عليهما السلام (١٥ آذار ١٩٨٢)، والفجر ١٠، بيت المقدس ٧ (١٢ حزيران ١٩٨٨)، اللّعبة الطّويلة ٢ (رجائي-باهنر) (٢ أيلول ١٩٨١)، كربلاء ٥، كربلاء ١٠، كربلاء ٤، كربلاء ١، والفجر ٨، بدر، خيبر، والفجر ٤، والفجر ٣، والفجر ١، عمليات والفجر الأولى، رمضان، بيت المقدس، الفتح المبين، طريق القدس.

كيف سُميّ جيش «ثار الله»؟

يقول الحاج قاسم سليماني عن اختيار اسم «ثار الله» للواء كرمان: أخذت كلمة ثار الله من خطّ ثار الله في شوش، كانت كلمةً مباركةً وقيّمةً للغاية. طبعاً فإن الأخوة الّذين سيطروا على الجبهات المختلفة وقاموا بتنظيم الجبهة عسكريّاً، كلٌّ منهم قام باختيار اسماً، كما اخترنا نحن كلمة «ثار الله» المباركة والطّاهرة لشباب كرمان.

عظيماً خلال عمليّات الدفاع المقدس. لقد رأيتم أحيانًا في المجتمع أنّ أشخاصاً جيّدين يدخلون الهيكليات والتنظيمات، لكن بعد فترةٍ يتغيّرون ويتبدّلون، وتظهر لديهم سلسلةٌ من الانحطاط والانحراف. لقد رأينا واختبرنا مرّاتٍ عديدةٍ في حياتنا أشخاصاً من ذوي الدّوافع العظيمة والسّامية يدخلون تنظيماً بروحٍ طاهرةٍ، ولكن بعد فترة يغيّرون وجوههم ويتبدّلون ثمّ يتفكّكون ويقعون في المشاكل. هل يختلف جيل اليوم الّذي يدخل في جزءٍ من تشكيلاتنا عن جيل الحرب؟ هل كان جيل الدّفاع المقدّس جيلاً مميّزاً؟

في بعض جوانب جيل اليوم، هناك ولاءٌ أكبر من ذلك الّذي كان لدى جيل الدّفاع المقدّس، وإدراك هذا الجيل هي أعظم من إدراكنا عند دخولنا إلى الجبهة، والقدرة الرّوحيّة له أكبر ممّا كانت عليه في الفترة السّابقة، لكنّنا

في الوقت ذاته لا نرى جوّ الجبهة ذلك في التّشكيلات القائمة اليوم، لماذا؟

ما الذي حدث على جبهاتنا وجعل أولادنا يكبرون هكذا؟ وصل بعض الأشخاص، الموجودة صورهم في هذا الجمع، على الجبهات إلى مرحلة اليقين، نحن نعتقد أنّ السّبب الرّئيسي موجودٌ في الجبهة.[1]

أكبر خيانةٍ للمجتمع

إنّ أوّل سبب لنجاحنا منذ الأمس وحتّى اليوم ولاحقاً في المستقبل هو الدّين، وهذا السبب لا يعني الطّائفيّة وتجاهل الآخرين، بل يعني مركزيّة الدّين في المجتمع والاهتمام بالرّوحانيّة كمركزية في المجتمع.

إنّ الدّين ليس السبب الّذي ينتمي فيه الإنسان لتيّارٍ

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في المؤتمر العاشر لتحيّة شهداء محافظة كرمان.

دينيٍّ ويتشبث به فحسب، بل هو السبب الأكثر تأثيراً في تشكيل القوى المتّحدة.

إن لم تتمتع أي أمّةٍ بدافعٍ دينيٍّ أو كانت تفتقر للهويّة الدّينيّة، فإنّ وحدة تلك الأمّة ستتعرض لخطر الانهيار خاصة في إطارها الاجتماعي الدّاخلي. عامل الدّين هو العامل الأهمّ في مواجهة المشقّات والمصاعب، وكان هذا هو العامل الأساسيّ في كلّ محطّات الثّورة الإسلاميّة حتّى الآن.

لا يوجد عاملٌ مؤثّرٌ في تقبّل الإيثار والتّضحية بالنّفس كما يفعل الدّين، وأكبر خيانةٍ للمجتمع هي أن يحاول شخصٌ ما إضعافَ العامل الدّيني في مجتمعنا.[1]

أتمنّى أن يبذل الرّاديو والتّلفزيون جهداً

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في اجتماع مقرّ قيادة الاقتصاد المقاوم بمحافظة كرمان.

لا أعرف كيف يمكن كتابة هذا الفنّ وتحويله إلى فيلمٍ وعرضه. أتمنّى أن يصنع هؤلاء المخرجون في بلادنا، بالإضافة إلى الأعمال القيّمة التي يقدّمونها عن مكتسبات ومظاهر الدّفاع المقدّس، فيلماً شاملاً للدّفاع المقدّس، مثل المسلسلات التّاريخية والدّينيّة الّتي تنتجها الإذاعة والتّلفزيون، كمسلسل الإمام علي عليه السلام ومسلسل الإمام الحسن عليه السلام ومسلسل الإمام الرّضا عليه السلام وغيرها من الأفلام الّتي أنتجت. بهذه الطّريقة يحصل شعبنا وتحصل شعوب العالم بالتوازي على لمحةٍ عامّةٍ عن حقيقة الدّفاع المقدّس بأبعادٍ مختلفة، حتّى لو كانت هذه السّلسلة مكوّنة من ١٠٠ حلقة. الأمر يستحقّ هذا. ليس فقط لتكريم الشّهداء وعوائل الشّهداء والمجاهدين، بل لتسجيل وحفظ تاريخ هذه الأمّة. هذه من أهمّ القضايا التي يتمّ التّغاضي عنها. أتمنّى أن تظهر

إذاعاتنا وتلفزيوننا، أو أيّ مكانٍ آخر، مع جهودهم الكبيرة، جهودهم في هذه القضيّة لإيضاح فترة الدّفاع المقدّس من البداية إلى النّهاية، وتصوير حقيقة المَشاهد على جانبَي الحرب.[1]

هذه افتراءاتٌ وأكاذيب

أنا أرى هذه المشاهد الحربيّة في الأفلام، وأعتبر بعضها إهانةً للحرب. بطبيعة الحال، فأنا لا أعرف بمن سيلحق كلامي هذا الضرر به وبجهوده، لكن هذه حقيقة. نريد أحياناً إظهار التّضحية بالنّفس في ساحة المعركة، لكنّنا نظهر ذلك بشكلٍ ناقصٍ وخاطئٍ لدرجة أنّنا نشكّك في جميع القيَم؛ وهذه أشياءٌ لم تحدث إطلاقاً خلال الحرب. هذه افتراءاتٌ وأكاذيب منسوبةٌ إلى الحرب.

كنت أشاهد فيلماً على التّلفاز، وكان يظهر جوّاً هادئاً

١- كلمة الحاج قاسم في مؤتمر تكريم شهداء العتاد.

فـي الحـرب، وكان عـددٌ قليلٌ من أفـراد التّعبئـة يتعانقون خلـف حقل الألغام، ويقبّلون بعضهم ويبكون. ثمّ أصبح الانطبـاع أنّهـم عالقـون في الميـدان دون أيّ إطـلاق نارٍ أو صوت!

الآن، فلنفترض أنّ هذا صحيحٌ، كانوا يتعانقون ويقبّلون بعضهـم ويبكـون بهـدوء، فألقى هـذا التّعبويّ بنفسـه في حقـل الألغام، وتمزّق إلى أشـلاء، ثمّ الشّـخص التّالي، ثمّ الآخرون و.... هذا كذبٌ وافتراء. كان شبابنا مبدعين بقدر مـا كانوا روحانيّين. كنّا نقـوم بعمليات الرّصد والعمليات الهندسـية التخريبيـة لنـزع الألغام على فتـرة تمتد أحيانا لثلاثة أشـهر كي نسـترجع تلـة واحدة، واسـترجاع التّلة لم يكن يدوم سوى ليلة واحدة.[1]

١- مقابلة الحاج قاسم مع هيئة الإذاعة والتّلفزيون.

هل تريدون تقديم المذهب الشّيعيّ؟

يقوم بعض قرّاء العزاء والخطباء أحياناً بالتّطرّف للتّعبير عن الموضوع الشّيعيّ، وهذا لا ضرورة له. لسنا بحاجةٍ إلى إهانة الآخرين لإظهار حقيقة التّشيّع. حقيقةُ أنّ البعض يشتم الآخرين خلف مكبّر الصّوت، سيؤدي غداً إلى حصار الشّيعة السّعودية.

يتحدّث بعض النّاس في اجتماعاتهم دون أن أي تقدير للدماء الشّيعيّة الطّاهرة، بحيث يظنّون أنّهم شجعانٌ جدّاً .. ثم تُنشر تسجيلات هذه اللّقاءات وتنتشر في كلّ العالم الإسلاميّ، ثمّ يؤدّي هذا إلى إلحاق الضرر بالشيعة لاحقاً. نحن قد لا ننتبه إلى الأضرار الّذي تلحقه هذه الأعمال بالنّظام.

لا ينقص الثّقافة الشّيعيّة شيءٌ لنشرونقل مفاهيمها. هذا دعاء كميل، وهذه رسالة الإمام عليّ عليه السلام إلى

مالـك الأشـتر، وهـذه وصيّـة أميـر المؤمنيـن عليه السلام للإمـام المجتبـى عليه السلام، وخطـب الإمـام عليه السلام فـي نهـج البلاغـة، والصّحيفـة السّـجّاديّة، ومفاتيـح الجنـان و.... إنّـه بحـرٌ مـن المعرفـة الحقيقيّة في عالَـم التّشـيّع. إذا أراد المرء أن يقدّم المذهب الشّيعيّ إلى العالم، فعليه أن يقدّم نموذج الدّفاع المقدّس. كلّ هذه التّعاليم الشّيعيّة أُعيد إحياؤها فـي الحـرب حيـث دخلت هـذه المعـارف فـي مجالات الأخـلاق والسّـلوك والتّعامـل بين النّـاس بحث أصبحت عمليّةً.[1]

لماذا ينأى بعض الشّباب بأنفسهم عنّا؟

يؤسفني كثيراً عندما تكون اجتماعاتنا خاصّةٌ بنا فقط! لأنّ بعض النّاس ينأون بأنفسـهم عن اجتماعاتنا بسـبب شـكلهم الظاهري الذي يختلف عن شكلنا أو بسبب أيّ

١- خطاب الحاج قاسم في الذّكرى السّنويّة لانتصار خرمشهر.

شـيءٍ آخـر. بالتّأكيـد، فـإن كلّ روحٍ وفطرةٍ نقيّـةٍ على هذا الطّريق تتغّيربفضل ذكرالشّهداء، تماماًكما كانت الحرب نفسـها. لـم يكـن الأمـركأن يمتلـك كلّ الّذين شـاركوا في الحـرب فضائل الكمـال، كلّا! كانت هنـاك خلفيّة جيدة عنـد هـؤلاء، وقـد خصّبتهـا أجـواء الجبهـة والحـرب لمـا تمتـاز به من خصائص، فزرعت فيهم المواهب والفضائل وأوصلتهـا إلـى قمّتهـا. لذلك، يجـب علينا دعـوة جميع أنـواع الأشـخاص إلـى هذه الحلقـات وعـدم اقتصار هذه الاجتماعات على نوعٍ واحدٍ من النّاس.[1]

أنا صديق السّيّد إبراهيم

في أحد الأيام، كنت أنزل من الطّائرة، ورأيت شابّاً يقف مرتديـاً بنطال «جينـز» من الموضة الجديـدة الّتي عادةً ما تكون ممزّقة، قال لي: «هل يمكنني أن أصبح من مدافعي

١- خطاب الحاج قاسم في ذكرى شهداء محافظة لرستان.

الحـرم؟» تعجّبتُ كثيـراً، ثمّ قال: «أعلم أنّـك لن تقبلني، لكـن هـل تعـرف صديـق مـن أكـون؟ أنـا صديـق السّـيّد إبراهيـم صدر زادة»، وكان السّـيّد إبرهيم مـن أفضل قادتنا فـي لواء الفاطميّين، وقد دخل الجبهة متنكّراً بزيٍّ أفغانيٍّ واستشهد يوم عاشوراء قبل ٣ سنوات.[١]

ترويج الفهم الخاطئ عن العدو في المجتمع هو خيانة

فيما خص تعريف الوحدة في البُعد السياسـي، فليس من الواضح أنّ هذا النّوع من الوحدة سـوف يتحقّق، لكنّ الوحـدة حـول المبـادئ أمرٌ حقيقـيٌّ ويجب القيـام به. إنّ أهمّ عنصر يجب أن يحدث في موضوع الوحدة هو الوحدة حـول العـدوّ. عندمـا تكون فـي سـاحة العدو، ثـم يحدث فوضـى فـي خطّـك الأمامـيّ، حيث يصـرخ أحدهـم: هذا ليس العدوّ، إنّه صديق، بينما يقول الآخر يقول: لا، هذا هو

١- خطاب الحاج قاسم في ذكرى الشّهداء.

العدوّ. عندها، ستحلّ النّكبة نفسها الّتي حلّت بجيش أمير المؤمنين عليه السلام في معركة صفّين، عندما تمزّقت صفحة جيشه، ووُلد منها الخوارج. لقد وُلد الخوارج من مؤامرةٍ كهذه، حين طعنوا القرآن فيما حاولوا إظهار صورة جيدة لمعاوية وأدخلوا الكثيرين في الشك.

حسنًا، إذا جاء البعض الآن وقالوا كلّا أمريكا ليست العدوّ، فمن سيقول إنّ أمريكا عدوّنا؟! هذا سوء فهم! معرفة العدوّ ليست شيئاً سياسيّاً، معرفة العدو أمرٌ بحثيٌّ وتجريبيّ. إذا ذهب المرء ودرس تاريخ الأعداء وأداء العدوّ، فلن يخدعه العدوّ ولن يشكّ في عداوته.

لماذا لم يُقم أمير المؤمنين عليه السلام صلحاً مع معاوية؟ لو عقد أمير المؤمنين عليه السلام صلحاً مع معاوية، فقد أعطاه شرعيّة. ثمّ ماذا كان سيبقى من حكم أمير المؤمنين عليه السلام وشرعيّته عندها؟ ربّما لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام

ليستشهد، لكن ماذا كان سيبقى من الإسلام؟ إذا كان من هم في هذه المناصب وعلى هذه المنابر قد أعطوا عنواناً خاطئاً للمجتمع ورفعوا صوتين للتعريف عن العدوّ، فاعلموا أنّهم يرتكبون الخيانة. إنّ التّحالف مع العدوّ هو أبشع أنواع الخيانة، وإنّ ترويج الفهم الخاطئ عن العدو في المجتمع هو خيانة، وتدمير حساسية المجتمع تجاه العدوّ، والتّهدئة، وخلق الانقسامات في صفوف الأمّة هو خيانة.[1]

إنّ استعراض قوّتنا هو أكثر من مجرّد عرضٍ مسلّح

هذه المناورة الّتي شارك فيها ٢٠ مليون شخص في الأربعينيّة الحسينيّة، والّتي جرت بالقرب من المملكة العربيّة السّعوديّة وتمثّلت بمسيرة لا توصف. في بعض الأحيان يُطلق بعض العامّة أقاويل جيّدة تعبر عن رؤية

١- خطاب الحاج قاسم في مؤتمر شهداء غيلان.

واسعة لم تكن تخطر في بالنا.

فقد سُئل شخصٌ إيرانيٌّ عن شكل المسيرة فقال: «أنا لديّ سؤالٌ لك، هل يمكنك أن تخبرني عن سلطانٍ في العالم يستطيع حشد ٢٠ إلى ٢٥ مليون شخصٍ سيراً على الأقدام وعلى نفقتهم الخاصّة ولا يشعر أحدٌ منهم حتّى بأدنى نقص؟ هل هناك سلطانٌ أو ملكٌ أو رئيس جمهوريّةٍ أو أيّ قوّةٍ في العالم؟» ثمّ أجاب قائلاً: «أجل! فعلها سلطانٌ واحد، هو الإمام الحسين عليه السلام».

هذه التّظاهرة الدّينيّة الشّيعيّة المليونيّة وهذا الاستعراض لقوّتنا هو أكثر من مجرّد عرضٍ مسلّحٍ نعرض فيه الطّائرات والدّبّابات والمدافع، فهذه هي قوّتنا.[1]

١- خطاب الحاج قاسم سليماني في تجمّع الدّفاع المقدّس للفرقة ٤١ ثار الله.

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة
٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن
٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

سلسلة نهج الولاية:

١. سيد شهداء محور المقاومة، الشهيد قاسم سليماني (هذا الكتاب)
٢. العبد الصالح، الإمام الخامنئي
٣. التحليل السياسي في فكر الإمام الخامنئي
٤. الاستغفار والتوبة، الإمام الخامنئي
٥. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

سلسلة من داخل السجن:

١. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٢. يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي
٣. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد

٤. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٥. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٦. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

سلسلة تاريخ البحرين:

١. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٢. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٣. الإبادة الثقافية في البحرين
٤. تيار الوفاء الإسلامي، المنهج الرؤية الطموح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. رسول الرحمة
٢. الإسلام والعلمانية
٣. الجمري في كلمات أمينه وخليله
٤. القدس صرخة حق
٥. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام
٦. رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب

٧. كلمة الأستاذ في الذكرى الثامنة عشر للسيد أحمد الغريفي
٨. كلمة الأستاذ في استقبال شهر رمضان
٩. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام
١٠. الدولة والحكومة
١١. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني
١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول
١٣. في رحاب أهل البيت عليهم السلام
١٤. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين
٢. عاشوراء البحرين ٢٠١٩
٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي
٤. عاشوراء البحرين ٢٠١٨
٥. حصاد البحرين ٢٠١٧
٦. عاشوراء البحرين ٢٠١٧

٧. ذكرى استقلال البحرين بين الحقيقة والاحتلال البديل

٨. في رحاب مدرسة الإمام الخميني قدس سره

٩. المهدوية في الفكر الولائي

١٠. الحصاد السياسي ٢٠١٦

١١. بريطانيا: تاريخ من الاحتلال والدعاء لشعب البحرين

١٢. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

١٣. ثورة ١٤ فبراير في البحرين خلفياتها ومجرياتها

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور

٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٣. برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين

٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي

٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة

المعتقلين وعذاباتهم

٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

الشهيد سليماني شخصيّة مقاومة دوليّة وإنّ جميع محبّيه يطالبون بالثأر لدمائه. فليعلم جميع الأصدقاء-والأعداء أيضاً- أنّ نهج الجهاد في المقاومة سيستمرّ بدوافع مضاعفة وأنّ النّصر الحاسم سيكون حليف مجاهدي هذا المسار المبارك. فقدان قائدنا المضحّي والعزيز مرير لكنّ استمرار النّضال وتحقيق النّصر النهائي سوف يكون أشدّ مرارة على القتلة والمجرمين.

بيان الإمام الخامنئي إثر إستشهاد القائد الكبير الحاج قاسم سليماني ومرافقيه